لي جوهر هوحقيقة ذلك الجوهر ولا عرض يعتريه واز ق معنى الرزق
تنزله في رتبة سماها الخلق البوبي بها حكم مرتبه الاخرى على ما تطلبه الحكمة او
يقتضيه حكم تقديرانه ٭ مجهول في حقيقة غيب كنت كنزا لم اعرف سد تعرفه
الى خلقه بما عرف من تعريفاته ٭ جعل اسم الخلق محلا لذاته ولا يتعداه ٭
ورسم لاسم الحق حكما من ذاته لا يفيدك سواه ٭ وحكم للالوهيته حمها
فإيك مرفى لغيره وراء الله ٭ لالوهيته المحيطة باحديته ولاحديته السلطنة
على الوهيته في ترتباته ٭ تعرف الى كل موجود بحسب المرتبة التي ابرزه
فيها من عينه وما عرفه الانفسه في جماله وريه من جميع مكوناته ٭
احمد ٭ حمد ٭ لنفسه من خلف سرادق غيبه الاسمى ٭ واثني عليه بلسان
جماله الاكمل الاسمى ٭ هو كما اثنى على نفسه لديه ٭ اذ كنت لا احصي ثناء
عليه ٭ واستمد من الجناب الاعظم ٭ غيب غيب الجمع الاسم ٭ نقطة عين
الحرف المعجم ٭ محمد سيد العرب والعجم ٭ مركز كنه الحقائق والتوحيد ٭
مجمع دقائق التنزيه والتحديد ٭ مجلى معاني جمال القديم والجديد ٭
صورة كمال الذات ٭ الازلي التقليد في جنات الصفات ٭ الابدي الاطلاق
في ميدان الالوهيات ٭ صلى الله عليه وسلم وعلى آله القادة الهداة ٭ المتحلين
بحلية التحولين في احواله ٭ القائمين عنه في مقامه باقواله وافعاله ٭ وعلى آله
واصحابه وعترته وانساله ٭ وشرف وكرم ٭ ومجد وعظم ٭

٭ اما بعد ٭ فاني استخرت الله تعالى في املاء هذا الكتاب المسمى بالكهف والرقيم
في شرح بسم الله الرحمن الرحيم ٭ وذلك بعد باعث رحماني ٭ واجابة لسوال

ام سارف دي هود والفهم الثاقب والذكاء الماهر الراجح الناسب والتجريد والتفريد والتقدم الصدق في المطالب عماد الدين يحيى بن ابي القاسم التونسي المغربي بسط الحسن بن علي بعد مد انتمى اياه و تاخرى عن التقدم الى مايهواه ولا يمنع الا الى ما ناله بشي صدق رسمه الى موافقه حضرت الله تعالى و لطائف الله واسمائه سبحانه وتعالى ان ينفع بعمله والسامعين و قدرته وهو الاولى بالاجابة والاحد ر لوصي بالاصابة و الملتمس من اهل الله سادات الاخوان الناظرين في هذا الكتاب سلام الله عليهم و رضوانه ان يمحصوا في معنى كل كلمة حتى يطلعهم بيانه من وجوه عبراتها واشاراتها وتصريحاتها وتلويحاتها و كنا ياتها وتقديمها وتاخيرها المراعاة القواعد الشرعية والاصول الدينية فان وقعوا على معنى من معاني التوحيد شهد لهم به الكتاب والسنة فذلك مطلوبي الذي املیت الكتاب لاجله وان فهموا منه خلاف ذلك فانا بريء من ذلك الفهم فليرفسوه وليطلبوا ما امليته مع الجمع بالكتاب والسنة فان الشيوخ هم ذلك سنة جرى بها كرمه في خلقه والله على كل شيء قدير تم المسؤول منهم ان يمدونا باتفاسهم الالهية ويقبلوا على ماقبا وهذه جهد المقل فقد متها بين ايديهم راجيا دعوة تحى او نظرة و لي

فان تجد عيبا فسد الخللا ۞ جل من لا عيب فيه و علا

وها انا اشرع فيما ذكرته مستعينا بالله ناظرا الى الله آخذا بالله عن الله محاتم الا بالله والله يقول الحق وهو يهدي السبيل و ما توفيقي الا بالله

---

١ الراسب ٢ ان يمحصوا ٣ يتلجهم + فان وقعوا

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

وردفي الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال كل ما في الكتب المنزلة فهو في القرآن وكل ما في القرآن فهو في الفاتحة وكل ما في الفاتحة فهو في بسم الله الرحمن الرحيم وورد كل ما في بسم الله الرحمن الرحيم فهو في الباء وكل ما في الباء فهو في النقطة التي تحت الباء وقال بعض العارفين بسم الله الرحمن الرحيم من العارف بمنزلة كن من الله ٭ واعلم ٭ ان الكلام على بسم الله الرحمن الرحيم من وجوه كثيرة كالنحو والصرف واللغة والكلام فيه على مادة الحروف وصيغتها وطبيعتها وهيئتها وتركيبها واختصاصها على باقي الحروف الموجودة في فاتحة الكتاب وجمعها لها واختصاص الاحرف الموجودة في الباء والكلام عليها في منافعها واسرارها ولسنا نقصد شيئاً من ذلك بل كلامنا عليها من وجه معاني حقائقها فيما يليق بجناب الحق سبحانه وتعالى والكلام مندرج بعضه في بعض اذ المقصود من جميع هذه الوجوه معرفة الحق سبحانه وتعالى ونحن على بابه فكلما يتجدد (١) من فيضه على الانفاس ينزل به الروح الامين على قلب القرطاس ٭ واعلم ٭ ان النقطة التي تحت الباء اول كل سورة من كتاب الله تعالى لان الحرف مركب من النقطة ولابد لكل سورة من حرف هو اولها ولكل حرف نقطة هي اوله فلزم من هذا ان النقطة اول كل سورة من كتاب الله تعالى ولما كانت النقطة كما ذكرنا وكانت السنة سهاوس الباء تامة كاملة لما سيأتي بيانه كان الباء في اول كل سورة للزوم البسملة في جميع

(١) فكلما يتجدد

السور حتى سورة براءة فان اسمه اول حرف فيها فلزم من هذا ان كل
القرآن في كل سورة من كتاب الله تعالى لما سبق من الحديث ان كل
القرآن في الفاتحة وهي في البسملة وهي في الباء وهي في النقطة فكذلك
الحق سبحانه وتعالى مع كل احد بكليته لا يتجزى ولا يتبعض والنقطة اشارة
الى ذات الله تعالى الذي هو مراد ق كبريته في ظهوره لخلقه الازلي
ازي النقطة ولا تحس تقرأ هالنة تحسوتها وتنزيهها عن التقييد تخرج دون
تخرج اذ هي نفس الحروف الخارجة من جميع المخارج فتنبه للقابلة من هوية
غيب الاحدية وتقرأ النقطة باعتبار الاشتراك تقول في الباء المثناة اذا اردت
التي نقطة ثلاثة مثلثة ما قرأت الا النقطة لان الباء والتاء المثناة والمثلثة لا تقرأ
اذ صورتها واحدة ولا يقرأ الا نقطتها فلو كانت تقرأ في نفسها لكانت هيئة
كل واحدة غير هيئة الاخرى وبالنقطة تميزت فما قرئ في الا حرف
الا النقطة وكذلك ما عرف في الخلق الا الله فكما عرفته من الخلق
ما عرفته من الله بيد ان النقطة في بعض الاحرف اشد ظهورا منها
في بعضها فتظهر في بعض زائدة عليها يكون تكميل ذلك الحرف بها
كالحروف المعجمة فان تكميلها بها وتظهر في بعض عينها كالالف
والحروف المهملة لانه مركب من النقطة ولهذا كان الالف اشرف من الباء
لظهور النقطة في عينه وما ظهرت النقطة في الباء الا على حسب تكميله على وجه
الاتحاد لان نقطة الحرف من تمام الحرف فهو متحد بالحرف والاتحاد يشعر بالغيرية
وهو ذلك الفصل الذي تراه بين الحرف وبين النقطة والالف مقامه

مقام الواحد بنفسه ولهذا كان الالف ظاهرا بنفسه في كل حرف كما تقول ان الباء الف مبسوطة والجيم الف معوجة الطرفين والدال الف منحنى الوسط والالف في مقام النقطة لتركيب كل حرف منها وكل حرف مركب من النقطة فالنقطة لكل حرف كالجوهر البسيط والحرف كالجسم المركب ثم قام الالف بنفسه مقام النقطة فتركيب الاحرف منها كما ذكرناه في ان الباء الف مبسوطة وكذلك الحقيقة المحمدية خلق العالم باسره منها لما ورد في حديث جابر ان الله تعالى خلق روح النبي صلى الله عليه وسلم من ذاته وخلق العالم باسره من روح محمد صلى الله عليه وسلم فمحمد صلى الله عليه وسلم هو الظاهر في الخلق باسمه بالمظاهر الالهية الا ترى انه صلى الله عليه وسلم اسري بجسمه الى فوق العرش وهو مستوى الرحمن فالالف وان كانت بقية الحروف المهملة مثله والنقطة ظاهرة فيها بذاتها لظهورها في الالف فله عليها الزيادة لانه مابعد عن النقطة الا بدرجة واحدة لان النقطتين اذا تركبتا صارتا الفا فحدث الالف بعد واحد وهو الطول اذ الابعاد ثلاثة وهو طول وعرض وعمق او سمك وبقية الاحرف تجتمع فيها اكثر من بعد كالجيم فان في رأسه الطول وفي تعريقه السمك وكالكاف فان في رأسه الطول وفي الوسط بين رأسه وتعريقه الاولى العرض وفي الحائل بين التعريقتين سمك فهذا فيه ثلاثة ابعاد ولابد في كل حرف غير الالف ان يكون فيه بعدان او ثلاثة فالالف اقرب الى النقطة لان النقطة لابعد لها فنسبة الالف بين الاحرف المهملة نسبة محمد صلى الله عليه وسلم بين

الانبياء والورثة الكمل فلهذا قدم الالف على سائر الحروف + فافهم
وتامل فمن الحروف ما تكون نقطته فوقه ويكون هو تحتها وهو مقام
ما رأيت شيأ الا ورأيت الله قبله ومن الحروف ما تكون النقطة تحته
ويكون هو فوقها وهو مقام ما رأيت شيئا الا ورأيت الله بعده ومن
الحروف ما تكون النقطة في وسطه كالنقطة البيضاء في قلب الميم
والواو وامثالها فانه على ما رأيت شيئا الا ورأيت الله فيه ولهذا تجوف
لانه ظهر في جوفه شئ غيره فدائرة رأس الميم محل رؤية شيء ونقطته
البيضاء محل الا ورأيت الله فيه والالف محل ان الذين يبايعونك انما
يبايعون الله قيل في معنى انما عمرية ما الا وتقديره ان الذين يبايعونك
ما يبايعون الا الله ومن المعلوم ان محمدا صلى الله عليه وسلم بويع
فشهد الله لنفسه انما بويع الا الله فكانه يقول ما ثبت عند ما بويعت محمدا انما
انت الله بالعيب لانهم مابايعون الله على الحقيقة وهذا معنى الخلافة الاترى
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم او رسول الملك كيف يصح له ان يقول لمن
خالفه ما خالفتني انما خالفت الملك وكذلك الملك يقول لمن ارسل اليهم عن
رسوله لا تنظروه فلانا عندي اقربكم الى طاعته

﴿ فصل ﴾

نقطة الباء واحدة في عالم غيبها التي لا تفرقة فيه على انها ظهرت في التاء المثناة
اثنين وفي المثلثة ثلاثة ردعا وتسهيلا لمن قال بالشريك انه ثاني اثنين او ثالث
ثلاثة مشيرا الى ان النقطة الواحدة ولو ظهرت متعددة فهي في ذواتها

واحدة الا ترى اليه سبحانه وتعالى اله واحد تخيل المشرك الشركة فيه
فالشريك الذى اعتقده المشرك فى خياله مخلوق لله والحق فى كل مخلوق
كماله والمشرك مخلوق والشريك المعتقد شركته مخلوق والشركة
المعتقدة مخلوقة والاعتقاد مخلوق والحق سبحانه وتعالى فى كل شئ من ذلك
بكماله وذاته لا يتجزى ولا يتعدد ولا يتكيف واحد لا ثانى له فتحصل
من هذا ان الشريك هو الحق والمشرك هو الحق والشركة فى الحق فان
شئت اشرك وان شئت افرد فما ثم الاعينك الا ترى ان النقطة من حيث
هى نقطة لا من حيث هى جرم حرفى لا تتعدد ولا تتجزى بحيث يأخذ
كل شخص من اشخاصه جزأ من اجزائه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا
فوجدت النقطة فى عين التعدد بقوة احديتها الغير المتقسم واعلم ان
النقطة على الحقيقة لا تنضبط بالتصور لان كل ما ابرزته فى عالم التجسيم يكسبه
التقسم فالنقطة المشهودة الآن عبارة عن حقيقتها وحد حقيقتها جوهر
فرد لا يتجزى فاما اذا ابرزته من غيب الوهم على لسان القلم الى عالم شهادة
لوح الاكوان ازداد حكما فى نفسه ذاتيا غير منسوب اليه فى حده وهو التقسم
لانه قل ما يوجد بل لا يوجد فى عالم الاكوان ما يقع عليه ادراك الحواس
جوهر فرد لا ينقسم فلما برز هذا الجوهر تحت هذا الحرف انقسم على
انه غير مقسوم فهذا محل تشبيه الحق وما ورد فيه بالنص من اليدين
والوجه وفى حديث الرفرف كما قال عكرمة عن النبى صلى الله عليه
وعلى آله وسلم رأيت ربى فى صورة شاب امرد عليه حلة من

- جوهر ربه المتعدد

ذهب وعلى رأسه تاج من ذهب وفي رجليه نعلان من ذهب فهو الله تعالى يتجلى لما تخفه في صورة الشاب وغيره *

﴿ بيت مفرد ﴾

كسب الجمال على جلاله وجهه * الله احسن كل شئ خلقه

الحديث بكماله تشبيه في عين تنزيهه اذ معنى الحق انما هو المنزه الذي ليس كمثله شئ وهو السميع البصير فيحصل عليه تقييد التشبيه وانه ليس له الاذ لك فلما كان تشبيهه في تنزيهه وتنزيهه في تشبيهه على الحكم الذي ورد به النص من الكتاب والسنة ظهر لك عالم الغيب في عين عالم الشهادة وبطن لك عالم الشهادة في عين عالم الغيب ولما كانت النقطة اصلا لجميع الحروف كان جميع الحروف فيها بالقوة ومعنى قولي بالقوة ان نعقل ثبات الاحرف فيها ولا يدرك كونها الا بعد بروزها منها *

﴿ فصل ﴾

فتقول النقطة للألف ايها الحرف اني اصلك لتركيبك مني بل انك في تركيبك اصلي لان كل جزء منك نقطة دون الكل وانا الجزء والكل اصل والجزء فرع بل انا الاصل على الحقيقة اذ تركيبك عيني لا تنظر الى بروزي وراءك فتقول هذا الباطن سيري انما انا لك الاهوية ولولا وجودي فيك لم يكن لي بك هذه العلاقة الى متى تصرف شهادتك عني وتجلي ورآء ظهرك احمل غيبك شهادتك وشهادتك غيبك انما تحقق وجودي بك لولاك لما كنت انا نقطة الباء ولولاي لما كنت انت باء مقولة كم اصرف لك

الامثال كي تفهم احدیتی بك و تعلم ان ابساطك في عالم الشهادة واستتاري
في عالم الغيب حكمان« لذاتنا الواحدة لامشارك في لك ولا مشارك لك في
ما انت الاانت لان اسمك حدث على اسمي الاترى ان اول جزء من
اجزائك يسمى نقطة و ثاني جزء يسمى نقطة و ثالث جزء من اجزائك
يسمى نقطة و كذلك جميع اجزائك نقطة في نقطة فاناانت مالك فيك اية
بل هويتي هي ايتك التي انت بها انت لوكنت عند قولك في بسملك لما تخيل
ذاتي لكنت انا ايضاً عند قولي هوا تخيل و حعي فكنت حينئذ تعلم ان
انا و هو عبارتان لذات واحدة ٭ قالت الباء ٭ سيدي تحققت انك اصلي
و قد علمت ان الاصل و الفرع شيأن و هذه جنتي منبسطة متركة لا وجود
لي الاجهاوات جوهر لطيف يوجد في كل شي و اناجسم كثيف مقيد بمكان
دون غيره فمن اين لي حقيقة مالك ومن اين اكون اناانت و كيف يكون حكمك
حكمي ٭ فاجابتها النقطة ٭ فقالت شهود جسمانيتك وتخيل روحانيتي هيئة من
هيئاتي و وصف من اوصافي و ذلك ان جميع مفترقات الاحرف ٭ والكلمات
بجملتها صورتي الواحدة فمن اين التعدادا دالا تحقق ان العشرة اسم لمجموع
هذه الخمستين فمن اين التغاير بين الخمسة و العشرة في حقيقة العشرية
لافي الاسمية و اذا كنت انت من كل وجوهك وصفامن اوصافي و نظرة
من نظراتي فمن اين تكون الاثنانية بيني و بينك و كيف هذه المجادلة التي
بيني و بينك انا اصل فيما يراد منك و فيما يراد + مني هذ المجموعه ذاتي ترتيب
حكمة الهية فاذا اردت تعقلني تخيل نفسك وجميع الحروف كلها والكلمات

" كما ان   ٭ بمتفرقات الاحرف   + يرد

صغيرها و كبيرها ثم دل لي نقطة فدلك محموسه فوعين نفسي و نفس
سين ذلك لجمع بل سالت عين مجموع عيني عينك مل لا انت ولا انا الكل
اول لا انا ولا انت ولا انا ولا واحد ولا اثنين ولا ثلاثة ما ثم الا النقطة
الواحدية لا تعقل مثلك فيها ولا نفهم فلو تحولت من نونك الى توني لعلمت
كل ما علمت و شهدت كل ما اشهد و سمعت كل ما اسمع و نصرت كل ما نصره
وجد بالمنه ▪ فقال قد لاح بارق ما قلته من لي بالوقوع في صح هذا البحر
و قد علمت بالعدو القرب والكم و الكيف من ترتيب وجودك فكاشهدت
القول دلقر سب و ملاند مه سلمت و انصرفت بوجهي الى عالم الشهادة ولزوم
الادب معك و كما حلت في الملكوت معاي وحد ثلك نفسي فاذ اطلعت
من عنى ما لك من الحل و العقد في الحروف و السرياني في كل حرف
بكلك لا احدثيئ فسكسر رجاحة همتي وارجع حسيرا ▪ فقالت النقطة نعم
ترجع لانك طلبت من نفسك و نفسك عندك غير نفسي فلا تجد منها مالي
فلو طلبت منها انا الذي حوات من نفسي التي هي نفسك دخلت الدار من
بابه حينئذ ما طلبت ما النقطة الا من النقطة بل و لا طلبت الا النقطة مالها
منها فخل في هذا المعنى ان كنت معنا ▪ شعر ▪

هذى الخيام بدت بلى اطنابها ▪ فانزل بها ان كنت من احبابها
قف بين هاتيك المعاني انها ▪ وقفت بها الارمان في اترابها
ما هذه الا من اقام على العصا ▪ والبان و الاتلات في اجنابها
فاخ مطيك في الديار رحابها ▪ دار مباركة على اصحابها

فقد رمازل قد شرحت * فلما كيف وشرحوا به اسم
لا تعرف الاسرار في عرفانها * فحوله سدت على ابوابها
الباز ليس تحتها ام احلها * من بان عنها ليس من اسبابها

الباء في النفس وهي حرف ظلماني وليس في البسملة باسرها من الحروف الظلمانية الاثنا وافى بالحروف الظلمانية اب ج د ر ف س ت ث خ ذ ض ظ غ لان الحروف النورانية التي في اوائل السور مقطعة هي نصح حلك ل م ن س ع ص ق ر انما شمل الحق حرف الباء اول القرآن في كل سورة لان اول حجاب بينك وبين ذاته سبحانه ظلمة وجودك فاذا فنيت لا هو كانت اسماؤه وصفاته التي هي منه حجاب عليه فلك حينئذ نورانية الا ترى ان بسم الله الرحمن الرحيم كلها حروف نورانية ومن هذا كانت الباء زائدة على النقطة لانها فوقها والنور فوق الظلام فكانت الباء ظلمة نور النقطة محجوبة بوجودها التي هي العلم البارز عن العلم الجامع الاجمالي وحكمة ظهور النقطة وراء الباء اشارة الى ان الامر الحقيقي وراء ما ظهر لنا الصفات النقطة بالباء كان الباء في الكلام مستعملا للالصاق وكما كان نظر النقطة ممدودا الى الباء كان الباء في كلام العرب مستعملا للاستعانة فالاح نار السعادة للباء على شجرة نفسه سرى في ظلمة سرادق غيب اليه عن اهله لقبس بارا النقطة او يجد هدى في نفسه الى نفسه من نفسه نودي من جانب قائم شجرة الالف الذي هو اسم الله اخلع نعليك اي وصفك وذاتك انك بالوادي المقدس وانت محل الشبه والدنس ولا مقام لك في وادي

تقديس النقطة الا ان تخلع نشبيه ذاتك ودس صفاتك حتى لا يبقى في القدس الا القدوس فاخذ بزمامه يد التوفيق فانبسط تحت نور الالف انبساط الظل اذ ظل كل شيء مثله وسط باه كل كتابة تندرج ثم العيا
مرأت صاطلالمد االقائم نعلت ارقيامابه ادلا وجود للظل الابالشخص من الجرم المستوي بها فتحقق لها مثلوها وثبت وهمية وجودها الا ان الظل نفسه ليس شيء موجود تام انما هو حيلولة الشخص بين الجرم المستتر والارض فوجود الظل نفسه محال ولكن لا بد من وجود فلما تحقق الباء بهذا القدر من السابة احدى الالف الى نفسه والقاه في محله واندرج الالف به ولهذا اضولت باه بسم الله الرحمن الرحيم لتكون دليلا على الالف المدرج فيها فهي في المعنى خليفة عن الالف وفي الصورة مطولة على هيئة الالف فحصل لها من الالف الهيئة والمعنى ووقعت في الكلام محل الالف ولا يعرف في كلام العرب باء تقوم مقام الالف الاباء بسم الله فانظر هذا الباء كيف انشد حادى حاله لحال جماله ❋

وسرى لى من قلبي ❋ فعبت كما عنا
فكناحيث ماكانوا ❋ وكانواحيث ما كنا

فالالف في نفسه مشتق من الالفة بل على الحقيقة الالفة مشتقة من الالف الا ترى الى اختلاف الصرفيين في المصدرهل اشتق من الفعل ام الفعل اشتق منه فلبذا اتلف الالف بالباء لان الباء لزم مقام نفسه من الادب تحته فلاشى تلاشى الظل تحت الشخص فوفاه الالف من عين الجود مقام نفسه

لان مقام الالف التصور بصورة كل حرف اذ الباء الف مبسوطة والجيم الف معوج الطرفين والدال والراء الف منحني الوسط والشين اربع الفات كل سنة منها الف والعريقة الف منحنى مبسوطه وعلى هذا فقس الباقي هذا في الصورة واما في المعنى فلا بد من وجود الالف في كل حرف لفظا اذا هجيته فقال باء والف والجيم اذا هجيته تقول جيم ياء ميم فالياء المسماة الهجية موجود فيها الالف فالالف في كل حرف صورة ومعنى لانه نزل في النقطة من عالم الغيب الى عالم الشهادة فله كل ما للنقطة في عالم الشهادة ..

ذاك شيء في ذاك يدريه * ذاك نفس ذاك تسمع

ذاك خير يلي المعالي * قد تدحى وتلمع

يقول صلى الله عليه وسلم لا تدخل الشوكة في رجل احدكم الا وجدت المها وهذا لتحقق احديته بمجموع العالم افراده واجزائه حتى انه تجد حال كل فرد في نفسه كما يجده ذلك الفرد في العالم . سؤال . ما السبب ان الالف حذف في البسملة ولم يحذف في اقرأ باسم ربك . الجواب . لان اضافة الاسم هنا الى الله الجامع الذي لا يتقيد بصفة دون اخرى واضافة الاسم هناك الى الرب ولا بد للرب من عبد مربوب فحال ان عبد الباء ففي هذا القول لانه اذا زالت العبودية زالت الربوبية على الفور واما الالوهية اذا زالت العبودية فانها لم تزل لان لها اسم الوهية جمع المراتب كلها فرد ل العبد كما لم يكن ويقال الرب كما لم يزل مرتبة من جملة مراتب الالوهية فهي لا تزول من عالم فلذا ترك ادراج الالف سينه

ذلك على و [illegible] وسقط [illegible] بسم الله الرحمن الرحيم آية
[illegible] و [illegible] الشريعة [illegible] الأنزال [illegible] قرأ وهو [illegible] والأمر
[illegible] و بسم الله الرحمن الرحيم [illegible] ولا [illegible]

فصل

الأ [illegible] كانت لامة [illegible]
كلا [illegible] مكي [illegible]
[illegible] عنه كونك [illegible]
[illegible] لأبي [illegible]
[illegible] كل حرف [illegible] لا [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] يحكث [illegible] لكون [illegible]
[illegible] لا [illegible] لكن [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

فصل

[illegible] لا [illegible]
[illegible]

سبقت للالف قبل وجوده حتى قرب من النقطة هذا القرب العظيم واي سيئة تصرفت من الاحرف حتى بعد وامقبل في حوابه * عدم معدمرة الالف من محل حكم النقطة في ذاتها حسنة سبقت للالف جزاؤها اضافه باوصف النقطة من وجد في رحله فهو جزاؤه نعم وعدم قرب بقية الحروف من محل حكم النقطة في ذاتها سيئة سبقت عليهم كذلك كدنا ليوسف ما كان لياخذ اخاه في دين الملك *

﴿ تنبيه ﴾

النكتة في اتحاد الالف بالباء انما هو لوجود الالف فيه ولولاها في الباء من وجود الالف لما في الهجاء لما اتحد بالباء الالف ولذا لو كان الالف او لا والباء ثانيا لما اتحد لان الوجه الموجود فيه الالف انما هو آخره الذي هو عينه فلا يمكن ان يتقدمه من غيره ذلك الوجه فاذا ما اتحد بالالف الا الالف فاذا الاتحاد لزوال الغيرية فكذلك كل حرف انما يتحد بالالف من آخره وهو الوجه الموجود فيه الالف مما ترى في كتابة كل حرف لا يلتصق بالالف الا اذا كان الحرف قبله والالف بعده فلا يكون الا ذلك لان الهجاء في ذلك الحرف انما تتقدمه مادية غيرما دية الالف ثم يتلوه مادة الالف اما في نفسه نحو هجاء التاء او في غيره نحو هجاء الجيم والسين والنون على قدر بعد الحرف وقربه من هيئة الالف وطبيعته ومكانته وعلى ذلك كله فالالف موجود في كل حرف وهو ملتصق باحرف مخصوصة من وجه مخصوص ولا يلتصق باحرف اخرى من وجه

من الوجوه نحو الدال والذال والراء والزاي والواو وما تم الا هذه
الخمسة احرف وانظر كيف الالف موجود بكماله في كتابة صورة كل
حرف من هذه الاحرف بكماله كذلك الجمادات والانعام اذا احشر كل
الى ربه في يوم القيامة يصير هباء منبثاً الا ما في منها الا هو في هويته ليس له فيهم
نظر بخلاف الانسان فانه اذا رجع الى ربه سبحانه وتعالى لا يبقى الا هو في
هويته ولا بد من نظرة الى المرتبة المسماة بالانسانية لاتصافه بالجهل ولحصول
الندة ونام الكرامة له مع انعدام كل ماسوى الله تعالى بخلاف الجمادات فان
الله يفنيها ويعدم اجسادها وذواتها لانه ما حصل لها وجود الا ما في العالم بل
كان هو الظاهر فيها ولم يحصل لها ملكية وجود كما ترى الالف في الخمسة احرف
كيف ظهر بنفسه منفرداً على صورته وهيئته غير ملصق بحرف من الحروف
وهذا اعلى عدم الدعوى للجمادات بالوجود لانه لا تمام لوجود نفس الحرف
الا بالصاقه بالالف ولو في الهجاء اذ هو عين حياتها لان حياة الالف هي
السارية في اجساد الحروف ولولا ذلك لما كانت للحروف معاني فما التصقت
به الا في الهجاء ولا في الخط فهي بريئة من دعوى الوجود واما باقي الحروف
فقد ملكوا الوجود كما ملك الحق سبحانه الانسان وجوداً يتميز به في نفسه ويتحقق
ان له وجوداً وذاتاً مغايرة لوجود غيره وذاتاً سواه بخلاف الحيوان
فانه ولو كان له روح فلا عقل له ولو عقل فلا حافظة تمسك له في حياته
ما تعقله فنهاية تعقل الحيوان لما هو بصدده مما تقتضيه الشهوات الطبيعية
والعادات الحيوانية وتسلب النسيان في اول وهلة من الحفظ وغيره

ولو كانت له حافظة تمسك له مايعقل حتى يقيس بعض احوالته المعقولة على بعض فيحكم بعد ذلك على الاولى و الاحسن بهما الكائن كاملا في مرتبة الوجود وليس هذا الا الملك والانسان فقط ولا حل هذا لم يجمل الحق لشئ في نفسه اعني نفس الحق سبحانه و تعالى الا للانسان لجمعه بين العقل والشهوة واما الملك لاختصاصه بالعقل فتجلى الحق له في نفسه لا في نفس الحق لنزوله عن درجة الكمال الجامعة بين التشبيه و التنزيه بخلاف الحيوان فانه لاقدم له في ذلك اذ ليس له ملكية وجود كمال الانسان فهذا محل دعوى الانسان بالوجود و هو الحجاب الاعظم الذي لا يكشف الا بعد الموت الاكبر الذي هو زوال علمك بوجودك بعد التحقق بحقائق التوحيد و بعد ذلك فلا بد من نظرك بما به على الله تعالى الى هذا الانسان و هيكله لقاء شاء نوصورته الطاهرة و هذا النظر غير النظر الاول الذي كنت تراه فافهم رزقنا الله واياك تحقيق ذلك كله انه على كل شئ قدير

﴿ فصل ﴾

تجرد الالف عن عوائق النقط و خلص من العوائق السمة التي تكون بعده كتعلق الحروف بعضها ببعض من بعد ولم يكن له تعلق بشئ في عين نفسه ولا تعلق الالف في الخط شئ من الحروف لاجل ذلك كان ساريا في جميع الاحرف بكليته سريان النقطة فثبت فى اول كل اسم معرف من اسماء الله تعالى فهو مظهر الحق و هو المحقق بالحق بل ليس الحق الا هو فكانت النقطة له ميزا بما قام به نفسه و اندرج في كل ما

تندرج فيها النقطه فكانـه ما كانت النقطة الا حكما له وهو محكومها
بل هو على حقيقة نفس النقطه لبي الا نيسة اذ لا وجود لمسمى الالف
الا من حيث النقطه فهو النقطه المؤلفة وهو الحرف الذي ابرزته
النقطه على صورتها لان ما صورتها الا ما تقدم ذكره من الانبساط
في كل حرف وتركيب كل كلمة وحرف من نفسها وبرزت منه
متعدده الجسد واحدة الروح لان الالف مركب من نقط كثيرة
كل واحدة بحسب اخرى وعلى الحقيقة النقطة من حيث هي كلي لاينقسم
ولا يتعدد توحد في جميع جزئياته من غير تعدد في نفسه كما توحد الحق
تعالى في سمع الانسان المتقرب اليه بالنوافل وفي بصره وفي يده وفي لسانه
فهو سبحانه بكسوته سمع هذا العبد لا يتعدد في كيفوية بصره وكما انه
موجود في كل شيء مما من اجناس العالم جميعه بكماله لا يتعدد بتعدد الاشياء
كذلك الالف موجوده في الاحرف الثمانية والعشرين لايتعدد بتعددها
لان الالف في جملتها واحد ومن هنا قال من قال ان الالف ليس من
جملة الحروف لادعائه ان الانسان الكامل ليس من جملة غيره من
المخلوقات فافهم

فصل

عدد الالف واحد والواحد عدد لا من جملة الاعداد لان العدد اسم
لتكرار الواحد في مرتبتين فصاعدا وفائدته تعقل تسمية المعدود
في مرتبة التغاير تعقلا كليا وليس الواحد في نفسه مغايرة لعدم السوى

فلا بد حصل في حد العدد من هذا الوجه وحصل فيه من حيث
تعقل عدم تناهيه في نفسه فهو عدد لا كالاعداد كما قالت العقلاء ان
الله شئ لا كالاشياء * وسر بروز الالف في عدد الواحد لعدده من النقطة
مدا واحدا وهو الطول فقط لان النقطة ما لها طول ولا عرض ولا عمق
ولا سمك وحوله الطول فقط فهو الخط المستقيم وبروزت الباء في عدد
الاثنين لانها بعدت عنه بين الطول والعرض لان الباء اصلها عرض وحسده
الطول فظهر الجسم في عدد الثلاثة لانه حاز الطول والعرض والعمق وان
شئت قلت العمق والسمك فهما سيان وانما يتغاير ان بتغاير النسبة ان ابتدأت
من اسفل سميته سمكا وان نزلت من اعلى الى اسفل سميته عمقا وهذا
التعليل ليس في عددهم وهذا سر شريف انا اول من عرفه ولعل ان
بسط لنا ومكنا من القول ان نتكلم على بقية جملة اعداد الاحرف واسرارها كل
حرف من اين فيه ما حصل فيه من العدد وما سره وما سر كل عدد في نفسه
بهذا اللسان الحقيقي ان شاء الله تعالى *

*الباء * هو العرش وهي النفس الناطقة المسماة من بعض وجوهها بالقلب
الذي وسع الله والنقطة هي غيب الهوية المسماة بالكنز المخفي التي لا حول
عن كنزيتها وخفائها ابداً فالباء مستوى الاعداد لانها اول العدد
ولا عدد الا والباء موجود فيه كما ان الرحمانية مستوى الاسماء النفسية
التي هي الاسماء السبعة + وكل اسم فهذا حل تحته كما قال الحق تعالى قل
ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايا ما تدعوا فله الاسماء الحسنى فالرحمن

+ الامهات السبعة

مشارك الله في المسمى بجميع الاسماء الحسنى ويفارق الله ما ورآه من
ذلك فيما لا تعم الاسمية عليه سيدنا كما تقول اللهم صلى الله عليه
وسلم او اسما رتبه في علمك

﴿ فصل ﴾

معنى النسبة الالهية ورد الحق لنفسه في مرتبة ذاته الحق وهو اسم الذات
لان الحق سبحانه تعالى له مشهدان في نفسه فمشهد حدية ان لا يظهر الله
فيه الا الله اسمية حاما فلا وجود لشئ من الخلق في ذلك المشهد ومشهد ذي
يظهر الله فيه لى مرتبة من ذاته بما هو حقه مرتبة على ترتيب ذاته
وسمى تلك الترتيب بصفات ذاته هو محتد المشهدات التي الذى يظهر
فيه اثار الحكم المسمى من ذات الله بالرحمن وهو للمرتبة مستوى
اسماء الحضرة الخاصة ومن ثم قال في آدم انه على صورة الرحمن وقد سبق في
اصطلاح الصوفية تسمية الانسان بالعالم الصغير وتسمية العالم بالانسان
الكبير واعلم ان الاصل في بسم الله الرحمن الرحيم بسم الله الرحمن الرحيم
الابتداء من فعل بعده يتعلق به الباء غير ابتدى او استعين او اشارك
اما مصرح ملفوظ او مقدر يدل قرينة الفعل الحاصل بعد البسملة عليه
كما يدل فعل اشرب بعد البسملة على ان المقدر بعده اشرب او استعين
على الشرب بسم الله او نحو ذلك فاذا قال القائل بسم الله افعل كذا كان
معناه بالله افعل كذا الا ان الاسم غير المسمى وفيه دليل على ان تعالى شارك
مرسله وما المعنى في قولك بالله افعل الا انه سبحانه هو معين على ذلك الفعل

ملك وبك فكابات تقول بالطوى من الالوهة في ذاتي الظاهرة بخلاف ما هو عليه باطني الذي هو عين المسمى بالاله وبالطوى من الالوهية في ذاتي الباطنة بخلاف ما هو عليه في ذاتي الظاهرة الذي هو عين المسمى بالاله كذا وفائدته نفي الفعل من خلقك واثباته لحقك ان كان المشهد فعليا واظهار بلا شيء المسمى بالمخلوق من ذلك تحت سلطان عظمة المسمى بالحق من عين ابيك ان كان المشهد اسمائيا وروداحدية وحروفك في محمد وجوهها الواحدة ان كان المشهد ذاتيا فافهم ولا بد لك من تعقل هذا المقدار عند قولك بسم الله الرحمن الرحيم حتى تخرج عن رتبة الحيوانات لان النطق بما لا تعقل معناه رتبة حيوانية نعوذ بالله من ذلك.

﴿ فصل ﴾

طولت الباء بعد اسقاط الالف وبعد قيامها مقامه ليهاعلى انها النائبة مناب الالف من كل حرف كما سيق من ان الرحمن موصوف بكل وصف نائب مناب اسمه الله في المسمى بالاسماء الحسنى ولا يعقل الخلق من الله الا حد مستوى الرحمن وبعد ذلك فليس لمخلوق فيه مجال البتة وما ثم الا الحضرة الاحدية المختصة التي هي الوجه الذي لا يبقى من كل شيء في قوله كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون فلاحكم الا لهذه الاحدية في جميع هذه الحضرات الاكوانية والرحمانية وهي وجه كل شيء وقد صرح بها قايلها ابو القاسم رحمه الله اي حصركم من المحسوسات او بافكاركم من المعقولات فثم رحمه الله وفي هذا المعنى قلت.

ما ثم غير سعادة لغنا احد • في الموارد حقا وفي من بيد
في الشيع في الوعد وقد منه • في الحجب من عجب في الله
في الذات في لاحساد حاملة • في العرس في الحال وتجد
في الخواطر ولاعراض قاطعة • في الاسم في الآن وغيره
فرس من مرواة في قسمة • ارق ورواد في ذلك اسد
[illegible] كذي ولاشد تشدي • ولا عرسة لا ذلك الاسد
[illegible] • ما بين حق وبين الله [illegible]

﴿نكتة﴾

[illegible] ان [illegible] في [illegible] لسر شريف وهو ان السين [illegible] من لاحد [illegible] ستة [illegible] ست مراتب من مراتب الواحد وفي الحروف ظهرت في [illegible] وفي حروفه التي [illegible] وكل حرف من هذه الحروف التي ظهرت [illegible] بكماله كان الواحد موجود في كل مرتبة من هذه الستة مراتب السين بكماله • واعلم ان [illegible] على مراتبه [illegible] قال بعض المفسرين [illegible] [illegible] من ذلك الكلام مطلبه من باب الاشارة اي قول انه [illegible] وحقيقة [illegible] على [illegible] والمؤمن [illegible] ذاتي [illegible] الحكيم [illegible] على عين ذاتي الذي [illegible] [illegible] من القرآن الحكيم واعلم ان القرآن الحكيم [illegible] من القرآنية [illegible] لانه من

او صاف الا لوهيات فهذ التعقل هو كالقراءة واما ادات الحق فلا تعقل لك فيها لصموت احديته المنزهة من الكثرة الاسمائية و غيرها فكلما قرأت شيئا من القرآن الحكيم الذي هو صفة الله في نفسك ظهرت صفات الله لك بقدر تلك القراءة المرتبة ولهذا قرن بـه الحكيم لكون القراءة هذه مرتبة بترتيب حكمة الهية شيئا فشيئا لا يتناهى و لا تتم المطالعة ابدا فالترتيب و الله و الحكمة عين الذات التي هي انت و ليس لشهادتك الا ماقرأه غيبك منك و اما ما لم يقرأه غيبك منك فهو لغيبك لا لوجهك الشهادى و عين وجه شهادتك عين وجه غيبك فتحيرت تحير الله اعنى الاسم في ذاته لانه لم يستوفها اى لم يظهر بجميع معاني كما لا تها مل في الذات الالهية الكامنة من وراء الاسم الله اعلم ما بهو ولكن مع هذ افان هذا الاسم قد وقع عليها و هو شيئ واحد فقولنا قد وقع اسم الله على الذات و هو شيئ واحد ينافى قولنا لم يستوفها لاستحالة التجزية و التبعض في جانب الحق لان الذات اذا لم تتبعض وقد وقع عليها فقد استوفاها واذا لم يستوفها فليست بشيئ واحد هـذا الامر يعطى الحيرة القبيحة للعقلاء و الحيرة الحسنة لا هل الله تعالى فاذا كان الله اعنى الاسم متحيرا في ذاتـه فكيف لك بالعبد في هذ المحل من اولى به من التحير ٭

تحيرت من عيرتي مم في ٭ فقد حار فهمي في وهمه
فلم ادر هذا التحير من ٭ تجاهل فهمي ام علمه
فان قلت جهلا فاني كذوب ٭ و ان قلت علما فمن اهله

اولى هذا المعنى قولى من قصيدة طويلة ليس هذا موضعها *

أعطيت سر اعملا ومعملا * فعميم ذاتك باجميع صفاته

امحل وحيث ان يحاط بكنهه * واحطته ان لا يحاط بذاته

حاشا لمرسى وحشا ان يكن * ملك جاهلا وبلاه من حيراته

فمرا سى . القرآن الحكيم) يا سر الذات السير المقروني اقه وعين القرآن المدلوعي الله على ترتب حكمة ذات الاحدية (انك لمن المرسلين) من تلك الحضرة الالهية القدسية الاحدية الى هذا المشهد الخلقى التشبيهى لاسماي الهدى (على صراط مستقيم) اى سمت احدي قيومى يقوم بسمه وسلما جمعا (تنزيل العزيز) او هو الذى لاينال الا في هذا الهيكل المحمدي (الرحيم) لانه لما رحم اعلاه اوادان يبايهم نفسه وهو عزيز فتنزل في جسمهم (لقد جاءكم رسول من انفسكم) ليدلهم على نفسه ويجذبهم اليه عناية منه بهم ومنة من عين حرائن جوده عليهم (عزيز عليه ماعنتم) لانه الحامل لكم والفاعل فيكم فلا وجود لكم بل الوجود المطلق لذاته بالمؤمنين اي الذين آمنوا انه عينهم (رؤف رحيم فان تولوا) ولم تقبل عقولهم رؤية احديتك فى كثرة اشداد هم فقل حسبى الله الالوهية جامعة لا يتنازلوا فثم وجه الله واشهد لهم انهم فروا من يمينه الى شماله وكلتا يدي ربي يمين فكان صلى الله عليه وسلم رحمة للعالم جميعه مومنه وكافره مقره وجاحده صلى الله عليه وسلم سبق بأجواد اللسان فى مضمار البيان الى ان قصد تابعا لم يطق باقتفائه الحسان فلنرجع الى ما كنا بصدده من شرح بسم الله الرحمن

الرحيم

الرحيم ماعلم * انه لما كان الالف من غيب الاحدية والسين سرها الشهادى كان الميم عبارة عن الوجود وهو الحقيقة الجامعة للغيب والشهادة الاترى الى تجويف رأس الميم كيف هو محل النقطة البيضاء وقد مضى لك ان النقطة هي الكنز المخفي فقل ان الدائرة من تجويف رأس الميم هي الحق الذي يظهر فيه هذا الكنز المخفي الاترى الى قوله كنت كنزا مخفيا فاحببت ان اعرف فخلقت الخلق وتعرفت اليهم فعرفوني فمن هنا كان الاسم ذو الجلال والاكرام في قوله تبارك اسم ربك ذو الجلال والاكرام لانه لو كان وصفا لربك لكان مجرورا فذو الجلال مرفوع تابع للاسم لا للرب فافهم * واعلم ان الميم هو روح محمد صلى الله عليه وسلم لان المحل الذي ظهر فيه الكنز المخفي هو العالم وقد ورد في حديث جابر ان اول ماخلق الله روح محمد ثم خلق العالم منه رتبة في الحديث والنقطة البيضاء التي في جوف رأس الميم عين محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو الكنز المخفي ومن هنا قلنا انه صلى الله عليه وسلم حقيقة جامعة للذات العظيم والقرآن الحكيم على الوجه الذي قررناه وفي هذا المعنى قلت شعر

رسول الله يا مجلى الالوهه * ويا من ذاته الذات النزيهه
ظهرت بكل مظهر كل حسن * تنزه عن عيان بالبديهه
باوصاف هي السبع المثاني * وقرآن هي الذات النبيهه
خصصت وكنت انت بها حقيقا * حقيقتك المقدسة الشبيهه
سكنت ديار هند وان تعالت * وجلت وقد لبست ردا الوجيهه

مالارصاف كل شاف سمدى • وانت ناظرت الى الالوهه
لانك كنت قبل الكل حكما • فذالك للذوات هي الفقيه
كان لانشادي هذه الابيات سبب وهو انه احتمعابي بعض ليالى سنة تسع
وتسعين وسبعمائة بمسجد شيعاوسيد بالستاذ العالم القطب الاكبر والكبريت
الاحمر شرف الدين اسمعيل بن ابراهيم الجبرتي على ساع تام كان في
صحانة المسجد فقرأ في حضرة الشيخ احد اخوانا السادة وهو الفقيه احمد
الحابي + قوله تعالى ولقد اتيناك سبعامن المثانى والقرآن العظيم فاشهدنى
الحق سبحانه وتعالى اتصاف نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بالسبعة الاوصف النفيسة
التي هي الحياة والعلم والارادة والقدرة والسمع والبصر والكلام
وشهدته صلى الله عليه وسلم بعد اتصافه باوصافه عين الذات الغائب فى هوية
الغيبات وهو المشار اليه في الآية بالقرآن العظيم اذ قرآنه لانهاية له فكل قرأته
الورثة اهل قرآن الحقيقة من ذات الله تعالى هو عين محمد صلى الله عليه وسلم واليه
الاشارة في الحديث فى قوله اهل القرآن اهل الله وخاصته فليتامل فهو
غيب هوية الاحدية والرسل والانبياء والورثة الكمل يقرؤن غيب
هوية محمد صلى الله عليه وسلم فى الله وهذا معنى كونه واسطة بين العالم
وبين الله واليه الاشارة بقوله انامن الله والمؤمنون مني فافهم • واعلم ان
عدد الميم اربعون وهذا العدد هو عين كمال الاعتدال في كل شيء وهو
ميقات الرب سبحانه وتعالى ومعنى الميقات هذا العدد موافق لمراتب الوجود
التى ليس بعدها الا ما كان اولها المرتبة الاولى • هى الذات الساذج

◦ المرتبة الثانية ◦ هي العماء وهي عبارة عن الكنه الذاتي عبر عنها بالمعرفة
◦ المرتبة الثالثة ◦ هي الاحدية وهي عبارة عن السذاجة الذاتية عبر عنها
بالكنز المخفي ◦ المرتبة الرابعة ◦ الواحدية وهي اول تنزلات الذات
في الاسماء والصفات ◦ المرتبة الخامسة ◦ الالوهة وهي المرتبة الشاملة
لمراتب الوجود اعلاها واسفلها ◦ المرتبة السادسة ◦ الرحمانية وهي المرتبة
المتصفة باعلى مراتب الوجود ◦ المرتبة السابعة ◦ الربوبية وهي المرتبة
المقتضية لوجود المربوب ومن هاهنا ظهر الخالق ◦ المرتبة الثامنة ◦ العرش
وهو الجسم الكلي ◦ المرتبة التاسعة ◦ القلم الاعلى وهو العقل الاول
◦ المرتبة العاشرة ◦ اللوح المحفوظ وهو النفس الكلي ◦ المرتبة الحادية
عشر ◦ الكرسي وهو العقل الكلي عبارة عن القلب ◦ المرتبة الثانية
عشر ◦ الهيولى ◦ المرتبة الثالثة عشر ◦ الهباء ◦ المرتبة الرابعة عشر ◦
فلك العناصر ◦ المرتبة الخامسة عشر ◦ الفلك الاطلس ◦ المرتبة
السادسة عشر ◦ فلك البروج ◦ المرتبة السابعة عشر ◦ فلك زحل ◦
المرتبة الثامنة عشر ◦ فلك المشتري ◦ المرتبة التاسعة عشر ◦ فلك المريخ ◦
المرتبة العشرون ◦ فلك الشمس ◦ المرتبة الحادية والعشرون ◦ فلك
الزهرة ◦ المرتبة الثانية والعشرون ◦ فلك عطارد ◦ المرتبة
الثالثة والعشرون ◦ فلك القمر ◦ المرتبة الرابعة والعشرون ◦
فلك الاثير وهو فلك النار ◦ المرتبة الخامسة والعشرون ◦ فلك الهواء
◦ المرتبة السادسة والعشرون ◦ فلك الماء ◦ المرتبة السابعة والعشرون

مرتبة التراب • المرتبة الخامسة والعشرون • مرتبة المولدات • المرتبة السابعة والعشرون • مرتبة الجوهر البسيط • المرتبة الثلاثون مرتبة العرض اللازم • المرتبة الحادية والثلاثون • مرتبة ... وهي ... • المرتبة الثانية والثلاثون • الصفات • المرتبة الثالثة والثلاثون • الحركات • المرتبة الرابعة والثلاثون • الحيوانات • المرتبة الخامسة والثلاثون • الانسان • المرتبة السادسة والثلاثون • الصورة التي يلحق بها الدنيا • المرتبة السابعة والثلاثون • عالم المعاني ممن يلحق بها البرزخ • المرتبة الثامنة والثلاثون • عالم الحقائق ويلحق بها القيامة • المرتبة التاسعة والثلاثون • الجنة والنار • المرتبة الاربعون • الكثيب الابيض الذي يخرجون اليه اهل الجنة وهو عبارة عن تجلي الحق تعالى ودار الوجود وما بعده • الا الذات فهذا العدد هو اصل الاشياء وبه كملت تخميرة طينة آدم وهو اول موجود من هذا العلم لانسان ظهر في الرتبة الرابعة من العدد لان العالم • باجمعه ليس فيه الا اربعة انواع قديم • او حديث • وكثيف • او لطيف • وما ثم الا هذه الاربعة يجمعها وعين هذا النبي المحمدي الذي قد اتاه جميع الوجود القديم والحديث والكلام على هذا العدد كثير جدا من حيث تفرعاته في الطبائع والعناصر والانشاءات والفصول وغير ذلك ونكني عن الجميع اشارة ان كان في القلب بصارة • ما اسم الشئ وسمه الذي يتصور • يتعقل ذلك الشئ ويمتاز به عن غيره كما يمتاز ذو الوسم ممن لا وسم له •

﴿فصل﴾

﴿فصل في تحقيق اسم الله تعالى﴾

اسمه الله اصله الاله ولكن اسقطت الالف الوسطى وادغمت اللام في التي تليها فصارت الكلمة الله ولكن اصله سبعة احرف ستة رقمية والسابعة الواو الظاهرة في اشباع الهاء كما ترى (الالاهو) وهي عين السبع الصفات التي هي معنى الالوهة فالالف * الاول * هو عين اسمه الحي الا ترى الى سريان حياة الله تعالى في جميع الوجود وقد اظهر ذلك سريان الالف في جميع الحروف * والثاني * اللام الاول وهي الارادة التي كانت اول توجه من الحق في بروز العالم لما اشار اليه الحديث بقول كنت كنزا لا اعرف فاحببت ان اعرف وليس الحب الا الارادة * والثالث * الالف الثاني * وهي القدرة السارية في جميع الموجودات الكونية اذ الموجودات الكونية داخلة تحت سلطان القدرة * والرابع * اللام الثاني وهو العلم هو جمال الله تعالى المتعلق بذاته وبمخلوقاته فالتاء للام تدل علمه بذاته وتعريفة اللام تدل علمه بمخلوقاته ونفس الحرف عين العلم الجامع * والخامس * وهو الالف الثالث وهو السمع السامع بنطق وان من شيء الا يسبح بحمده * والسادس * الهاء وهو البصر الله دائرة الهاء تدل على اشارة بعين المحيط الذي ينظر به الى جميع العالم والعالم هو البياض الموجود بين دائرة الهاء وفي هذا تنبيه الى ان العالم ليس له وجود الا بنظر الله تعالى اليه فلو رفع نظره عن العالم لفنى باجمعه كما انه لو لم تدر دائرة الهاء على النقطة البيضاء لم يكن لها وجود البتة ومع وجودها فهي باقية على ما كانت عليه من العدم

اذ البياض الموجود قبل استدارة الماء محدود وكذلك العالم مع الله
على صورته اي كان عليها قال ان يطلبه بصفاته فلقد وتأمل في هذا السر
الغريب وانت تذكره [illegible] حاصلك على ما هي ذاتك فليس غيرك من
ذلك الا سماؤك ذاتك وقوعك على شيئك هو السابع الواو الباء زيدت
في مرتبة السادسة وهو معنى مشيرا الى كلام الشيخ الاكبر في السر الحرف
الى غاية [illegible] كمال العرش الرحماني المستوي الى كل جهة كيف
[illegible] تحت حضرة كن الكائن كما قد قال لا جهة له كذلك يصدق
[illegible] تحت حيطة العرش مكان ولا جهة المكان [illegible]
[illegible] المكان [illegible] والعدد [illegible]
الاسم [illegible] وصورته [illegible] سواء [illegible]
[illegible] في هذه الاسماء [illegible]
[illegible] قبل [illegible] الموجود [illegible]
ولا [illegible] قبل الله [illegible] قال انه [illegible]
[illegible] قال انه [illegible] الكل [illegible]
[illegible] الاعداد الحسنة [illegible]
[illegible] الدليل عليه [illegible] الحق به قال ان يطلق الله لا اله الا الله
[illegible] الرحمن [illegible] الى صور [illegible] في [illegible]
[illegible] الحق [illegible] الوجود [illegible]
الله [illegible] وكذلك الرب والخالق وبقية الاسماء الرحمانية [illegible]

والواهب والمنتقم ، واعني بالاسماء الرحمانية كلما يطلب مؤثرا يظهر فيه
اثره كالعلم فانه يطلب معلوما والسميع والبصير والقدير والمريد والمتكلم
كتكلمة كن فانها تطلب مكونا توجده ، واشباهها باسماء الرحمانية وقد سبق
فيما تقدم معنى ان الرحمن هو الله بنظره الى ما يستحقه العرش وما حواه
بخلاف اسمه الله تعالى فانه علم للذات التي هي هوية كل هوية وانية كل انية
والانية كل انانية ولا يتقيد بمظهر ولا ينعدم بتقيده بمظهر هو الجامع للشيء
وضده ولهذا قال من قال ان الله هو عين الوجود والعدم فاما قوله عين
الوجود فظاهر واما قوله عين العدم ففيه سر دقيق لا يطلع عليه الا الكمل
من اهل الله لمقامهم او من فتح له رتق هذا الباب قبل وصول هذا المحل ولا بد
من الكلام بعد ما نشير عليه وهذا اوجه من الوجوه التي يصح فيها اطلاق
اسم العدم عليه لكماله سبحانه وتعالى لوجوبه تعالى علوا كبيرا واعلم ان الله
علم بعطايك تعقله مسمى حوى مراتب الالوهية ويتصور عندك انه امر
زائد عليك مغاير لذاتك فهذا المتصور عدم لا وجود له اذ عين المراد
ذاتك فما ثم مصور الا الله وما ثم الا انت بل ما ثم الا الله واعلم ان قولنا الحق
والخلق والرب والعبد انما هو ترتيب حكمي نسبي لذات واحدة كل
ذلك لا يستوفي معناها وتوقفك مع شيء من تعدد ذلك ذوق وتضييع
وقت في عين الحقيقة الا اذا كنت ممن يشم المسك وهو في فارته فان
كل ذلك حينئذ ترتيب لذاتك تستحقه بالاصالة فحينئذا كانت الروية
غيرك ووزنت نفسك في عيار مرتبتك وما يستحقه قانونك فما وجدته

من تلك فهو عين الحقيقة وما وجدته من الله اليك على سبيل الاتصال والاتحاد فهو عين الضلال في الحق والالحاد ولابد وفي هذا الكلام الا عن اعمى لعنه غير لعنة الخالق ومحله غير محلهم فهو يستوفي ما له كما لا يزال ويرمي سهم مرانسه في قوس مقتضيا نه على هدف ذاته بيده ثم احديته فلا يحظى له مرمى ولا يكسر له سهما فلا سهام ولا عين الرمي فحول لا تعالى الله ان تنصرم الوهيته او تنقسم احديته*

فصل

فصل في بيان تركيب الجلالة

اعلم ان الجلالة مركبة من ستة احرف وهي (ال ف م ي ه) لان الالف بسائطه ثلاثة وهي (ال ف) واللام الاول بسائطه ثلاثة (ل ا م) والالف الثاني+ كالاول واللام المتاخر كالمتقدم . فالبسائط حروف الجملة جميعها اربعة عشر حرفا بعدد الاحرف النورانية اسقطت منها المكرر وبقي هذه الاحرف (ال ف م ي ه) فلا على ثلاثة عوالم الغيب الذي لايتصور شهادته وظهوره ابدا والعالم الغيبي البرزخي الذي يمكن شهادته وظهوره والعالم الشهادي فعدد ثلاثة عوالم وليس للموجود والوجود باسره الا هذه الثلاثة العوالم الا ترى الى مخرج الالف ابدا اوه المهرة من غيب غيب الصدر الذي لا يمكن شهادته ابداً . واوسطه اللام الذي من شق اللهاة والفم وهو غيب يمكن ظهوره وشهادته . وآخره الفاء الشفوي الذي هو شهادة محضة فالالف بارز من غيب الغيب الى الشهادة واللام محله عالم الغيب وله الولوج في عالم غيب الغيب

+ واللام الثاني

للالفية التي يتوسطه مكالها الظهور في عالم الشهادة للميمية التي في آخره وفي شفوية شهادية عالم ابتدائه غيب الغيبي عالم انتهائه والميم شهادي الابتداء غيبي التوسط شهادي الانتهاء والياء اوله من عالم الغيب وآخره من عالم غيب الغيب ليس له عن محله مخرج ولا وراءه مرمى لخاطر الى الله الجامع للخروج من غيب الغيب الى الغيب وظهر من الغيب الى الشهادة كالالف والمار من الغيب البرزخي الى عالم الشهادة كاللام والخارج من عالم الشهادة الى الغيبة البرزخي ورجع الى مركزه في عالم الشهادة كالميم والمنطوي من عالم الغيب الى غيب الغيب كالياء ولم يزل في عالم الغيب كالهاء وهذا كله هو عين ذات الله وهو حقيقة الالوهية اذ الالوهية مرتبة الحيطة فافهم وانظر ما اعجب تداخل امر هذا الاسم في العوالم بعضه بعضا وما اعجب هيئته ولو وسعنا الكلام فيه لضاق عنه المجال وليس هذا المختصر محلا لذلك ❊ واعلم ان العالم الذي كنينا عنه بغيب الغيب هو تفصيل كمال الذات الالهية ودركه غير ممكن البتة والعالم الذي كنينا عنه بالغيب البرزخي هو عالم الغيب اللاهوتي المتحقق بحمانه انه يسمى بالاسماء الحسنى والعالم الشهادي هو عالم الملك واعني بعالم الملك كلما حواه العرش من روح وجسد ومعنى فافهم واعلم ما سر هذه الحيطة التي لاسم الله وكيف ظهر على صورة مسماه ❊ واعلم ان الذات المطلقة لها الاحاطة على الله ولكن الله من الذات له الافضلية عليها لان كثيرا من وجوه الذات ما هي الله وليس لها شيء من الالوهية وكل وجه من الله هو الذات بكماله ❊ هذا على تعقل عدم التقسيم بين الله وبين الذات

وإياك ان تقول اني عددت او قسمت او عطلت او شبهت او جسمت الاين
من هذا التخيل الباطل بل فهمك قصر عن درك ما قلته والمبادر بانه ان
كنت منها وليست لك قابلية الالوهية وعليهم عود مقدمن ذلك وتسمين به
عليه ان يسلك بسببه طريقه المستقيم الذي يسلك هو منه اليه •

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في ان العرش هو العالم الكبير ﴾

والعرش هو العالم الكبير وهو محل استواء الرحمن والانسان هو العالم الصغير
وهو محل استواء الله لانه خلق آدم على صورته فانظر الى هذا العالم الصغير
اللطيف الانسان كيف له الفضل والشرف على هذا العالم الكبير وتأمل
كيف صغر الكبير وكبر الصغير وكل في محله ومرتبته فلو عرفت هذا السر
لعرفت معنى قوله وسعني قلب عبدي المؤمن وأما قوله لي مع الله وقت
لا يسعني فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل فظاهر انه ما وسعه في ذلك الوقت
الا الله وكم من نبي مرسل وملك مقرب وعارف ولي قد وسع العرش
الذي هو العالم الكبير بجمعه وما احس به ولا بالى فظهر عظم هذه اللطيفة
الانسانية وشرفها وفضلها على العالم الكبير وان العالم الكبير كنقطة تحيطها
فان المحيط ولو كبرت هيئته مركب على تلك النقطة ومنها وللنقطة الى
كل جزء من الدائرة نسب مخصوص وتفضل على الدائرة بما تختص به بعد
ذلك من عدم التعدد في نفسها وغير ذلك من الخصائص والنقطة هو اسم الله
والمحيط هو اسم الرحمن قال الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن
اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى • وقد بينا ان النقطة لها الى كل جزء ما

١ من اجزاء الدائرة نسب واضافات ولاشك ان تلك النسب والاضافات جميعها للدائرة ايضا فايا ما مما نسب اليه هذه النسب والاضافات كان ٥ مستحقالها كما ان الاسماء الحسنى جميعها ان سميت ووصفت بها اسم الله كانت له وليس للرحمن الا وجه من وجوه الله ظهر فيه كما تستحقه المرتبة الرحمانية كما ان الدائرة بسبب الاعين القطة لظهور النقطة في كل جزء منها قائم في الدائرة الا النقطة ٭ واعلم ٭ ان الرحمن فعلان وهذه الصيغة من كانت في اسم صفة كانت لعموم ذلك الوصف في المحل المتصف به ولدلالة شدة ظهور ذلك الوصف في الموصوف به ولهذا كان اسمه الرحمن علما ٢ ظاهرا في الدنيا والآخرة بخلاف اسمه الرحيم فان الرحمة في الآخرة اشد ظهورا من الدنيا بالحديث ان لله مائة رحمة فواحدة في الدنيا بين الخلق بها يتواصلون وبها يتراحمون ونسعة وتسعون في الآخرة مدخرة عند الله لايخرجها الا في يوم القيامة ٭ وسر اسمه الرحيم انتهاء العالم الى الله ورجوع الخلقية الى الحقية ٭ وان الى ربك المنتهى ٭ الا الى الله تصير الامور ٭ لمن الملك اليوم لله الواحد القهار ٭ (شعر)

تعالوا بنا حتى نعود كما كنا ٭ فما عهد ما خنتم ولا عهدكم خنا
ونترك قول الوشاة وطالما ٭ غرا بالوقع البين في ربعنا عنا
ونطوي بساط العتب والحب والجفا ٭ ونروي السوي والبين ليت السوي يمحي
عسى ان يعود الشمل بالحي مثل ما ٭ عهدنا وعود الوصل ثمرة تجني
وينشد حادي الحال عنا مترجما ٭ الا لا اعاد الله بيننا اياي عنا

١ الوحدانية ٢ الحقيقة ٣ لبس السوا

احبابنا طيبوا فيك مدمعي • سوى حلم كالمطر ليس له معنى
فلا طال هجر ب ولا ثم عاذل • ولا سحر المشتاق الا وقد جاء
ولا كان فيتم ولا كان ما قلت • ولا يتم سا ولا عهدكم بناء

تم الكتاب بعون الله الملك الوهاب والحمد لله وحده وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا
برحمتك يا ارحم الراحمين • قد تم طبع هذه الرسالة
في مطبعة دائرة المعارف النظامية الواقعة
في بلدة مدينة حيدر آباد الدكن
في سابع شهر جمادى الاولى
سنه ١٣٢١ الهجرية



قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا

﴿ كتاب الروح ﴾

في الكلام على ارواح الاموات والاحياء بالدلائل من الكتاب والسنة والآثار واقوال العلماء الاخيار لشيخ الاسلام شمس الدين ابي عبد الله محمد الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي المتوفى سنة (٧٥١) قدس الله روحه ونور ضريحه



الطبعة الاولى
بمطبعة مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة بمحروسة حيدرآباد الدكن عمرها الله الى اقصى الزمن
سنة (١٣١٨) هجرية

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله المتصف بصفات الكمال * المنعوت بنعوت الجلال * الذي
علم ماكان ومايكون وماهو كائن في الحال والمآل * وحكم بالموت على كل
ذي روح من مخلوقاته * وساوى فيه بين الملك والمملوك والغني
والفقير والشريف والضعيف والعاصي والمطيع من سكان ارضه
وسمواته * فهو اول عدل الاخرة بين برياته * قبض روح هذا بعدما
عمر الدنيا وزخرف البناء وتوطنها وليست لحي وطنا * وقبض روح
الاخر الذي اجتهد في اصلاح آخرته وجعل الدنيا لجنة واتخذ صالح
الاعمال فيها سفنا * فشتان مابين خروج الروحين من الجسدين هذه
لها السعادة والهنا * وتلك لها الخيبة والشقاوة والعنا * هذه ترتع
في رياض الجنة وتاوى الى قناديل معلقة في العرش في لذة ونعيم *
وتلك محبوسة تعذب في نار الجحيم * واشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له اله تحبب الى عباده بنعمه والآئه * وابتدأهم سبحانه وتعالى

باحسانه

باحسانه العميم وعطائه * فمباذ ابوزته جل جلاله ان يختم بالاساءة وقد
بدأنا بالاحسان * فله سبحانه الحمد والشكر والنعمة والفضل والخلق والامر
والثناء الحسن الجميل والامتنان * واشهد ان محمد اصلوات الله وسلامه
عليه عبده ورسوله الطيب الروح والجسد * سيد ولد ادم وافضل
من قام وركع وسجد * الذي انزل عليه في كتابه العزيز ومن اصدق
من الله قيلا * ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم
من العلم الا قليلا * وعلى آله وصحبه خير القرون الذين اهتدوا وما بدلوا
تبديلا * صلوة دائمة بدوام السموات والارض * الى ان يرث الله سبحانه
وتعالى الارض ومن عليها للحساب والعرض * وسلم تسليما كثيرا * وبعد *
فهذا كتاب عظيم النفع جليل القدر كثير الفائدة ماصنف مثله في معناه *
فلا تكاد تجد ماتضمنه من بدائع الفوائد وفرائد القلائد في كتاب سواه *
ويشتمل على جملة من المسائل تتضمن الكلام على ارواح الاموات والاحياء
بالدلائل من الكتاب والسنة والاثار واقوال العلماء الاخيار لاادري امثل
مصنفه قدس الله روحه عنها فاجاب * ام سئل عن البعض ولكن هو
اطال الخطاب * فاني رأيته مجردا عن خطبة وسوال اصلا مبتدأ
فيه بقوله * اما المسئلة الاولى هل تعرف الاموات بزيارة الاحياء ام
لا * فاحببت بعد استخارة الله سبحانه وتعالى ان افتتحه بهذه الخطبة المباركة
العظيمة * لكونه كتابا في ضمن مسائله التي تاملها وتشاهدها كل درة
يتيمة * لينشرح صدر الناظر فيه * ولتقوى همته على النظر في بدائع فوائده

ودقائق معانيه والله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الاجابة ان يعصمنا من الزيغ والزلل وان يوفقنا الصالح النية والقول والعمل وان يرفع درجات مؤلفه في جنات النعيم وان ينفع به الناظر فيه انه سميع عليم انه على كل شئ قدير وبالاجابة جدير وهو حسبنا ونعم الوكيل قال الشيخ الامام العالم العامل ترجمان القران ذو الفنون الحسان شيخ الاسلام قدوة الانام اوحد الحفاظ فارس المعاني والالفاظ علامة العلماء وارث الانبياء عمدة المفسرين بقية المجتهدين شمس الدين ابو عبد الله محمد بن الشيخ الامام العالم العامل شرف الدين ابي بكر بن الشيخ الكبير ايوب بن سعد الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي قدس الله تعالى روحه ونور ضريحه وجعل ابواب الجنان بين يديه مفتوحة ولسائر علماء الاسلام الجهابذة النقاد الاعلام امين وصلى الله على سيدنا محمد سيد الاولين والاخرين واله وصحبه اجمعين

﴿ اما المسألة الاولى وهي هل تعرف الاموات بزيارة الاحياء وسلامهم ام لا ﴾

﴿ المسألة الاولى في معرفة الاموات بزيارة الاحياء وسلامهم ﴾

فقال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ما من مسلم يمر على قبر اخيه كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام فهذا نص في انه يعرفه بعينه ويرد عليه السلام وفي الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم من وجوه متعددة انه امر بقتلى بدر فالقوا في قليب ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم باسمائهم

يا فلان ابن فلان ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فاني وجدت ما وعدني ربي حقا فقال له عمر يا رسول الله ما تخاطب من اقوام قد جيفوا فقال والذي بعثني بالحق ما انتم باسمع لما اقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابا * وثبت عنه صلى الله عليه وسلم ان الميت يسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه * وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لامته اذا سلموا على اهل القبور ان يسلموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول السلام عليكم دار قوم مومنين وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف مجمعون على هذا وقد تواترت الآثار عنهم بان الميت يعرف بزيارة الحي له ويستبشر به قال ابو بكر عبد الله بن محمد بن عبيد بن ابي الدنيا في كتاب القبور باب معرفة الموتى بزيارة الاحياء ثنا محمد بن عون ثنا يحيى بن يمان عن عبد الله بن سمعان عن زيد بن اسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استانس به ورد عليه حتى يقوم * ثنا محمد بن قدامة الجوهري ثنا معن ابن عيسى القزاز اخبرنا هشام بن سعد ثنا زيد بن اسلم عن ابي هريرة رضي الله عنه قال اذا مر الرجل بقبر اخيه يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام * ثنا محمد بن الحسين حدثني يحيى بن بسطام الاصغر حدثني مسمع حدثني

رجل من آل عاصم الجحدري قال رأيت عاصما الجحدري في منامي بعد موته بسنتين فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبدالله المزني فنتلقى اخباركم قال قلت اجساد كم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح قال قلت فهل تعلمون بزيارتنا اياكم قال نعم نعلم بها عشية الجمعة ويوم الجمعة كله ويوم السبت الى طلوع الشمس قال قلت فكيف ذلك دون الايام كلها قال لفضل يوم الجمعة وعظمه ❊ وحدثنا محمد بن الحسين حدثني بكر بن محمد ثنا حسن القصاب قال كنت اغدو مع محمد بن واسع في كل غداة سبت حتى ناتي الجبان فنقف على القبور فنسلم عليهم وندعو لهم ثم ننصرف فقلت ذات يوم لو صيرت هذا اليوم يوم الاثنين قال بلغني ان الموتى يعلمون بزوارهم يوم الجمعة ويوما قبلها ويوما بعدها ❊ حدثني محمد ثنا عبدالعزيز بن ابان قال ثنا سفيان الثوري قال بلغني عن الضحاك انه قال من زار قبرا يوم السبت قبل طلوع الشمس علم الميت بزيارته فقيل له وكيف ذلك قال لمكان يوم الجمعة ❊ حدثنا خالد بن خداش ثنا جعفر بن سليمان عن ابي التياح قال كان مطرف يغدو فاذا كان يوم الجمعة ادلج قال وسمعت ابا التياح يقول بلغنا انه كان ينور له في سوطه فاقبل ليلة حتى اذا كان عند المقابر يقوم وهو على فرسه فرأى اهل القبور كل صاحب قبر جالسا على قبره فقالوا هذا

مطرف يأتي الجمعة قلت وتعلمون عندكم يوم الجمعة قالوا نعم ونعلم
مايقول فيه الطير قلت ومايقولون قالوا يقولون سلام سلام ٭ حدثني
محمد بن الحسين حدثني يحيى بن ابي بكير حدثني الفضل بن موفق
ابن خال سفيان بن عيينة قال لما مات ابي جزعت عليه جزعا شديدا
فكنت آتي قبره في كل يوم ثم قصرت عن ذلك ماشاء الله ثم اني اتيته
يوما فبينا انا جالس عند القبر غلبتني عيناي فنمت فرأيت كان قبر ابي
قد انفرج وكانه قاعد في قبره متوشحا اكفانه عليه سحنة الموتى قال
فكاني بكيت لما رأيته قال يابني ما ابطأ بك عني قلت وانك لتعلم بمجيئي
قال ماجئت مرة الا علمتها وقد كنت تأتيني فأنس بك فاسر بك ويسر
من حولي بدعائك قال فكنت آتيه بعد ذلك كثيرا ٭ حدثني محمد
حدثني يحيى بن بسطام حدثني عثمان بن سودة الطفاوي قال
وكانت امه من العابدات وكان يقال لها راهبة قال لما احتضرت
رفعت راسها الى السماء فقالت يا ذخري وذخيرتي ومن عليه
اعتمادي في حياتي وبعد موتي لا تخذلني عند الموت ولا توحشني
في قبري قال فماتت فكنت آتيها في كل جمعة فادعو لها واستغفر
لها ولاهل القبور فرأيتها ذات يوم في منامي فقلت لها يا امه كيف
انت قالت اي بني ان للموت لكربة شديدة واني بحمد الله لفي
برزخ محمود نفترش فيه الريحان ونتوسد فيه السندس والاستبرق
الى يوم النشور فقلت لها الك حاجة قالت نعم قلت وماهي قالت

لا تدع ما كنت تصنع من زيارتنا والدعاء لنا فاني لابشر بمجيئك يوم
الجمعة اذا اقبلت من اهلك يقال لي يا راهبة هذا ابنك قد اقبل فاسر
ويسر بذلك من حولي من الاموات * حدثني محمد بن عبد العزيز
ابن سليمان ثنا بشر بن منصور قال لما كان زمن الطاعون كان رجل يختلف
الى الجبان فيشهد الصلوة على الجنائز فاذا امسى وقف على باب المقابر
فقال آنس الله وحشتكم ورحم غربتكم وتجاوز عن مسيئكم وقبل
حسناتكم لا يزيد على هؤلاء الكلمات قال فامسيت ذات ليلة
وانصرفت الى اهلي ولم آت المقابر فادعو كما كنت ادعو قال فبينا
انا نائم اذ بخلق كثير قد جاؤني فقلت ما انتم وما حاجتكم قالوا نحن
اهل المقابر قلت ما حاجتكم قالوا انك عودتنا منك هدية عند انصرافك
الى اهلك فقلت وما هي قالوا الدعوات التي كنت تدعو بها قال قلت فاني
اعود لذلك قال فما تركتها بعد * حدثني محمد حدثني احمد بن سهل حدثني
رشد بن بن سعد عن رجل عن يزيد بن ابي حبيب ان سليم بن عمير مر
على مقبرة وهو حاقن قد غلبه البول فقال له بعض اصحابه لو نزلت الى
هذه المقابر فبلت في بعض حفرها فبكى ثم قال سبحان الله والله اني لاستحيي
من الاموات كما استحيي من الاحياء * ولولا ان الميت يشعر بذلك لما استحيى
منه وابلغ من ذلك ان الميت يعلم بعمل الحي من اقاربه واخوانه قال عبد الله
ابن المبارك حدثني ثور بن يزيد عن ابراهيم عن ابي ايوب قال تعرض اعمال
الاحياء على الموتى فاذا رأوا حسنا فرحوا واستبشروا وان رأوا سوء قالوا

اللهم راجع به وذكر ابن ابي الدنيا عن احمد بن ابي الحوارى قال حدثني محمد داخي قال دخل عباد بن عباد على ابراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظني قال بم اعظك اصلحك الله بلغني ان اعمال الاحياء تعرض على اقاربهم الموتى فانظر ما يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم من عملك فبكى ابراهيم حتى اخضل لحيته * قال ابن ابي الدنيا وحدثني محمد بن الحسين حدثني خالد بن عمرو الاموى حدثنا صدقة بن سليمان الجعفري قال كانت لي شرة سمجة فمات ابي فانبت وندمت على ما فرطت قال ثم زللت ايما زلة فرأيت ابي في المنام فقال اى بني ما كان اشد فرحي بك واعمالك تعرض علينا فنشبهها باعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديدا فلا تخزني فيمن حولي من الاموات قال فكنت اسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان جارا لي بالكوفة اسألك انابة لا رجعة فيها ولا حور يا مصلح الصالحين ويا هادى المضلين ويا ارحم الراحمين * وهذا باب فيه آثار كثيرة عن الصحابة وكان بعض الانصار من اقارب عبد الله بن رواحة يقول اللهم اني اعوذ بك من عمل اخزى به عند عبد الله بن رواحة كان يقول ذلك بعد ان استشهد عبد الله ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائرا ولولا انهم يشعرون به لما صح تسميته زائرا فان المزور ان لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح ان يقال زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الامم وكذلك السلام عليهم ايضا فان السلام

على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم مال وقد علم النبي صلى الله عليه وسلم امته اذا زاروا القبور ان يقولوا سلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين نسأل الله لنا ولكم العافية * وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وان لم يسمع المسلم الرد واذا صلى الرجل قريبا منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك * قال يزيد بن هارون اخبرنا سليمان التيمي عن ابي عثمان النهدي ان ابن ساس خرج في جنازة في يوم وعليه ثياب خفاف فانتهى الى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت عليه فوالله ان قلبي ليقظان اذ سمعت صوتا من القبر اليك عني لا تؤذني فانكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ولأن يكون لي مثل ركعتيك احب الي من كذا وكذا * فهذا قد علم باتكاء الرجل على القبر وبصلاته وقال ابن ابي الدنيا حدثني الحسين بن علي العجلي ثنا محمد بن الصلت ثنا اسمعيل بن عياش عن ثابت بن سليم ثنا ابو قلابة قال اقبلت من الشام الى البصرة فنزلت منزلا فتطهرت وصليت ركعتين بليل ثم وضعت رأسي على قبر فنمت ثم انتبهت فاذا صاحب القبر يشتكيني يقول قد آذيتني منذ الليلة ثم قال انكم تعملون ولا تعلمون ونحن نعلم ولا نقدر على العمل ثم قال الركعتان اللتان ركعتهما خير من الدنيا وما فيها ثم قال جزى الله اهل الدنيا خيرا اقرأهم منا السلام فانه يدخل علينا من دعائهم نور امثال الجبال * وحدثني

الحسين العجلي ثنا عبد الله بن نمير ثنا مالك بن مغول عن منصور عن زيد
ابن وهب قال خرجت الى الجبانة فجلست فيها فاذا رجل قد جاء الى
قبر فسواه ثم تحول الي فجلس قال فقلت له ما هذا القبر قال اخ لي فقلت
اخ لك فقال اخ لي في الله رأيته فيما يرى النائم فقلت فلان عشت
الحمد لله رب العلمين قال قد قلتها لأن اقدر على ان اقولها احب الي
من الدنيا وما فيها ثم قال الم ترحيث كانوا يدفنوني فان فلانا قام فصلى
ركعتين لأن اكون اقدر على ان اصليهما احب الي من الدنيا وما فيها *
حدثني ابو بكر التيمي ثنا عبد الله بن صالح حدثني الليث بن سعد حدثني
حميد الطويل عن مطرف بن عبد الله الجرشي قال خرجنا الى الربيع
في زمانه فقلنا ندخل يوم الجمعة لشهودها وطريقنا على المقبرة قال
فدخلنا فرأيت جنازة في المقبرة فقلت لو اغتنمت شهود هذه
الجنازة فشهدتها قال فاعتزلت ناحية قريبا من قبر فركعت ركعتين خففتهما
لم ارض اتقانهما ونعست فرأيت صاحب القبر يكلمني وقال ركعت
ركعتين لم ترض اتقانهما قلت قد كان ذلك قال تعملون ولا تعلمون
ولا نستطيع ان نعمل لأن اكون ركعت مثل ركعتيك احب الي من
الدنيا بحذافيرها فقلت من ههنا فقال كلهم مسلم وكلهم قد اصاب
خيرا فقلت من ههنا افضل فاشار الى قبر فقلت في نفسي اللهم ربنا
اخرجه الي فاكلمه قال فخرج من قبره فتى شاب فقلت انت افضل من
ههنا قال قد قالوا ذلك قلت فبأي شيء نلت ذلك فوالله ما ارى لك ذلك

السن فاقول نات ذلك بطول الحج والعمرة والجهاد في سبيل الله
والعمل قال قد ابتليت بالمصائب فرزقت الصبر عليها فبذلك
فضلتهم * وهذه المرائي وان لم تصح بمجردها لاثبات مثل
ذلك فهي على كثرتها وانها لايحصيها الا الله قد تواطأت على هذا
المعنى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت على
انها في العشر الاواخر يعني ليلة القدر فاذا تواطأت رؤيا المؤمنين
على شيء كان كتواطي رواياتهم له وكتواطي رأيهم على استحسانه
واستقباحه وما راه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن وما رأوه قبيحا
فهو عند الله قبيح على انا لم نثبت هذا بمجرد الرؤيا بل بما ذكرناه من
الحجج وغيرها وقد ثبت في الصحيح ان الميت يستانس بالمشيعين
لجنازته بعد دفنه فروى مسلم في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن
شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكى
طويلا وحول وجهه الى الجدار فجعل ابنه يقول مايبكيك ياابتاه
امابشرك رسول الله صلى الله عليه وسلم بكذا فاقبل بوجهه فقال ان
افضل مانعد شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله واني كنت
على اطباق ثلاث لقد رأيتني وما احد اشد بغضا لرسول الله صلى الله
عليه وسلم مني ولا احب الي ان اكون قد استمكنت منه فقتلته فلومت
على تلك الحال لكنت من اهل النار فلما جعل الله الاسلام في قلبي لقيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ابسط يدك فلأبايعك فبسط

بينه قال فقبضت يدي قال فقال مالك يا عمرو قال قلت اردت ان
اشترط قال تشترط ماذا قلت ان يغفر لي قال اما علمت ان الاسلام
يهدم ما كان قبله وان الهجرة تهدم ما كان قبلها وان الحج يهدم ما كان
قبله وما كان احد احب اليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا اجل
في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو سئلت ان
اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه ولو مت على تلك الحال لرجوت
ان اكون من اهل الجنة ثم ولينا اشياء ما ادري ما حالي فيها فاذا انا مت
فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سنا ثم
اقيموا حول قبري قدر ما تنحر جزور ويقسم لحمها حتى استانس بكم وانظر ماذا
اراجع به رسل ربي * فدل على ان الميت يستانس بالحاضرين عند قبره
ويسر بهم وقد ذكر عن جماعة من السلف انهم اوصوا ان يقرأ عند قبورهم
وقت الدفن قال عبد الحق يروى ان عبد الله بن عمر امر ان يقرأ عند قبره
سورة البقرة وممن رأى ذلك المعلى بن عبد الرحمن وكان الامام احمد
ينكر ذلك اولا حيث لم يبلغه فيه اثر ثم رجع عن ذلك وقال الخلال
في الجامع كتاب القراءة عند القبور اخبرنا العباس بن محمد الدوري
ثنا يحيى بن معين ثنا مبشر الحلبي حدثني عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج
عن ابيه قال قال ابي اذا انا مت فضعني في اللحد وقل بسم الله وعلى سنة
رسول الله وسن على التراب سنا واقرأ عند رأسي بفاتحة البقرة وخاتمتها
فاني سمعت عبد الله بن عمر يقول ذلك * قال عباس الدوري سألت

﴿ القراءة عند القبور عقيب الدفن ﴾

احمد بن حنبل قلت تحفظ في القراءة على القبر شيئا فقال لا و سألت يحيى ابن معين فحدثني بهذا الحديث قال الخلال واخبرني الحسن بن احمد الوراق ثني علي بن موسى الحداد وكان صدوقا قال كنت مع احمد بن حنبل و محمد بن قدامة الجوهري في جنازة فلما دفن الميت جلس رجل ضرير يقرأ عند القبر فقال له احمد ياهذا ان القراءة عند القبر بدعة فلما خرجنا من المقابر قال محمد بن قدامة لاحمد بن حنبل يا ابا عبد الله ماتقول في مبشر الحلبي قال ثقة قال كتبت عنه شيئا قال نعم قال فاخبرني مبشر عن عبد الرحمن بن العلاء بن اللجلاج عن ابيه انه اوصى اذا دفن ان يقرأ عند راسه بفاتحة البقرة و خاتمتها و قال سمعت ابن عمر يوصى بذلك فقال له احمد فارجع و قل للرجل يقرأ * وقال الحسن بن الصباح الزعفراني سألت الشافعي عن القراءة عند القبر فقال لا باس به * وذكر الخلال عن الشعبي قال كانت الانصار اذا مات لهم الميت اختلفوا الى قبره يقرءون عنده القران * قال واخبرني ابو يحيى الناقد قال سمعت الحسن بن الجروي يقول مررت على قبر اخت لي فقرأت عندها تبارك لما يذكر فيها فجاء ني رجل فقال اني رأيت اختك في المنام تقول جزى الله ابا علي خيرا فقد انتفعت بما قرأ * اخبرني الحسن بن الهيثم قال سمعت ابابكر بن الاطروش ابن بنت ابي نصر بن التمار يقول كان رجل يجيئ الى قبر امه يوم الجمعة فيقرأ سورة يس فجاء في بعض ايامه فقرأ سورة يس ثم قال اللهم ان كنت قسمت لهذه السورة ثوابا فاجعله

في اهل هذه المقابر فلما كان في الجمعة التي تليها جاءت امرأة فقالت انت فلان ابن فلانة قال نعم قالت ان بنتالي ماتت فرأيتها في النوم جالسة على شفير قبرها فقلت ما اجلسك هنا فقالت ان فلان ابن فلانة جاء الى قبر امه فقرأ سورة يس وجعل ثوابها لاهل المقابر فاصابنا من روح ذلك او غفر لنا اونحو ذلك * وفي النسائي وغيره من حديث معقل بن يسار المزني عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اقرءوا يس عند موتاكم * وهذا يحتمل ان يراد به قراءتها على المحتضر عند موته مثل قوله لقنوا موتاكم لا اله الا الله ويحتمل ان يراد به القراءة عند القبر والاول اظهر لوجوه * احدها * انه نظير قوله لقنوا موتاكم لا اله الا الله * الثاني * انتفاع المحتضر بهذه السورة لما فيها من التوحيد والمعاد والبشرى بالجنة لاهل التوحيد وغبطة من مات عليه بقوله يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين * فتستبشر الروح بذلك فيحب لقاء الله فيحب الله لقاءه فان هذه السورة قلب القران ولها خاصية عجيبة في قراءتها عند المحتضر وقد ذكر ابو الفرج ابن الجوزي قال كنا عند شيخنا ابي الوقت عبد الاول وهو في السياق وكان اخر عهدنا به انه نظر الى السماء وضحك وقال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين وقضى * الثالث * ان هذا عمل الناس وعادتهم قديما وحديثا يقرءون يس عند المحتضر * الرابع * ان الصحابة لو فهموا من قوله صلى الله عليه وسلم اقرءوا يس عند موتاكم

قراءتها عند القبر لما احلوا به وكان ذلك امرا معتادا مشهورا بينهم

* الخامس * ان انتفاعه باستماعها او حضور قلبه وذهنه عند قراءتها

في اخر عهده بالدنيا هو المقصود واما قراءتها عند قبره فانه

لايثاب على ذلك لان الثواب اما بالقراءة او بالاستماع وهو عمل

وقد انقطع من الميت *

﴿ فصل ﴾

﴿فصل في ان الموتى يسئلون عن الاحياء ويعرفون اقوالهم واعمالهم﴾

وقد ترجم الحافظ ابو محمد عبد الحق الاشبيلي على هذا فقال ذكر

ماجاء ان الموتى يسئلون عن الاحياء ويعرفون اقوالهم واعمالهم ثم قال

ذكر ابو عمر بن عبد البر من حديث ابن عباس عن النبي صلى الله عليه

وسلم ما من رجل يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه فيسلم عليه الا عرفه

ورد عليه السلام * ويروى هذا من حديث ابي هريرة مرفوعا قال

فان لم يعرفه وسلم عليه رد عليه السلام * قال ويروى من حديث

عائشة رضى الله عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

مامن رجل يزور قبر اخيه فيجلس عنده الا استانس به حتى يقوم * واحتج

الحافظ ابو محمد في هذا الباب بما رواه ابو داود في سننه من حديث

ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن احد يسلم علي

الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه السلام * قال وقال سليمان بن

نعيم رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقلت يارسول الله هؤلاء

الذين يأتونك ويسلمون عليك اتفقه منهم قال نعم وارد عليهم *

قال وكان صلى الله عليه وسلم يعلمهم ان يقولوا اذا دخلوا المقابر السلام عليكم اهل الديار الحديث قال وهذا يدل على ان الميت يعرف سلام من يسلم عليه ودعاء من يدعو له قال ابو محمد ويذكر عن الفضل ابن الموفق قال كنت آتي قبر ابي المرة بعد المرة فاكثر من ذلك فشهدت يوما جنازة في المقبرة التي دفن فيها فتعجلت لحاجتي ولم آته فلما كان من الليل رأيته في المنام فقال لي يابني لم لا تاتيني قلت له ياابت وانك لتعلم بي اذا اتيك قال اى والله يابني مازال اطلع عليك حين تطلع من القنطرة حتى تصل الي وتقعد عندي ثم تقوم فلا ازال انظر اليك حتى تجوز القنطرة ؛ قال ابن ابي الدنيا حدثني ابراهيم بن بشار الكوفي قال حدثني الفضل بن الموفق فذكر القصة * وصح عن عمرو بن دينار انه قال مامن ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم * وصح عن مجاهد انه قال ان الرجل ليبشر في قبره بصلاح ولده بعده *

❊ فصل ❊

ويدل على هذا ايضا ماجرى عليه عمل الناس قديما والى الآن من تلقين الميت في قبره ولولا انه يسمع ذلك وينتفع به لم يكن فيه فائدة وكان عبثا وقد سئل عنه الامام احمد رحمه الله فاستحسنه واحتج عليه بالعمل ويروى فيه حديث ضعيف ذكره الطبراني في معجمه من حديث ابي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مات احدكم فسويتم عليه

التراب فليقم احدكم على راس قبره ثم يقول يافلان ابن فلانة فانه يسمع ولا يجيب ثم ليقل يافلان ابن فلانة الثانية فانه يستوى قاعدا ثم ليقل يافلان ابن فلانة فانه يقول ارشدنا رحمكم الله ولكنكم لا تسمعون فيقول اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وانك رضيت بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن اماما فان منكرا ونكيرا ياخذ كل واحد منهما ويقول انطلق بنا ما يقعد نا عند هذا وقد لقن حجته ويكون الله حجيجه دونهما فقال رجل يارسول الله فان لم يعرف امه قال ينسبه الى امه حواء * فهذا الحديث وان لم يثبت فاتصال العمل به فى سائر الامصار والاعصار من غير انكار كاف في العمل به وما اجرى الله سبحانه العادة قط بان امة طبقت مشارق الارض ومغاربها وهي اكمل الامم عقولا واوفرها معارف تطبق على مخاطبة من لا يسمع ولا يعقل وتستحسن ذلك لا ينكره منها منكر بل سنه الاول للاخر ويقتدى فيه الاخر بالاول فلولا ان المخاطب يسمع والا كان ذلك بمنزلة الخطاب للتراب والخشب والحجر والمعدوم وهذا وان استحسنه واحد فالعلماء قاطبة على استقباحه واستهجانه وقد روى ابو داود فى سننه باسناد لا باس به ان النبي صلى الله عليه وسلم حضر جنازة رجل فلما دفن قال سلوا لاخيكم التثبيت فانه الان يسأل * فاخبرانه يسأل حينئذ واذا كان يسأل فانه يسمع التلقين وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الميت يسمع قرع

نعالهم

نعالهم اذا ولوا منصرفين * وذكر عبد الحق عن بعض الصالحين قال
مات اخ لي فرأيته في النوم فقلت يااخي ما كان حالك حين وضعت
في قبرك قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعالي لهلكت *
وقال شبيب بن شيبة اوصتني امي عند موتها فقالت يابني اذا دفنتني
فقم عند قبري وقل ياام شبيب قولي لااله الا الله فلما دفنتها قمت عند
قبرها فقلت ياام شبيب قولي لااله الا الله ثم انصرفت فلما كان من الليل
رأيتها في النوم فقالت يابني كدت ان اهلك لولا ان تداركني لااله
الا الله فقد حفظت وصيتي يابني * وذكر ابن ابي الدنيا عن تماضر بنت
سهل امرأة ايوب بن عيينة قالت رأيت سفيان بن عيينة في النوم فقال
جزى الله اخي ايوب عني خيرا فانه يزورني كثيرا وقد كان عندي اليوم
فقال ايوب نعم حضرت الجبان اليوم فذهبت الى قبره * وصح عن
حماد بن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب ان الصعب بن جثامة
وعوف بن مالك كانا متواخيين قال صعب لعوف اى اخي اينا
مات قبل صاحبه فليتراءاله قال اويكون ذلك قال نعم فمات صعب
فراه عوف فيما يرى النائم كانه قد اتاه قال قلت اى اخي قال نعم قلت
ما فعل بكم قال غفر لنا بعد المشائب قال ورأيت لمعة سوداء في عنقه
قلت اى اخي ما هذا قال عشرة دنانير استسلفتها من فلان اليهودي
فهن في قرني فاعطوه اياها واعلم اى اخي انه لم يحدث في اهلي حدث
بعد موتي الا قد لحق بي خبره حتى هرة لنا ماتت منذ ايام واعلم ان

بني تموت الى ستة ايام فاستوصوا بها معروفاً فلما اصبحت قلت ان في هذا لمعلماً فاتيت اهله فقالوا مرحباً بعوف اهكذا تصنعون بتركة اخوانكم لم تقربنا مذ مات صعب قال فاعتللت بما يعتل به الناس فنظرت الى القرن فانزلته فانتثلت ما فيه فوجدت الصرة التي فيها الدنانير فبعثت بها الى اليهودي فقلت هل كان لك على صعب شيء قال رحم الله صعباً كان من خيار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم هي له قلت لتخبرني قال نعم اسلفته عشرة دنانير فنبذتها اليه قال هي والله باعيانها قال قلت هذه واحدة قال فقلت هل حدث فيكم حدث بعد موت صعب قالوا نعم حدث فينا كذا حدث فينا كذا قال قلت اذكروا قالوا نعم هرة ماتت منذ ايام فقلت هاتان اثنتان قلت اين ابنة اخي قالوا تلعب فاتيت بها فمسستها فاذا هي محمومة فقلت استوصوا بها معروفاً فماتت لستة ايام.

وهذا من فقه عوف رحمه الله وكان من الصحابة حيث نفذ وصية الصعب ابن جثامة بعد موته وعلم صحة قوله بالقرائن التي اخبره بها من ان الدنانير عشرة وهي في القرن ثم سأل اليهودي فطابق قوله لما في الرؤيا فجزم عوف بصحة الامر فاعطى اليهودي الدنانير وهذا فقه انما يليق بافقه الناس واعلمهم وهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولعل اكثر المتاخرين ينكر ذلك ويقول كيف جاز لعوف ان ينقل الدنانير من تركة صعب وهي لايتامه وورثته الى يهودي بمنام ونظير هذا من الفقه الذي خصهم الله به دون الناس قصة ثابت بن قيس بن شماس

و قد ذكرها ابو عمر بن عبد البر وغيره قال ابو عمر اخبرنا عبد الوارث
ابن سفيان ثنا قاسم بن اصبغ ثنا ابو الزنباع روح بن الفرج ثنا سعيد بن
عفير و عبد العزيز بن يحيى المدني ثنا مالك بن انس عن ابن شهاب عن
اسمعيل بن محمد بن ثابت الانصاري عن ثابت بن قيس بن شماس ان
رسول الله صلى الله عليه و سلم قال له يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا
وتقتل شهيدا او تدخل الجنة * قال مالك * فقتل ثابت بن قيس يوم
اليمامة شهيدا * قال ابو عمر و روى هشام بن عمار عن صدقة بن
خالد ثنا عبد الرحمن بن يزيد بن جابر قال حدثني عطاء الخراساني قال
حدثتني ابنة ثابت بن قيس بن شماس قالت لما نزلت يا ايها الذين آمنوا
لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبي دخل ابوها بيته واغلق عليه بابه ففقده
رسول الله صلى الله عليه وسلم وارسل اليه يسأله ما خبره قال انا رجل
شديد الصوت اخاف ان يكون قد حبط عملي قال لست منهم بل تعيش
بخير وتموت بخير قال ثم انزل الله ان الله لا يحب كل مختال فخور فاغلق
عليه بابه وطفق يبكي ففقده رسول الله صلى الله عليه وسلم فارسل
اليه فاخبره فقال يا رسول الله اني احب الجمال واحب ان اسود قومي
فقال لست منهم بل تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة قالت فلما كان
يوم اليمامة خرج مع خالد بن الوليد الى مسيلمة فلما التقوا وانكشفوا
فقال ثابت وسالم مولى ابي حذيفة ما هكذا كنا نقاتل مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم حفر كل واحد له حفرة فثبتا وقاتلا حتى قتلا وعلى

ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فاخذها فبينما رجل
من المسلمين نائم اذ اتاه ثابت في منامه فقال له اوصيك بوصية فاياك
ان تقول هذا حلم فتضيعه اني لما قتلت امس مر بي رجل من المسلمين فاخذ
درعي و منزله في اقصى الناس وعند خبائه فرس يستن في طوله وقد كفأ
على الدرع برمة و فوق البرمة رحل فأت خالدا فمره ان يبعث الى درعي
فياخذها واذا قدمت المدينة على خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم
يعني ابابكر الصديق فقل له ان علي من الدين كذا وكذا وفلان
من رقيقي عتيق وفلان فاتى الرجل خالدا فاخبره فبعث الى الدرع فاتى
بها وحدث ابابكر برؤياه فاجاز وصيته قال ولا نعلم احدا اجيزت
وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس رحمه الله انتهى ما ذكره ابو عمر فقد
اتفق خالد وابو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا
وتنفيذ الوصية بها وانتزاع الدرع ممن هي في يده بها وهذا محض الفقه
واذا كان ابو حنيفة واحمد ومالك يقبلون قول المدعى من الزوجين
ما يصلح له دون الاخر بقرينة صدقه فهذا اولى وكذلك ابو حنيفة
يقبل قول المدعى للحائط بوجوه الآجر الى جانبه وعما قد القمط
وقد شرع الله حد المرأة بايمان الزوج وقرينة تكون لما فان ذلك من
اظهر الادلة على صدق الزوج وابلغ من ذلك قتل المقسم عليه في القسامة
بايمان المدعين مع القرينة الظاهرة من اللوث وقد شرع الله سبحانه
قبول قول المدعين لتركة ميتهم اذا مات في السفر واوصى الى رجلين

من

من غير المسلمين فاطلع الورثة على خيانة الوصيين فانهما يحلفان بالله ويستحقانه
وتكون ايمانهما اولى من ايمان الوصيين وهذا انزله الله سبحانه في اخر الامر
في سورة المائدة وهي من اخر القرآن نزولا ولم ينسخها شيء وعمل بها
الصحابة بعده وهذا دليل على انه يقضي في الاموال باللوث واذا كان
الدم يباح باللوث في القسامة فلان يقضي باللوث وهو القرائن الظاهرة
في الاموال أولى واحرى وعلى هذا عمل ولاة العدل في استخراج
السرقات من السراق حتى ان كثيرا من ينكر ذلك عليهم يستعين بهم اذا
سرق ماله وقد حكى الله سبحانه عن الشاهد الذي شهد بين يوسف
الصديق وامرأة العزيز انه حكم بالقرينة على صدق يوسف وكذب المرأة
ولم ينكر الله سبحانه عليه ذلك بل حكاه عنه تقريرا له واخبر النبي صلى الله
عليه وسلم عن نبي الله سليمان بن داود انه حكم بين المرأتين اللتين
تداعيا الولد للصغرى بالقرينة التي ظهرت له لما قال ائتوني بالسكين
اشق الولد بينكما فقالت الكبرى نعم رضيت بذلك لتاسى بفقد ابن
صاحبتها وقالت الاخرى لا تفعل هو ابنها فقضى به لها للشفقة والرحمة
التي قامت بقلبها حتى سمحت به للاخرى ويبقى حيا وتنظر اليه وهذا
من احسن الاحكام واعدلها وشريعة الاسلام تقرر مثل هذا وتشهد
بصحته وهل الحكم بالقافة والحاق النسب بها الا اعتماد على قرائن الشبه
مع اشتباهها وخفائها غالبا والمقصود ان القرائن التي قامت في رؤيا
عوف بن مالك وقصة ثابت بن قيس لا تقصر عن كثير من هذه

لاخفاء به و فطر الناس و عقولهم تشهد بصحته و بالله التوفيق و المقصود
جواب السائل وان الميت اذا عرف مثل هذه الجزئيات و تفاصيلها
فمعرفته بزيارة الحي له و سلامه عليه و دعائه له اولى واحرى *

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ المسئلة الثانية وهي ان ارواح الموتى
هل تتلاقى و تتزاور و تتذاكر ام لا ﴾ فهي ايضا مسئلة شريفة
كبيرة القدر وجوابها ان الارواح قسمان ارواح معذبة وارواح
منعمة فالمعذبة في شغل بما هي فيه من العذاب عن التزاور والتلاقي
والارواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة تتلاقى و تتزاور و تتذاكر
ماكان منها في الدنيا وما يكون من اهل الدنيا فيكون كل روح
مع رفيقها الذي هو على مثل عملها وروح نبينا محمد صلى الله عليه
وسلم في الرفيق الاعلى قال الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولائك
مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولائك رفيقا وهذه المعية ثابتة في الدنيا وفي دار البرزخ
وفي دار الجزاء والمرأ مع من احب في هذه الدور الثلاثة وروى
جرير عن منصور عن ابي الضحى عن مسروق قال قال اصحاب محمد
صلى الله عليه وسلم ماينبغي لنا ان نفارقك في الدنيا فاذا مت رفعت
فوقنا فلم نرك فانزل الله تعالى ومن يطع الله والرسول فاولائك

﴿ المسئلة الثانية في ان ارواح الموتى هل تتلاقى و تتزاور و تتذاكر ام لا ﴾

مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين
وحسن اولائك رفيقا وقال الشعبي جاء رجل من الانصار وهو
يبكي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يبكيك يا فلان فقال يا نبي الله
والله الذي لا اله الا هو لانت احب الي من اهلي ومالي والله الذي
لا اله الا هو لانت احب الي من نفسي وانا اذكرك انا واهلي فناخذني
كذا حتى اراك فذكرت موتك وموتي فعرفت الى لن اجامعك الا في
الدنيا وانك ترفع في النبيين وعرفت اني ان دخلت الجنة كنت في منزل
ادنى من منزلك فلم يرد النبي صلى الله عليه وسلم شيئا فانزل الله تعالى
ومن يطع الله والرسول فاولائك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين
والصديقين والشهداء والصالحين الى قوله وكفى بالله عليما وقال تعالى
يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي
وادخلي جنتي ، اى ادخلي في جملتهم وكوني معهم وهذا يقال
للروح عند الموت وفي قصة الاسراء من حديث عبد الله بن مسعود قال
لما اسرى بالنبي صلى الله عليه وسلم لقي ابراهيم وموسى وعيسى صلوات الله
وسلامه عليهم اجمعين فتذاكروا الساعة فبدؤا بابراهيم فسألوه عنها
فلم يكن عنده منها علم ثم بموسى فلم يكن عنده منها علم حتى اجمعوا الحديث
الى عيسى فقال عيسى عهد الله الي فيما دون وجبتها فذكر خروج الدجال
قال فاهبط فاقتله ويرجع الى بلادهم فتستقبلهم ياجوج وماجوج وهم
من كل حدب ينسلون فلا يمرون بماء الا شربوه ولا يمرون بشيء الا افسدوه

فيجأرون الى الله تعالى فيدعو الله فيميتهم فتجأر الارض الى الله من ريحهم ويجأرون الي فادعو ويرسل الله السماء بالماء فيحمل اجسامهم فيقذفها في البحر ثم ينسف الجبال وتمد الارض مد الاديم فعهد الله الي اذا كان كذلك فان الساعة من الناس كالحامل المتم لايدري اهلها متى تفجأهم بولادتها ليلا او نهارا ذكره الحاكم والبيهقي وغيرهما وهذا نص في تذاكر الارواح العلم وقد اخبر الله سبحانه وتعالى عن الشهداء بانهم احياء عند ربهم يرزقون وانهم يستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم وانهم يستبشرون بنعمة من الله وفضل وهذا يدل على تلاقيهم من ثلاثة اوجه * احدها * انهم عند ربهم يرزقون واذا كانوا احياء فهم يتلاقون الثاني انهم انما استبشروا باخوانهم لقدومهم عليهم ولقائهم لهم * الثالث * ان لفظ يستبشرون يفيد في اللغة انهم يبشر بعضهم بعضا مثل يتباشرون وقد تواترت المرائي بذلك فنها ما ذكره صالح ابن بشير قال رأيت عطاء السلمي في النوم بعد موته فقلت له يرحمك الله لقد كنت طويل الحزن في الدنيا فقال اما والله لقد اعقبني ذلك فرحا طويلا وسرورا دائما فقلت في اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين * وقال عبد الله بن المبارك رأيت سفيان الثوري في النوم فقلت له ما فعل الله بك قال لقيت محمدا وحزبه * وقال صخر بن راشد رأيت عبد الله بن المبارك في النوم بعد موته فقلت اليس قد مت قال بلى قلت فما صنع الله

بك

بك قال غفرلي مغفرة احاطت بكل ذنب قلت فسفيان الثوري قال
بخ بخ ذاك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء
والصالحين وحسن اولائك رفيقا ٭ وذكر ابن ابي الدنيا من حديث حماد
ابن زيد عن هشام بن حسان عن يقظة بنت راشد قالت كان مروان المحلمي
لي جارا وكان قاضيا مجتهدا قالت فمات فوجدت عليه وجدا اشديدا قالت
فرأيته فيما يرى النائم قلت ابا عبد الله ماصنع بك ربك قال ادخلني الجنة
قلت ثم ماذا قال ثم رفعت الى اصحاب اليمين قلت ثم ماذا قال ثم رفعت الى
المقربين قلت فمن رأيت من اخوانك قال رأيت الحسن وابن سيرين
وميمون بن سياه قال حماد قال هشام بن حسان فحدثتني ام عبد الله وكانت من
خيار نساء اهل البصرة قالت رأيت فيما يرى النائم كاني دخلت دارا حسنة
ثم دخلت بستانا فذكرت من حسنه ماشاء الله فاذا انا فيه برجل متكئ
على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بايديهم الاكاويب قالت فاني لمتعجبة
من حسن ماارى اذ قيل هذا مروان المحلمي اقبل فوثب فاستوى جالسا على
سريره قالت واستيقظت من منامي فاذا جنازة مروان قد مربها على بابي
تلك الساعة ٭ وقد جاءت سنة صريحة بتلاقي الارواح وتعارفها قال ابن
ابي الدنيا حدثني محمد بن عبد الله بن بزيع اخبرني فضيل بن سليمان النميري
حدثني يحيي بن عبد الرحمن بن ابي لبيبة عن جده قال لما مات بشر بن البراء
ابن معرور وجدت عليه ام بشر وجدا شديدا فقالت يارسول الله انه
لايزال الهالك يهلك من بني سلمة فهل تتعارف الموتى فارسل الى بشر

بالسلام فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم نعم والذى نفسى بيده يا ام
بشر انهم ليتعارفون كما تتعارف الطير في رؤس الشجر وكان لا يهلك هالك
من بنى سلمة الاجاءته ام بشر فقالت يا فلان عليك السلام فيقول وعليك
فتقول اقرأ على بشر السلام ٭ وذكر ابن ابي الدنيا من حديث سفيان عن
عمرو بن دينار عن عبيد بن عمير قال اهل القبور يتوكفون الاخبار فاذا
اتاهم الميت قالوا ما فعل فلان فيقول صالح ما فعل فلان يقول صالح ما فعل
فلان فيقول الم ياتكم اوما قدم عليكم فيقولون لا فيقول انا لله وانا اليه
راجعون سلك به غير سبيله ٭ وقال صالح المري بلغني ان الارواح تتلاقى
عند الموت فتقول ارواح الموتى للروح التي تخرج اليهم كيف كان ماواك
وفي اي الجسد بن كنت في طيب ام خبيث ثم بكى حتى غلبه البكاء ٭ وقال
عبيد بن عمير ايضا اذا مات الميت تلقته الارواح يستخبرونه كما
يستخبر الراكب ما فعل فلان ما فعل فلان فاذا قال توفي ولم ياتهم قالوا ذهب
به الى امه الهاوية ٭ وقال سعيد بن المسيب اذا مات الرجل استقبله ولده
كما يستقبل الغائب ٭ وقال عبيد بن عمير لو اني آيس من لقاء من مات
من اهلي لالفاني قد مت كمدا ٭ وذكر معاوية بن يحيى عن عبد الله بن سلمة
ان ابا رهم السمعي حدثه ان ابا ايوب الانصاري حدثه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ان نفس المومن اذا قبضت تلقاها اهل الرحمة
من عند الله كما يتلقى البشير في الدنيا فيقولون انظروا اخاكم حتى يستريح
فانه كان في كرب شديد فيسئلونه ماذا فعل فلان وماذا فعلت

فلانة وهل تزوجت فلانة فاذا سالوه عن رجل مات قبله قال انه
قد مات قبلي قالوا انا لله وانا اليه راجعون ذهب به الى امه الهاوية
فبئست الام وبئست المربية ٭ وقد تقدم حديث يحيى بن بسطام حدثني
مسمع بن عاصم قال رأيت عاصما الجحدري في منامي بعد موته بسنتين
فقلت اليس قد مت قال بلى قلت واين انت قال انا والله في روضة من
من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها
الى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى اخباركم قلت اجسامكم ام ارواحكم قال
هيهات بليت الاجسام وانما تتلاقى الارواح ٭

﴿ فصل ﴾ ٭ ٭ ٭ ﴿ واما المسئلة الثالثة وهي هل تلاقى ارواح
الاحياء وارواح الاموات ﴾

﴿ المسئلة الثالثة هل تلاقى ارواح الاحياء وارواح الاموات ﴾

فشواهد هذه المسئلة وادلتها اكثر من ان يحصيها الا الله تعالى والحس
والواقع من اعدل الشهود بها فتلتقي ارواح الاحياء والاموات كما
تلتقي ارواح الاحياء وقد قال تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى
الى اجل مسمى ان في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ٭ قال ابو عبد الله
ابن منده ثنا احمد بن محمد بن ابراهيم ثنا عبد الله بن حسين
الحراني ثنا جدي احمد بن شعيب ثنا موسى بن اعين عن مطرف
عن جعفر بن ابي المغيرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في هذه
الآية قال بلغني ان ارواح الاحياء والاموات تلتقي في المنام

فيشاء لون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى ويرسل ارواح الاحياء الى اجسادها * وقال ابن ابي حاتم في تفسيره ثنا عبد الله بن سليمان ثنا الحسين ثنا عامر ثنا اسباط عن السدى في قوله تعالى والتي لم تمت في منامها قال يتوفاها في منامها فيلتقي روح الحي وروح الميت فيتذاكران ويتعارفان قال فترجع روح الحي الى جسده في الدنيا الى بقية اجلها وتريد روح الميت ان ترجع الى جسده فتحبس * وهذا احد القولين في الاية وهو ان الممسكة من توفيت وفاة الموت اولا والمرسلة من توفيت وفاة النوم والمعنى على هذا القول انه يتوفى نفس الميت فيمسكها ولا يرسلها الى جسدها قبل يوم القيامة ويتوفى نفس النائم ثم يرسلها الى جسدها الى بقية اجلها فيتوفاها الوفاة الاخرى والقول الثاني في الآية ان الممسكة والمرسلة في الاية كلاهما توفي وفاة النوم فمن استكملت اجلها امسكها عنده فلا يردها الى جسدها ومن لم تستكمل اجلها ردها الى جسدها لتستكمله واختار شيخ الاسلام هذا القول وقال عليه يدل القرآن والسنة قال فانه سبحانه ذكر امساك التي تقضي عليها الموت من هذه الانفس التي توفاها وفاة النوم واما التي توفاها حين موتها فتلك لم يصفها بامساك ولا بارسال بل هي قسم ثالث والذي يترجح هو القول الاول لانه سبحانه اخبر بوفاتين وفاة كبرى وهي وفاة الموت ووفاة صغرى وهي وفاة النوم وقسم الارواح قسمين قسما قضى عليها بالموت فامسكها عنده وهي التي توفاها وفاة الموت وقسما بقية اجل فردها الى جسدها الى

استكمال اجلها وجعل سبحانه الامساك والارسال حكمين للوفاتين المذكورتين اولا فهذه ممسكة وهذه مرسلة والاخرى التي لم تمت هي التي توفاها في منامها فلو كان قد قسم وفاة النوم الى قسمين وفاة موت ووفاة نوم لم يقل والتي لم تمت في منامها فانها من حين قبضت ماتت وهو سبحانه قد اخبر انها لم تمت فكيف يقول بعد ذلك فيمسك التي قضى عليها الموت ولمن نصر هذا القول ان يقول قوله فيمسك التي قضى عليها الموت بعد ان توفاها وفاة النوم فهو سبحانه توفاها اولا وفاة نوم ثم قضى عليها الموت بعد ذلك والتحقيق ان الاية تتناول النوعين فانه سبحانه ذكر وفاتين وفاة نوم ووفاة موت وذكر امساك المتوفاة وارسال الاخرى ومعلوم انه سبحانه يمسك كل نفس ميت سواء مات في النوم او في اليقظة ويرسل نفس من لم يمت فقوله يتوفى الانفس حين موتها يتناول من مات في اليقظة ومن مات في المنام وقد دل على التقاء ارواح الاحياء والاموات ان الحي يرى الميت في منامه فيستخبره ويخبره الميت بما لا يعلم الحي فيصادف خبره كما اخبر في الماضي والمستقبل وربما اخبره بمال دفنه الميت في مكان لم يعلم به سواه وربما اخبره بدين عليه وذكر له شواهده وادلته وابلغ من هذا انه يخبر بما عمله من عمل لم يطلع عليه احد من العالمين وابلغ من هذا انه يخبره انك تاتينا الى وقت كذا وكذا فيكون كما اخبر وربما اخبره عن امور يقطع الحي انه لم يكن يعرفها غيره وقد ذكرنا قصة الصعب بن جثامة وقوله لعوف بن مالك ما قال له

ود كرنا قصة ثابت بن قيس بن شماس واخباره لمن رآه بدرع ه وما عليه من الدين وقصة صدقة بن سليمان الجعفري واخباره له بما عمل من بعده وقصة شبيب بن شيبة وقول امه له بعد الموت جزاك الله خيراً حيث لقنتها لا اله الا الله وقصة الفضل بن الموفق مع امه واخباره اياه بعلمه بزيارته وقال سعيد بن المسيب التقى عبد الله بن سلام وسلمان الفارسي فقال احدهما للآخر ان مت قبلي فالقني فاخبرني ما لقيت من ربك وان انا مت قبلك لقيتك فاخبرتك فقال الآخر وهل تلقى الاموات والاحياء قال نعم ارواحهم في الجنة تذهب حيث شاءت قال فمات فلان فلقيه في المنام فقال توكل وابشر فلم ار مثل التوكل قط ه وقال العباس بن عبد المطلب كنت اشتهي ان ارى عمر في المنام فرأيته الاعند قرب الحول فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول هذا اوان فراغي ان كاد عرشي ليهد لولا ان لقيت رؤوفاً رحيماً ولما حضرت شريح ابن عابد الثمالي الوفاة دخل عليه غضيف بن الحارث وهو يجود بنفسه فقال يا ابا الحجاج ان قدرت على ان تأتينا بعد الموت فتخبرنا بما ترى فافعل قال وكانت كلمة من له في اهل الفقه قال فمكث زماناً لا يراه ثم رآه في منامه فقال له اليس قد مت قال بلى قال فكيف حالك قال تجاوز ربنا عن الذنوب فلم يهلك منا الا الاحراض قلت وما الاحراض قال الذين يشار اليهم بالاصابع في الشيء ه وقال عبد الله بن عمر بن عبد العزيز رأيت ابي في النوم بعد موته كأنه في حديقة فدفع الي تفاحات فاولتهن الولد فقلت اي

الاعمال وجدت افضل قال الاستغفار اى بنى ❊ ورأى مسلمة بن عبد الملك عمر بن عبد العزيز بعد موته فقال يا امير المومنين ليت شعرى الى اي الحالات صرت بعد الموت قال يا مسلمة هذا اوان فراغى و الله مااسترحت الا الآن قال قلت فاين انت يا امير المومنين قال مع ائمة الهدى في جنة عدن ❊ وقال صالح البراد رأيت زرارة بن اوفى بعد موته فقلت رحمك الله ماذا قيل لك و ماذا قلت فاعرض عنى قلت فما صنع الله بك قال تفضل علي بجوده وكرمه قلت فابو العلاء بن يزيد اخو مطرف قال ذاك في الدرجات العلى قلت فاي الاعمال ابلغ فيما عندكم قال التوكل و قصر الامل ❊ وقال مالك بن دينار رأيت مسلم بن يسار بعد موته فسلمت عليه فلم يرد علي السلام فقلت ما يمنعك ان ترد السلام قال انا ميت فكيف ارد عليك السلام فقلت له ماذا لقيت بعد الموت قال لقيت والله اهوالا وزلازل عظاما شدادا قال قلت له فما كان بعد ذلك قال وما تراه يكون من الكريم قبل منا الحسنات وعفا لنا عن السيئات وضمن عنا التبعات قال ثم شهق مالك شهقة خر مغشيا عليه قال فلبث بعد ذلك اياما مريضا ثم انصدع قلبه فمات ❊ و قال سهيل اخو حزم رأيت خالد بن دينار(١) بعد موته فقلت يا ابا يحيى ليت شعرى ماذا قدمت به على الله قال قدمت بذنوب كثيرة محاها عنى حسن الظن بالله عزوجل ولما مات رجاء بن حيوة رأته امرأة عابدة فقالت يا ابا المقدام الى ما صرتم قال الى خير ولكن فزعنا بعدكم فزعة ظننا ان القيامة قد قامت

(١) هكذا في الاصل والظاهر مالك بن دينار ١٢

قالت قلت ومع ذلك قال دخل الجراح واصحابه الجنة بانقالهم حتى ازدحموا على بابها ٭ وقال جميل بن مرة كان مورق العجلي لي اخا وصديقا فقلت له ذات يوم ايانا مات قبل صاحبه فليأت صاحبه فليخبره بالذي صار اليه قال فمات مورق فرأت اهلي في منامها كأنه اتانا كما كان ياتي فقرع الباب كما كان يقرع قالت فقمت ففتحت له كما كنت افتح وقلت ادخل يا ابا المعتمر الى باب اخيك فقال كيف ادخل وقد ذقت الموت انما جئت لاعلم جميلا بما صنع الله بي اعلمه انه قد جعلني في المقربين ٭ ولما مات محمد بن سيرين حزن عليه بعض اصحابه حزنا شديدا فرآه في المنام في حال حسنة فقال يا اخي قد اراك في حال يسرني فاصنع الحسن قال رفع فوقي بسبعين درجة قلت ولم ذاك وقد كنا نرى انك افضل منه قال ذاك بطول حزنه ٭ وقال ابن عيينة رايت سفيان الثوري في النوم فقلت اوصني قال اقل من معرفة الناس ٭ وقال عمار بن سيف رأيت الحسن بن صالح في منامي فقلت قد كنت متمنيا للقائك فما عندك فتخبرنا به فقال ابشر فاني لم ار مثل حسن الظن بالله شيئا ٭ ولما مات ضيغم العابد رآه بعض اصحابه في المنام فقال اما صليت عليَّ قال فذكرت علة كانت فقال اما لو كنت صليت علي ربحت رأسك (١) ٭ ولما ماتت رابعة رأتها امرأة من اصحابها وعليها حلة استبرق وخمار من سندس وكانت كفنت في جبة وخمار من صوف فقالت لها ما فعلت الجبة التي كفنتك فيها وخمار الصوف قالت والله انه نزع عني وابدلت بهذا الذي

(١) هكذا في الاصل ولعله رامسك ـ السيد ابو بكر بن شهاب مد فيوضه

كر ين

قرن لي مطويت اكفاني وختم عليها و رفعت في عليين ليكمل لي ثوابها يوم القيامة قالت فقلت لها لهذا اكنت تعملين ايام الدنيا فقالت وما هذا عند ما رايت من كرامة الله لاوليائه فقلت لها فما فعلت عبدة بنت كلاب+ فقالت هيهات هيهات سبقتنا والله الى الدرجات العلى قالت قلت وبم وقد كنت عند الناس اعبد منها فقالت انها لم تكن تبالي على اي حال اصبحت من الدنيا او امست فقلت فما فعل ابو مالك تعني ضيغما فقالت يزور الله تبارك وتعالى متى شاء قالت قلت فما فعل بشر بن منصور قالت بخ بخ اعطي والله فوق ما كان امل قالت قلت مريني بامر اتقرب به الى الله قالت عليك بكثرة ذكر الله فيوشك ان تغتبطي بذلك في قبرك * ولما مات عبد العزيز بن سليمان العابد رآه بعض اصحابه وعليه ثياب خضر وعلى راسه اكليل من لؤلؤ فقال كيف كنت بعدنا وكيف وجدت طعم الموت وكيف رأيت الامر هناك قال اما الموت فلا تسأل عن شدة كربه وغمه الا ان رحمة الله وارت عنا كل عيب وما تلقانا الا بفضله * وقال صالح بن بشر لما مات عطاء السلمي رأيته في منامي فقلت يا ابا محمد الست في زمرة الموتى قال بلى قلت فماذا صرت اليه بعد الموت قال صرت والله الى خير كثير ورب غفور شكور قال قلت اما والله لقد كنت طويل الحزن في دار الدنيا فتبسم وقال والله لقد اعقبني ذلك راحة طويلة وفرحا دائما فقلت ففي اي الدرجات انت قال مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن اولائك رفيقا * ولما مات

+بنت ابي كلاب

عاصم الجحدري رآه بعض اهله في المنام فقال اليس قدمت قال بلى
قال فاين انت قال انا والله في روضة من رياض الجنة انا ونفر من اصحابي
نجتمع كل ليلة جمعة وصبيحتها الى بكر بن عبد الله المزني فنتلقى اخباركم
قال قلت اجسادكم ام ارواحكم قال هيهات بليت الاجساد وانما تتلاقى
الارواح * وروى الفضيل بن عياض بعد موته فقال لم ار للعبد خيرا من
ربه * وكان مرة الهمداني قد سجد حتى اكل التراب جبهته فلما مات رآه
رجل من اهله في منامه وكان موضع سجوده كهيئة الكوكب الدري
فقال ماهذا الاثر الذي ارى بوجهك قال كسي موضع السجود باكل
التراب له نورا قال قلت فما منزلتك في الآخرة قال خير منزل دار لا ينتقل
عنها اهلها ولا يموتون * وقال ابو يعقوب القاري رأيت في منامي رجلا
آدما طوالا والناس يتبعونه قلت من هذا قالوا اويس القرني فاتبعته
فقلت اوصني يرحمك الله فكلح في وجهي فقلت مسترشد فارشدني
رحمك الله فاقبل علي فقال ابتغ رحمة الله عند محبته واحذر نقمته
عند معصيته ولا تقطع رجاءك منه في خلال ذلك ثم ولى
وتركني * وقال ابن السماك رأيت مسعرا في النوم فقلت اي الاعمال
وجدت افضل قال مجالس الذكر * وقال الاجلح رأيت سلمة بن كهيل
في النوم فقلت اي الاعمال وجدت افضل قال قيام الليل * وقال ابو بكر بن
ابي مريم رأيت وفاء بن بشر بعد موته فقلت ما فعلت يا وفاء قال نجوت بعد
كل جهد قلت فاي الاعمال وجدتموها افضل قال البكاء من خشية الله

عز وجل

عزوجل* وقال الليث بن سعد عن موسى بن وردان انه رأى عبد الله بن
ابي حبيبة بعد موته فقال عرضت علي حسناتي وسيئاتي فرأيت في
حسناتي حبات رمان التقطتهن فاكلتهن ورأيت في سيئاتي خيطي حرير
كانا في قلنسوتي * وقال سعيد بن داود حدثني ابن اخي جويرية بن اسماء
قال كنا بعباذان فقدم علينا شاب من اهل الكوفة متعبد فمات بها في يوم
شديد الحر فقلت نبرد ثم ناخذ في جهازه فنمت فرأيت كاني في المقابر فاذا
بقبة جوهر تتلألأ حسنا وانا انظر اليها اذا انفلقت فاشرفت منها جارية
ما رأيت مثل حسنها اقبلت علي فقالت بالله لا تحبسه عنا الى الظهر قال
فانتبهت فزعا واخذت في جهازه وحفرت له قبرا في الموضع الذي رأيت فيه
القبة فدفنته فيه * وقال عبد الملك بن عتاب الليثي رأيت عامر بن عبد قيس
في النوم فقلت اي الاعمال وجدت افضل قال ما اريد به وجه الله عزوجل *
وقال يزيد بن هارون رأيت ابا العلاء ايوب بن مسكين في المنام فقلت
ما فعل بك ربك قال غفر لي قلت بماذا قال بالصوم والصلوة قلت
ارأيت منصور بن زاذان قال هيهات ذاك نرى قصره من بعيد* وقال
يزيد بن نعامة هلكت جارية في طاعون الجارف فلقيها ابوها بعد موتها
فقال لها يا بنية اخبريني عن الاخرة قالت يا ابت قدمنا على امر عظيم نعلم
ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة او تسبيحتان او ركعة او ركعتان
في صحيفة عملي احب الي من الدنيا وما فيها *وقال كثير بن مرة رأيت
في منامي كاني دخلت درجة علياء في الجنة فجعلت اطوف بها واتعجب

منها فاذا انا بنساء من نساء المسجد في ناحية منها اذهبت حتى سلمت عليهن ثم قلت يا بليغتي هذه الدرجة قلن بسجدات وتكبيرات * وقال مزاحم مولى عمر بن عبد العزيز * عن فاطمة بنت عبد الملك امرأة عمر بن عبد العزيز قالت انتبه عمر بن عبد العزيز ليلة فقال لقد رأيت رؤيا معجبة قالت فقلت جعلت فداك فاخبرني بها فقال ما كنت لاخبرك بها حتى اصبح فلما طلع الفجر خرج فصلى ثم عاد الى مجلسه قالت فاغتنمت خلوته فقلت اخبرني بالرؤيا التي رأيت قال رأيت كأني رفعت الى ارض خضراء واسعة كانها بساط اخضر واذا فيها قصر ابيض كانه الفضة واذا خارج قد خرج من ذلك القصر فهتف باعلى صوته يقول اين محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اين رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ اقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى دخل ذلك القصر قال ثم اذا آخر خرج من ذلك القصر فنادى اين ابو بكر الصديق اين ابن ابي قحافة اذا اقبل ابو بكر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين عمر بن الخطاب فاقبل عمر حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين عثمان بن عفان فاقبل حتى دخل ذلك القصر ثم خرج آخر فنادى اين علي بن ابي طالب فاقبل حتى دخل ذلك القصر ثم اذا آخر خرج فنادى اين عمر ابن عبد العزيز قال عمر فقمت حتى دخلت ذلك القصر قال فدفعت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والقوم حوله فقلت بيني وبين نفسي اين اجلس فجلست الى جنب ابي عمر بن الخطاب فنظرت فاذا ابو بكر

عن يمين النبي صلى الله عليه وسلم واذا عمر عن يسار فتأملت رسول الله
صلى الله عليه وسلم فاذا بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين ابي بكر
رجل فقلت من هذا الرجل الذي بين رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبين ابي بكر فقال هذا عيسى ابن مريم فسمعت هاتفا يهتف وبيني
وبينه ستر ورياعمر بن عبد العزيز تمسك بما انت عليه واثبت على ما انت
عليه ثم كانه اذن لي في الخروج فقمت فخرجت من ذلك القصر فالتفت
خلفي فاذا انا بعثمان بن عفان وهو خارج من ذلك القصر يقول الحمد لله
الذي نصرني ربي واذا علي بن ابي طالب في اثره خارج من ذلك القصر
وهو يقول الحمد لله الذي غفر لي ربي* وقال سعيد بن ابي عروبة عن
عمر بن عبد العزيز رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر جالسان
عنده فسلمت وجلست فبينا انا جالس اذ اوتي بعلي ومعاوية فادخلا
بيتا واجيف عليهما الباب وانا انظر فما كان باسرع من ان خرج علي
وهو يقول قضي لي ورب الكعبة وما كان باسرع من ان خرج معاوية
على اثره وهو يقول غفر لي ورب الكعبة وقال حماد بن ابي هاشم جاء
رجل الى عمر بن عبد العزيز فقال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
في المنام وابو بكر عن يمينه وعمر عن شماله واذا رجلان يختصمان
وانت بين يديه جالس فقال لك يا عمر اذا عملت فاعمل بعمل هذين
لابي بكر وعمر فاستحلفه عمر بالله ارأيت هذه الرؤيا فحلف فبكى عمر*
وقال عبد الرحمن بن غنم رأيت معاذ بن جبل يعدو فاتبعته ثلاث على

فرس الحق وخلفه رجال بيض عليهم ثياب خضر على خيل بلق وهو قد امهم وهو يقول ياليت قومي يعلمون بما غفرلي ربي وجعلني من المكرمين ثم التفت عن يمينه وشماله يقول ياابن رواحة ياابن مظعون الحمد لله الذي صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوء من الجنة حيث نشاء فنعم اجر العاملين ثم صافحني وسلم علي * وقال قبيصة بن عقبة رايت سفيان الثوري في المنام بعد موته فقلت ما فعل الله بك فقال *

نظرت الى ربي عيانا فقال لى * هنيأ رضائي عنك ياابن سعيد
فقد كنت قواما اذا الليل قد دجى * بعبرة محزون وقلب عميد
فدونك فاختر اي قصر تريده * وزرني فاني منك غير بعيد

وقال سفيان بن عيينة رايت سفيان الثوري بعد موته يطير في الجنة من نخلة الى شجرة ومن شجرة الى نخلة وهو يقول لمثل هذا فليعمل العاملون فقيل له بماذا دخلت الجنة قال بالورع بالورع قيل له فما فعل علي بن عاصم قال ماتراه الا مثل الكوكب * وكان شعبة بن الحجاج ومسعر بن كدام حافظين وكانا جليلين قال ابو احمد اليزيدي فرأيتهما بعد موتهما فقلت ابا بسطام ما فعل الله بك فقال وفقك الله لحفظ ما اقول

حباني الهي في الجنان بقبة * لها الف باب من لجين وجوهرا
وقال لى الرحمن ياشعبة الذى * تبحر في جمع العلوم فاكثرا
تنعم بقربي انني عنك ذو رضا * وعن عبدى القوام في الليل مسعرا
كفا مسعرا عزا بان سيزورني * واكشف عن وجهي الكريم لينظرا

وهذا فمالى بالذين تنسكوا * ولم يالفوا في سالف الدهر منكرا
وقال احمد بن محمد اللبدى رايت احمد بن حنبل في النوم فقلت يا ابا
عبد الله ما فعل الله بك قال غفر لى ثم قال يا احمد ضربت في ستين
سوطًا قلت نعم يارب قال هذا وجهى قد ابحتك فانظر اليه* وقال
ابو بكر احمد بن محمد بن الحجاج حدثنى رجل من اهل طرسوس قال
دعوت الله عز وجل ان يرينى اهل القبور حتى اسألهم عن احمد بن حنبل
ما فعل الله به فرأيت بعد عشر سنين فى المنام كان اهل القبور قد قاموا
على قبورهم فبادرونى بالكلام فقالوا ياهذا اكم تدعو الله عز وجل ان
يريك ايانا تسألنا عن رجل لم يزل منذ فارقكم تحليه الملائكة تحت شجرة
طوبى* قال ابو محمد عبد الحق وهذا الكلام من اهل القبور انما هو اخبار
عن علو درجة احمد بن حنبل وارتفاع مكانه وعظم منزلته فلم يقدروا
ان يعبروا عن صفة حاله وعن ما هو فيه الا بهذا اوما هو في معناه
وقال ابو جعفر السقاء صاحب بشر بن الحارث رأيت بشر الحافي
ومعروف الكرخى وهما جائيان فقلت من اين فقالا من جنة الفردوس
زرنا كليم الله موسى* وقال عاصم الجزرى رأيت في النوم كاني لقيت
بشر بن الحارث فقلت من اين يا ابا نصر قال من عليين قلت فما فعل
احمد بن حنبل قال تركته الساعة مع عبد الوهاب الوراق بين يدى الله
عز وجل يا كلان ويشربان قلت له فانت قال علم قلة رغبتى في الطعام
فاباحنى النظر اليه* وقال ابو جعفر السقاء رأيت بشر بن الحارث

في النوم بعد موته فقلت ابا نصر ما فعل الله قال الطفنى ورحمنى وقال لى يابشر لو سجدت لى في الدنيا على الجمر ما اديت شكر ما حشوت قلوب عبادي منك واباح لى نصف الجنة فاسرح فيها حيث شئت ووعدني ان يغفر لمن تبع جنازتي فقلت ما فعل ابو نصر التمار فقال ذاك فوق الناس بصبره على بلائه وفقره * قال عبد الحق لعله اراد بقوله نصف الجنة نصف نعيمها لان نعيمها نصفان نصف روحاني ونصف جسماني فيتنعمون اولا بالروحاني فاذا ردت الارواح الى الاجساد اضيف لهم النعيم الجسماني الى الروحاني وقال غيره نعيم الجنة مرتب على العلم والعمل وحظ بشر من العمل كان اوفى من حظه في العلم والله اعلم وقال بعض الصالحين رأيت ابابكر الشبلي في المنام وكانه قاعد فى مجلس الرصافة بالموضع الذي كان يقعد فيه واذا به قد اقبل وعليه ثياب حسان فقمت اليه وسلمت عليه وجلست بين يديه فقلت له من اقرب اصحابك اليك قال الجمهم بذكر الله واقومهم بحق الله واسرعهم مبادرة فى مرضاة الله * وقال ابو عبد الرحمن الساحلي رأيت ميسرة بن سليم في المنام بعد موته فقلت له طالت غيبتك فقال السفر طويل فقلت له فما الذي قدمت عليه فقال رخص لى لانا كنا نفتي بالرخص فقلت فما تامرني به قال اتباع الاثار وصحبة الاخيار ينجيان من النار ويقربان من الجبار * وقال ابو جعفر الضرير رأيت عيسى بن زاذان بعد موته فقلت فما فعل الله بك فانشأ يقول

لو رأيت الحسان في الخلد حولى ✿ وا كاويب معهم للشراب
يترنمن بالكتاب جميعا ✿ يتمشين مسبلات الثياب
وقال بعض اصحاب ابن جريج رايت كاني جئت الى هذه المقبرة التى بمكة فرأيت على عامتها سرادقا ورايت منها قبرا عليه سرادق وفسطاط وسدرة فجئت حتى دخلت فسلمت عليه فاذا مسلم بن خالد الزنجي فسلمت عليه وقلت يا اباخالد مابال هذه القبور عليها سرادق وقبرك عليه سرادق وفسطاط وفيه سدرة فقال انى كنت كثير الصيام فقلت فاين قبر ابن جريج واين محله فقد كنت اجالسه وانا احب ان اسلم عليه فقال هكذا بيده هيهات وادار اصبعه السبابة واين قبر ابن جريج رفعت صحيفته في عليين ورأى حماد ابن سلمة في النوم بعض اصحابه فقال له مافعل الله بك فقال قال لى طال ما كددت نفسك في الدنيا فاليوم اطيل راحتك وراحة المتعبين ✿ وهذا باب طويل جدا فان لم تسمح نفسك بتصديقه اوقلت هذه منامات وهي غير معصومة فتامل من رأى صاحباله اوقريبا وغيره فاخبره بامر لايعلمه الاصاحب الرؤيا اواخبره بمال دفنه اوحذره من امر يقع اوبشره بامر يوجد فوقع كما قال اواخبره بانه يموت هواوبعض اهله الى كذا وكذا فيقع كما اخبر اواخبره بخصب اوجدب اوعدو اونازلة او مرض اوبغرض له فوقع كما

اخبر . والواقع من ذلك لايحصيه الا الله والناس مشتركون فيه وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب وابطل من قال ان هذه كلها علوم وعقائد في النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل الدنية بالنوم و هذا عين الباطل والمحال فان النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الامور التي يخبر بها الميت ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا امارة بوجه ما ونحن لاننكر ان الامر قد يقع كذلك وان من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد بل كثير من مرائي الناس انما هي من مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق فان الرؤيا على ثلاثة انواع رؤيا من الله ورؤيا من الشيطان ورؤيا من حديث النفس والرؤيا الصحيحة اقسام * منها الهام يلقيه الله سبحانه في قلب العبد وهو كلام يكلم به الرب عبده في المنام كما قال عبادة بن الصامت وغيره ومنها مثل يضربه له ملك الرؤيا الموكل بها و منها التقاء روح النائم بارواح الموتى من اهله واقاربه واصحابه وغيرهم كما ذكرناه * ومنها عروج روحه الى الله سبحانه وخطابها له * ومنها دخول روحه الى الجنة ومشاهدتها وغير ذلك فالتقاء ارواح الاحياء والموتى نوع من انواع الرؤيا الصحيحة التي هي عند الناس من جنس المحسوسات وهذا موضع اضطرب فيه الناس فمن قائل ان العلوم كلها كامنة في النفس وانما اشتغالها بعالم الحس يحجب عنها مطالعتها فاذا تجردت بالنوم رأت منها بحسب استعدادها ولما كان تجردها بالموت اكمل

* الرؤيا على ثلاثة انواع منها الرؤيا الصحيحة ولها اقسام *

كانت

كانت علوما ومعارف فما هنالك اكمل وهذا فيه حق وباطل فلا يرد كله ولا يقبل كله فان تجرد النفس تطلعها على علوم ومعارف لا تحصل بدون التجرد لكن لو تجردت كل التجرد لم تطلع على علم الله الذى بعث به رسوله وعلى تفاصيل ما اخبر به عن الرسل الماضية والامم الخالية وتفاصيل المعاد واشراط الساعة وتفاصيل الامر والنهى والاسماء والصفات والافعال وغير ذلك مما لا يعلم الا بالوحى ولكن تجرد النفس عون لها على معرفة ذلك وتلقيه من معدنه اسهل واقرب واكثر مما يحصل للنفس المنغمسة فى الشواغل البدنية ومن قائل ان هذه المرائي علوم علقها الله فى النفس ابتداء بلا سبب وهذا قول منكرى الاسباب والحكم والقوى وهو قول مخالف للشرع والعقل والفطرة ومن قائل ان الرؤيا امثال مضروبة يضربها الله للعبد بحسب استعداده الفه على يد ملك الرؤيا فمرة يكون مثلا مضروبا ومرة يكون نفس ما رآه الرائي فيطابق الواقع مطابقة العلم لمعلومه وهذا اقرب من القولين قبله ولكن الرؤيا ليست مقصورة عليه بل لها اسباب اخر كما تقدم من ملاقاة الارواح واخبار بعضها بعضا ومن القاء الملك الذى فى القلب والروع ومن رؤية الروح للاشياء مكافحة بلا واسطة وقد ذكر ابو عبد الله بن مندة الحافظ فى (كتاب النفس والروح) من حديث محمد بن حميد ثنا عبد الرحمن بن مغرا الدوسى ثنا الازهر بن عبد الله الازدى عن محمد بن عجلان عن سالم بن عبد الله

عن ابيه قال لقي عمر بن الخطاب علي بن ابي طالب فقال له يا ابا الحسن
ربما شهدت وغبنا وشهدنا وغبت ثلاث اسألك عنهن فهل عندك
منهن علم فقال علي بن ابي طالب وما هن فقال الرجل يحب الرجل
ولم ير منه خيرا والرجل يبغض الرجل ولم ير منه شرا فقال علي نعم
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الارواح جنود مجندة
تلتقي في الهواء فتشام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فقال
عمر واحدة قال عمر والرجل يحدث الحديث اذ نسيه فبينا هو وما
نسيه اذ ذكره فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
ما في القلوب قلب الا وله سحابة كسحابة القمر بينا القمر مضيء اذ تجللته
سحابة فاظلم اذ تجلت عنه فاضاء وبينا القلب يتحدث اذ تجللته سحابة فنسي
اذ تجلت عنه فيذكر قال عمر اثنتان قال والرجل يرى الرؤيا فمنها
ما يصدق ومنها ما يكذب فقال نعم سمعت رسول الله صلى الله عليه
وسلم يقول ما من عبد ينام فيمتلئ نوما الا عرج بروحه الى العرش
فالذي لا يستيقظ دون العرش فتلك الرؤيا التي تصدق والذي يستيقظ
دون العرش فهي التي تكذب فقال عمر ثلاث كنت في طلبهن
فالحمد لله الذي اصبتهن قبل الموت وقال بقية بن الوليد حدثنا صفوان
بن عمرو عن سليم بن عامر الحضرمي قال قال عمر بن الخطاب
عجبت لرؤيا الرجل يرى الشيء لم يخطر له على بال فيكون كاخذ
بيد ويرى الشيء فلا يكون شيئا فقال علي بن ابي طالب يا امير المؤمنين

يقول الله عزوجل الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى قال والارواح يعرج بها في منامها فما رأت وهي في السماء فهو الحق فاذا ردت الى اجسادها تلقتها الشياطين في الهواء فكذبتها فما رأت من ذلك فهو الباطل قال فجعل عمر يتعجب من قول علي قال ابن مندة هذا خبر مشهور عن صفوان بن عمرو وغيره وروي عن ابي الدرداء وذكر الطبراني من حديث علي بن ابي طلحة ان عبد الله بن عباس قال لعمر بن الخطاب يا امير المومنين اشياء اسألك عنها قال سل عما شئت قال يا امير المومنين مم يذكر الرجل ومم ينسى ومم تصدق الرؤيا ومم تكذب فقال له عمر ان على القلب طخاوة كطخاوة القمر فاذا تغشت القلب نسي ابن ادم فاذا انجلت ذكر ما كان نسي واما مم تصدق الرؤيا ومم تكذب فان الله عزوجل يقول الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فمن دخل منها في ملكوت السماء فهي التي تصدق وما كان منها دون ملكوت السماء فهي التي تكذب * وروى ابن لهيعة عن عثمان بن نعيم الرعيني عن ابي عثمان الاصبحي عن ابي الدرداء قال اذا نام الانسان عرج بروحه حتى يؤتى بها العرش فان كان طاهرا اذن لها بالسجود وان كان جنبا لم يؤذن لها بالسجود * وروى جعفر بن عون عن ابراهيم الهجري عن ابي الاحوص عن عبد الله بن مسعود انه قال ان الارواح جنود مجندة تلاقى فتشام كما تشام الخيل فما تعارف منها ائتلف

كيف التقى روح النائم روح اليقظان

وماتنا كرمنها اختلف * ولم تزل الناس قديما وحديثا تعرف هذا وتشاهده

قال جميل بن معمر العذري *

اظل نهاري مستها ما وتلتقى * مع الليل روحي في المنام وروحها

* فان قيل * فالنائم يرى غيره من الاحياء يحدثه ويخاطبه وربما كان بينهما مسافة بعيدة ويكون المرئي يقظان روحه لم تفارق جسده فكيف التقت روحاهما * قيل * هذا اما ان يكون مثلا مضروبا ضربه ملك الرؤيا للنائم او يكون حديث نفس من الرائي تجرد له في منامه كما قال حبيب بن اوس *

سقيا لطيفك من زور اتاك به * حديث نفسك عنه وهو مشغول

وقد تناسب الروحان وتشتد علاقة احداهما بالاخرى فيشعر كل منهما ببعض ما يحدث لصاحبه وان لم يشعر بما يحدث لغيره لشدة العلاقة بينهما وقد شاهد الناس من ذلك عجائب والمقصود ان ارواح الاحياء تلاقى في النوم كما تتلاقى ارواح الاحياء والاموات قال بعض السلف ان الارواح تتلاقى في الهواء فتتعارف او تتذاكر فياتيها ملك الرؤيا بما هو لاقيها من خير او شر قال وقد وكل الله بالرؤيا الصادقة ملكا علمه والهمه معرفة كل نفس بعينها واسمها ومتقلبها في دينها ودنياها وطبعها ومعارفها لا يشتبه عليه منها شيء ولا يغلط فيها فياتيه نسخة من علم غيب الله من ام الكتاب بما هو مصيب لهذا الانسان من خير وشر في دينه ودنياه ويضرب له فيها الامثال والاشكال على قدر عادته فتارة يبشره

بخير قدمه او يقدمه و ينذره من معصية ارتكبها او هم بها او يحذره من مكروه
انعقدت اسبابه ليعارض تلك الاسباب باسباب تدفعها او لغير ذلك
من الحكم والمصالح التى جعلها الله في الرؤيا نعمة منه ورحمة واحسانا
و تذكيرا و تعريفا و جعل احد طرق ذلك تلاقى الارواح و تذاكرها
و تعارفها و كم من كانت توبته وصلاحه و زهده واقباله على الآخرة عن
منام رآه او رؤي له و كم من استغنى و اصاب كنزا او دفينا عن منام وفى
(كتاب المجالسة) لابي بكر احمد بن مروان المالكي عن ابن قتيبة عن ابي حاتم
عن الاصمعي عن المعتمر بن سليمان عن من حدثه قال خرجنا مرة في سفر
وكنا ثلاثة نفر فنام احد نا فرأينا مثل المصباح خرج من انفه فدخل
غارا قريبا منه ثم رجع فدخل انفه فاستيقظ يمسح وجهه و قال رأيت
عجبا رأيت في هذا الغار كذا و كذا فدخلناه فوجدنا فيه بقية من كنز كان *
وهذا عبد المطلب دل في النوم على زمزم واصاب الكنز الذى كان هناك
وهذا عمير بن وهب اتي في منامه فقيل له قم الى موضع كذا وكذا من
البيت فاحفره تجد مال ابيك وكان ابوه قد دفن مالا و مات ولم يوص
به فقام عمير من نومه فاحتفر حيث امره فاصاب عشرة الاف درهم
وتبرا كثيرا فقضى دينه و حسن حاله و حال اهل بيته وكان ذلك
عقيب اسلامه فقالت له الصغرى من بناته يا ابت ربنا هذا الذى حبانا
بدينه خير من هبل والعزى ولولا انه كذلك ما ورثك هذا المال وانما
عبدته اياما فلا تل * قال على بن ابي طالب القيروانى العابر وما حدث عمير

هذ او استخراجه المال بالمنام باعجب ماكان عندناوشاهدناه في عصرنا
بمدينتنا من ابي محمد عبد الله البغانشي وكان رجلا صالحا مشهورا برؤية
الاموات وسؤالهم عن الغائبات ونقله ذلك الى اهلهم وقراباتهم
حتى اشتهر بذلك وكثر منه فكان المرأ يأتيه فيشكو اليه ان حميمه
قدمات من غير وصية وله مال لايهتدى مكانه فيعده خيرا ويدعو
الله تعالى في ليلته فيترايا له الميت الموصوف فيسأله عن الامر فيخبره به فمن
نوادره ان امرأة عجوزا من الصالحات توفيت ولامرأة عندها سبعة
دنانير وديعة فجاءت اليه صاحبة الوديعة وشكت اليه مانزل بها واخبرته
باسمها واسم الميتة صاحبتها ثم عادت اليه من الغد فقال لها تقول لك
فلانة عدى من سقف بيتى سبع خشبات تجدى الدنانير في السابعة
في خرقة صوف ففعلت ذلك فوجدتها كما وصف لها قال واخبرني
رجل لا اظن به كذبا قال استاجرتني امرأة من اهل
الدنيا على هدم دارلها وبنائها بمال معلوم فلما اخذت في الهدم
لزمت الفعلة هي ومن معها فقلت مالك قالت والله مالى الى هدم
هذه الدار من حاجة لكن ابي مات وكان ذا يسار كثير فلم نجد له
كثير شئ فظننت ان ماله مدفون فعمدت الى هدم الدار لعلى اجد شيئا فقال
لها بعض من حضرنا لقد فاتك ماهو اهون عليك من هذا قالت وماهو
قال فلان تمضين اليه وتسالينه ان يبيت قصتك الليلة فلعله يرى
اباك فيدلك على مكان ماله بلا تعب ولا كلفة فذهبت اليه ثم عادت الينا

فزعمت انه كتب اسمها واسم ابيها عنده فلما كان من الغد بكرت الى العمل
وجاءت المرأة من عند الرجل فقالت ان الرجل قال لى رأيت اباك
وهو يقول المال في الحنية قال فجعلنا نحفر تحت الحنية وفي جوانبها حتى
لاح لى شق واذا المال فيه قال فاخذتنا في التعجب والمرأة تستخف
بما وجدت وتقول مال ابي كان اكثر من هذا ولكني اعود اليه فمضت
فاعلمته ثم سألته المعاودة فلما كان من الغد اتت وقالت انه قال لها ان
اباك يقول لك احفرى تحت الجابية المربعة التي في مخزن الزيت قال
ففتحت المخزن فاذا بجابية مربعة في الركن فازلناها وحفرنا تحتها فوجدنا
كوزا كبيرا فاخذته ثم دام بها الطمع في المعاودة ففعلت فرجعت من
عنده وعليها الكآبة فقالت زعم انه رآه وهو يقول له قد اخذت
ما قدر لها واما ما بقى فقد جلس عليه عفريت من الجن يحرسه الى من
قدر له * والحكايات في هذا الباب كثيرة جدا واما من حصل له الشفاء
باستعمال دواء اراه من وصفه له في منامه فكثير جدا وقد حدثني
غير واحد ممن كان غير مائل الى شيخ الاسلام ابن تيمية انه رآه بعد موته
وسأله عن شيء كان يشكل عليه من مسائل الفرائض وغيرها فاجابه
بالصواب وبالجملة فهذا امر لا ينكره الا من هو اجهل الناس بالارواح
واحكامها وشانها وبالله التوفيق *

﴿ جلوس العفريت على المال ﴾

﴿ المسئلة الرابعة ان الروح هل تموت ام الموت للبدن وحده ﴾

﴿ فصل ﴾ • • • ﴿ واما المسئلة الرابعة وهي ان الروح هل تموت ام الموت للبدن وحده ﴾

فقد اختلف الناس في هذا فقالت طائفة تموت وتذوق الموت لانها نفس وكل نفس ذائقة الموت قالوا وقد دلت الادلة على انه لا يبقى الا الله وحده • قال تعالى كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام • وقال تعالى كل شيء هالك الا وجهه • قالوا واذا كانت الملائكة تموت فالنفوس البشرية اولى بالموت قالوا وقد قال تعالى عن اهل النار انهم قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين • فالموتة الاولى هذه المشهودة وهي للبدن والاخرى للروح وقال اخرون لا تموت الارواح فانها خلقت للبقاء وانما تموت الابدان قالوا وقد دلت على هذا الاحاديث الدالة على نعيم الارواح وعذابها بعد المفارقة الى ان يرجعها الله في اجسادها ولو ماتت الارواح لانقطع عنها النعيم والعذاب وقد قال تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما اتاهم الله من فضله ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من خلفهم • هذا مع القطع بان ارواحهم قد فارقت اجسادهم وقد ذاقت الموت والصواب ان يقال موت النفوس هو مفارقتها لاجسادها وخروجها منها فان اريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت وان اريد انها تعدم وتضمحل وتصير عدما محضا فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم

او في عذاب كما سيأتي ان شاء الله تعالى بعد هذا وكما صرح به النص انها
كذلك حتى يرد ها الله في جسد ها وقد نظم احمد بن الحسين الكندي
هذا الاختلاف في قوله*

تنازع الناس حتى لا اتفاق لهم * الا على شجب والخلف في الشجب
فقيل تخلص نفس المرء سالمة * وقيل تشرك جسم المرء في العطب

فان قيل فعند النفخ في الصور هل تبقى الارواح حية كما هي او تموت
ثم تحيى* قيل* قد قال تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات
ومن في الارض الا من شاء الله* فقد استثنى الله سبحانه بعض من في
السموات ومن في الارض من هذا الصعق فقيل هم الشهداء هذا
قول ابي هريرة وابن عباس وسعيد بن جبير وقيل هم جبرئيل
وميكائيل واسرافيل وملك الموت وهذا قول مقاتل وغيره وقيل
هم الذين في الجنة من الحور العين وغيرهم ومن في النار من اهل العذاب
وخزنتها قاله ابو اسحق بن شاقلا من اصحابنا وقد نص الامام احمد
على ان الحور العين والولدان لا يمتن عند النفخ في الصور وقد اخبر
سبحانه ان اهل الجنة لا يذوقون فيها الموت الا الموتة الاولى وهذا
نص على انهم لا يموتون غير تلك الموتة الاولى فلو ماتوا مرة ثانية
لكانت موتتان واما قول اهل النار ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين
فتفسير هذه الاية الاية التي في البقرة وهي قوله تعالى كيف تكفرون بالله
وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم* فكانوا امواتا وهم نطف في

ان الله تعالى يرد عليهم ارواحهم فيحيون ثم اجسادهم بعد ذلك ثم اماتتهم ثم
يحييهم يوم النشور وليس في ذلك اماتة ارواحهم قبل يوم القيامة
والذي ثلاث موتات وصعق الارواح عند النفخ في الصور لا يلزم
منه موتها وفي الحديث الصحيح ان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون
اول من يفيق فاذا موسى آخذ بقائمة العرش فلا ادري افاق قبلي ام
جوزي بصعقة يوم الطور وهذا صعق في موقف القيامة اذا جاء الله
لفصل القضاء واشرقت الارض بنوره فحينئذ تصعق الخلائق كلهم
قال تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون ولو كان
هذا الصعق موتا كانت موتة اخرى وقد تنبه لهذا جماعة من الفضلاء
فقال ابو عبد الله القرطبي ظاهر هذا الحديث ان هذه صعقة
غشي تكون يوم القيامة لا صعقة الموت الحادثة عن نفخ الصور قال
وقد قال شيخنا احمد بن عمر ظاهر حديث النبي صلى الله عليه
وسلم يدل على ان هذه الصعقة انما هي بعد النفخة الثانية نفخة
البعث ونص القرآن يقتضي ان ذلك الاستثناء انما هو بعد نفخة
الصعق ولما كان هذا قال بعض العلماء يحتمل ان يكون موسى ممن لم يمت من
الانبياء وهذا باطل وقال القاضي عياض يحتمل ان يكون المراد بهذه
صعقة فزع بعد النشور حين تنشق السموات والارض قال فتستقل
الاحاديث والآثار ورد عليه ابو العباس القرطبي فقال يرد هذا
قوله في الحديث الصحيح انه حين يخرج من قبره يلقى موسى آخذا بقائمة

[illegible] الناس يصعقون يوم القيامة [illegible] فاذا موسى آخذ بقائمة العرش [illegible]

العرش قال وهذا انما هو عند نفخة الفزع قال ابو عبد الله وقال شيخنا احمد بن عمر والذي يزيح هذا الاشكال ان شاء الله ان الموت ليس بعدم محض وانما هو انتقال من حال الى حال ويدل على ذلك ان الشهداء بعد قتلهم وموتهم احياء عند ربهم يرزقون فرحين مستبشرين وهذه صفة الاحياء في الدنيا واذا كان هذا في الشهداء كان الانبياء بذلك احق واولى مع انه قد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الارض لا تاكل اجساد الانبياء وانه صلى الله عليه وسلم اجتمع بالانبياء ليلة الاسراء في بيت المقدس وفي السماء خصوصا بموسى وقد اخبر بانه ما من مسلم يسلم عليه الارد الله عليه روحه حتي يرد عليه السلام الى غير ذلك مما يحصل من جملته القطع بان موت الانبياء انما هو راجع الى ان غيبوا عنا بحيث لا ندركهم وان كانوا موجودين احياء وذلك كالحال في الملائكة فانهم احياء موجودون ولا نراهم واذا تقرر انهم احياء فاذا نفخ في الصور نفخة الصعق صعق كل من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله فاما صعق غير الانبياء فموت واما صعق الانبياء فالاظهر انه غشية فاذا نفخ في الصور نفخة البعث فمن مات حيي ومن غشي عليه افاق ولذلك قال صلى الله عليه وسلم في الحديث المتفق على صحته فاكون اول من يفيق فنبينا اول من يخرج من قبره قبل جميع الناس الا موسى فانه حصل فيه تردد هل بعث قبله من غشيته او بقي على الحالة التي كان عليها قبل نفخة الصعق

ميقا لانه حوسب بصعقة يوم الطور وهذه فضيلة عظيمة لموسى
ولا يلزم من فضيلة واحدة افضليته على نبينا مطلقا لان الشيء الجزئي
لا يوجب امرا كليا انتهى قال ابو عبد الله القرطبي ان حمل الحديث
على صعقة الخلق يوم القيامة فلا اشكال وان حمل على صعقة الموت
عند النفخ في الصور فيكون ذكر يوم القيامة يراد به اوائله فالمعنى
اذ انفخ في الصور نفخة البعث كنت اول من يرفع راسه فاذا موسى
آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة
الطور قلت وحمل الحديث على هذا لا يصح لانه صلى الله عليه وسلم
تردد هل افاق موسى قبله ام لم يصعق بل جوزي بصعقة الطور فالمعنى
لا ادري اصعق ام لم يصعق وقد قال في الحديث فاكون اول من يفيق
وهذا يدل على انه صلى الله عليه وسلم يصعق فيمن يصعق وان التردد حصل
في موسى هل صعق وافاق قبله من صعقته ام لم يصعق ولو كان المراد به
الصعقة الاولى وهي صعقة الموت لكان صلى الله عليه وسلم قد جزم بموته
وتردد هل مات موسى ام لم يمت وهذا باطل لوجوه كثيرة فعلم
انها صعقة فزع لا صعقة موت وحينئذ فلا تدل الآية على ان
الارواح كلها تموت عند النفخة الاولى نعم تدل على ان موت
الخلائق عند النفخة الاولى وكل من لم يذق الموت قبلها فانه يذوقه
حينئذ واما من ذاق الموت او من لم يكتب عليه الموت فلا تدل الآية
على انه يموت موتة ثانية والله اعلم فان قيل فكيف تصنعون بقوله

في الحديث ان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من تنشق عنه الارض فاجد موسى باطشا بقائمة العرش * قيل * لاريب ان هذا اللفظ قد ورد هكذا ومنه نشأ الاشكال ولكنه دخل فيه على الراوي حديث في حديث فركب بين اللفظين فجاء هذا والحديثان هكذا * احدهما ان الناس يصعقون يوم القيامة فاكون اول من يفيق * والثاني هكذا انا اول من تنشق عنه الارض يوم القيامة * في الترمذي وغيره من حديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح فدخل على الراوي هذا الحديث في الحديث الاخر وكان شيخنا ابو الحجاج الحافظ يقول ذلك * فان قيل * فالصعقون بقوله فلا ادري افاق قبلي ام كان ممن استثنى الله عز وجل والذين استثناهم الله انما هم مستثنون من صعقة النفخة لا من صعقة يوم القيامة كما قال الله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض الا من شاء الله * ولم يقع الاستثناء من صعقة الخلائق يوم القيامة * قيل * هذا والله اعلم غير محفوظ وهو وهم من بعض الرواة والمحفوظ ما تواطأت الروايات الصحيحة من قوله فلا ادري افاق قبلي ام جوزي بصعقة الطور فظن بعض الرواة ان هذه الصعقة هي صعقة النفخة وان موسى داخل فيمن استثنى منها وهذا لا يلتئم على مساق

الحديث قطعافان الافاقة حينئذ هي افاقة البعث فكيف يقول لا ادرى ابعث قبلى ام جوزى بصعقة الطور فتامله وهذا بخلاف الصعقة التى يصعقها الخلائق يوم القيامة اذا جاء الله سبحانه لفصل القضاء بين العباد وتجلى لهم فانهم يصعقون جميعا واما موسى صلى الله عليه وسلم فان كان لم يصعق معهم فيكون قد حوسب بصعقته يوم تجلى ربه للجبل فجعله دكا فجعلت صعقة هذا التجلى عوضا من صعقة الخلائق لتجلى الرب يوم القيامة فتامل هذا المعنى العظيم ولو لم يكن في الجواب الا كشف هذا الحديث وشانه لكان حقيقا ان يعض عليه بالنواجذ ولله الحمد والمنة وبه التوفيق

فصل * * * واما المسئلة الخامسة وهي ان الارواح بعد مفارقة الابدان اذا تجردت باى شئ يتميز بعضها من بعض حتى تتعارف وتتلاقى وهل تتشكل اذا تجردت بشكل بدنها الذى كانت فيه وتلبس صورته ام كيف يكون حالها

المسئلة الخامسة وهي ان الارواح بعد مفارقة الاجسام الخ

فهذه مسئلة لا تكاد تجد من تكلم فيها ولا يظفر فيها من كتب الناس بطائل ولا غير طائل ولا سيما على اصول من يقول بانها مجردة عن المادة وعلائقها وليست بداخل العالم ولا خارجه ولا لها شكل ولا قدر ولا شخص فهذا السوال على اصولهم مما لا جواب لهم عنه وكذلك من يقول هي عرض من اعراض البدن فتميزها عن غيرها مشروط بقيامها ببدنها فلا تميز لها بعد الموت بل لا وجود لها على اصولهم بل تعدم وتبطل باضمحلال البدن كما

يبطل سائر صفات الحي ولا يمكن جواب هذه المسئلة الاعلى اصول اهل السنة
التي تظاهرت عليها ادلة القرآن والسنة والاثار والاعتبار والعقل
والقول انها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل وتخرج
وتذهب وتجئ وتتحرك وتسكن وعلى هذا اكثر من مائة دليل
قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة الروح والنفس) وبينا بطلان
ما خالف هذا القول من وجوه كثيرة وان من قال غيره لم يعرف
نفسه وقد وصفها الله سبحانه وتعالى بالدخول والخروج والقبض
والتوفي والرجوع وصعودها الى السماء وفتح ابوابها لها وغلقها عنها
فقال تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا
ايديهم اخرجوا انفسكم * وقال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * وهذا
يقال لها عند المفارقة للجسد وقال تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها
وتقواها * فاخبر انه سوى النفس كما اخبر انه سوى البدن في قوله
الذي خلقك فسواك فعدلك * فهو سبحانه سوى نفس الانسان
كما سوى بدنه بل سوى بدنه كالقالب لنفسه فتسوية البدن تابع
لتسوية النفس والبدن موضوع لها كالقالب لما هو موضوع له ومن
ههنا يعلم انها تاخذ من بدنها صورة تتميز بها عن غيرها فانها تتأثر وتنتقل
عن البدن كما يتأثر البدن وينتقل منها فيكتسب البدن الطيب والخبث
من طيب النفس وخبثها وتكتسب النفس الطيب والخبث من طيب

البدن وخبثه فاشد الاشياء ارتباطا وتناسبا وتفاعلا وتأثرا من احدهما بالاخر الروح والبدن ولهذا يقال لها عند المفارقة اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب واخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث وقال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى * فوصفها بالتوفي والامساك والارسال كما وصفها بالدخول والخروج والرجوع والتسوية وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان بصر الميت يتبع نفسه اذا قبضت * واخبر ان الملك يقبضها فتاخذها الملائكة من يده فيوجد لها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض او كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض * والاعراض لاريح لها ولا تمسك ولا توخذ من يد الى يد واخبرانها تصعد الى السماء ويصلي عليها كل ملك لله بين السماء والارض وانها تفتح لها ابواب السماء فتصعد من سماء الى سماء حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل فتوقف بين يديه ويامر × بكتابة اسمه في ديوان اهل عليين او ديوان اهل سجين ثم ترد الى الارض وان روح الكافر تطرح طرحا وانها تدخل مع البدن في قبره للسوال * وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم بان نسمة المؤمن وهي روحه طائر يعلق في شجر الجنة حتى يردها الله الى جسدها * واخبر ان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها * واخبر ان الروح

× يومر

تمم

تنعم وتعذب في البرزخ الى يوم القيامة وقد اخبر سبحانه عن
ارواح قوم فرعون انها تعرض على النار غدوا وعشيا قبل يوم
القيامة وقد اخبر سبحانه عن الشهداء بانهم احياء عند ربهم يرزقون
وهذه حياة ارواحهم ورزقها دارا والا فالابدان قد تمزقت وقد
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الحياة بان ارواحهم
في جوف طير خضر لها قناديل معلقة بالعرش تسرح من الجنة حيث
شاءت ثم تأوى الى تلك القناديل فاطلع اليهم ربهم اطلاعة فقال على
تشتهون شيئا قالوا اي شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا
ففعل بهم ذلك ثلاث مرات فلما رأوا انهم لن يتركوا من ان يسئلوا
قالوا نريد ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى*
وصح عنه صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء في طير خضر تعلق
من ثمر الجنة* وتعلق بضم اللام اى تاكل العلقة وقال ابن عباس قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم باحد جعل الله
ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتاكل من ثمارها
وتأوى الى قناديل من ذهب في ظل العرش فلما وجدوا طيب مشربهم
وماكلهم وحسن مقيلهم قالوا يا ليت اخواننا يعلمون ما صنع الله لنا
لئلا يزهدوا في الجهاد ولا ينكلوا عن الحرب فقال الله عز وجل انا
ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن
الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون الايات

رواه الامام احمد وهذا صريح في اكلها وشربها وحركتها وانتقالها وكلامها وسيأتي مزيد تقرير لذلك عن قريب ان شاء الله تعالى واذا كان هذا شان الارواح فتميزها بعد المفارقة يكون اظهر من تميز الابدان والاشتباه بينها ابعد من اشتباه الابدان فان الابدان تشتبه كثيرا واما الارواح فقل ما تشتبه يوضح هذا انا لم نشاهد ابدان الانبياء والصحابة والائمة وهم متميزون في علمنا اظهر تميز وليس ذلك التميز راجعا الى مجرد ابدانهم وان ذكر لنا من صفات ابدانهم ما يختص به احدهم عن الآخر بل التميز الذي عندنا بما علمناه وعرفناه من صفات ارواحهم وما قام بها وتميز الروح عن الروح بصفاتها اعظم من تميز البدن عن البدن بصفاته الا ترى ان بدن المومن والكافر قد يشتبهان كثيرا وبين روحيهما اعظم التباين والتميز وانت ترى اخوين شقيقين مشتبهين في الخلقة غاية الاشتباه وبين روحيهما غاية التباين فاذا تجردت هاتان الروحان كان تميزها في غاية الظهور واخبرك بامر اذا تأملت احوال الانفس والابدان شاهدته عيانا فقل ان ترى بدنا قبيحا وشكلا شنيعا الا وجدته مركبا على نفس تشاكله وتناسبه وقل ان ترى آفة في بدن الا وفي روح صاحبه آفة تناسبها ولهذا انما اخذ اصحاب الفراسة احوال النفوس من اشكال الابدان واحوالها فقل ان يخطئ ذلك ويحكى عن الشافعي رح في ذلك عجائب وقل ان ترى شكلا حسنا وصورة جميلة وتركيبا لطيفا الا وجدت الروح المتعلقة به مناسبة له هذا ما لم يعارض ذلك

مايوجب خلافه من تعلم وتدرب واعتياد واذا كانت الارواح العلوية وهم الملائكة متميز بعضهم عن بعض من غير اجسام تحملهم وكذلك الجن فتميز الارواح البشرية اولى

فصل * * * * واما المسئلة السادسة وهي ان الروح هل تعاد الى الميت في قبره وقت السوال ام لا تعاد

فقد كفانا رسول الله صلى الله عليه وسلم امر هذه المسئلة واغنانا عن اقوال الناس حيث صرح باعادة الروح اليه فقال البراء بن عازب كنا في جنازة في بقيع الغرقد فاتانا النبي صلى الله عليه وسلم فقعد وقعدنا حوله كان على رؤسنا الطير وهو يلحد له فقال اعوذ بالله من عذاب القبر ثلاث مرات ثم قال ان العبد اذا كان في اقبال من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزلت اليه ملائكة كان وجوههم الشمس فيجلسون منه مد البصر ثم يجئ ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول ايتها النفس الطيبة اخرجي الى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء فياخذها فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى ياخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وذلك الحنوط ويخرج منها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض قال فيصعدون بها فلا يمرون بها يعني على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان ابن فلان باحسن اسمائه التي كانوا يسمونه في الدنيا حتى ينتهوا بها الى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح له

المسئلة السادسة ان الروح هل تعاد الى الميت في قبره وقت السوال ام لا

يشيعه من كل سماء مقربوها الى السماء التي تليها حتى ينتهى بها الى
السماء التي فيها الله تعالى فيقول الله عز وجل اكتبوا كتاب عبدي في عليين
واعيدوه الى الارض فاني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم
تارة اخرى قال فتعاد روحه في جسده فياتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له
من ربك فيقول ربي الله فيقولان له ما دينك فيقول ديني الاسلام
فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هو رسول الله فيقولان له
وما علمك به فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادي مناد
من السماء ان صدق عبدي فافرشوه من الجنة وافتحوا له بابا من الجنة قال
فياتيه من ريحها وطيبها ويفسح له في قبره مد بصره قال ويأتيه رجل
حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك
هذا يومك الذي كنت توعد فيقول له من انت فوجهك الوجه الذي
يجيء بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة حتى
ارجع الى اهلي ومالي قال وان العبد الكافر اذا كان في انقطاع من الدنيا
واقبال من الاخرة نزل اليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم
المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند
رأسه فيقول ايتها النفس الخبيثة اخرجي الى سخط من الله وغضب قال
فتفرق في جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها
فاذا اخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح
ويخرج منها كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض فيصعدون بها

فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الريح الخبيث فيقولون فلان ابن فلان باقبح اسمائه التي كان يسمى بها في الدنيا حتى ينتهي به الى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تفتح لهم ابواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط * فيقول الله عز وجل اكتبوا كتابه في سجين في الارض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوي به الريح في مكان سحيق * فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا ادري فيقولان له ما هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول هاه هاه لا ادري فينادي مناد من السماء ان كذب عبدي فافرشوه من النار وافتحوا له بابا الى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه اضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول ابشر بالذي يسوءك هذا يومك الذي كنت توعد فيقول من انت فوجهك الوجه الذي يجيء بالشر فيقول انا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة رواه الامام احمد وابو داود * وروى النسائي وابن ماجة اوله ورواه ابو عوانة الاسفرائيني في صحيحه وذهب الى القول بموجب هذا الحديث جميع اهل السنة والحديث من سائر الطوائف وقال ابو محمد بن حزم في كتاب الملل والنحل له واما من ظن ان الميت يحيى في قبره قبل يوم القيامة فخطأ لان الايات

اتى ذكرناها ثم من ذلك يعني قوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين واحييتنا اثنتين * وقوله تعالى وكيف تكفرون بالله وكنتم امواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم * قال ولو كان الميت يحيى في قبره لكان تعالى قد اماتنا ثلاثا واحيانا ثلاثا وهذا باطل وخلاف القران الامن احياه الله تعالى اية لنبي من الانبياء والذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم والذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها ومن خصه نص وكذلك قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت فى منامها فيمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى * فصح بنص القران ان ارواح سائر من ذكرنا لا ترجع الى جسده الا الى الاجل المسمى وهو يوم القيامة وكذلك اخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى الارواح ليلة اسري به عند سماء الدنيا عن يمين ادم ارواح اهل السعادة وعن شماله ارواح اهل الشقاوة واخبر يوم بدر اذ خاطب الموتى انهم قد سمعوا قوله قبل ان تكون لهم قبور ولم ينكر على الصحابة قولهم قد جيفوا واعلم انهم سامعون قوله مع ذلك فصح ان الخطاب والسماع لارواحهم فقط بلا شك واما الجسد فلاحس له وقد قال تعالى وما انت بمسمع من في القبور فنفى السمع عن من فى القبور وهى الاجساد بلا شك ولا يشك مسلم ان الذى نفى الله عزوجل عنه السمع هو غير الذى اثبت له رسول الله صلى الله عليه وسلم السمع قال ولم يات قط عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خبر صحيح ان ارواح الموتى ترد الى

اجساد

اجسادهم عند المسئلة ولو صح ذلك عنه لقلنا به قال وانما انفرد بهذه الزيادة
من رد الارواح في القبور الى الاجساد المنهال بن عمرو وحده وليس
بالقوي تركه شعبة وغيره وقال فيه المغيرة بن مقسم الضبي وهو
احد الائمة ماجازت للمنهال بن عمر وقط شهادة في الاسلام على
ماقد نقل وسائر الاخبار الثابته على خلاف ذلك قال وهذا الذى
قلناه والذى صح ايضا عن الصحابة ثم ذكر من طريق ابن عيينة عن منصور
ابن صفية عن امه صفية بنت شيبة قالت دخل ابن عمر المسجد فابصر ابن
الزبير مطروحا قبل ان يقبر فقيل له هذه اسماء بنت ابى بكر الصديق
فمال ابن عمر اليها فعزاها وقال ان هذه الجثث ليست بشئ وان
الارواح عند الله فقالت امه وما يمنعني وقد اهدى راس يحيى بن زكريا الى
بغى من بغايا بني اسرائيل * قلت * ماذكره ابو محمد فيه حق وباطل اما
قوله من ظن ان الميت يحيى في قبره فخطأ فهذا فيه اجمال ان اراد به
الحياة المعهودة في الدنيا التى تقوم فيها الروح بالبدن وتدبره وتصرفه
ويحتاج معها الى الطعام والشراب واللباس فهذا خطأ كما قال والحس
والعقل يكذبه كما يكذبه النص وان اراد به حياة اخرى غير هذه الحياة
بل تعاد الروح اليه اعادة غير الاعادة المالوفة فى الدنيا ليسئل ويمتحن
في قبره فهذا حق ونفيه خطأ وقد دل عليه النص الصحيح الصريح وهو قوله
صلى الله عليه وسلم فتعاد روحه فى جسده وسنذكر الجواب عن تضعيفه
للحديث ان شاء الله تعالى واما استدلاله بقوله تعالى قالوا ربنا امتنا اثنتين

و احييتنا اثنتين * فلا ينفي ثبوت هذه الاعادة العارضة للروح في الجسد
كما ان قتيل بني اسرائيل الذي احياه الله بعد قتله ثم اماته لم تكن تلك الحياة
العارضة له للمسألة ممتد ابها فانه حيي لحظة بحيث قال فلان قتلني ثم خر ميتا
على ان قوله ثم تعاد روحه في جسده لا يدل على حياة مستقرة وانما يدل على
اعادة لها الى البدن وتعلق به والروح لم تزل متعلقة ببدنها وان بلي وتمزق وسر
ذلك ان الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق متغايرة الاحكام
* احدها * تعلقها به في بطن الام جنينا * الثاني * تعلقها به بعد خروجه الى وجه
الارض * الثالث * تعلقها به في حال النوم فلها به تعلق من وجه ومفارقة
من وجه * الرابع * تعلقها به في البرزخ فانها وان فارقته وتجردت عنه
فانها لم تفارقه فراقا كليا بحيث لا يبقى لها التفات اليه البتة وقد ذكرنا في
اول الجواب من الاحاديث والاثار ما يدل على ردها اليه وقت
سلام المسلم وهذا الرد اعادة خاصة لا يوجب حياة البدن قبل
يوم القيامة * الخامس * تعلقها به يوم بعث الاجساد وهو اكمل انواع تعلقها
بالبدن ولا نسبة لما قبله من انواع التعلق اليه اذ هو تعلق لا يقبل البدن
معه موتا ولا نوما ولا فسادا واما قوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى
اجل مسمى * فامساكه سبحانه التي قضى عليها الموت لا ينافي ردها الى
جسدها الميت في وقت ما ردا عارضا لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا
واذا كان النائم روحه في جسده وهو حي وحياته غير حياة

في الروح لها بالبدن خمسة انواع من التعلق

المستيقظ فان النوم شقيق الموت فهكذا الميت اذا اعيدت روحه الى جسده كانت له حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه الى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت فتامل هذا يزيح عنك اشكالات كثيرة واما اخبار النبي صلى الله عليه وسلم عن رؤية الانبياء ليلة اسرى به فقد زعم بعض اهل الحديث ان الذي راه اشباحهم وارواحهم قال فانهم احياء عند ربهم وقد رأى ابراهيم مسند اظهره الى البيت المعمور ورأى موسى قائما في قبره يصلي وقد نعت الانبياء لما راهم نعت الاشباح فرأى موسى ادماضربا طوالا كانه من رجال شنوءة ورأى عيسى يقطر راسه كانما اخرج من ديماس ورأى ابراهيم فشبهه بنفسه ونازعهم في ذلك آخرون وقالوا هذه الرؤية انما هي لارواحهم دون اجسادهم والاجساد في الارض قطعا انما تبعث يوم بعث الاجساد ولم تبعث قبل ذلك اذ لو بعثت قبل ذلك لكانت قد انشقت عنها الارض قبل يوم القيامة وكانت تذوق الموت عند نفخة الصور وهذه موتة ثالثة وهذا باطل قطعا ولو كانت قد بعثت الاجساد من القبور لم يعدهم الله اليها بل كانت في الجنة وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله حرم الجنة على الانبياء حتى يدخلها هو وهو اول من يستفتح باب الجنة وهو اول من تنشق عنه الارض على الاطلاق لم تنشق عن احد قبله ومعلوم بالضرورة ان جسده صلى الله عليه وسلم في الارض طري مطرا وقد سأله الصحابة كيف تعرض

صلاتنا عليك وقد ارمت فقال ان الله حرم على الارض ان تاكل اجساد الانبياء ولو لم يكن جسده في ضريحه لما اجاب بهذا الجواب وقد صح عنه ان الله وكل بقبره ملائكة يبلغونه عن امته السلام وصح عنه انه خرج بين ابي بكر وعمر وقال هكذا نبعث هذا مع القطع بان روحه الكريمة في الرفيق الاعلى في اعلى عليين مع ارواح الانبياء وقد صح عنه انه رآى موسى قائما يصلي في قبره ليلة الاسراء ورآه في السماء السادسة او السابعة فالروح كانت هناك ولها اتصال بالبدن في القبر واشراف عليه وتعلق به بحيث يصلي في قبره ويرد سلام من سلم عليه وهي في الرفيق الاعلى ولا تنافي بين الامرين فان شان الارواح غير شان الابدان وانت تجد الروحين المتماثلين المتناسبتين في غاية التجاور والقرب وان كان بينهما بعد المشرقين وتجد الروحين المتنافرتين المتباغضتين بينهما غاية البعد وان كان جسداهما متجاورين متلاصقين وليس نزول الروح وصعودها وقربها وبعدها من جنس ما للبدن فانها تصعد الى ما فوق السموات ثم تهبط الى الارض ما بين قبضها ووضع الميت في قبره وهو زمن يسير لا يصعد البدن وينزل في مثله وكذلك صعودها وعودها الى البدن في النوم واليقظة وقد مثلها بعضهم بالشمس وشعاعها فانها في السماء وشعاعها في الارض قال شيخنا وليس هذا مثلا مطابقا فان نفس الشمس لا تنزل من السماء والشعاع الذي على الارض ليس هو

الشمس ولا صفتها بل هو عرض حصل بسبب الشمس والجرم المقابل لها والروح نفسها تصعد وتنزل واما قول الصحابة للنبي صلى الله عليه وسلم في قتلى بدر كيف تخاطب اقواما قد جيفوا مع اخباره بسماعهم كلامه فلا ينفي ذلك رد ارواحهم الى اجسادهم ذلك الوقت رد يسمعون به خطابه والاجساد قد جيفت فالخطاب للارواح المتعلقة بتلك الاجساد التي قد فسدت واما قوله تعالى وما انت بمسمع من في القبور فسياق الآية يدل على ان المراد منها ان الكافر الميت القلب لا تقدر على اسماعه اسماعا ينتفع به كما ان من في القبور لا تقدر على اسماعهم اسماعا ينتفعون به ولم يرد سبحانه ان اصحاب القبور لا يسمعون شيئا البتة كيف وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انهم يسمعون خفق نعال المشيعين واخبر ان قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه وشرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذي يسمع واخبر ان من سلم على اخيه المومن رد عليه السلام * وهذه الاية نظير قوله انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين * وقد يقال نفي اسماع الصم مع نفي اسماع الموتى يدل على ان المراد عدم اهلية كل منهما للسماع وان قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان اسماعها ممتنعا بمنزلة خطاب الميت والاصم وهذا حق ولكن لا ينفي اسماع الارواح بعد الموت اسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالابدان في وقت ما فهذا غير الاسماع المنفي والله اعلم وحقيقة المعنى انك لا تستطيع ان تسمع من لم يشأ الله ان

يسمعه ان انت الانذير اى انا جعل الله لك الاستطاعة على الانذار الذى كلفك اياه لا على اسماع من لم يشأ الله اسماعه واما قوله ان الحديث لا يصح لتفرد المنهال بن عمرو وحده به وليس بالقوى فهذا من مجازفته رحمه الله فالحديث صحيح لا شك فيه وقد رواه عن البراء بن عازب جماعة غير زاذان منهم عدي بن ثابت ومحمد بن عقبة ومجاهد قال الحافظ ابو عبد الله بن مندة في (كتاب الروح والنفس) أخبرنا محمد بن يعقوب بن يوسف ثنا محمد بن اسحق الصغار انا ابو النضر هاشم بن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء بن عازب قال خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار فانتهينا الى القبر ولم يلحد فجلسنا وجلس كان على اكتافنا فلق الصخر وعلى رؤسنا الطير فارم قليلا والارمام السكوت فلما رفع رأسه قال ان المؤمن اذا كان في قبل من الاخرة ودبر من الدنيا وحضره ملك الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من الجنة وحنوط من الجنة فجلسوا منه مد البصر وجاء ملك الموت فجلس عند رأسه ثم قال اخرجي ايتها النفس المطمئنة اخرجي الى رحمة الله ورضوانه فتنسل نفسه كما تقطر القطرة من السقاء فاذا خرجت نفسه صلى عليه كل من بين السماء والارض الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فيفتح له السماء ويشيعه مقربوها الى السماء الثانية والثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة الى العرش مقربوا كل سماء

فاذا انتهى الى العرش كتب كتابه في عليين و يقول الرب عزوجل
ردوا عبدي الى مضجعه فاني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها
اخرجهم تارة اخرى فيرد الى مضجعه فياتيه منكر و نكير يثيران
الارض بانيابهما و يفحصان الارض باشعارهما فيجلسانه ثم يقال له يا هذا
من ربك فيقول ربي الله فيقولان صدقت ثم يقال له ما دينك فيقول
ديني الاسلام فيقولان صدقت ثم يقال له من نبيك فيقول
محمد رسول الله فيقولان صدقت ثم يفسح له في قبره مد بصره ويأتيه
رجل حسن الوجه طيب الريح حسن الثياب فيقول جزاك الله خيرا
فوالله ما علمت ان كنت لسريعا في طاعة الله بطيئا عن معصية الله فيقول
وانت فجزاك الله خيرا فمن انت فقال انا عملك الصالح ثم يفتح له باب
الى الجنة فينظر الى مقعده و منزله منها حتى تقوم الساعة وان الكافر اذا كان
في دبر من الدنيا وقبل من الاخرة وحضره الموت نزلت عليه من
السماء ملائكة معهم كفن من النار وحنوط من نار قال فيجلسون منه
مد بصره وجاء ملك الموت فيجلس عند راسه ثم قال اخرجي ايتها
النفس الخبيثة اخرجي الى غضب الله وسخطه فتفرق روحه في جسده
كراهية ان تخرج لما ترى وتعاين فيستخرجها كما يستخرج السفود من
الصوف المبلول فاذا اخرجت نفسه لعنه كل شيء بين السماء والارض
الا الثقلين ثم يصعد به الى السماء فتغلق دونه فيقول الرب عزوجل
ردوا عبدي الى مضجعه فاني وعدتهم اني منها خلقتهم وفيها

[illegible] مرسه آية ضربة ثم تعود روحه الى جسمه ويأتيه
ملكان [illegible] الارض [illegible] صوتا
كان [illegible] الا الثقلين [illegible] ثم
يقولان له [illegible] فيقول لا ادري فينادي مناد من جانب القبر
لا دريت فيضربه بمرزبة من حديد لو اجتمع عليها من بين
الخافقين لم يقلوها ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه ويأتيه رجل
قبيح الوجه [illegible] منتن الريح فيقول ابشر [illegible] والله ما علمت
ان كنت لبطيئا عن طاعة الله سريعا الى معصية الله فيقول ومن انت
فيقول عملك الخبيث ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها
حتى تقوم الساعة هذا رواه الامام احمد ومحمود بن غيلان وغيرهما
وفيه التصريح بان الارواح تعاد الى القبور وان الملكين يجلسان الميت
ويستنطقانه ثم ساقه ابن منده من طريق محمد بن سلمة عن خصيف
الجزري عن مجاهد عن البراء بن عازب قال كنا في جنازة رجل من
الانصار ومعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فانتهينا الى القبر ولم يلحد
فوضعت الجنازة وجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان
المؤمن اذا احتضر اتاه ملك الموت في احسن صورة واطيبه ريحا فجلس
عنده يقبض روحه واتاه ملكان بحنوط من الجنة وكفن من الجنة وكانا
منه على بعد فيخرج ملك الموت روحه من جسده رشحا فاذا
صارت الى ملك الموت ابتدرها الملكان فاخذاها منه فحنطاها بحنوط

من الجنة وكفناها بكفن من الجنة ثم عرجا به الى الجنة فتفتح له ابواب السماء وتستبشر الملائكة بها ويقولون لمن هذه الروح الطيبة التي فتحت لها ابواب السماء ويسمي باحسن الاسماء التي كان يسمى بها في الدنيا فيقال هذه روح فلان فاذا اصعد بها الى السماء شيعها مقربوا كل سماء حتى توضع بين يدي الله عند العرش فيخرج عملها من عليين فيقول الله عز وجل للمقربين اشهدوا اني قد غفرت لصاحب هذا العمل ويختم كتابه فيرد في عليين فيقول الله عز وجل ردوا روح عبدي الى الارض فاني وعدتهم اني اردهم فيها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى فاذا وضع المومن في قبره فتح له باب عند رجليه الى الجنة فيقال له انظر الى ما اعد الله لك من الثواب ويفتح له باب عند راسه الى النار فيقال له انظر ما صرف الله عنك من العذاب ثم يقال له نم قرير العين فليس شيء احب اليه من قيام الساعة وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع المومن في لحده تقول له الارض ان كنت لحبيبا الي وانت على ظهري فكيف اذا صرت اليوم في بطني سار يك ما اصنع بك فيفسح له في قبره مد بصره وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا وضع الكافر في قبره اتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول لا ادري فيقولان له لا دريت فيضربانه ضربة فيصير رمادا ثم يعاد فيجلس فيقال له ما قولك في هذا الرجل فيقول اي الرجل فيقولان محمد

صلى الله عليه وسلم فيقول هو رسول الله صلى الله عليه وسلم
بطوله بطرق فيها ... وقال ابن منده هذا حديث ثابت مشهور مستفيض
صححه جماعة من الحفاظ ولا نعلم احدا من ائمة الحديث طعن فيه بل
رووه في كتبهم وتلقوه بالقبول وجعلوه اصلا من اصول الدين في
عذاب القبر ونعيمه ومسألة منكر ونكير وقبض الارواح
وصعودها الى بين يدي الله ثم رجوعها الى القبر وقول ابي محمد
ابن حزم وعبد الحق انه وهم منه فقد رواه عن البراء غير زاذان ورواه عنه
عدي بن ثابت ومجاهد بن جبر ومحمد بن عقبة وغيرهم وقد جمع
الدارقطني طرقه في مصنف مفرد وزاذان من الثقات روى عن
اكابر الصحابة كعمر وغيره وروى له مسلم في صحيحه قال يحيى بن معين
ثقة وقال حميد بن هلال وقد سئل عنه ثقة لا تسأل عن مثل هؤلاء
وقال ابن عدي احاديثه لا بأس بها اذا روى عنه ثقة وقوله ان المنهال
بن عمرو تفرد بهذه الزيادة وهي قوله فتعاد روحه في جسده وضعفه
والمنهال احد الثقات العدول قال ابن معين المنهال ثقة وقال العجلي
كوفي ثقة واعظم ما قيل فيه انه سمع من بيته صوت غناء وهذا
لا يوجب القدح في روايته واطراح حديثه وتضعيف ابن حزم له
لا شيء لانه لم يذكر موجبا لتضعيفه غير تفرده بقوله فتعاد روحه في جسده
وقد بينا انه لم يتفرد بها بل قد رواها غيره وقد روي ما هو ابلغ منها
او نظيرها كقوله فترد اليه روحه وقوله فتعاد الى قبره وقوله فيستوي

جالسا وقوله فيجلسانه وقوله فيجلس في قبره وكلها احاديث صحاح لا مغمز فيها وقد اعل غيره بان زاذان لم يسمعه من البراء وهذه العلة باطلة فان اباعوانة الاسفرائيني رواه في صحيحه باسناده وقال عن ابن عمرو بن زاذان (١) الكندي قال سمعت البراء بن عازب وقال الحافظ ابو عبدالله بن مندة هذا اسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء ولو نزلنا عن حديث البراء فسائر الاحاديث الصحيحة صريحة في ذلك مثل حديث ابن ابي ذئب عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قال اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان قال فيقول ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فيقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قال اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق واخر من شكله ازواج فيقولون ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقولون فلان فيقولون لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانها لا تفتح لك ابواب

(١) هكذا والظاهر عن ابي عمر زاذان ١٢ ر ـ كفلان ابن فلان

السماء فترسل بين السماء والارض فتصير الى القبر فيجلس الرجل الصالح فى قبره غير فزع ولا معوق ثم يقال فما كنت تقول في الاسلام ماهذا الرجل فيقول محمد رسول الله جاءنا بالبينات من قبل الله فآمنا وصدقناه وذكر تمام الحديث قال الحافظ ابو نعيم هذا حديث متفق على عدالة ناقليه اتفق الامامان محمد بن اسمعيل البخارى ومسلم بن الحجاج على ابن ابي ذئب ومحمد بن عمرو بن عطاء وسعيد ابن يسار وهم من شرطهما ورواه المتقدمون الكبار عن ابن ابي ذئب مثل ابن ابي فديك وعبد الرحيم بن ابراهيم اليتمى ورواه عن ابن ابي ذئب غير واحد وقد احتج ابو عبد الله بن مندة على اعادة الروح الى البدن بان قال ثنا محمد بن الحسين بن الحسن ثنا محمد بن يزيد النيسابورى ثنا حماد بن قيراط ثنا محمد بن الفضل عن يزيد بن عبد الرحمن الصائغ البلخى عن الضحاك بن مزاحم عن ابن عباس انه قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعد تلا هذه الاية ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم الاية ثم قال والذى نفس محمد بيده مامن نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة او النار ثم قال فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين كان وجوههم الشمس فينظر اليهم مايرى غيرهم وان كنتم ترون انهم ينظرون (١) اليكم مع كل منهم اكفان وحنوط فان كان مومنا بشروه بالجنة وقالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة الى رضوان الله وجنته فقد اعد الله لك من الكرامة

(١) هكذا في المنقول عنه والظاهر انه ينظر اليكم ١٢ ماهو

ماهو خيرلك من الدنيا و مافيها فلايزالون يبشرونه ويحفون به فلهم الطف وارأف من الوالدة بولدهاثم يسلون روحه من تحت كل ظفر و مفصل ويموت الاول فالاول ويهون عليه وان كنتم ترونه شد يداحتي تبلغ ذقنه قال فلهي اشد كراهية للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل ملك منهم ايهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون فيتلقاها باكفان بيض ثم يحتضنها اليه فلهو اشد لزوما من المرأة اذا ولد تها ثم يفوح منها ريح اطيب من المسك فيستنشقون ريحها ويتباشرون بها ويقولون مرحبا بالروح الطيبة والروح الطيب اللهم صل عليه روحا وعلى جسد خرجت منه قال فيصعدون بها وﷲ عز وجل خلق في الهواء لا يعلم عدتهم الا هو فيفوح لهم منها ريح اطيب من المسك فيصلون عليها ويتباشرون بها ويفتح لهم ابواب السماء فيصلى عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى ينتهى بها بين يدى الملك الجبار فيقول الجبار جل جلاله مرحبا بالنفس الطيبة وبجسد خرجت منه واذا قال الرب عز وجل لاشئ مرحبا رحب له كل شئ ويذهب عنه كل ضيق ثم يقول لهذه النفس الطيبة ادخلوها الجنة واروها مقعدها من الجنة واعرضوا عليها ما اعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض فاني قضيت اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة

اخرى فوالذي نفس محمد بيده لهي اشد كراهية للخروج منها حين كانت
تخرج من الجسد و تقول ابن تذهبون بي الى ذلك الجسد الذي كنت
فيه قال فيقولون انا مامورون بهذا فلا بد لك منه فيهبطون به على قدر
فراغهم من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده واكفانه
فدل هذا الحديث ان الروح تعاد بين الجسد والاكفان وهذا عود
غير التعلق الذي كان لها في الدنيا بالبدن وهو نوع آخر وغير تعلقها به
حال النوم وغير تعلقها به وهي في مقرها بل هو عود خاص للمسائلة قال
شيخ الاسلام الاحاديث الصحيحة المتواترة تدل على عود الروح
الى البدن وقت السوال وسوال البدن بلا روح قول قاله طائفة من
الناس وانكره الجمهور وقابلهم اخرون فقالوا السوال للروح بلا بدن
وهذا قاله ابن مرة وابن حزم وكلاهما غلط والاحاديث الصحيحة
ترده ولو كان ذلك على الروح فقط لم يكن للقبر بالروح اختصاص

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في ان هل عذاب القبر على النفس والبدن او على النفس دون البدن او على البدن دون النفس وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب ام لا ﴾

وهذا يتضح بجواب المسئلة وهي قول السائل هل عذاب القبر على النفس
والبدن او على النفس دون البدن او على البدن دون النفس وهل يشارك
البدن النفس في النعيم والعذاب ام لا وقد سئل شيخ الاسلام عن هذه
المسئلة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال بل العذاب والنعيم على النفس والبدن
جميعا باتفاق اهل السنة والجماعة تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم
وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب

عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون الروح منفردة عن البدن وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح هذا فيه قولان مشهوران لاهل الحديث والسنة واهل الكلام وفي المسئلة اقوال شاذة ليست من اقوال اهل السنة والحديث قول من يقول ان النعيم والعذاب لا يكون الا على الروح وان البدن لا ينعم ولا يعذب وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الابدان وهؤلاء كفار باجماع المسلمين ويقوله كثير من اهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يقرون بمعاد الابدان لكن يقولون لا يكون ذلك في البرزخ وانما يكون عند القيام من القبور لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون ان الارواح هي المنعمة او المعذبة في البرزخ فاذا كان يوم القيامة عذبت الروح والبدن معا وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من اهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مسرة فهذا القول ليس من الاقوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف الى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويثبت معاد الابدان والارواح ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر ثلاثة اقوال * احدها * انه على الروح فقط * الثاني * انه عليها وعلى البدن بواسطتها * الثالث * انه على البدن فقط وقد يضم الى ذلك القول الثاني وهو قول من يثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الفساد قول منكر عذاب الابدان مطلقا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقا فاذا جعلت الاقوال الشاذة

ثلاثة * فالقول الثاني * الشاذ * قول من يقول ان الروح تنفرد هالا تنعم ولا تعذب وانما الروح هي الحياة وهذا يقوله طوائف من اهل الكلام من المعتزلة والاشعرية كالقاضي ابي بكر وغيره وينكرون ان الروح تبقى بعد فراق البدن وهذا القول باطل وقد خالف اصحابه ابو المعالي الجويني وغيره بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الامة ان الروح تبقى بعد فراق البدن وانها منعمة او معذبة والفلاسفة الالهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الابدان وهؤلاء يقرون بمعاد الابدان لكن ينكرون معاد الارواح ونعيمها وعذابها دون الابدان وكلا القولين خطأ وضلال لكن قول الفلاسفة ابعد عن اقوال اهل الاسلام وان كان قد يوافقهم عليه من يعتقد انه متمسك بدين الاسلام بل من يظن انه من اهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام * والقول الثالث الشاذ * قول من يقول ان البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على ان الروح لا تبقى بعد فراق البدن وان البدن لا ينعم ولا يعذب فجميع هؤلاء الطوائف ضلال في امر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فانهم مقرون بالقيامة الكبرى *

* فصل *

فاذا عرفت هذه الاقوال الباطلة فلتعلم ان مذهب سلف الامة وائمتها ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب وان ذلك يحصل لروحه

* فصل في ان مذهب السلف ان الميت اذا مات يكون في نعيم او عذاب مع الروح والبدن *

وبدنه وان الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة او معذبة وانها تتصل بالبدن احيانا ويحصل له معها النعيم او العذاب ثم اذا كان يوم القيامة الكبرى اعيدت الارواح الى الاجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين ومعاد الابدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى ۞

فصل

ونحن نثبت ما ذكرناه فاما احاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما في الصحيحين عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبرين فقال انهما ليعذبان وما يعذبان في كبير اما احدهما فكان لا يستبرئ من البول واما الاخر فكان يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة رطبة فشقها نصفين فقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا وفي صحيح مسلم عن زيد بن ثابت قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار على بغلته ونحن معه اذ حادت به فكادت تلقيه فاذا اقبر ستة او خمسة او اربعة فقال من يعرف اصحاب هذه القبور فقال رجل انا قال فمتى مات هؤلاء قال ماتوا في الاشراك فقال ان هذه الامة تبتلى في قبورها فلولا ان لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه ثم اقبل علينا بوجهه فقال تعوذوا بالله من عذاب النار قالوا نعوذ بالله من عذاب النار قال تعوذوا بالله من عذاب القبر قالوا نعوذ بالله من عذاب القبر قال تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها

فصل في ذكر احاديث عذاب القبر ومسألة منكر ونكير

وما بطن قالوا نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن قال تعوذوا بالله من فتنة الدجال قالوا نعوذ بالله من فتنة الدجال * وفي صحيح مسلم وجميع السنن عن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا فرغ احدكم من التشهد الاخير فليتعوذ بالله من اربع من عذاب جهنم ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال * وفي صحيح مسلم ايضا وغيره عن ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يعلمهم هذا الدعاء كما يعلمهم السورة من القران اللهم اني اعوذ بك من عذاب جهنم واعوذ بك من عذاب القبر واعوذ بك من فتنة المحيا والممات واعوذ بك من فتنة المسيح الدجال * وفي الصحيحين عن ابي ايوب قال خرج النبي صلى الله عليه وسلم وقد وجبت الشمس فسمع صوتا فقال يهود تعذب في قبورها * وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت علي عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت ان اهل القبور يعذبون في قبورهم قالت فكذبتها ولم انعم ان اصدقها قالت فخرجت ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله ان عجوزا من عجائز يهود اهل المدينة دخلت فزعمت ان اهل القبور يعذبون في قبورهم قال صدقت انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم كلها قالت فما رأيته بعد في صلوة الا يتعوذ من عذاب القبر * وفي صحيح ابن حبان عن ام مبشر قالت دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول تعوذوا بالله من عذاب القبر فقلت يا رسول الله وللقبر عذاب قال انهم

ليعذبون

ليعذبون في قبورهم عذابا تسمعه البهائم ٭ قال بعض اهل العلم ولهذا
السبب يذهب الناس بدوابهم اذا مغلت الى قبور اليهود والنصارى
والمنافقين كالاسماعيلية والنصيرية والقرامطة من بني عبيد
وغيرهم الذين بارض مصر والشام فان اصحاب الخيل يقصدون
قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى قال فاذا سمعت
الخيل عذاب القبر احدث لها ذلك فزعا وحرارة تذهب بالمغل وقد قال
عبد الحق الاشبيلي حدثني الفقيه ابو الحكم بن برجان وكان من اهل
العلم والعمل انهم دفنوا ميتا بقريتهم في شرف اشبيلية فلما فرغوا من دفنه
قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبا منهم فاذا بالدابة قد اقبلت
مسرعة الى القبر فجعلت اذنها عليه كانها تسمع ثم ولت فارة ثم عادت الى
القبر فجعلت اذنها عليه كانها تسمع ثم ولت فارة فعلت ذلك مرة بعد اخرى
قال ابو الحكم فذكرت عذاب القبر وقول النبي صلى الله عليه وسلم
انهم ليعذبون عذابا تسمعه البهائم ذكرنا هذه الحكاية ونحن نسمع
عليه كتاب مسلم لما انتهى القارى الى قول النبي صلى الله عليه وسلم
انهم يعذبون عذابا تسمعه البهائم ٭ وهذا السماع واقع على اصوات
المعذبين قال هناد بن السري في كتاب الزهد ثنا وكيع عن الاعمش
عن شقيق عن عائشة رضي الله عنها قالت دخلت علي يهودية فذكرت
عذاب القبر فكذبتها فدخل النبي صلى الله عليه وسلم علي فذكرت ذلك له
فقال والذي نفسي بيده انهم ليعذبون في قبورهم حتى تسمع البهائم

اصواتهم * قلت واحاديث المسئلة في القبر كثيرة كما في الصحيحين والسنن عن البراء بن عازب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال المسلم اذا سئل في قبره فيشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فذلك قول الله يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة وفي لفظ نزلت في عذاب القبر يقال له من ربك فيقول الله ربي ومحمد نبيي فذلك قول الله يثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة وهذا الحديث قد رواه اهل السنن والمسانيد مطولا كما تقدم وقد صرح في هذا الحديث باعادة الروح الى البدن وباختلاف اضلاعه وهذا بين في ان العذاب على الروح والبدن مجتمعين وقد روي مثل حديث البراء في قبض الروح والمسئلة والنعيم والعذاب ابوهريرة وحديثه في المسند وصحيح ابي حاتم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت اذا وضع في قبره انه ليسمع خفق نعالهم حين يولون عنه فان كان مومنا كانت الصلاة عند رأسه والصيام عن يمينه والزكاة عن شماله وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان عند رجليه فيوتى من قبل رأسه فتقول الصلاة ما قبلي مدخل ثم يوتى من يمينه فيقول الصيام ما قبلي مدخل ثم يوتى عن يساره فتقول الزكاة ما قبلي مدخل ثم يوتى من قبل رجليه فيقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والاحسان ما قبلي مدخل فيقال له اجلس فيجلس قد مثلت له الشمس

وقد اخذت للغروب فيقال له هذا الرجل الذي كان فيكم ماتقول فيه
وماذا تشهد به عليه فيقول دعوني حتى اصلي فيقولون انك ستصلي اخبرنا
عن ما نسئلك عنه ارأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم ماتقول فيه
و ماتشهد عليه فيقول محمد اشهد انه رسول الله جاء بالحق من عند الله
فيقال له على ذلك حييت وعلى ذلك مت وعلى ذلك تبعث ان شاء الله
ثم يفتح له باب الى الجنة فيقال له هذا مقعدك وما اعد الله لك فيها
فيزداد غبطة وسرورا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا وينور له
فيه ويعاد الجسد لما بدئ منه وتجعل نسمته في النسيم الطيب وهي
طير معلق في شجر الجنة قال فذلك قول الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا
بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة * وذكر في الكافر ضد ذلك
الى ان قال ثم يضيق عليه في قبره الى ان تختلف فيه اضلاعه فتلك
المعيشة الضنك التي قال الله تعالى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة
اعمى * وفي الصحيحين من حديث قتادة عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال ان الميت اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع خفق
نعالهم اتاه ملكان فيقعدانه فيقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل
محمد فاما المومن فيقول اشهد انه عبد الله ورسوله قال فيقول انظر
الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به مقعدا من الجنة قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم فيراهما جميعا قال قتادة وذكر لنا انه يفسح له في قبره
سبعون ذراعا ويملأ عليه خضرا الى يوم يبعثون ثم رجع الى حديث

انس قال فاما الكافر والمنافق فيقولان له ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول لا ادري كنت اقول مايقول الناس فيقولان لا دريت ولا تليت ثم يضرب بمطراق من حديد بين اذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من عليها غير الثقلين ٭ وفي صحيح ابي حاتم عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اقبر احدكم او الانسان اتاه ملكان اسودان ازرقان يقال لاحدهما المنكر وللاخر النكير فيقولان له ماكنت تقول في هذا الرجل محمد صلى الله عليه وسلم فهو قائل ماكان يقول فان كان مومنا قال هو عبد الله ورسوله اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله فيقولان له ان كنا لنعلم انك تقول ذلك ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعا في سبعين ذراعا وينور له فيه ويقال له نم فيقول ارجع الى اهلي ومالي فاخبرهم فيقولان نم كنومة العروس الذي لا يوقظه الا احب اهله اليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وان كان منافقا قال لا ادري كنت اسمع الناس يقولون شيئا فكنت اقوله فيقولان له كنا نعلم انك تقول ذلك ثم يقال للارض التئمي عليه فتلتئم عليه حتى تختلف فيها اضلاعه فلا يزال معذبا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك وهذا صريح في ان البدن يعذب ٭ وعن ابي هريرة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا حضر المومن اتته الملائكة بحريرة بيضاء فيقولون اخرجي ايتها الروح الطيبة راضية مرضيا عنك الى روح وريحان ورب غير غضبان فتخرج

كاطيب ريح المسك حتى انه ليناوله بعضهم بعضا حتى ياتوا به باب السماء فيقولون ما اطيب هذه الريح التي جاءتكم من الارض فياتون به ارواح المومنين فلهم اشد فرحا به من احدكم بغائبه يقدم عليه فيسألونه ماذا فعل فلان قال فيقولون دعوه يستريح فانه كان في غم الدنيا فاذا قال اتاكم فيقولون انه ذهب به الى امه الهاوية وان الكافر اذا احتضرا تته ملائكة العذاب بمسح فيقولون اخرجي مسخوطا عليك الى عذاب الله فتخرج كانتن ريح جيفة حتى يأتوا به* باب الارض فيقولون ما انتن هذه الروح حتى ياتوا به ارواح الكفار*رواه النسائي والبزار ومسلم مختصرا واخرجه ابو حاتم في صحيحه وقال ان المومن اذا احضره الموت حضرته ملائكة الرحمة فاذا قبض جعلت روحه في حريرة بيضاء فينطلق بها الى باب السماء فيقولون ما وجدنا ريحا اطيب من هذه فيقال ما فعل فلان ما فعلت فلانة فيقال دعوه يستريح فانه كان في غم الدنيا واما الكافر اذا قبضت نفسه ذهب بها الى الارض فتقول خزنة الارض ما وجدنا ريحا انتن من هذه فيبلغ بها الى الارض السفلى*وروى النسائي في سننه من حديث عبدالله ابن عمر رضى الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال هذا الذي تحرك له العرش وفتحت له ابواب السماء وشهده سبعون الفا من الملائكة لقد ضم ضمة ثم فرج عنه قال النسائي يعني سعد بن معاذ*وروى من حديث عائشة رضى الله عنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للقبر

* هذه الريح — هكذا في سنن النسائى ۱۲

ضغطة لو نجا منها احد لنجا منها سعد بن معاذ رواه من حديث شعبة وقال هناد بن السري ثنا محمد بن فضل عن ابيه عن ابن ابي مليكة قال ما اجير من ضغطة القبر احد ولا سعد بن معاذ الذي منديل من مناديله خير من الدنيا وما فيها * قال وثنا عبدة عن عبيد الله بن عمر عن نافع قال لقد بلغني انه شهد جنازة سعد بن معاذ سبعون الف ملك لم ينزلوا الى الارض قط ولقد بلغني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لقد ضم صاحبكم في القبر ضمة * وقال علي بن معبد ثنا عبيد الله عن زيد بن ابي انيسة عن جابر عن نافع قال اتينا صفية بنت ابي عبيد امرأة عبد الله بن عمر وهي فزعة فقلنا ما شانك فقالت جئت من عند بعض نساء النبي صلى الله عليه وسلم قال فحدثتني ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان كنت لارى لو ان احدا اعفي من عذاب القبر لعفي منه سعد بن معاذ لقد ضم فيه ضمة * وثنا مروان بن معاوية عن العلاء بن المسيب عن معاوية العبسي عن زاذان بن (١) عمر وقال لما دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم ابنته جلس عند القبر فتربد وجهه ثم سري عنه فقال له اصحابه رأينا وجهك آنفا ثم سري عنك فقال النبي صلى الله عليه وسلم ذكرت ابنتي وضعفها وعذاب القبر فدعوت الله ففرج عنها وايم الله لقد ضمت ضمة سمعها من بين الخافقين * وثنا شعيب عن ابن دينار عن ابراهيم الغنوي عن رجل قال كنت عند عائشة رضي الله عنها فمرت جنازة صبي صغير فبكت فقلت لها ما يبكيك يا ام المومنين

(١) هكذا في الاصل ولعله عن زاذان عن ابن عمر ١٢

قالت

فقالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر* ومعلوم ان هذا كله للجسد بواسطة الروح *

﴿ فصل ﴾

وهذا كما انه مقتضى السنة الصحيحة فهو متفق عليه بين اهل السنة قال المروزي قال ابو عبد الله عذاب القبر حق لا ينكره الا ضال مضل وقال حنبل قلت لابي عبد الله في عذاب القبر فقال هذه احاديث صحاح نومن بها ونقر بها كلما جاءت عن النبي صلى الله عليه وسلم اسناد جيد اقررنا به اذا لم نقر بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعناه ورددناه رددنا على الله امره قال الله تعالى وما آتاكم الرسول فخذوه قلت له وعذاب القبر حق قال حق يعذبون في القبور قال وسمعت اباعبد الله يقول نومن بعذاب القبر وبمنكر ونكير وان العبد يسأل في قبره فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة في القبر وقال احمد بن القاسم قلت يا اباعبد الله تقر بمنكر ونكير وما يروى في عذاب القبر فقال سبحان الله نعم نقر بذلك ونقوله قلت هذه اللفظة تقول منكر ونكير هكذا او تقول ملكين قال منكر ونكير* قلت يقولون ليس في حديث منكر ونكير قال هو هكذا يعني انهما منكر ونكير* واما اقوال اهل البدع والضلال فقال ابو الهذيل والمريسي من خرج عن سمة الايمان فانه يعذب بين النفختين والمسئلة في القبر انما تقع في ذلك الوقت واثبت الجبائي وابنه والبلخي عذاب

القبر ولكنهم نفوه عن المومنين واثبتوه لاصحاب التخليد من الكفار والفساق على اصولهم وقال كثير من المعتزلة لايجوز تسمية ملائكة الله بمنكر ونكير وانما المنكر مايبدو من تلجلجه اذا سئل والنكير تقريع الملكين له وقال الصالحي وصالح قبة عذاب القبر يجرى على المومن من غير رد الارواح الى الاجساد والميت يجوز ان يألم ويحس ويعلم بلا روح وهذا قول جماعة من الكرامية وقال بعض المعتزلة ان الله سبحانه يعذب الموتى في قبورهم ويحدث فيهم الآلام وهم لايشعرون فاذا حشروا وجدوا تلك الآلام واحسوا بها قالوا وسبيل المعذبين من الموتى كسبيل السكران والمغشى عليه لو ضربوا لم يجدوا الآلام فاذا عاد اليهم العقل احسوا بألم الضرب وانكر جماعة منهم عذاب القبر راسا مثل ضرار بن عمرو ويحيى بن كامل وهو قول المريسي فهذه اقوال اهل الحيرة والضلالة *

﴿ فصل في ان عذاب القبر ينال من هو مستحق له قبر او لم يقبر ﴾

﴿ فصل ﴾

ومماينبغي ان يعلم ان عذاب القبر هو عذاب البرزخ فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قبر او لم يقبر فلو اكلته السباع او احرق حتى صار رمادا ونسف في الهواء او صلب اوغرق في البحر وصل الى روحه وبدنه من العذاب مايصل الى القبور وفي صحيح البخاري عن سمرة بن جندب قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا صلى صلاة اقبل علينا بوجهه فقال من رأى منكم الليلة رؤيا قال فان

رأى احد رؤيا فيصها فيقول ماشاء الله فسألنا يوما فقال هل رأى احد منكم رؤيا قلنا لا قال لكني رأيت الليلة رجلين اتياني فاخذا بيدي واخرجاني الى الارض المقدسة فاذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلوب من حديد يدخله في شدقه حتى يبلغ قفاه ثم يفعل بشدقه الاخر مثل ذلك ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة او فهر فيشدخ بها رأسه فاذا ضربه تدهده الحجر فانطلق اليه لياخذه فلا يرجع الى هذا حتى يلتئم رأسه وعاد رأسه كما هو فعاد اليه فضربه قلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا الى نقب مثل التنور اعلاه ضيق واسفله واسع يوقد تحته نار فاذا فيه رجال ونساء عراة فياتيهم اللهب من تحتهم فاذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا فاذا اخمدت رجعوا فقلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة فاقبل الرجل الذي في النهر فاذا اراد ان يخرج رمى الرجل بحجر في فيه فرده حيث كان فجعل كلما جاء ليخرج رمى في فيه بحجر فرجع كما كان فقلت ماهذا قالا انطلق فانطلقنا حتى اتينا الى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفي اصلها شيخ وصبيان واذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها فصعد بي الشجرة وادخلاني دارا لم ار قط احسن منها فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بي فادخلاني دارا هي احسن وافضل قلت طوفتماني الليلة فاخبراني عما

رأيت قالا نعم الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذبة فتحمل عنه حتى تبلغ الافاق فيصنع به الى يوم القيامة والذى رأيته يشدخ رأسه فرجل علمه الله القران فنام عنه بالليل ولم يعمل به بالنهار يفعل به الى يوم القيامة واما الذى رأيت في الثقب فهم الزناة والذى رأيته في النهر فاكل الربا واما الشيخ الذى في اصل الشجرة فابراهيم والصبيان حوله فاولاد الناس والذى يوقد النار فمالك خازن النار والدار الاولى دار عامة المومنين واما هذه الدار فدار الشهداء وانا جبرئيل وهذا ميكائيل فارفع رأسك فرفعت رأسي فاذا قصر مثل السحابة قالا ذلك منزلك قلت دعاني ادخل منزلي قالا انه بقي لك عمر لم تستكمله فلو استكملته اتيت منزلك، وهذا نص في عذاب البرزخ فان رؤيا الانبياء وحي مطابق لما في نفس الامر وقد ذكر الطحاوى عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال امر بعبد من عباد الله ان يضرب في قبره مائة جلدة فلم يزل يسأل الله ويدعوه حتى صارت واحدة فامتلأ قبره عليه نارا فلما ارتفع عنه افاق فقال على ما جلدتموني قالوا انك صليت صلوة بغير طهور ومررت على مظلوم فلم تنصره * وذكر البيهقي حديث الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم في هذه الاية سبحان الذى اسرى بعبده ليلا الاية قال اتي بفرس فحمل عليه قال كل خطوة منتهى اقصى بصره فسار وسار معه جبرئيل فاتى على قوم يزرعون

في يوم و يحصد ون في يوم كلما حصد و اعـاد كما كان فقال يا جبرئيل
من هؤلاء قال هؤلاء المهاجرون في سبيل الله يضاعف لهم الحسنة بسبعمائة
وما انفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم
بالصخر كلما رضخت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء من ذلك قال
يا جبرئيل من هؤلاء قال هؤلاء الذين تتثاقل رؤسهم عن الصلوة قال ثم
اتى على قوم على اقبالهم رقاع وعلى ادبارهم رقاع يسرحون كما تسرح الانعام
على الضريع والزقوم ورضف جهنم وحجارتها قال ما هؤلاء يا جبرئيل
قال هؤلاء الذين لا يؤدون صدقات اموالهم وما ظلمهم الله وما الله
بظلام للعبيد ثم اتى على قوم بين ايديهم لحم من قدر نضيج ولحم اخر
خبيث فجعلوا ياكلون من الخبيث و يدعون النضيج الطيب فقال يا جبرئيل
من هؤلاء قال هذا الرجل يقوم وعنده امرأة حلالا طيبا فياتي المرأة
الخبيثة فتبيت معه حتى تصبح ثم اتى على خشبة على الطريق لا يمر بها شيء
الا قصعته يقول الله تعالى ولا تقعدوا بكل صراط توعدون ثم مر على
رجل قد جمع حزمة عظيمة لا يستطيع حملها وهو يريد ان يزيد عليها
قال يا جبرئيل ما هذا قال هذا رجل من امتك عليه امانة لا يستطيع ادائها
وهو يريد عليها ثم اتى على قوم تقرض شفاههم بمقاريض من حديد
كلما قرضت عادت كما كانت لا يفتر عنهم شيء قال يا جبرئيل من هؤلاء قال
هؤلاء خطباء الفتنة ثم اتى على حجر صغير يخرج منه نور عظيم فجعل النور
يريد ان يدخل من حيث خرج ولا يستطيع قال ما هذا يا جبرئيل قال

هذا الرجل يتكلم بالكلمة فيندم عليها فيريد ان يردها فلا يستطيع ، وذكر الحديث وذكر البيهقي ايضا في حديث الاسراء من رواية ابي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال فصعدت انا وجبريل فاستفتح جبريل فاذا بآدم كهيئته يوم خلقه الله على صورته تعرض عليه ارواح ذريته المؤمنين فيقول روح طيبة ونفس طيبة اجعلوها في عليين ثم تعرض عليه ارواح ذريته الفجار فيقول روح خبيثة ونفس خبيثة اجعلوها في سجين ثم مضيت هنيئة فاذا انا باخونة عليها لحم مشرح ليس يقربها احد واذا باخونة اخرى عليها لحم قد اروح ونتن وعند هاناس ياكلون منها قلت يا جبريل من هؤلاء قال هؤلاء يتركون الحلال وياتون الحرام قال ثم مضيت هنيئة فاذا انا باقوام بطونهم امثال البيوت كلما نهض احدهم خر يقول اللهم لاتقم الساعة قال وهم على سابلة آل فرعون قال فتجيء السابلة فتطأهم فيصيحون قلت ياجبريل من هؤلاء قال هؤلاء الذين ياكلون الربا لا يقومون الاكما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس قال ثم مضيت هنيئة فاذا انا بقوم مشافرهم كمشافر الابل فتفتح افواههم فيلقمون الجمر يخرج من اسافلهم فسمعتهم يصيحون قلت من هؤلاء قال الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما ثم مضيت هنيئة فاذا انا بنساء معلقات بثديهن فسمعتهن يصحن قلت من هؤلاء قال هؤلاء الزواني ثم مضيت هنيئة فاذا انا بقوم يقطع من جنوبهم اللحم فيلقمون فيقال كل كما كنت تأكل من لحم اخيك قلت من هؤلاء قال الهماز ون من امتك * وذكر الحديث بطوله

وفي

وفي سنن ابي داود من حديث انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما عرج بي مررت بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقلت يا جبريل من هؤلاء قال الذين ياكلون لحوم الناس ويقعون في اعراضهم * وقال ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة عن الاعمش عن مجاهد عن ابن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اتى على قبرين فقال انهما يعذبان في غير كبير اما احدهما فكان ياكل لحوم الناس واما الاخر فكان صاحب نميمة ثم دعا بجريدة فشقها نصفين فوضع نصفها على هذا القبر ونصفها على هذا القبر وقال عسى ان يخفف عنهما مادامتا رطبتين * وقد اختلف الناس في هذين هل كانا كافرين او مومنين فقيل كانا كافرين وقوله وما يعذبان في كبير يعني بالاضافة الى الكفر والشرك قالوا ويدل عليه ان العذاب لم يرتفع عنهما وانما خفف وايضا انه خفف مدة رطوبة الجريدة فقط وايضا انهما لو كانا مومنين لشفع فيهما ولو علمهما النبي صلى الله عليه وسلم فرفع عنهما بشفاعته وايضا في بعض طرق الحديث انهما كانا كافرين وهذا التعذيب زيادة على تعذيبهما بكفرهما وخطاياهما وهو دليل على ان الكافر يعذب بكفره وذنوبه جميعا وهذا اختيار ابي الحكم بن برخان وقيل كانا مسلمين لنفيه صلى الله عليه وسلم التعذيب بسبب غير السببين المذكورين ولقوله وما يعذبان في كبير والكفر والشرك اكبر الكبائر على الاطلاق ولا يلزم ان يشفع النبي صلى الله عليه وسلم لكل مسلم يعذب في قبره على جريمة من

الجمر ثم فقد اخبر من صاحب الشملة الذى قتل في الجهاد ان الشملة تشتعل عليه نارا في قبره و كان مسلما مجاهدا ولا يعلم ثبوت هذه اللفظة وفي قوله و كانا كافرين ولعلها لو صحت وكلا نعى من قول بعض الرواة والله اعلم وهذا اختيار ابي عبد الله القرطبي

المسئلة السابعة في جواب الملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر ونعيمه وما يتعلق بها

﴿ فصل ﴾ ﴿ واما المسئلة السابعة وهى قول السائل ماجوابنا للملاحدة والزنادقة المنكرين لعذاب القبر وسعته وضيقه وكونه حفرة من حفر النار او روضة من رياض الجنة وكون الميت لايجلس ولايقعد فيه ﴾

قالوا فانا نكشف القبر فلانجد فيه ملائكة عمياصما يضربون الموتى بمطارق من حديد ولانجد هناك حيات ولاثعابين ولانيرانا تأجج ولوكشفنا حاله في حالة من الاحوال لوجدناه لم يتغير ولو وضعنا على عينيه الزيبق وعلى صدره الخردل لوجدناه على حاله وكيف يفسح مد بصره او يضيق عليه ونحن نجده بحاله ونجد مساحته على حد ما حفرناها لم يزد ولم ينقص وكيف يسع ذلك اللحد الضيق له وللملائكة وللصورة التى تونسه او توحشه قال اخوانهم من اهل البدع والضلال وكل حديث يخالف مقتضى المعقول والحس يقطع بتخطية قائله قالوا ونحن نرى المصلوب على خشبة مدة طويلة لايسئل ولا يجيب ولايتحرك ولايتوقد جسمه نارا ومن افترسته السباع ونهشته الطيور وتفرقت اجزاؤه في اجواف السباع وحواصل الطيور وبطون الحيتان ومدارج

الرياح

الرياح كيف تستل اجزاؤه مع تفرقها وكيف يصور مسئلة الملكين لمن هذا وصفه وكيف يصير القبر على هذا روضة من رياض الجنة اوحفرة من حفر النار وكيف يضيق عليه حتى تلتئم اضلاعه ونحن نذكر امورا يعلم بها الجواب

❊ الامر الاول ❊ ان يعلم ان الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يخبروا بما تحيله العقول وتقطع باستحالته بل اخبارهم قسمان احدهما ما تشهد به العقول والفطر والثاني مالا تدركه العقول بمجردها كالغيوب التي اخبروا بها عن تفاصيل البرزخ واليوم الاخر وتفاصيل الثواب والعقاب ولا يكون خبرهم مما لا يأبى العقول اصلا وكل خبر يظن ان العقل يحيله فلا يخلو من احد امرين اما ان يكون الخبر كذبا عليهم او يكون ذلك العقل فاسدا وهو شبهة خيالية يظن صاحبها انها معقول صريح قال تعالى ويرى الذين اوتوا العلم الذي انزل اليك من ربك هو الحق ويهدى الى صراط العزيز الحميد وقال تعالى افمن يعلم انما انزل اليك من ربك الحق كمن هو اعمى وقال تعالى الذين اتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك ومن الاحزاب من ينكر بعضه والنفوس لا تفرح بالمحال وقال تعالى يا ايها الناس قدجاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للمومنين قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا والمحال لا يشفي ولا يحصل به هدى ولا رحمة ولا يفرح به فهذا امر من لم يستقر في قلبه

خير ولم يثبت له على الاسلام قدم وكان احسن احوا له الحيرة والشك *

﴿ فصل ﴾

﴿ الامر الثاني ﴾ ان يفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم مراده من غير غلو ولا تقصير فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان وقد حصل باهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه الا الله بل سوء الفهم عن الله ورسوله اصل كل بدعة وضلالة نشأت في الاسلام بل هو اصل كل خطأ في الاصول والفروع ولا سيما ان اضيف اليه سوء القصد فيتفق سوء الفهم في بعض الاشياء من المتبوع مع حسن قصده وسوء القصد من التابع فيا محنة الدين واهله والله المستعان وهل اوقع القدرية والمرجية والخوارج والمعتزلة والجهمية والرافضة وسائر طوائف اهل البدع الا سوء الفهم عن الله ورسوله حتى صار الدين بايدي اكثر الناس هو موجب هذه الافهام والذي فهمه الصحابة ومن تبعهم عن الله ورسوله فمهجور لا يلتفت اليه ولا يرفع هؤلاء به رأسا ولكثرة امثلة هذه القاعدة تركناها فانا لو ذكرناها لزادت على عشرة الوف حتى انك لتمر على الكتاب من اوله الى اخره فلا تجد صاحبه فهم عن الله ورسوله مراده كما ينبغي في موضع واحد وهذا انما يعرفه من عرف ما عند الناس وعرضه على ما جاء به الرسول واما من عكس الامر بعرض ما جاء به الرسول على ما اعتقده وانتحله وقلد فيه من

احسن به الظن فليس يجدي الكلام معه شيئا فدعه وما اختاره لنفسه وولّه ما تولى واحمد الذى عفاك مما ابتلاه به

فصل

الامر الثالث ان الله سبحانه جعل الدور ثلاثا دار الدنيا ودار البرزخ ودار القرار وجعل لكل دار احكاما تختص بها وركب هذا الانسان من بدن ونفس وجعل احكام دار الدنيا على الابدان والارواح تبعا لها ولهذا جعل احكامه الشرعية مرتبة على مايظهر من حركات اللسان والجوارح وان اضمرت النفوس خلافه وجعل احكام البرزخ على الارواح والابدان تبعا لها فكما تبعت الارواح الابدان فى احكام الدنيا فتألمت بالمها والتذت براحتها وكانت هى التى باشرت اسباب النعيم والعذاب تبعت الابدان الارواح في نعيمها وعذابها والارواح حينئذ هي التى تباشر العذاب والنعيم فالابدان هنا ظاهرة والارواح خفية والابدان كالقبور لها والارواح هناك ظاهرة والابدان خفية فى قبورها تجرى احكام البرزخ على الارواح فتسرى الى ابدانها نعيما وعذابا كما تجرى احكام الدنيا على الابدان فتسرى الى ارواحها نعيما او عذابا فاحط بهذا الموضع علما واعرفه كما ينبغى يزيل عنك كل اشكال يورد عليك من داخل وخارج وقد اراناالله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك انموذجا فى الدنيا من حال النائم فان ماينعم به او يعذب فى نومه يجرى على روحه اصلا

الامر الثالث

والبدن تبع له وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تاثيرا مشاهدا فيرى النائم في نومه انه ضرب فيصبح واثر الضرب في جسمه ويرى انه قد اكل او شرب فيستيقظ وهو يجد اثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظمأ واعجب من ذلك انك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كانه يقظان وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك وذلك ان الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه ولو دخلت فيه لاستيقظ واحس فاذا كانت الروح تتألم وتنعم ويصل ذلك الى بدنها بطريق الاستتباع فهكذا في البرزخ بل اعظم فان تجرد الروح هناك اكمل واقوى وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع فاذا كان يوم حشر الاجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الارواح والاجساد ظاهرا باديا اصلا ومتى اعطيت هذا الموضع حقه تبين لك ان ما اخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه وكونه حفرة من حفر النار وروضة من رياض الجنة مطابق للعقل وانه حق لا مرية فيه وان من اشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه اتى كما قيل *

* وكم من عائب قولا صحيحا * وآفته من الفهم السقيم *

واعجب من ذلك انك تجد النائمين في فراش واحد وهذا روحه في النعيم ويستيقظ واثر النعيم على بدنه وهذا روحه في العذاب

و يستيقظ و اثر العذاب على بدنه وليس عند احدهما خبرا عند الاخر فامر البرزخ اعجب من ذلك *

﴿ فصل ﴾

﴿الامر الرابع﴾ ان الله سبحانه جعل امر الاخرة وما كان متصلا بها غيبا وحجبها عن ادراك المكلفين في هذه الدار وذلك من كمال حكمته وليتميز المومنون بالغيب من غيرهم فاول ذلك ان الملائكة تنزل على المحتضر وتجلس قريبا منه ويشاهدهم عيانا ويتحدثون عنده ومعهم الاكفان والحنوط اما من الجنة واما من النار ويومنون على دعاء الحاضرين بالخير والشر وقد يسلمون على المحتضر ويرد عليهم تارة بلفظه وتارة باشارته وتارة بقلبه حيث لا يتمكن من نطق ولا اشارة وقد سمع بعض المحتضرين يقول اهلا وسهلا ومرحبا بهذه الوجوه واخبرني شيخنا عن بعض المحتضرين فلا ادري اشاهده او اخبر عنه انه سمع وهو يقول عليك السلام هنا فاجلس وعليك السلام هنا فاجلس وقصة خير النساج مشهورة حيث قال عند الموت اصبر عافاك الله فان ما امرت به لا يفوت وما امرت به يفوت ثم استدعى بماء فتوضأ وصلى ثم قال امض لما امرت به ومات* وذكر ابن ابي الدنيا ان عمر ابن عبد العزيز لما كان في يومه الذي مات فيه قال اجلسوني فاجلسوه فقال انا الذي امرتني فقصرت ونهيتني فعصيت ثلاث مرات ولكن لا اله الا الله ثم رفع رأسه فاحد النظر فقالوا انك لتنظر نظرا

الامر الرابع

شديدا يا امير المومنين فقال اني لارى حضرة ماهم بانس ولاجن ثم قبض * وقال مسلمة بن عبد الملك لما احتضر عمر بن عبد العزيز كنا عنده في قبة فاومى الينا ان اخرجوا فخرجنا فقعدنا حول القبة وبقى عنده وصيف فسمعناه يقرأ هذه الاية تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين * ما انتم بانس ولا جان ثم خرج الوصيف فاومى الينا ان ادخلوا فدخلنا فاذا هو قد قبض * وقال فضالة ابن دينار حضرت محمد بن واسع وقد سجي للموت فجعل يقول مرحبا بملائكة ربي ولا حول ولا قوة الا بالله وشممت رائحة طيب لم اشم قط اطيب منها ثم شخص ببصره فمات * والآثار في ذلك اكثر من ان تحصر وابلغ ويكفي من ذلك كله قول الله عز وجل فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون * اى اقرب اليه بملائكتنا ورسلنا ولكنكم لا ترونهم فهذا اول الامر وهو غير مرئي لنا ولا مشاهد وهو في هذه الدار ثم يمد الملك يده الى الروح فيقبضها ويخاطبها والحاضرون لا يرونه ولا يسمعونه ثم تخرج فيخرج لها نور مثل شعاع الشمس ورائحة اطيب من رائحة المسك والحاضرون لا يرون ذلك ولا يشمونه ثم تصعد بين سماطين من الملائكة والحاضرون لا يرونهم ثم تاتي الروح فتشاهد غسل البدن وتكفينه وحمله وتقول قدموني قدموني او الى اين تذهبون بي ولا يسمع الناس ذلك فاذا وضع في لحده وسوي عليه التراب لم يحجب التراب الملائكة عن الوصول اليه

بل

بل لونقرله حجرفاودع فيه وختم عليه بالرصاص لم يمنع وصول الملائكة
اليه فان هذه الاجسام الكثيفة لاتمنع خرق الارواح لها بل الجن
لايمنعها ذلك بل قد جعل الله سبحانه الحجارة والتراب للملائكة
بمنزلة الهواء للطير واتساع القبر وانفساحه للروح بالذات والبدن
تبعا فيكون البدن في لحد اضيق من ذراع وقد فسح له مد بصره تبعا
لروحه واما عصرة القبر حتى تختلف بعض اجزاء الموتى فلا يرده
حس ولا عقل ولا فطرة ولوقدر ان احدا نبش عن ميت فوجدا ضلاعه
كما هي لم تختلف لم يمنع ان تكون قد عادت الى حالها بعد العصرة فليس
مع الزنادقة والملاحدة الا مجرد تكذيب الرسول ولقد اخبر بعض
الصادقين انه حفر ثلاثة اقبر فلما فرغ منها اضطجع ليستريح فرأى
فيما يرى النائم ملكين نزلا فوقفا على احد الاقبر فقال احدهما لصاحبه
اكتب فرسخا في فرسخ ثم وقفا على الثاني فقال اكتب ميلا في ميل
ثم وقفا على الثالث فقال اكتب فترا في فتر ثم انتبه فجيء برجل غريب
لايوبه له فدفن في القبر الاول ثم جيء برجل اخر فدفن في القبر الثاني
ثم جيء بامرأة مترفة من وجوه البلد حولها ناس كثير فدفنت في القبر
الضيق الذي سمعه يقول فترا في فتر والفتر ما بين الابهام والسبابة

﴿ فصل ﴾

﴿ الامر الخامس ﴾ ان النار التي في القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا
من زرع الدنيا فيشاهده من شاهد نار الدنيا وخضرها وانما هي من

﴿ الامر الخامس ﴾

نار الاخرة وخضرها وهي اشد من نار الدنيا فلا يحس به اهل الدنيا
فان الله سبحانه يحمي عليه ذلك التراب والحجارة التي عليه وتحته
حتى يكون اعظم حرا من جمر الدنيا ولو مسها اهل الدنيا لم يحسوا بذلك
بل اعجب من هذا ان الرجلين يدفنان احدهما الى جنب الاخر وهذا في
حفرة من حفر النار لا يصل حرها الى جاره وذلك في روضة من رياض الجنة
لا يصل روحها ونعيمها الى جاره وقدرة الرب تعالى اوسع واعجب من ذلك
وقد ارانا الله من آيات قدرته في هذه الدار ماهو اعجب من ذلك بكثير
ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تحط به علما الا من وفقه الله وعصمه
فيفرش للكافر لوحان من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور
فاذا شاء الله سبحانه ان يطلع على ذلك بعض عبيده اطلعه وغيبه عن
غيره اذ لو اطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والايمان بالغيب
ولما تدافن الناس كما في الصحيحين عنه صلى الله عليه وسلم لولا ان
لا تدافنوا لدعوت الله ان يسمعكم من عذاب القبر ما اسمع * ولما كانت هذه
الحكمة منفية في حق البهائم سمعت ذلك وادركته كما حادت
برسول الله صلى الله عليه وسلم بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يعذب
في قبره وحدثني صاحبنا ابو عبد الله محمد بن الرزيز الحراني انه خرج
من داره بعد العصر بآمد الى بستان قال فلما كان قبل غروب الشمس
توسطت القبور فاذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج والميت
في وسطه فجعلت امسح عيني واقول انائم انا ام يقظان ثم التفت الى سور

المدينة

المدينة وقلت والله ما انا بنائم ثم ذهبت الى اهلي وانا مدهوش فاتوني بطعام فلم استطع ان اكل ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فاذا به مكاس قد توفي ذلك اليوم * فرؤية هذه النار في القبر كرؤية الملائكة والجن تقع احيانا لمن شاء الله ان يريه ذلك وقد ذكر ابن ابي الدنيا في (كتاب القبور) عن الشعبي انه ذكر رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم مررت ببدر فرأيت رجلا يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك ابوجهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة * وذكر من حديث حماد بن سلمة عن عمرو بن دينار عن سالم بن عبد الله عن ابيه قال بينا اسير بين مكة والمدينة على راحلة وانا محقب اداوة اذ مررت بمقبرة فاذا رجل خارج من قبره يلتهب نارا وفي عنقه سلسلة يجرها فقال يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح فوالله ما ادري اعرفني باسمي ام كما تدعو الناس قال فخرج آخر فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح ثم اجتذب السلسلة فاعاده في قبره * قال ابن ابي الدنيا وحدثني ابي ثنا موسى بن داود ثنا حماد بن سلمة عن هشام بن عروة عن ابيه قال بينما راكب يسير بين مكة والمدينة اذ مر بمقبرة فاذا برجل قد خرج من قبر يلتهب نارا مصفدا في الحديد فقال يا عبد الله انضح يا عبد الله انضح قال وخرج اخر يتلوه فقال يا عبد الله لا تنضح يا عبد الله لا تنضح قال وغشي على الراكب وعدلت به راحلته الى العرج قال واصبح قد ابيض شعره فاخبر عثمان بذلك فنهى ان يسافر الرجل

وحدد وذكر من حديث سفيان نا داود بن شابور عن ابي قزعة قال مررنا
في بعض المياه التي بيننا وبين البصرة فسمعنا نهيق حمار فقلنا لهم ما هذا
النهيق قالوا هذا رجل كان عندنا كانت امه تكلمه بالشئ فيقول
لها انهقي نهيقك فلما مات سمع هذا النهيق من قبره كل ليلة
وذكر ايضا عن عمرو بن دينار قال كان رجل من اهل المدينة وكانت
له اخت في ناحية المدينة فاشتكت وكان يأتيها يعودها ثم ماتت فدفنها
ثم رجع فذكر انه نسي شيئا في القبر كان معه فاستعان برجل من
اصحابه قال فنبشا القبر فوجدت ذلك المتاع فقال للرجل تنح حتى انظر
على اي حال اختي فرفع بعض ما على اللحد فاذا القبر مشتعل نارا
فرده وسوى القبر فرجع الى امه فقال ما كان حال اختي فقال
ما تسئل عنها وقد هلكت فقال لتخبريني قالت كانت تؤخر الصلوة
ولا تصلي فيما اظن بوضوء وتاتي ابواب الجيران فتلقم اذنها ابوابهم
وتخرج حديثهم ٭ وذكر عن حصين الاسدي قال سمعت مرثد
ابن حوشب قال كنت جالسا عند يوسف بن عمر والى جنبه رجل
كان شقة وجهه صفحة من حديد فقال له يوسف حدث مرثدا
بما رايت فقال كنت شابا قد اتيت هذه الفواحش فلما وقع الطاعون
قلت اخرج الى ثغر من هذه الثغور ثم رايت ان احفر القبور فاني ليلة
بين المغرب والعشاء قد حفرت قبرا وانا متكئ على تراب قبر آخر
اذ جئ بجنازة رجل حتى دفن في ذلك وسووا عليه فاقبل طائران

ابيضان من المغرب مثل البعيرين حتى سقط احدهما عند راسه والاخر
عند رجليه ثم اثاراه ثم تدلى احدهما في القبر والاخر على شفيره
فجئت حتى جلست على شفير القبر وكنت رجلا لايملأ جوفي شيء
قال فسمعته يقول الست الزائر اصهارك في ثوبين ممصرين تسحبهما
كبرا تمشي الخيلاء فقال انا اضعف من ذلك قال فضربه ضربة امتلأ
القبر حتى فاض ماء ودهنا ثم عاد فاعاد اليه القول حتى ضربه ثلاث
ضربات كل ذلك يقول ذلك ويذكران القبر يفيض ماء ودهنا قال
ثم رفع رأسه فنظر الي فقال انظر اين هو جالس ابلسه الله قال ثم ضرب
جانب وجهي فسقطت فمكثت ليلتي حتى اصبحت قال ثم اخذت
انظر الى القبر فاذا هو على حاله فهذا الماء والدهن في رأي العين لهذا
الرائي وهو نار تاجج للميت كما اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن
الدجال انه ياتي معه بماء ونار فالنار ماء بارد والماء نار تاجج وذكر ابن ابي
الدنيا ان رجلا سأل ابا اسحق الفزاري عن النباش هل له توبة فقال نعم
ان صحت نيته وعلم الله منه الصدق فقال له الرجل كنت انبش القبور
وكنت اجد قوما وجوههم لغير القبلة فلم يكن عند الفزاري في ذلك
شيء فكتب الى الاوزاعي يخبره بذلك فكتب اليه الاوزاعي تقبل
توبته اذا صحت نيته وعلم الله الصدق من قلبه واما قوله انه كان يجد
قوما وجوههم لغير القبلة فاولئك قوم ماتوا على غير السنة * وقال
ابن ابي الدنيا حدثني عبد المؤمن بن عبد الله بن عيسى القيسي انه قيل

لنباش قد تاب ما اعجب ما رأيت قال نبشت رجلا قال فاذا هو مسمر بالمسامير في سائر جسده و مسمار كبير في رأسه وآخر في رجليه قال وقيل لنباش آخر ما اعجب ما رأيت قال رأيت جمجمة انسان مصبوب فيها رصاص قال وقيل لنباش اخر ما كان سبب توبتك قال عامة من كنت انبش كنت اراه محول الوجه عن القبلة ❊ قلت وحدثني صاحبنا ابو عبد الله محمد بن مسابب السلامي وكان من خيار عباد الله وكان يتحرى الصدق قال جاء رجل الى سوق الحدادين ببغداد فباع مسامير صغار المسمار براسين فاخذها الحداد وجعل يحمي عليها فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها فطلب البائع فوجده فقال من اين لك هذه المسامير فقال لقيتها فلم يزل به حتى اخبره انه وجد قبرا مفتوحا وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير قال فعالجتها على ان اخرجها فلم اقدر فاخذت حجرا فكسرت عظامه وجمعتها قال وانا رأيت تلك المسامير قلت له فكيف صفتها قال المسمار صغير براسين ❊ قال ابن ابي الدنيا وحدثني ابي عن ابي الحريس عن امه قالت لما حفر ابو جعفر خندق الكوفة حول الناس موتاهم فرأينا شابا عاضا على يده ❊ وذكر عن سماك بن حرب قال مر ابو الدرداء بين القبور فقال ما اسكن ظواهرك وفي داخلك الدواهي ❊ وقال ثابت البناني بينا انا امشي في المقابر واذا صوت خلفي وهو يقول يا ثابت لا يغرنك سكونها فكم من مغموم فيها فالتفت فلم ار احدا ❊ ومر الحسن على مقبرة فقال

يا لهم

يا لهم من عسكر ما اسكنهم وكم فيهم من مكروب وذكر ابن ابي الدنيا ان عمر بن عبد العزيز قال لمسلمة بن عبد الملك يامسلمة من دفن اباك قال مولاي فلان قال فمن دفن الوليد قال مولاي فلان قال فانا احدثك ماحدثني به انه لما دفن اباك والوليد فوضعهما في قبورهما ذهب ليحل العقد عنهما وجد وجوههما قد حولت في اقفيتهما فانظر يامسلمة اذا انا مت فالتمس وجهي فانظر هل نزل بي مانزل بالقوم او هل عوفيت من ذلك قال مسلمة فلما مات عمر وضعته في قبره فالتمست وجهه فاذا هو مكانه *وذكر ابن ابي الدنيا عن بعض السلف قال ماتت ابنة لي فانزلتها القبر فذهبت اصلح اللبنة فاذا هي قد حولت عن القبلة فاغتممت لذلك غما شديدا فرأيتها في النوم فقالت ياابت غممت لما رأيت فان عامة من حولي محولين عن القبلة قال كانها تريد الذين ماتوا مصرين على الكبائر *وقال عمرو بن ميمون سمعت عمر بن عبد العزيز يقول كنت فيمن دلى الوليد بن عبد الملك في قبره فنظرت الى ركبتيه قد جمعتا الى عنقه فقال ابنه عاش ابي ورب الكعبة فقلت عوجل ابوك ورب الكعبة فاتعظ بها عمر بعد *وقال عمر بن عبد العزيز ليزيد بن المهلب لما استعمله على العراق يايزيد اتق الله فاني حين وضعت الوليد في لحده فاذا هو يركض في اكفانه *وقال يزيد بن هارون اخبرنا هشام ابن حسان عن واصل مولى ابن عيينة عن عمرو بن زهدم عن عبد الحميد ابن محمود قال كنت جالسا عند ابن عباس فاتاه قوم فقالوا انا خرجنا

اجماعاً وما صاحب [illegible] القبار الصفاح [illegible] ثم انطلقنا فحفرنا
له ولحدنا له فلما فرغنا من لحده [illegible] باسود قد ملأ اللحد فحفرنا له
آخر فاذا به قد ملأ اللحد فحفرنا آخر فاذا [illegible] فقال ابن عباس ذلك
الغل الذي [illegible] والذي نفسي بيده
لو حفرتم الارض كلها لوجدتموه فيه [illegible] في بعضها فقال
[illegible] ما كان يعمل زوجك
[illegible] ثم يعرض الفتل
[illegible] حدثني [illegible] قال حدثني
[illegible] لما كنت اشرب
[illegible] ل امرجت
[illegible] وذكرت
[illegible] رجل من اهل البصرة
[illegible] وسمعت [illegible]
[illegible] فشددت يدي الا
[illegible]
[illegible] عن ذلك الغرقد
[illegible] الشاة [illegible]
[illegible]
[illegible]

ان لايتكلم الى يوم القيامة ه و هذه الاخبار واضعافها واضعاف اضعافها
مما لا يتسع لها الكتاب مما اراه الله سبحانه لبعض عباده من عذاب
القبر ونعيمه عيانا و اما رؤية المنام فلو ذكرناها لجاءت عدة اسفار ومن
اراد الوقوف عليها فعليه (بكتاب المنامات) لابن ابي الدنيا
(وكتاب البستان) للقيرواني وغيرهما من الكتب المتضمنة لذلك وليس
عند الملاحدة والزنادقة الا التكذيب بما لم يحيطوا بعلمه ه

فصل

الامر السابع ان الله سبحانه وتعالى يحدث في هذه الدار ما هو اعجب
من ذلك فهذا جبريل كان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم ويتمثل
له رجلا فيكلمه بكلام يسمعه ومن الى جانب النبي صلى الله عليه وسلم
لا يراه ولا يسمعه وكذلك غيره من الانبياء واحيانا ياتيه الوحي في
مثل صلصلة الجرس ولا يسمعه غيره من الحاضرين وهؤلاء الجن
يتحدثون ويتكلمون بالاصوات المرتفعة بيننا ونحن لا نسمعهم وقد
كانت الملائكة تضرب الكفار بالسياط وتضرب رقابهم وتصيح بهم
والمسلمون معهم لا يرونهم ولا يسمعون كلامهم والله سبحانه قد حجب
بني ادم عن كثير مما يحدثه في الارض وهو بينهم وقد كان جبريل
يقرئ النبي صلى الله عليه وسلم ويدارسه القران والحاضرون لا يسمعونه
وكيف يستنكر من يعرف الله سبحانه ويقر بقدرته ان يحدث حوادث
يصرف عنها ابصار بعض خلقه حكمة منه ورحمة بهم لانهم لا يطيقون

الامر السابع

رؤيتها وسماعها والعبد اضعف بصراً وسمعاً من ان يثبت لمشاهدة عذاب
القبر وكثير ممن اشهده الله ذلك صعق وغشي عليه ولم ينتفع بالعيش
زمنا وبعضهم كشف قناع قلبه فمات فكيف ينكر في الحكمة الالهية
اسبال غطاء يحول بين المكلفين وبين مشاهدة ذلك حتى اذا كشف
الغطاء رأوه وشاهدوه عياناً ثم ان العبد قادر على ان يزيل الزيبق والخردل
عن عين الميت وصدره ثم يرده بسرعة فكيف يعجز عنه الملك وكيف
لايقدر عليه من هو على كل شيء قدير وكيف تعجز قدرته عن ابقائه
في عينيه وعلى صدره لايسقط عنه وهل قياس امر البرزخ على
مايشاهده الناس في الدنيا الامحض الجهل والضلال وتكذيب اصدق
الصادقين وتعجيز رب العالمين وذلك غاية الجهل والظلم واذا كان
احد منا يمكنه توسعة القبر عشرة اذرع ومائة ذراع واكثر طولا وعرضا
وعمقا ويستر توسيعه عن الناس ويطلع عليه من يشاء فكيف يعجز رب
العالمين ان يوسعه مايشاء على من يشاء ويستر ذلك عن اعين بني آدم
فيراه بنو آدم ضيقا وهو اوسع شيء واطيبه ريحا واعظمه اضاءة ونورا وهم
لايرون ذلك وسر المسئلة ان هذه التوسعة والضيق والاضاءة والخضرة والنار
ليس من جنس المعهود في هذا العالم والله سبحانه انما اشهد بني آدم في
هذه الدار ماكان فيها ومنها فاما ماكان من امر الاخرة فقد اسبل عليه
الغطاء ليكون الاقرار به والايمان سببا لسعادتهم فاذا كشف عنهم الغطاء
صار عيانا مشاهدا فلو كان الميت بين الناس موضوعا لم يمتنع ان يأتيه

الملكان و يسأ لانه من غيران يشعر الحاضرون بذلك و يجيبهما من غير ان يسمع كلامه و يضربانه من غير ان يشاهد الحاضرون ضربه وهذا الواحد منا ينام الى جنب صاحبه فيعذب في النوم و يضرب و يالم وليس عند المستيقظ خبر من ذلك البتة وقد يسرى اثر الضرب والالم الى جسده ومن اعظم الجهل استبعاد شق الملك الارض والحجر وقد جعلها الله سبحانه له كالهواء للطير ولا يلزم من حجبها للاجسام الكثيفة ان تتولج فيها حجبها للارواح اللطيفة وهل هذا الامن افسد القياس وبهذا وامثاله كذبت الرسل صلوات الله وسلامه عليهم ٭

﴾ فصل ﴿

﴾الامر الثامن﴿ انه غير ممتنع ان ترد الروح الى المصلوب والغريق والمحرق ونحن لانشعر بها لان ذلك الرد نوع اخر غير المعهود فهذا المغمى عليه والمسكوت والمبهوت احياء وارواحهم معهم ولانشعر بحياتهم ومن تفرقت اجزاؤه لايمتنع على من هو على كل شيء قدير ان يجعل للروح اتصالا بتلك الاجزاء على تباعد مابينها او قربه ويكون في تلك الاجزاء شعور بنوع من الالم واللذة واذا كان الله سبحانه وتعالى قد جعل في الجمادات شعورا وادراكا تسبح ربها به وتسقط الحجارة من خشيته وتسجد له الجبال والشجر وتسبحه الحصى والمياه والنبات قال تعالى وان من شيء الايسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ولوكان التسبيح هو مجرد دلالتها على صانعها لم يقل ولكن لاتفقهون تسبيحهم فان كل

﴾الامر الثامن﴿

عاقل بفقه دلالتها على صانعها وقال تعالى انا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والاشراق * والدلالة على الصانع لا تختص بهذين الوقتين وكذلك قوله تعالى يا جبال اوبي معه * والدلالة لا تختص بمعيته وحده * وكذب على الله من قال التاويب رجع الصدى فان هذا يكون لكل مصوت وقال تعالى الم تر ان الله يسجد له من في السموات ومن في الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس * والدلالة على الصانع لا تختص بكثير من الناس وقال تعالى الم تر ان الله يسبح له من في السموات والارض والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه * فهذه صلوة وتسبيح حقيقة يعلمها الله وان جحدها الجاهلون المكذبون وقد اخبر تعالى عن الحجارة ان بعضها يزول من مكانه ويسقط من خشيته وقد اخبر عن الارض والسماء انهما يادنان له و قولها ذلك اى يستمعان كلامه وانه خاطبهما قسمعا خطابه واحسنا جوابه فقال لهما ائتيا طوعا او كرها قالتا اتينا طائعين وقد كان الصحابة يسمعون تسبيح الطعام وهو يوكل وسمعوا حنين الجذع اليابس في المسجد فاذا كانت هذه الاجسام فيها الاحساس والشعور فالاجسام التي كانت فيها الروح والحياة اولى بذلك وقد اشهد الله سبحانه عباده في هذه الدار اعادة حياة كاملة الى بدن قد فارقته الروح فتكلم ومشى واكل وشرب وتزوج وولد له كالذين خرجوا من ديارهم وهم الوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم احياهم *

اوكالذى مر على قرية وهى خاوية على عروشها قال انى يحيى هذه الله بعد موتها فاماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوما او بعض يوم ٭ وكقتيل بنى اسرائيل او كالذين قالوا لموسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاماتهم الله ثم بعثهم من بعد موتهم وكاصحاب الكهف وكقصة ابراهيم في الطيور الاربعة فاذا اعاد الحياة التامة الى هذه الاجساد بعد مابردت بالموت فكيف يمتنع على قدرته الباهرة ان يعيد اليها بعد موتها حياة ماغير مستقرة تقتضى بها مامرها فيها او يستنطقها بها او يعذبها او ينعمها باعمالها وهل انكار ذلك الامجرد تكذيب وعناد وجحود وبالله التوفيق ٭

﴿ فصل ﴾

﴿الامر التاسع﴾ انه ينبغى ان يعلم ان عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو مابين الدنيا والاخرة وقال تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون ٭ وهذا البرزخ يشرف اهله فيه على الدنيا والاخرة وسمى عذاب القبر ونعيمه وانه روضة اوحفرة نار باعتبار غالب الخلق فالمصلوب والحرق والغرق واكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه اعماله وان تنوعت اسباب النعيم والعذاب كيفياتها فقد ظن بعض الاوائل انه اذا حرق جسده بالنار وصار رمادا وذرى بعضه في البحر وبعضه في البر في يوم شديد الريح انه ينجو من ذلك فاوصى نبيه ان يفعلوا به ذلك فامر الله

﴿ الامر التاسع ﴾

البحر فجمع ما فيه وامر البر فجمع ما فيه ثم قال قم فاذا هو قائم بين يدي الله فسأله ما حملك على ما فعلت فقال خشيتك يارب وانت اعلم فما تلافاه ان رحمه فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الاجزاء التي صارت في هذه الحال حتى لو علق الميت على رؤس الاشجار في مهاب الرياح لاصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه ولو دفن الرجل الصالح في اتون من النار لاصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه فيجعل الله النار على هذا بردا وسلاما والهواء على ذلك نارا وسموما فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء ولا يستعصي عليه منها شيء اراده بل هي طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته ومن انكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وانكر ربوبيته *

فصل

(الامر العاشر) ان الموت معاد وبعث اول فان الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما الذين اساؤا بما عملوا ويجزى الذين احسنوا بالحسنى فالبعث الاول مفارقة الروح للبدن ومصيرها الى دار الجزاء الاول والبعث الثاني يوم يرد الله الارواح الى اجسادها ويبعثها من قبورها الى الجنة او النار وهو الحشر الثاني ولهذا في الحديث الصحيح وتؤمن بالبعث الاخر فان البعث الاول لا ينكره احد وان انكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب وقد

الامر العاشر

ذكر الله سبحانه وتعالى هاتين القيامتين وهما الصغري والكبرى فى سورة المومنين وسورة الواقعة وسورة القيامة وسورة المطففين وسورة الفجر وغيرها من السور وقد اقتضى عدله وحكمته ان جعلها دارى جزاء المحسنين والمسئ ولكن توفية الجزاء انما يكون يوم المعاد الثانى فى دار القرار كما قال تعالى كل نفس ذائقة الموت وانما توفون اجوركم يوم القيامة* وقد اقتضى عدله واوجبت اسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم ابدان اوليائه وارواحهم وتعذيب ابدان اعدائه وارواحهم فلابد ان يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة مايليق به ويذيق بدن الفاجر العاصي له وروحه من الالم والعقوبة مايستحقه هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس ولما كانت هذه الدار دار تكليف وامتحان لادار جزاء لم يظهر فيها ذلك واما البرزخ فاول دار الجزاء فظهر فيها من ذلك مايليق بتلك الدار وتقتضي الحكمة اظهاره فاذا كان يوم القيامة الكبرى وفى اهل الطاعة واهل المعصية ما يستحقونه من نعيم الابدان والارواح وعذابهما فعذاب البرزخ ونعيمه اول عذاب الاخرة ونعيمها وهو مشتق منه وواصل الى اهل البرزخ هناك كما دل عليه القران والسنة الصحيحة الصريحة في غير موضع دلالة صريحة كقوله صلى الله عليه وسلم فيفتح له باب الى الجنة فياتيه من روحها ونعيمها وفي الفاجر فيفتح له باب الى النار فياتيه من حرها وسمومها ومعلوم قطعا ان البدن ياخذ حظه من هذا الباب

كما تاخذ الروح حظها فاذا كان يوم القيامة دخل من ذلك الباب الى مقعده الذى هو داخله وهذان البابان يصل منهما الى العبد فى هذه الدار اثر خفى محجوب بالشواغل والقواطع الحسية وامراض ولكن يحس به كثير من الناس وان لم يعرف سببه ولا يحسن التعبير عنه فوجود الشئ غير الاحساس به والتعبير عنه فاذا مات كان وصول ذلك الاثر اليه من هذين البابين اكمل فاذا بعث كمل وصول ذلك الاثر اليه فحكمة الرب تعالى منتظمة لذلك اكمل انتظام في الدور الثلاث ٭

﴿ فصل ﴾ ٭ ٭ ٭ ﴿واما المسئلة الثامنة وهي قول السائل ما الحكمة في كون عذاب القبر لم يذكر في القران مع شدة الحاجة الى معرفته والايمان به ليحذر ويتقى ﴾

﴿ المسئلة الثامنة في ان ما الحكمة في عدم ذكر عذاب القبر في القران مع شدة الحاجة الخ ﴾

فالجواب من وجهين مجمل ومفصل اما المجمل فهو ان الله سبحانه وتعالى انزل الله على رسوله وحيين واوجب على عباده الايمان بهما والعمل بما فيهما وهما الكتاب والحكمة وقال تعالى وانزل الله عليك الكتاب والحكمة وقال تعالى هو الذى بعث في الاميين رسولا منهم يتلو عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وقال تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله والحكمة والكتاب هو القران والحكمة هي السنة باتفاق السلف وما اخبر به الرسول عن الله فهو في وجوب تصديقه والايمان به كما اخبر به الرب تعالى على لسان رسوله هذا اصل متفق عليه بين اهل الاسلام لا ينكره الا من ليس

منهم وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم اني اوتيت الكتاب ومثله معه * واما الجواب المفصل * فهو ان نعيم البرزخ وعذابه مذكور في القران في غير موضع * فمنها * قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون * وهذا خطاب لهم عند الموت وقد اخبرت الملائكة وهم الصادقون انهم حينئذ يجزون عذاب الهون ولو تأخر عنهم ذلك الى انقضاء الدنيا لما صح ان يقال لهم اليوم تجزون * ومنها * قوله تعالى فوقاه الله سيأت ما مكروا وحاق بآل فرعون سوء العذاب * النار يعرضون عليها غدوا وعشيا ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب * فذكر عذاب الدارين ذكرا صريحا لا يحتمل غيره * ومنها * قوله تعالى فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون * وان للذين ظلموا عذابا دون ذلك ولكن اكثرهم لا يعلمون * وهذا يحتمل ان يراد به عذابهم بالقتل وغيره في الدنيا وان يراد به عذابهم في البرزخ وهو اظهر لان كثيرا منهم مات ولم يعذب في الدنيا وقد يقال وهو اظهر ان من مات منهم عذب في البرزخ ومن بقي منهم عذب في الدنيا بالقتل وغيره فهو وعيد بعذابهم في الدنيا وفي البرزخ * ومنها * قوله تعالى ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الاكبر لعلهم يرجعون * وقد احتج بهذه الاية جماعة منهم عبد الله بن عباس على عذاب القبر وفي الاحتجاج

بهاشي لان هذا عذاب في الدنيا يستدعى به رجوعهم عن الكفر ولم يكن
هذا مما يخفى على حبر الامة و ترجمان القران لكن من فقهه في القران
ودقة فهمه فيه فهم منها عذاب القبر فانه سبحانه اخبر ان لهم عذابين
ادنى واكبر فاخبر انه يذيقهم بعض الادنى ليرجعوا فدل على انه بقي
لهم من الادنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا ولهذا قال من العذاب
الادنى ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الادنى فتامله وهذا نظير قول
النبي صلى الله عليه وسلم فيفتح له طاقة الى النار فيأتيه من
حرها وسمومها * ولم يقل فياتيه حرها وسمومها فان الذى وصل
اليه بعض ذلك وبقي له اكثره والذي ذاقه اعداء الله في الدنيا
بعض العذاب الادنى وبقي لهم ما هو اعظم منه * ومنها * قوله تعالى
فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينئذ تنظرون ونحن اقرب اليه منكم
ولكن لا تبصرون فلولا ان كنتم غير مدينين ترجعونها ان كنتم صادقين
فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم واما ان كان
من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين واما ان كان من
المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم ان هذا لهو حق اليقين
فسبح باسم ربك العظيم * فذكر هنا احكام الارواح عند الموت وذكر
في اول السورة احكامها يوم المعاد الاكبر وقدم ذلك على هذا تقديم
الغاية للعناية اذ هي اهم واولى بالذكر وجعلهم عند الموت ثلاثة اقسام
كما جعلهم في الاخرة ثلاثة اقسام * ومنها * قوله تعالى يا ايتها النفس

المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * وقد اختلف السلف متى يقال لها ذلك فقالت طائفة يقال لها عند الموت وظاهر اللفظ مع هؤلاء فانه خطاب للنفس التي قد تجردت عن البدن وخرجت منه وقد فسر ذلك النبي صلى الله عليه وسلم بقوله في حديث البراء وغيره فيقال لها اخرجي راضية مرضيا عنك * وسيأتي تمام تقرير هذا في المسئلة التي يذكر فيها مستقر الارواح في البرزخ ان شاء الله تعالى وقوله تعالى فادخلي في عبادي * مطابق لقوله صلى الله عليه وسلم اللهم الرفيق الاعلى * وانت اذا تأملت احاديث عذاب القبر ونعيمه وجدتها تفصيلا وتفسيرا لما دل عليه القران وبالله التوفيق *

﴿ فصل ﴾ * * * * ﴿ واما المسئلة التاسعة وهي قول السائل ما الاسباب التي تعذب بها اصحاب القبور ﴾

فجوابها من وجهين * مجمل ومفصل * اما المجمل * فانهم يعذبون على جهلهم بالله واضاعتهم لامره وارتكابهم لمعاصيه فلا يعذب الله روحا عرفته واحبته وامتثلت امره واجتنبت نهيه ولا بدنا كانت فيه ابدا فان عذاب القبر وعذاب الاخرة اثر غضب الله وسخطه على عبده فمن اغضب الله واسخطه في هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب * واما الجواب المفصل * فقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن الرجلين الذين راهما يعذبان في قبورهما يمشي احدهما بالنميمة بين الناس ويترك الاخر

﴿ المسئلة التاسعة في الاسباب التي تعذب بها اصحاب القبور ﴾

الاستبراء من البول فهذا ترك الطهارة الواجبة وذلك ارتكب السبب
الموقع للعداوة بين الناس بلسانه وان كان صادقا وفي هذا تنبيه على
ان الموقع بينهم العداوة بالكذب والزور والبهتان اعظم عذابا كما ان
في ترك الاستبراء من البول تنبيها على ان من ترك الصلوة التي
الاستبراء من البول بعض واجباتها وشروطها واشد عذابا وفي
حديث شعبة اما احدهما فكان يأكل لحوم الناس فهذا مغتاب وذلك
نمام وقد تقدم حديث ابن مسعود في الذي ضرب سوطا امتلأ القبر
عليه به نارا لكونه صلى صلوة واحدة بغير طهور ومر على مظلوم
فلم ينصره وقد تقدم حديث سمرة في صحيح البخاري في تعذيب من
يكذب الكذبة فتبلغ الآفاق وتعذيب من يقرأ القرآن ثم ينام عنه
بالليل ولا يعمل به بالنهار وتعذيب الزناة والزواني وتعذيب آكل
الربا كما شاهدهم النبي صلى الله عليه وسلم في البرزخ وتقدم حديث
ابي هريرة الذي فيه رضخ رؤس اقوام بالصخر لتثاقل رؤسهم عن
الصلوة والذين يسرحون بين الضريع والزقوم لتركهم زكوة
اموالهم والذين يأكلون اللحم المنتن الخبيث لزناهم والذين تقرض
شفاههم بمقاريض من حديد لقيامهم في الفتن بالكلام والخطب وتقدم
حديث ابي سعيد وعقوبة ارباب تلك الجرائم فمنهم من بطونهم امثال
البيوت وهم على سابلة آل فرعون وهم اكلة الربا ومنهم من تفتح
افواههم فيلقمون الجمر حتى تخرج من اسافلهم وهم اكلة اموال اليتامى

ومنهم الملقات بثديين ومن الزواني ومنهم من تقطع جنوبهم ويطعمون لحومهم وهم المغتابون ومنهم من لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم وهم الذين يمزون اعراض الناس وقد اخبر النبي صلى الله عليه وسلم عن صاحب الشملة التي غلها من المغنم انها تشتعل عليه نارا في قبره هذا وله فيها حق فكيف بمن ظلم غيره مالاحق له فيه فعذاب القبر من معاصي القلب والعين والاذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله فالنمام والكذاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والموضع في الفتنة والداعي الى البدعة والقائل على الله ورسوله مالاعلم له به والمجازف في كلامه واكل الربا واكل اموال اليتامى واكل السحت من الرشوة والبرطيل ونحوها واكل مال اخيه المسلم بغير حق او مال المعاهد وشارب المسكر واكل لقمة الشجرة الملعونة والزاني واللوطي والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر واخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه والمحلل والمحلل له والمحتال على اسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه ومؤذي المسلمين ومتتبع عوراتهم والحاكم بغير ما انزل الله والمفتي بخلاف ما شرعه الله والمعين على الاثم والعدوان وقاتل النفس التي حرم الله والملحد في حرم الله والمعطل لحقائق اسماء الله وصفاته الملحد فيها والمقدم رايه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم والنائحة والمستمع اليها ونواحي جهنم وهم المغنيون الغناء الذي

حرمه الله ورسوله والمستمع اليهم والذين يبنون المساجد على القبور
ويوقدون عليها القناديل والسرج والمطففون في استيفاء مالهم اذا
اخذوه وهضم ما عليهم اذا بذلوه والجبارون والمتكبرون والمراؤن
والهامزون واللامزون والطاعنون على السلف والذين ياتون الكهنة
والمنجمين والعرافين فيسألونهم ويصدقونهم واعوان الظلمة الذين
قد باعوا اخرتهم بدنيا غيرهم والذى اذا خوفته بالله وذكرته به
لم يرعو ولم ينزجر فاذا خوفته بمخلوق مثله خاف وارعوى وكف
عن ما هو فيه والذى يهدى بكلام الله ورسوله فلايهتدى ولا يرفع
به رأسا فاذا ابلغه عن من يحسن به الظن ممن يصيب ويخطى عض عليه
بالنواجذ ولم يخالفه والذى يقرأ عليه القران فلا يؤثر فيه وربما
استثقل به فاذا اسمع قران الشيطان ورقية الزنا ومادة النفاق طاب
سره وتواجد وهاج من قلبه دواعى الطرب وود ان المغنى لا يسكت
والذى يحلف بالله ويكذب فاذا احلف بالبندق او برأس شيخه او
قريبه او سراويل الفتوة او حياة من يحبه ويعظمه من المخلوقين
لم يكذب ولو هدد وعوقب والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين اخوانه
واضرابه وهو المجاهر والذي لا تأمنه على مالك وحرمتك والفاحش
اللسان البذى الذى تركه الخلق اتقاء شره وفحشه والذى يؤخر
الصلوة الى اخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها الا قليلا ولا يؤدى
زكوة ماله طيبة بها نفسه ولا يحج مع قدرته على الحج ولا يؤدى

ماعليه من الحقوق مع قدرته عليها ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا اكلة ولا خطوة ولا يبالى بما حصل المال من حلال او حرام ولا يصل رحمه ولا يرحم المسكين ولا الارملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين ويرائي العالمين ويمنع الماعون ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه وبذنوبهم عن ذنبه فكل هؤلاء وامثالهم يعذبون في قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها ولما كان اكثر الناس كذلك كان اكثر اصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل فظواهر القبور تراب * وبواطنها حسرات وعذاب * ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات * وفي باطنها الدواهي والبليات * تغلي بالحسرات كما تغلي القدور بما فيها * ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وامانيها * تالله لقد وعظت فما تركت لواعظ مقالا * ونادت ياعمار الدنيا لقد عمرتم دارا موشكة بكم زوالا * وخربتم دارا انتم مسرعون اليها انتقالا * عمرتم بيوتا لغيركم منافعها وسكناها * وخربتم بيوتا ليس لكم مساكن سواها * هذه دار الاستباق ومستودع الاعمال وبيدر الزرع وهذه محل للعبر رياض من رياض الجنة او حفرة من حفر النار *

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ واما المسألة العاشرة وهي قوله ما هي الاسباب المنجية من عذاب القبر ﴾

فجوابها ايضا من وجهين * مجمل ومفصل * اما المجمل * فهو تجنب

تلك الاسباب التي تقتضى عذاب القبر ومن انفعها ان يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ماخسره وربحه في يومه ثم يجدد له توبة نصوحا بينه وبين الله فينام على تلك التوبة ويعزم على ان لايعاود الذنب اذا استيقظ ويفعل هذا كل ليلة فان مات من ليلته مات على توبة وان استيقظ استيقظ مستقبلا للعمل مسرورا بتأخير اجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد انفع من هذه النومة ولاسيما اذا اعقب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التي وردت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند النوم حتى يغلبه النوم فمن اراد الله به خيرا وفقه لذلك ولاقوة الا بالله

* واما الجواب المفصل * فنذكر احاديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما ينجي من عذاب القبر فمنها ما رواه مسلم في صحيحه عن سلمان قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول رباط يوم وليلة خير من صيام شهر وقيامه وان مات اجرى عليه عمله الذى كان يعمله واجرى عليه رزقه وامن الفتان * وفي جامع الترمذي من حديث فضالة بن عبيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال كل ميت يختم على عمله الا الذي مات مرابطا في سبيل الله فانه ينمى له عمله الى يوم القيامة ويأمن من فتنة القبر قال الترمذى هذا حديث حسن صحيح وفي سنن النسائي عن راشد بن سعد عن رجل من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ان رجلا قال يا رسول الله مابال المؤمنين يفتنون في قبورهم الا

الشهيد قال كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة وعن المقدام بن معديكرب قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويجار من عذاب القبر ويأمن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها ويزوج ثنتين وسبعين زوجة من الحور العين ويشفع في سبعين من اقاربه رواه ابن ماجة والترمذي وهذا لفظه وقال هذا حديث حسن صحيح وعن ابن عباس قال ضرب رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم خباءه على قبر وهو لا يحسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وانا لا احسب انه قبر فاذا قبر انسان يقرأ سورة الملك حتى ختمها فقال النبي صلى الله عليه وسلم هي المانعة هي المنجية تنجيه من عذاب القبر قال الترمذي هذا حديث حسن غريب ٭ وروينا في مسند عبد بن حميد عن ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن عكرمة عن ابن عباس انه قال لرجل الا اتحفك بحديث تفرح به قال الرجل بلى قال اقرأ تبارك الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير احفظها وعلمها اهلك وولدك وصبيان بيتك وجيرانك فانها المنجية والمجادلة تجادل او تخاصم يوم القيامة عند ربها لقاريها وتطلب له الى ربها ان ينجيه من عذاب النار اذا كانت في جوفه وينجي الله بها صاحبها من عذاب القبر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

لورد ت انها في قلب كل انسان من امتي * قال ابو عمر بن عبد البر وصح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان سورة ثلاثين آية شفعت في صاحبها حتى غفر له تبارك الذي بيده الملك * وفي سنن ابن ماجة من حديث ابي هريرة يرفعه من مات مبطونا مات شهيدا ووقي فتنة القبر وغدي وريح عليه برزق من الجنة * وفي سنن النسائي عن جامع ابن شداد قال سمعت عبد الله بن يشكر يقول كنت جالسا مع سليمان بن صرد وخالد بن عرفطة فذكروا ان رجلا مات ببطنه فاذا هما يشتهيان ان يكونا شهدا جنازته فقال احدهما للاخر الم يقل رسول الله صلى الله عليه وسلم من قتله بطنه لم يعذب في قبره * وقال ابو داود الطيالسي في مسنده حدثنا شعبة حدثني احمد بن جامع بن شداد قال حدثني ابي فذكره وزاد فقال الاخر بلى * وفي الترمذي من حديث ربيعة بن سيف عن عبد الله بن عمرو قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن مسلم يموت يوم الجمعة او ليلة الجمعة الا وقاه الله فتنة القبر قال الترمذي هذا حديث حسن غريب وليس اسناده بمتصل ربيعة بن سيف انما يروي عن ابي عبد الرحمن الحبلي عن عبد الله بن عمرو ولا يعرف لربيعة بن سيف سماع من عبد الله بن عمرو انتهى وقد روى الترمذي الحكيم من حديث ربيعة بن سيف هذا عن عياض بن عقبة الفهري عن عبد الله بن عمرو وقد رواه ابو نعيم الحافظ عن محمد بن المنكدر عن جابر مرفوعا ولفظه من مات ليلة الجمعة او يوم الجمعة اجير من

عذاب القبر وجاء يوم القيامة وعليه طابع الشهداء * تفرد به عمر بن موسى الوجيهي وهو مدني ضعيف وقوله صلى الله عليه وسلم كفى ببارقة السيوف على رأسه فتنة * معناه والله اعلم قد امتحن نفاقه من ايمانه ببارقة السيف على رأسه فلم يفر فلو كان منافقا لما صبر لبارقة السيف على رأسه فدل على ان ايمانه هو الذي حمله على بذل نفسه لله وتسليمها له وهاج من قلبه حمية الغضب لله ورسوله واظهار دينه واعزاز كلمته فهذا قد اظهر صدق ما في ضميره حيث برز للقتل فاستغنى بذلك عن الامتحان في قبره * قال ابو عبد الله القرطبي اذا كان الشهيد لا يفتن فالصديق اجل خطرا واعظم اجرا ان لا يفتن لانه مقدم ذكره في التنزيل على الشهداء وقد صح في المرابط الذي هو دون الشهيد انه لا يفتن فكيف بمن هو اعلى رتبة منه ومن الشهيد والاحاديث الصحيحة ترد هذا القول وتبين ان الصديق يسئل في قبره كما يسئل غيره وهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رأس الصديقين وقد قال للنبي صلى الله عليه وسلم لما اخبره عن سوال الملك في قبره فقال وانا على مثل حالتي هذه فقال نعم وذكر الحديث وقد اختلف في الانبياء هل يسئلون في قبورهم على قولين وهما وجهان في مذهب احمد وغيره ولا يلزم من هذه الخاصية التي اختص بها الشهيد ان يشاركه الصديق في حكمها وان كان اعلى منه فخواص الشهداء قد تنتفي عن من هو افضل منهم وان كان اعلى منهم درجة واما حديث ابن ماجة من مات مريضا مات

شهيدا و فى فتنة القبر فمن افراد ابن ماجة وفي افراده غرائب و منكرات و مثل هذا الحديث مما يتوقف فيه ولا يشهد به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان صح فهو مقيد بالحديث الاخر وهو الذى يقتله بطنه فان صح عنه انه قال المبطون شهيد فيحمل هذا المطلق على ذلك المقيد والله اعلم وقد جاء فيما ينجى من عذاب القبر حديث فيه الشفاء رواه ابو موسى المدينى وبين علته فى كتابه في الترغيب والترهيب وجعله شرحاله رواه من حديث ابي الفرج بن فضالة ثنا هلال ابو جبلة عن سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة قال خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم و نحن في صفة بالمدينة فقام علينا فقال اني رأيت البارحة عجبا رأيت رجلا من امتي اتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاءه بره بوالديه فرد ملك الموت عنه ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطير الشياطين عنه ورأيت رجلا من امتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءه صلاته فاستنقذه من ايديهم ورأيت رجلا من امتى يلهث عطشا كلما دنا من حوض منع وطرد فجاءه صيام شهر رمضان فاسقاه وارواه ورأيت رجلا من امتي ورأيت النبيين جلوسا حلقا حلقا كلما دنا الى حلقة طرد ومنع فجاءه غسله من الجنابة فاخذ بيده فاقعده الى جنبي ورأيت رجلا من امتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة وعن يمينه ظلمة وعن يساره ظلمة ومن فوقه ظلمة وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه

من الظلمة و ادخلاه في النور و رأيت رجلا من امتي يتقي وهج النار
وشررها فجاءته صدقته فصارت سترا بينه وبين النار وظللا على رأسه
ورأيت رجلا من امتي يكلم المومنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت
يامعشر المومنين انه كان وصولا لرحمه فكلموه فكلمه المومنون وصافحوه
وصافحهم ورأيت رجلا من امتي قد احتوشته الزبانية فجاءه امره بالمعروف
ونهيه عن المنكر فاستنقذه من ايديهم و ادخله في ملائكة الرحمة
ورأيت رجلا من امتي جاثيا على ركبتيه و بينه وبين الله
حجاب فجاءه حسن خلقه فاخذه بيده فادخله على الله عز وجل ورأيت
رجلا من امتي قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل
فاخذ صحيفته فوضعها في يمينه ورأيت رجلا من امتي خف ميزانه فجاءه
افراطه فثقلوا ميزانه ورأيت رجلا من امتي قائما على شفير جهنم فجاءه
رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك و مضى ورأيت رجلا من امتي
قد هوى في النار فجاءته دمعته التي قد بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته
من ذلك ورأيت رجلا من امتي قائما على الصراط يرعد كما ترعد السعفة
في ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكن *رعدته
ومضى ورأيت رجلا من امتي يزحف على الصراط يحبو احيانا ويتعلق
احيانا فجاءته صلاته علي فاقامته على قدميه و انقذته ورأيت رجلا
من امتي انتهى الى ابواب الجنة فغلقت الابواب دونه فجاءته شهادة
ان لا اله الا الله ففتحت له الابواب وادخلته الجنة قال الحافظ ابوموسى

* رعدة له

هذا حديث حسن جدا رواه عن سعيد بن المسيب عمر بن ذر وعلي بن زيد بن جدعان ونحو هذا الحديث مما قيل فيه ان رؤيا الانبياء وحي فهي على ظاهرها لا كنحو ماروي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال رأيت كان سيفي انقطع فاولته كذا وكذا ورأيت بقرا تنحر ورأيت كانا في دار عقبة بن رافع * وقد روى في رؤياه الطويلة من حديث سمرة في الصحيح ومن حديث علي وابي امامة وروايات هؤلاء الثلاثة قريب بعضها من بعض مشتملة على ذكر عقوبات جماعة من المعذبين في البرزخ وانما في هذه الرواية فذكر العقوبة وانجاء ايخص صاحبها من العمل وراوى هذا الحديث عن ابن المسيب هلال ابو جبلة مدني لا يعرف بغير هذا الحديث ذكره ابن ابي حاتم عن ابيه هكذا ذكره الحاكم ابو احمد والحاكم ابو عبد الله ابو جبيل بلا هاء وحكياه عن مسلم ورواه عنه الفرج بن فضالة وهو وسط في الرواية ليس بالقوى ولا المتروك ورواه عنه بشر بن الوليد الفقيه المعروف بابي الخطيب كان حسن المذهب جميل الطريقة وسمعت شيخ الاسلام يعظم امر هذا الحديث وقال اصول السنة تشهد له وهو من احسن الاحاديث *

﴿ فصل ﴾ **** ﴿ واما المسئلة الحادية عشر وهي ان السوال في القبر هل هو عام في حق المسلمين والمنافقين والكفار او يختص بالمسلم والمنافق ﴾ فقال ابو عمر بن عبد البر في (كتاب التمهيد) والآثار الدالة

تدل على ان الفتنة في القبر لاتكون الالمؤمن او منافق من كان منسوبا الى اهل القبلة ودين الاسلام بظاهر الشهادة واما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسئل عن ربه ودينه ونبيه وانما يسئل عن هذا اهل الاسلام يثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون والقرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول وان السوال للكافر والمسلم قال الله تعالى يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء وقد ثبت في الصحيح انها نزلت في عذاب القبر حين يسئل من ربك وما دينك ومن نبيك وفي الصحيحين عن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان العبد اذا وضع في قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم وذكر الحديث زاد البخاري واما المنافق والكافر فيقال له ماكنت تقول في هذا الرجل فيقول لاادري كنت اقول مايقول الناس فيقال لادريت ولاتليت ويضرب بمطرقة من حديد يصيح صيحة يسمعها من يليه الاالثقلين * هكذا في البخاري واما المنافق والكافر بالواو وقد تقدم في حديث ابي سعيد الخدري الذي رواه ابن ماجة والامام احمد كنا في جنازة مع النبي صلى الله عليه وسلم فقال ياايها الناس ان هذه الامة تبتلى في قبورها فاذا الانسان دفن وتولى عنه اصحابه جاءه ملك وفي يده مطراق فاقعده فقال ماتقول في هذا الرجل فان كان مؤمنا قال اشهد ان لااله الاالله وحده لاشريك له واشهد ان

محمد اعبده ورسوله فيقول له صدقت فيفتح له باب الى النار فيقول هذا امنزلك لو كفرت بربك واما الكافر والمنافق فيقول له ماتقول في هذا الرجل فيقول لاادري فيقال لادريت ولااهتديت ثم يفتح له باب الى الجنة فيقول له هذا منزلك لوآمنت بربك فاما اذا كفرت فان الله ابدلك به هذا ثم يفتح له باب الى النار ثم يقمعه الملك بالمطراق قمعة يسمعه خلق الله الا الثقلين فقال بعض الصحابة يارسول الله ما احد يقوم على رأسه ملك الاهيل عند ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء * وفي حديث البراء ابن عازب الطويل واما الكافر اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزل عليه ملائكة من السماء معهم مسوح وذكر الحديث الى ان قال ثم تعاد روحه في جسده في قبره وذكر الحديث وفي لفظ فاذا كان كافر اجاءه ملك الموت فجلس عند رأسه فذكر الحديث الى قوله ماهذه الروح الخبيثة فيقولون فلان باسوء اسمائه فاذا انتهى به الى سماء الدنيا اغلقت دونه قال فيرمى به من السماء ثم قرأ قوله تعالى ومن يشرك بالله فكانما خر من السماء فتخطفه الطير او تهوى به الريح في مكان سحيق قال فتعاد روحه في جسده ويأتيه ملكان شديدا الانتهار فيجلسانه وينتهرانه فيقولان من ربك فيقول هاه لاادري فيقولان لادريت فيقولان ماهذا النبي الذي بعث فيكم فيقول سمعت الناس

يقولون ذلك لا ادري فيقولان له لا دريت وذلك قوله تعالى ويضل الله الظالمين ويفعل الله مايشاء وذكر الحديث واسم الفاجر في عرف القران والسنة يتناول الكافر قطعا كقوله تعالى ان الابرار لفي نعيم وان الفجار لفي جحيم ‌* وقوله تعالى كلا ان كتاب الفجار لفي سجين ‌* وفي لفظ اخر في حديث البراء وان الكافر اذا كان في قبل من الاخرة وانقطاع من الدنيا نزل اليه ملائكة شداد غضاب معهم ثياب من نار وسرابيل من قطران فيحتوشونه فتنتزع روحه كما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبتل فاذا خرجت لعنه كل ملك بين السماء والارض وكل ملك في السماء وذكر الحديث الى ان قال انه ليسمع خفق نعالهم اذا ولوا مدبرين فيقال ياهذا من ربك وما دينك ومن نبيك فيقول لادري فيقال لادريت وذكر الحديث رواه حماد بن سلمة عن يونس ابن خباب عن المنهال بن عمرو عن زاذان عن البراء وفي حديث عيسى ابن المسيب عن عدي بن ثابت عن البراء خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة رجل من الانصار وذكر الحديث الى ان قال وان الكافر اذا كان في دبر من الدنيا وقبل من الاخرة وحضره الموت نزلت عليه ملائكة معهم كفن من نار وحنوط من نار فذكر الحديث الى ان قال فترد روحه الى مضجعه فياتيه منكر ونكير يثيران الارض بانيابهما ويفحصان الارض باشعارهما اصواتهما كالرعد القاصف وابصارهما كالبرق الخاطف فيجلسانه ثم يقولان ياهذا من ربك فيقول لا ادري

فينادى من جانب القبر لا دريت فيضربانه بمرزبة من حديد لو اجتمع
عليها من بين الخافقين لم تقل ويضيق عليه قبره حتى تختلف اضلاعه
وذكر الحديث ورواه الامام احمد في مسنده عن ابي النضر هاشم
ابن القاسم حدثنا عيسى بن المسيب فذكره وفي حديث محمد بن سلمة عن
خصيف عن مجاهد عن البراء قال كنا في جنازة رجل من الانصار ومعنا
رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الحديث الى ان قال وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم واذا وضع الكافر اتاه منكر ونكير فيجلسانه فيقولان له من
ربك فيقول لا ادرى فيقولان له لا دريت الحديث وقد تقدم وبالجملة
فعامة من روى حديث البراء بن عازب قال فيه واما الكافر بالجزم
وبعضهم قال واما الفاجر وبعضهم قال واما المنافق والمرتاب وهذه اللفظة
من شك بعض الرواة هكذا في الحديث لا ادرى اي ذلك قال واما من
ذكر الكافر والفاجر فلم يشك ورواية من لم يشك مع كثرتهم اولى من
رواية من شك مع انفراده على انه لا تناقض بين الروايتين فان المنافق يسئل
كما يسئل الكافر والمؤمن فيثبت الله اهل الايمان ويضل الله الظالمين وهم
الكفار والمنافقون وقد جمع ابو سعيد الخدري في حديثه الذى
رواه ابو عامر العقدي ثنا عباد بن راشد عن داود بن ابي هند عن ابي نضرة
عن ابي سعيد قال شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جنازة
فذكر الحديث وقال وان كان كافرا او منافقا يقول له ما تقول في هذا الرجل
فيقول لا ادرى وهذا صريح في ان السؤال للكافر والمنافق وقول

ابي عمر رحمه الله واما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يسئل عن ربه ودينه ونبيه فيقال له ليس كذلك بل هو من جملة المسئولين واولى بالسوال من غيره وقد اخبر الله في كتابه انه يسئل الكافر يوم القيامة قال تعالى ويوم يناديهم فيقول ماذا اجبتم المرسلين * وقال تعالى فوربك لنسئلنهم اجمعين عما كانوا يعملون * وقال تعالى فلنسئلن الذين ارسل اليهم ولنسئلن المرسلين * فاذا اسئلوا يوم القيامة فكيف لا يسئلون في قبورهم فليس لما ذكره ابو عمر رحمه الله وجه *

* فصل * * * * * واما المسئلة الثانية عشر وهي ان سوال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الامة او يكون لها ولغيرها *

فهذا موضع قد تكلم فيه الناس فقال ابو عبد الله الترمذي انما سوال الميت في هذه الامة خاصة لان الامم قبلنا كانت الرسل تاتيهم بالرسالة فاذا ابوا كفت الرسل واعتزلوهم وعوجلوا بالعذاب فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم بالرحمة اماما للخلق كما قال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين * امسك عنهم العذاب واعطي السيف حتى يدخل في دين الاسلام من دخل لمهابة السيف ثم يرسخ الايمان في قلبه فامهلوا فمن ههنا ظهر امر النفاق وكانوا يسرون الكفر ويعلنون الايمان فكانوا بين المسلمين في ستر فلما ماتوا قيض الله لهم فتاني القبر ليستخرج سرهم بالسوال وليميز الله الخبيث من الطيب فيثبت الله الذين امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء * وخالف في ذلك آخرون

* المسئلة الثانية عشر في ان سوال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الامة او يكون لها ولغيرها

منهم عبد الحق الاشبيلي والقرطبي وقالوا السؤال لهذه الامة ولغيرها وتوقف في ذلك اخرون منهم ابو عمر بن عبد البر فقال وفي حديث زيد بن ثابت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان هذه الامة تبتلى في قبورها ومنهم من يرويه تسئل وعلى هذا اللفظ يحتمل ان تكون هذه الامة خصت بذلك فهذا امر لا يقطع عليه وقد احتج من خصه بهذه الامة بقوله صلى الله عليه وسلم ان هذه الامة تبتلى في قبورها وبقوله اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم وهذا ظاهر في الاختصاص بهذه الامة قالوا ويدل عليه قول الملكين له ما كنت تقول في هذا الرجل الذي بعث فيكم فيقول المؤمن اشهد انه عبد الله ورسوله فهذا خاص بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله في الحديث الاخر انكم بي تمتحنون وعني تسئلون وقال اخرون لا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الامة دون سائر الامم فان قوله ان هذه الامة اما ان يراد به امة الناس كما قال تعالى وما من دابة في الارض ولا طائر يطير بجناحيه الا امم امثالكم وكل جنس من اجناس الحيوان يسمى امة وفي الحديث لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها وفيه ايضا حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي قرصته نملة فامر بقرية النمل فاحرقت فاوحى الله اليه من اجل ان قرصتك نملة واحدة احرقت امة من الامم تسبح الله وان كان المراد به امته صلى الله عليه وسلم الذي بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفي سوال غيرهم من الامم بل قد يكون ذكرهم اخبارا بانهم مسئولون

في قبورهم وان ذلك لا يختص بمن قبلهم لفضل هذه الامة وشرفها على سائر الامم وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم اوحي الي انكم تفتنون في قبوركم وكذلك اخباره عن قول الملكين ماهذا الرجل الذي بعث فيكم هو اخبار لامته بماتمتحن به في قبورها والظاهر والله اعلم ان كل نبي مع امته كذلك وانهم معذبون في قبورهم بعد السوال لهم واقامة الحجة عليهم كما يعذبون في الآخرة بعد السوال واقامة الحجة والله سبحانه وتعالى اعلم *

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ واما المسئلة الثالثة عشر وهي ان الاطفال هل يمتحنون في قبورهم ﴾

اختلف الناس في ذلك على قولين هما وجهان لاصحاب احمد وحجة من قال انهم يسألون انه يشرع الصلوة عليهم والدعاء لهم وسوال الله ان يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر كما ذكر مالك في موطائه عن ابي هريرة انه صلى الله عليه وسلم صلى على جنازة صبي فسمع من دعائه اللهم قه عذاب القبر * واحتجوا بما رواه علي بن معبد عن عائشة رضي الله عنها انه مر عليها بجنازة صبي صغير فبكت فقيل لها مايبكيك ياام المومنين فقالت هذا الصبي بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر * واحتجوا بما رواه هناد بن السري ثنا ابو معاوية عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة قال ان كان ليصلي على المنفوس ما ان عمل خطيئة قط فيقول اللهم اجره من عذاب القبر * قالوا والله سبحانه يكمل لهم

﴿ المسئلة الثالثة عشر ان الاطفال هل يمتحنون في قبورهم ﴾

عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم ويلهمون الجواب عما يسئلون عنه قالوا
وقد دل على ذلك الاحاديث الكثيرة التي فيها انهم يمتحنون في الاخرة
وحكاه الاشعرى من اهل السنة والحديث فاذا امتحنوا في الاخرة
لم يمتنع امتحانهم في القبور * قال الاخرون السوال انما يكون لمن عقل
الرسول والمرسل فيسئل هل امن بالرسول واطاعه ام لا فيقال له
ما كنت تقول في هذا الرجل الذى بعث فيكم فاما الطفل الذى لا تمييز له
بوجه ما فكيف يقال له ما كنت تقول في هذا الرجل الذى بعث
فيكم ولو رد اليه عقله في القبر فانه لا يسئل عما لم يتمكن من معرفته والعلم
به ولا فائدة في هذا السوال وهذا بخلاف امتحانهم في الاخرة فان الله
سبحانه يرسل اليهم رسولا ويأمرهم بطاعة امره وعقولهم معهم فمن
اطاعه منهم نجا ومن عصاه ادخله النار فذلك امتحان بامر يأمرهم به يفعلونه
ذلك الوقت لا انه سوال عن امر مضى لهم في الدنيا من طاعة او عصيان
كسوال الملكين في القبر واما حديث ابي هريرة فليس المراد بعذاب
القبر فيه عقوبة الطفل على ترك طاعة او فعل معصية قطعا فان الله لا يعذب
احدا بلا ذنب عمله بل عذاب القبر قد يراد به الالم الذى يحصل
للميت بسبب غيره وان لم يكن عقوبة على عمل عمله ومنه قوله صلى الله
عليه وسلم ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه اي يتألم بذلك ويتوجع
منه لا انه يعاقب بذنب الحي ولا تزر وازرة وزر اخرى وهذا كقول
النبي صلى الله عليه وسلم السفر قطعة من العذاب * فالعذاب اعم من

العقوبة ولا ريب ان في القبر من الالام والهموم والحسرات ما قد يسرى اثره الى الطفل فيتألم به فيشرع للمصلى عليه ان يسأل الله تعالى له ان يقيه ذلك العذاب والله اعلم *

﴿ فصل ﴾ **** ﴿ واما المسئلة الرابعة عشر وهي قوله هل عذاب القبر دائم او منقطع ﴾

فجوابها انه نوعان * نوع دائم * سوى ما ورد في بعض الاحاديث انه يخفف عنهم ما بين النفختين فاذا قاموا من قبورهم قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا، ويدل على دوامه قوله تعالى النار يعرضون عليها غدوا وعشيا * ويدل عليه ما تقدم في حديث سمرة الذي رواه البخاري في رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم وفيه فهو يفعل به ذلك الى يوم القيامة وفي حديث ابن عباس في قصة الجريدتين لعله يخفف عنهما مالم ييبسا * فجعل التخفيف مقيدا برطوبتهما فقط وفي حديث الربيع ابن انس عن ابي العالية عن ابي هريرة ثم اتى على قوم ترضخ رؤسهم بالصخر كلما رضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شئ * وقد تقدم وفي الصحيح في قصة الذي لبس بردين وجعل يمشي يتبختر فخسف الله به الارض فهو يتجلجل فيها الى يوم القيامة * وفي حديث البراء بن عازب في قصة الكافر ثم يفتح له باب الى النار فينظر الى مقعده فيها حتى تقوم الساعة رواه الامام احمد وفي بعض طرقه ثم يخرق له خرقا الى النار فيأتيه من غمها ودخانها الى يوم القيامة * النوع الثاني * الى مدة ثم ينقطع

※ المسئلة الرابعة عشر وهي هل عذاب القبر دائم او منقطع ※

وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه
ثم يخفف عنه كما يعذب في النار مدة ثم يزول عنه العذاب وقد ينقطع
عنه العذاب بدعاء او صدقة او استغفار او ثواب حج او قراءة تصل
اليه من بعض اقاربه او غيرهم وهذا كما يشفع الشافع في المعذب في الدنيا
فيخلص من العذاب بشفاعته لكن هذه شفاعة قد تكون بذلك باذن
المشفوع عنده والله سبحانه وتعالى لا يتقدم احد بالشفاعة بين يديه
الا من بعد اذنه فهو الذي يأذن للشافع ان يشفع اذا اراد ان يرحم المشفوع
له ولا تغتر بغير هذا فانه شرك وباطل يتعالى الله عنه من ذا الذي
يشفع عنده الا باذنه * ولا يشفعون الا لمن ارتضى * ما من شفيع الا من
بعد اذنه * ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له * قل لله الشفاعة جميعا له
ملك السموات والارض * وقد ذكر ابن ابي الدنيا حدثني محمد بن
موسى الصائغ ثنا عبد الله بن نافع قال مات رجل من اهل المدينة فرآه
رجل كانه من اهل النار فاغتم لذلك ثم انه بعد سابعة او ثامنة رآه كانه من
اهل الجنة فقال الم تكن قلت انك من اهل النار قال قد كان ذلك الا انه
دفن معنا رجل من الصالحين فشفع في اربعين من جيرانه فكنت انا منهم *
قال ابن ابي الدنيا وحدثنا احمد بن يحيى قال حدثني بعض اصحابنا قال
مات اخي فرأيته في النوم فقلت ما كان حالك حين وضعت في قبرك
قال اتاني آت بشهاب من نار فلولا ان داعيا دعا لي لرأيت انه سيضربني
به * وقال عمرو بن جرير اذا دعا العبد لاخيه الميت اتاه بها ملك الى قبره

﴿ المسئلة الخامسة في ان اين مستقر الارواح مابين الموت الى يوم القيامة هل تودع

فقال يا صاحب القبر الغريب هدية من اخ عليك شفيق * وقال بشار بن غالب رأيت رابعة في منامي وكنت كثير الدعاء لها فقالت لي يا بشار ابن غالب هداياك تاتينا على اطباق من نور مخمرة بمناديل الحرير قلت وكيف ذلك قالت هكذا دعاء المومنين الاحياء اذا دعوا للموتى استجيب لهم جعل ذلك الدعاء على اطباق النور وخمر بمناديل الحرير ثم اتي به الذى دعي له من الموتى فقيل هذه هدية فلان اليك * قال ابن ابي الدنيا وحدثني ابو عبد بن بحير قال حدثني بعض اصحابنا قال رأيت اخالى في النوم بعد موته فقلت ايصل اليكم دعاء الاحياء قال اي والله يترفرف مثل النور ثم نلبسه * وسياتي ان شاء الله تعالى تمام لهذه في جواب السوال عن انتفاع الاموات بما تهديه اليهم الاحياء *

﴿ فصل ﴾ * * * * ﴿ واما المسئلة الخامسة عشر وهي اين مستقر الارواح مابين الموت الى يوم القيامة هل هي في السماء ام في الارض وهل هي في الجنة والنار ام لا وهل تودع في اجساد غير اجسادها التى كانت فيها فتنعم وتعذب فيها ام تكون مجردة ﴾

فهذه مسئلة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها وهي انما تتلقى من السمع فقط واختلف في ذلك * فقال قائلون ارواح المومنين عند الله في الجنة شهداء كانوا ام غير شهداء اذا لم يحبسهم عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم وهذا مذهب ابي هريرة وعبد الله بن عمر * وقالت طائفة هم بفناء الجنة على بابها ياتيهم من روحها ونعيمها ورزقها

وقالت طائفة الارواح على افنية قبورها وقال مالك بلغني ان الروح
مرسلة تذهب حيث شاءت وقال الامام احمد فى رواية ابنه عبدالله
ارواح الكفار في النار وارواح المومنين فى الجنة وقال ابوعبدالله
ابن مندة وقال طائفة من الصحابة والتابعين ارواح المؤمنين عندالله
عز وجل ولم يزيد واعلى ذلك قال وروي عن جماعة من الصحابة
والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت بير
بحضرموت وقال صفوان بن عمرو سألت عامر بن عبدالله ابا اليمان
هل لانفس المومنين مجتمع فقال ان الارض التي يقول الله ولقد
كتبنا في الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون
قال هي الارض التى يجتمع اليها ارواح المؤمنين حتى يكون البعث
وقالوا هي الارض التى يورثها الله المؤمنين في الدنيا وقال كعب
ارواح المومنين فى عليين فى السماء السابعة وارواح الكفار في سجين
فى الارض السابعة تحت خد ابليس وقالت طائفة ارواح المومنين
ببير زمزم وارواح الكفار ببير برهوت وقال سلمان الفارسى ارواح
المومنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت وارواح الكفار فى
سجين وفي لفظ عنه نسمة المؤمن تذهب في الارض حيث شاءت وقالت
طائفة ارواح المؤمنين عن يمين آدم وارواح الكفار عن شماله وقالت
طائفة اخرى منهم ابن حزم مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها قال
والذى نقول به في مستقر الارواح هو ماقاله الله عز وجل ونبيه

صلى الله عليه وسلم لانتمداه فهو البرهان الواضح وهو ان الله عزوجل
قال واذ اخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم على
انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن
هذا غافلين * وقال تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لآدم * فصح ان الله تعالى خلق الارواح جملة وكذلك اخبر
صلى الله عليه وسلم ان الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما
تناكر منها اختلف * واخذ الله عهدها وشهادتها بالربوبية وهى مخلوقة
مصورة عاقلة قبل ان يامر الملائكة بالسجود لآدم وقبل ان يدخلها
في الاجساد والاجساد يومئذ تراب وماء ثم اقرها حيث شاء وهو
البرزخ الذى ترجع اليه عند الموت ثم لا يزال يبعث منها الجملة بعد
الجملة فينفخها في الاجساد المتولدة من المنى الى ان قال فصح ان
الارواح اجساد كاملة لاعراضها من التعارف والتناكر وانها عارفة
مميزة فيبلوهم الله في الدنيا كما يشاء ثم يتوفاها فترجع الى البرزخ
الذى راها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عند سماء
الدنيا ارواح اهل السعادة عن يمين آدم وارواح اهل الشقاوة عن
يساره وذلك عند منقطع العناصر وتعجل ارواح الانبياء والشهداء
الى الجنة قال وقد ذكر محمد بن نصر المروزي عن اسحق بن راهويه
انه ذكر هذا الذى قلنا بعينه قال وعلى هذا اجمع اهل العلم قال ابن حزم
وهو قول جميع اهل الاسلام قال وهذا هو قول الله تعالى فاصحاب

الميمنة ما اصحاب الميمنة واصحاب المشئمة ما اصحاب المشئمة
والسابقون السابقون اولائك المقربون فى جنات النعيم ثلة من
الاولين وقليل من الاخرين * وقوله تعالى فاما ان كان من المقربين
فروح وريحان وجنة نعيم الى اخرها فلا تزال الارواح هنالك
حتى يتم عدد الارواح كلها بنفخها فى الاجساد ثم برجوعها
الى البرزخ فتقوم الساعة ويعيد الله عزوجل الارواح الى اجسادها
ثانية وهي الحياة الثانية ويحاسب الخلق فريق فى الجنة وفريق
فى السعير مخلدين ابدا انتهى * وقال ابو عمر بن عبد البر ارواح
الشهداء في الجنة وارواح عامة المؤمنين على افنية قبورهم ونحن
نذكر كلامه وما احتج به ونبين ما فيه * وقال ابن المبارك عن ابن
جريج فيما قرئ عليه عن مجاهد ليس هي في الجنة ولكن ياكلون من
ثمارها ويجدون ريحها * وذكر معاوية بن صالح عن سعيد بن سويد انه
سأل ابن شهاب عن ارواح المؤمنين فقال بلغني ان ارواح الشهداء
كطير خضر معلقة بالعرش تغدو وتروح الى رياض الجنة تاتى ربها في
كل يوم تسلم عليه * وقال ابو عمر بن عبد البر في شرح حديث ابن عمر
ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل
الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا
مقعدك حتى يبعثك الله الى يوم القيامة * قال وقد استدل به من ذهب
الى ان الارواح على افنية القبور وهو اصح ما ذهب اليه في ذلك والله
اعلم

اعلم لان الاحاديث بذلك احسن مجيئا واثبت نقلا من غيرها قال
والمعنى عندى انها قد تكون على افنية قبورها لا على انها تلزم ولا تفارق
افنية القبور كما قال مالك رحمه الله انه بلغنا ان الارواح تسرح حيث
شاءت وقال وعن مجاهد انه قال الارواح على افنية القبور سبعة ايام
من يوم دفن الميت لا تفارق ذلك والله اعلم وقالت فرقة مستقرها
العدم المحض وهذا قول من يقول ان النفس عرض من اعراض البدن
كحياته وادراكه فتعدم بموت البدن كما تعدم سائر الاعراض المشروطة
بحياته وهذا قول مخالف لنصوص القرآن والسنة واجماع الصحابة
والتابعين كما سنذكر ذلك ان شاء الله والمقصود ان عند هذه الفرقة
المبطلة ان مستقر الارواح بعد الموت العدم المحض وقالت فرقة مستقرها
بعد الموت ارواح اخر تناسب اخلاقها وصفاتها التى اكتسبتها
في حال حياتها فتصير كل روح الى بدن حيوان يشاكل تلك الارواح
فتصير النفس السبعية الى ابدان السباع والكلبية الى ابدان الكلاب
والبهيمية الى ابدان البهائم والدنية والسفلية الى ابدان الحشرات وهذا
قول المتناسخة منكرى المعاد وهو قول خارج عن اقوال اهل الاسلام
كلهم فهذا ما تلخص لى من جمع اقوال الناس فى مصير ارواحهم بعد
الموت ولا تظفر به مجموعا فى كتاب واحد غير هذا البتة ونحن
نذكر ماخذ هذه الاقوال وما لكل قول وما عليه وما هو الصواب
من ذلك الذى دل عليه الكتاب والسنة على طريقتنا التى من الله بها وهو

مرجو الاعانة والتوفيق *

﴿ فصل ﴾

فامامن قال هي في الجنة فاحتج بقوله تعالى فاما ان كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم * قال وهذا ذكره سبحانه عقيب ذكر خروجها من البدن بالموت وقسم الارواح الى ثلاثة اقسام * مقربين * واخبر انها في جنة النعيم واصحاب يمين وحكم لها بالسلام وهو يتضمن سلامتها من العذاب * ومكذبة ضالة * واخبران لها نزلا من حميم وتصلية جحيم قالوا وهذا بعد مفارقتها للبدن قطعا وقد ذكر سبحانه حالها يوم القيامة في اول السورة فذكر حالها بعد الموت وبعد البعث واحتجوا بقوله تعالى ياايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين ان هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا يبشرها الملك بذلك ولا ينافي ذلك قول من قال ان هذا يقال لها في الاخرة فانه يقال لها عند الموت وعند البعث وهذه من البشرى التي قال تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التي كنتم توعدون * وهذا التنزل يكون عند الموت ويكون في القبر ويكون عند البعث واول بشارة الاخرة عند الموت وقد تقدم في حديث البراء بن عازب ان الملك يقول لها عند قبضها ابشري بروح وريحان وهذا من ريحان الجنة واحتجوا بما رواه مالك في الموطا عن ابن شهاب عن عبد الرحمن

ابن كعب بن مالك انه اخبره ان اباه كعب بن مالك كان يحدث ان
رسول الله صلى الله عليه و سلم قال انما نسمة المومن طائر تعلق فی شجر
الجنة حتى يرجعه الله الی حياة يوم يبعثه * قال ابو عمرو فی رواية مالك
هذه بيان سماع الزهری لهذا الحديث من عبد الرحمن بن كعب بن مالك
و كذلك رواه يونس عن الزهري قال سمعت عبد الرحمن بن كعب
ابن مالك يحدث عن ابيه وكذلك رواه الاوزاعی عن الزهری
حدثنی عبد الرحمن بن كعب و قد اعل محمد بن يحيى الذهلی هذا الحديث
بان شعيب بن ابي حمزة و محمد بن اخی الزهری و صالح بن كيسان رووه
عن الزهری عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب بن مالك عن جده
كعب فيكون منقطعا وقال صالح بن كيسان عن ابن شهاب عن
عبد الرحمن انه بلغه ان كعب بن مالك كان يحدث قال الذهلی وهذا
المحفوظ عندنا و هو الذی يشبهه حديث صالح وشعيب و ابن اخی
الزهری وخالفه فی هذا غيره من الحفاظ فحكموا لمالك والاوزاعی قال
ابو عمر فاتفق مالك و يونس بن يزيد والاوزاعی و الحارث بن فضيل
علی رواية هذا الحديث عن الزهری عن عبد الرحمن بن كعب بن مالك
عن ابيه و صححه الترمذی وغيره قال ابو عمر و لا وجه عندی لما قاله
محمد بن يحيى من ذلك ولا دليل عليه واتفاق مالك و يونس بن يزيد
والاوزاعی و محمد بن اسحق اولی بالصواب والنفس الی قولهم وروايتهم
اسكن وهم من الحفظ والاتقان بحيث لا يقاس بهم من خالفهم فی هذا

الحديث انتهى وقد قال محمد الذهلي سمعت علي بن المديني يقول ولد كعب خمسة عبد الله وعبيد الله ومعبد وعبد الرحمن ومحمد وقال الذهلي فسمع الزهري من عبد الله بن كعب وكان قائد ابيه حين عمي وسمع من عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب وروى عن بشير ابن عبد الرحمن بن كعب ولا اراه سمع منه انتهى فالحديث ان كان لعبد الرحمن عن ابيه كعب كما قال مالك ومن معه فظاهر وان كان لعبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن جده كما قال شعيب ومن معه فنهايته ان يكون مرسلا من هذه الطريق وموصولا من الاخرى والذين وصلوه ليسوا بدون الذين ارسلوه قدرا ولا عددا فالحديث من صحاح الاحاديث وانما لم يخرجه صاحبا الصحيح لهذه العلة والله اعلم قال ابو عمر واما قوله نسمة المؤمن فالنسمة ههنا الروح يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث نفسه حتى يرجعه الله الى جسده يوم يبعثه ❊ وقيل النسمة الروح والنفس والبدن واصل هذه اللفظة اعني النسمة الانسان بعينه وانما قيل للروح نسمة والله اعلم لان حيوة الانسان بروحه واذا فارقه عدم او صار كالمعدوم والدليل على ان النسمة الانسان قوله صلى الله عليه وسلم من اعتق نسمة مؤمنة وقول علي رضي الله عنه والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ❊ وقال الشاعر

❊ باعظم منك تقى في الحساب ❊ اذا النسمات نفضن الغبارا ❊

يعني اذا بعث الناس من قبورهم يوم القيامة ❊ وقال الخليل بن احمد

النسمة الانسان قال والسمة الروح والنسيم هبوب الريح وقوله تعلق
في شجر الجنة تروى بفتح اللام وهو الاكثر وتروى بضم اللام والمعنى
واحد وهو الاكل والرعي يقول تاكل من ثمار الجنة وتسرح بين اشجارها
والعلوقة والعلاقة والعلوق الاكل والرعي تقول العرب ماذاق اليوم
علوقا اي طعاما* قال الربيع بن زياد يصف الخيل *

ومجنبات ما يذقن علوقة * يمضغن بالمهرات والامهار

وقال الاعشى *

وفلاة كانها ظهر ترس * ليس فيها الا الرجيع علاق

قلت ومنه قول عائشة والنساء اذ ذاك خفاف لم يغشهن اللحم انما ياكلن
العلقة من الطعام* واصل اللفظة من التعلق وهو ما يعلق القلب والنفس
من الغذاء قال واختلف العلماء في معنى هذا الحديث فقال قائلون منهم
ارواح المؤمنين عند الله في الجنة شهداء كانوا ام غير شهداء اذا لم يحبسهم
عن الجنة كبيرة ولا دين وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم قال واحتجوا بان
هذا الحديث لم يخص فيه شهيدا من غير شهيد واحتجوا ايضا بما روى
عن ابي هريرة ان ارواح الابرار في عليين وارواح الفجار في سجين
وعن عبد الله بن عمرو مثل ذلك قال ابو عمر وهذا قول يعارضه من
السنة ما لا مدفع في صحة نقله وهو قوله اذا مات احدكم عرض عليه
مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان
من اهل النار فمن اهل النار يقال له هذا مقعدك حتى يبعثك الله اليه

يوم القيامة * وقال آخرون انما هي هذا الحديث في الشهداء دون غيرهم لان القرآن والسنة انما يدلان على ذلك اما القرآن فقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله الآية واما الآثار فذكر حديث ابي سعيد الخدري من طريق بقي بن مخلد مرفوعا الشهداء يغدون ويروحون ثم يكون مأواهم الى قناديل معلقة بالعرش فيقول لهم الرب تبارك وتعالى هل تعلمون كرامة افضل من كرامة اكرمتكموها فيقولون لا غير انا وددنا انك اعدت ارواحنا في اجساد نا حتى نقاتل مرة اخرى فنقتل في سبيلك * ورواه عن هناد عن اسمعيل بن المختار عن عطية عنه * ثم ساق حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة وتأكل من ثمارها وتأوي الى قناديل من ذهب مدللة في ظل العرش فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا انا احياء في الجنة نرزق لئلا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد قال فقال الله عز وجل انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون * والحديث في مسند احمد وسنن ابي داود ثم ذكر حديث الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق قال سألنا عبد الله بن مسعود عن هذه الآية ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا

بل احياء عند ربهم يرزقون فقال اما انا قد سئلنا عن ذلك فقال ارواحهم
في جوف طير خضر تسرح في الجنة في ايها شاءت ثم تأوي الى تلك
القناديل فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال هل تشتهون شيئاً قالوا واي
شيء نشتهي ونحن نسرح من الجنة حيث شئنا ففعل ذلك بهم ثلاث
مرات فلما رأوا انهم لم يتركوا من ان يسئلوا قالوا يارب نريد ان ترد
ارواحنا في اجساد نا حتى نقتل في سبيلك مرة اخرى فلما رأى ان
ليس لهم حاجة تركوا* والحديث في صحيح مسلم* قلت* وفي صحيح
البخاري عن انس ان ام الربيع بنت البراء وهي ام حارثة بن سراقة
اتت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يانبي الله الا تحدثني عن حارثة
وكان قتل يوم بدر اصابه سهم غرب فان كان في الجنة صبرت
وان كان في غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء قال يا ام حارثة انها جنان
وان ابنك اصاب الفردوس الاعلى * ثم ساق من طريق بقي بن مخلد ثنا يحيى
ابن عبد الحميد ثنا ابن عيينة عن عبيد الله بن ابي يزيد سمع ابن عباس يقول
ارواح الشهداء تجول في اجواف طير خضر تعلق في ثمر الجنة* ثم ذكر عن معمر
عن قتادة قال بلغنا ان ارواح الشهداء في صور طير بيض تاكل من ثمار الجنة*
ومن طريق ابي عاصم النبيل عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله
ابن عمرو ارواح الشهداء في طير كالزرازير يتعارفون ويرزقون من ثمر
الجنة* قال ابو عمر وهذه الآثار كلها تدل على انهم الشهداء دون غيرهم
وفي بعضها في صور طير وفي بعضها في اجواف طير وفي بعضها كطير

خضر قال والذى يشبه عندى والله اعلم ان يكون القول قول من قال
كطير او صور طير لمطابقته لحديثنا المذكور يريد حديث كعب بن مالك
وقوله فيه نسمة المؤمن كطائر ولم يقل في جوف طائر قال وروى
عيسى بن يونس حديث ابن مسعود عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن
مسروق عن عبد الله كطير خضر قلت والذى في صحيح مسلم في اجواف
طير خضر قال ابو عمر فعلى هذا التاويل كانه صلى الله عليه وسلم قال
انما نسمة المؤمن من الشهداء طائر يعلق في شجر الجنة قلت لا تنافي بين
قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة وبين قوله
ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشى ان كان من اهل
الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار وهذا الخطاب
يتناول الميت على فراشه والشهيد كما ان قوله نسمة المؤمن طائر يعلق
في شجر الجنة يتناول الشهيد وغيره ومع كونه يعرض عليه مقعده
بالغداة والعشى ترد روحه انهار الجنة وتاكل من ثمارها واما المقعد الخاص
به والبيت الذي اعد له فانه انما يدخله يوم القيامة ويدل عليه ان منازل
الشهداء ودورهم وقصورهم التى اعد الله لهم ليست هى تلك القناديل
التى تاوى اليها ارواحهم في البرزخ قطعا فهم يرون منازلهم ومقاعدهم
من الجنة ويكون مستقرهم في تلك القناديل المعلقة بالعرش فان
الدخول التام الكامل انما يكون يوم القيامة ودخول الارواح الجنة
في البرزخ امر دون ذلك ونظير هذا اهل الشقاء تعرض ارواحهم

على النار غدوا وعشيا فاذا كان يوم القيامة دخلوا منازلهم ومقاعدهم التي كانوا يعرضون عليها في البرزخ فتنعم الارواح بالجنة في البرزخ شئ وتنعمها مع الابدان بها يوم القيامة شئ اخر فغذاء الروح من الجنة في البرزخ دون غذائها مع بدنها يوم البعث ولهذا قال تعلق في شجر الجنة اي تاكل العلقة وتمام الاكل والشرب واللبس والتمتع فانما يكون اذا ردت الى اجسادها يوم القيامة فظهر انه لايعارض هذا القول من السنن شئ وانما تعاضده السنة وتوافقه واما قول من قال ان حديث كعب في الشهداء دون غيرهم فتخصيص ليس في اللفظ مايدل عليه وهو حمل اللفظة العام على اقل مسمياته فان الشهداء بالنسبة الى عموم المؤمنين قليل جدا والنبي صلى الله عليه وسلم علق هذا الجزاء بوصف الايمان فهو المقتضى له ولم يعلقه بوصف الشهادة الاترى ان الحكم الذي اختص بالشهداء علق بوصف الشهادة كقوله في حديث المقدام بن معديكرب للشهيد عند الله ست خصال يغفر له في اول دفعة من دمه ويرى مقعده من الجنة ويحلى حلة الايمان ويزوج من الحور العين ويجار من عذاب القبر ويامن من الفزع الاكبر ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا ومافيها ويزوج اثنتين وسبعين من الحور العين ويشفع في سبعين انسانا من اقاربه * فلما كان هذا يختص بالشهيد قال ان للشهيد ولم يقل ان للمؤمن وكذلك قوله في حديث قيس الجزامي يعطى

الشهيد ست خصال وكذلك سائر الاحاديث والنصوص التي علق فيها الجزاء بالشهادة واما ما علق فيه الجزاء بالايمان فانه يتناول كل مؤمن شهيداكان او غير شهيد واما النصوص والاثار التي ذكر فى رزق الشهداء وكون ارواحهم في الجنة فكلها حق وهي لا تدل على انتفاء دخول ارواح المؤمنين الجنة ولاسيما الصديقين الذين هم افضل من الشهداء بلانزاع بين الناس فيقال لهؤلاء ماتقولون فى ارواح الصديقين هل هي في الجنة ام لا فان قالوا انها في الجنة ولا يسوغ لهم غير هذا القول فثبت ان هذه النصوص لا تدل على اختصاص ارواح الشهداء بذلك وان قالوا ليست في الجنة لزمهم من ذلك ان تكون ارواح سادات الصحابة كابي بكر الصديق وابي بن كعب وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء وحذيفة بن اليمان واشباههم ليست في الجنة وارواح شهداء زماننا في الجنة وهذا معلوم البطلان ضرورة * فان قيل * فاذا كان هذا حكما لا يختص بالشهداء فما الموجب لتخصيصهم بالذكر في هذه النصوص (١) على التنبيه على فضل الشهادة وعلو درجتها وان هذا مضمون لاهلها ولابد وان لهم منه اوفر نصيب نصيبهم من هذا النعيم في البرزخ اكمل من نصيب غيرهم من الاموات على فرشهم وان كان الميت على فراشه اعلى درجة منهم فله نعيم يختص به لا يشاركه فيه من هو دونه ويدل على هذا ان الله سبحانه جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر لانهم لما بذلوا انفسهم لله حتى اتلفها اعداؤه

(١) هكذا في الاصل

فيه اذا ضمهم منها في البرزخ ابدا الا خير امنها تكون فيها الى يوم القيامة ويكون نعيمها بواسطة تلك الابدان اكمل من نعيم الارواح المجردة عنها ولهذا كانت نسمة المؤمن في صورة طير او كطير ونسمة الشهيد في جوف طير وتامل لفظ الحديثين فانه قال نسمة المؤمن طير فهذا يعم الشهيد وغيره ثم خص الشهيد بان قال هي في جوف طير ومعلوم انها اذا كانت في جوف طير صدق عليها انها طير فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضا ويدل على انه حق من عند الله وهذا الجمع احسن من جمع ابي عمرو وترجيحه رواية من روى ارواحهم كطير خضر * بل الروايتان حق وصواب فهي كطير خضر وفي اجواف طير خضر *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في بيان قول مجاهد ان الارواح ليست في الجنة ولكن ياكلون من ثمارها ويجدون ريحها ﴾

واما قول مجاهد ليس هي في الجنة ولكن ياكلون من ثمارها ويجدون ريحها فقد يحتج لهذا القول بما رواه الامام احمد في مسنده من حديث ابن اسحق عن عاصم بن عمر عن محمود بن لبيد عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرة وعشية وهذا لا ينافي كونهم في الجنة فان ذلك النهر من الجنة ورزقهم يخرج عليهم من الجنة فهم في الجنة وان لم يصيروا الى مقاعدهم منها فمجاهد نفى الدخول الكامل من كل وجه والتعبير يقصر عن الاحاطة بتمييز هذا من هذا واكمل العبارة وادلها على المراد عبارة رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم

عبارة اصحابه وكما علوت رأيت الشفاء والهدى والنور وكما نزلت رأيت الحيرة والدعاوى والقول بلا علم قال ابو عبد الله بن مندة وروى موسى بن عبدة عن عبد الله بن يزيد عن ام كبشة بنت المعرور قالت دخل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألناه عن هذه الارواح فوصفها صفة ابكى اهل البيت فقال ان ارواح المؤمنين في حواصل طير خضر ترعى في الجنة وتاكل من ثمارها وتشرب من مياهها وتأوى الى قناديل من ذهب تحت العرش يقولون ربنا الحق بنا اخواننا وآتنا ما وعدتنا وان ارواح الكفار في حواصل طير سود تاكل من النار وتشرب من النار تأوي الى جحر في النار يقولون ربنا لا تلحق بنا اخواننا ولا تؤتنا ما وعدتنا * وقال الطبراني ثنا ابو زرعة الدمشقي ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح عن ضمرة بن حبيب قال سئل النبي صلى الله عليه وسلم عن ارواح المومنين فقال في طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت قالوا يا رسول الله وارواح الكفار قال محبوسة في سجين * رواه ابو الشيخ عن هشام بن يونس عن عبد الله بن صالح ورواه ابو المغيرة عن ابي بكر بن ابي مريم عن ضمرة بن حبيب وذكر ابو عبد الله بن مندة من حديث غنجار عن الثوري عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الله بن عمر وقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ارواح المؤمنين في طير خضر كالزرازير تاكل من ثمر الجنة وروا هـ غير مموقوفا

وذكر يزيد الرقاشي عن انس وابو عبد الله الشامي عن تميم الداري عن النبي صلى الله عليه وسلم اذا اعرج ملك الموت بروح المومن الى السماء استقبله جبرئيل في سبعين الفا من الملائكة كل منهم يأتيه ببشارة من السماء سوى بشارة صاحبه فاذا انتهى به الى العرش خر ساجدا فيقول الله عز وجل لملك الموت انطلق بروح عبدي فضعه في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكوب رواه بكر بن خنيس عن ضرار بن عمرو عن يزيد وابي عبد الله *

﴿ فصل ﴾

واما قول من قال الارواح على افنية قبورها فان اراد ان هذا امر لازم لها لا تفارق افنية القبور ابدا فهذا خطأ ترده نصوص الكتاب والسنة من وجوه كثيرة قد ذكرنا بعضها وسنذكر منها ما لم نذكره ان شاء الله وان اراد انها تكون على افنية القبور وقتا ولها اشراف على قبورها وهي في مقرها فهذا حق ولكن لا يقال مستقرها افنية القبور وقد ذهب الى هذا المذهب جماعة منهم ابو عمر بن عبد البر قال في كتابه في شرح حديث ابن عمر ان احدكم اذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي * وقد استدل به من ذهب الى ان الارواح على افنية القبور وهو اصح ما ذهب اليه في ذلك من طريق الاثر الا ترى ان الاحاديث الدالة على ذلك ثابتة متواترة وكذلك احاديث السلام على القبور * قلت * يريد الاحاديث المتواترة مثل حديث ابن عمر هذا ومثل

﴿ فصل في بيان قول من قال ان الارواح على افنية قبورها ﴾

حديث البراء بن عازب الذى تقدم وفيه هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة ، ومثل حديث انس ان العبد اذا وضع فى قبره وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعالهم ، وفيه انه يرى مقعده من الجنة والنار وانه يفسح للمومن فى قبره سبعين ذراعا ويضيق على الكافر ، ومثل حديث جابر ان هذه الامة تبتلى فى قبورها فاذا ادخل المومن قبره وتولى عنه اصحابه اتاه ملك الحديث انه يرى مقعده من الجنة فيقول دعوني ابشر اهلي فيقال له اسكن فهذا مقعدك ابدا ، ومثل سائر احاديث عذاب القبر ونعيمه التي تقدمت ومثل احاديث السلام على اهل القبور وخطابهم ومعرفتهم بزيارة الاحياء لهم وقد تقدم ذكر ذلك كله وهذا القول ترده السنة الصحيحة والآثار التي لا مدفع لها وقد تقدم ذكرها وكل ما ذكره من الادلة فهو يتناول الارواح التي هي في الجنة بالنص وفي الرفيق الاعلى وقد بينا ان عرض مقعد الميت عليه من الجنة او النار لا يدل على ان الروح في القبر ولا على فنائه دائما من جميع الوجوه بل لها اشراف واتصال بالقبر وفنائه وذلك القدر منها يعرض عليه مقعده فان للروح شانا آخر تكون في الرفيق الاعلى في اعلى عليين ولها اتصال بالبدن بحيث اذا سلم المسلم على الميت رد الله عليه روحه فيرد عليه السلام وهي في الملأ الاعلى وانما يغلط اكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد ان الروح من جنس ما يعهد من الاجسام التي اذا شغلت مكانا لم يمكن ان تكون في غيره وهذا غلط محض بل الروح تكون

فوق السموات في اعلى عليين وترد الى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم في الرفيق الاعلى دائما ويردها الله سبحانه الى القبر فترد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه وقد راى رسول الله صلى الله عليه وسلم موسى قائما يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة او السابعة فاما ان تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر واما ان يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء وقد ثبت ان روح النائم تصعد حتى تخترق السبع الطباق وتسجد لله بين يدي العرش ثم ترد الى جسده في ايسر زمان وكذلك روح الميت تصعد بها الملائكة حتى تجاوز السموات السبع وتقف بين يدي الله فتسجد له ويقضي فيها قضاءه ويريه الملك ما اعد الله لها في الجنة ثم تهبط فتشهد غسله وحمله ودفنه وقد تقدم في حديث البراء بن عازب ان النفس يصعد بها حتى توقف بين يدي الله فيقول تعالى اكتبوا كتاب عبدي في عليين ثم اعيدوه الى الارض فيعاد الى القبر وذلك في مقدار تجهيزه وتكفينه فقد صرح به في حديث ابن عباس حيث قال فيهبطون على قدر فراغه من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح بين جسده واكفانه وقد ذكر ابو عبد الله بن مندة من حديث عيسى بن عبد الرحمن ثنا ابن شهاب ثنا عامر بن سعد عن اسمعيل بن طلحة بن عبيد الله عن ابيه قال اردت مالي بالغابة فادركني الليل فاويت الى قبر عبد الله بن عمرو بن حرام

فسمعت قراءة من القبر ما سمعت احسن منها فجئت الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم فذكرت ذلك له فقال ذلك عبد الله الم تعلم ان الله
قبض ارواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط
الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا يزال كذلك حتى اذا
طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانهم الذي كانت به * فى هذا الحديث
بيان سرعة انتقال ارواحهم من العرش الى الثرى ثم انتقالها من الثرى
الى مكانها ولهذا قال مالك وغيره من الائمة ان الروح مرسلة تذهب
حيث شاءت وما يراه الناس من ارواح الموتى ومجيئهم اليهم من
المكان البعيد امر يعلمه عامة الناس ولا يشكون فيه والله اعلم واما السلام
على اهل القبور وخطابهم فلا يدل على ان ارواحهم ليست في الجنة
وانها على افنية القبور فهذا سيد ولد آدم الذي روحه فى اعلى عليين
مع الرفيق الاعلى صلى الله عليه وسلم يسلم عليه عند قبره ويرد
سلام المسلم عليه وقد وافق ابو عمر رحمه الله على ان ارواح الشهداء
في الجنة ويسلم عليهم عند قبورهم كما يسلم على غيرهم كما علمنا النبي صلى الله
عليه وسلم ان نسلم عليهم وكما كان الصحابة يسلمون على شهداء احد
وقد ثبت ان ارواحهم في الجنة تسرح حيث شاءت كما تقدم ولا يضيق
عطنك عن كون الروح فى الملأ الاعلى تسرح فى الجنة حيث شاءت
وتسمع سلام المسلم عليها عند قبرها وتدنو حتى ترد عليه السلام
وللروح شان آخر غير شان البدن وهذا جبريل صلوات الله وسلامه

عليه رآه النبي صلى الله عليه وسلم وله ست مائة جناح منها جناحان
قد سد بهما ما بين المشرق والمغرب وكان من النبي صلى الله عليه وسلم
حتى يضع ركبتيه بين ركبتيه ويديه على فخذيه وما اظنك يتسع
بطانك انه كان حينئذ في الملأ الاعلى فوق السموات حيث هو مستقره
وقد دنا من النبي صلى الله عليه وسلم هذا الدنو فان التصديق بهذا
له قلوب خلقت له واهلت لمعرفته ومن لم يتسع بطانه لهذا فهو
اضيق ان يتسع للايمان بالنزول الالهي الى سماء الدنيا كل ليلة وهو
فوق سمواته على عرشه لا يكون فوقه شيء البتة بل هو العالي على كل
شيء وعلوه من لوازم ذاته وكذلك دنوه عشية عرفة من اهل الموقف
وكذلك مجيئه يوم القيامة لمحاسبة خلقه واشراق الارض بنوره
وكذلك مجيئه الى الارض حين دحاها وسواها ومدها وبسطها
وهيأها لما يراد منها وكذلك مجيئه اليها قبل يوم القيامة حين يقبض من
عليها ولا يبقى بها احد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم فاصبح ربك
يطوف في الارض وقد خلت عليه البلاد هذا وهو فوق سمواته على عرشه *

فصل

فصل في ان شان الروح يختلف بحسب حال الارواح من القوة والضعف والكبر والصغر

ومما ينبغي ان يعلم ان ما ذكرناه من شان الروح يختلف بحسب حال
الارواح من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح العظيمة الكبيرة
من ذلك ما ليس لمن هو دونها وانت ترى احكام الارواح في الدنيا
كيف تتفاوت اعظم تفاوت بحسب تفاوت الارواح في كيفياتها

وقواها وابطالها واسراعها والمعاونة لما للروح المطلقة من اسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود الى الله والتعلق بالله ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه فاذا كان هذا وهي محبوسة في بدنها فكيف اذا تجردت وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في اصل شأنها روحا علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل آخر وقد تواترت الرؤيا في اصناف بني آدم على فعل الارواح بعد موتها ما لا تقدر على مثله حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل ونحو ذلك وكم قد رؤي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر في النوم قد هزمت ارواحهم عساكر الكفر والظلم فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وعددهم وضعف المؤمنين وقلتهم ومن العجب ان ارواح المؤمنين المتحابين المتعارفين تتلاقى وبينهما اعظم مسافة وابعدها فتتشام وتتعارف فيعرف بعضها بعضا كانه جليسه وعشيره فاذا رآه طابق ذلك ما كان عرفه به روحه قبل رؤيته قال عبد الله بن عمرو ان ارواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يوم وما رأى احدهما صاحبه قط * ورفعه بعضهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال عكرمة ومجاهد اذا نام الانسان فان له سببا تجري فيه الروح واصله في الجسد فيبلغ حيث شاء الله فما دام ذاهبا فالانسان نائم فاذا رجع الى البدن انتبه الانسان وكان بمنزلة شعاع الشمس هو ساقط

بالارض

بالارض فاصله متصل بالشمس وقد ذكر ابو عبدالله بن مندة عن بعض
اهل العلم انه قال ان الروح يمتد من منخر الانسان ومركبه واصله في بدنه
فلو خرج الروح بالكلية لمات كما ان السراج لو فرق بينه و بين الفتيلة
الا ترى ان مركب النار في الفتيلة وضوءها وشعاعها يملأ البيت فكذلك
الروح تمتد من منخر الانسان في منامه حتى تأتي السماء وتجول في
البلدان وتلتقي مع ارواح الموتى فاذا راه الملك الموكل بارواح العباد
ما احب ان يريه وكان المرئي في اليقظة عاقلا ذكيا صدوقا لا يلتفت في
يقظته الى شيء من الباطل رجع اليه روحه فادى الى قلبه الصدق
عما اراه الله عزوجل على حسب خلقه وان كان خفيفا نزقا يحب الباطل
والنظر اليه فاذا نام واراه الله امرا من خير او شر رجعت
روحه اليه فحيث ما رأى شيئا من مخاريق الشيطان او الباطل وقفت
روحه عليه كما تقف في يقظته فكذلك لا يؤدي الى قلبه فلا يعقل
ما رأى لانه خلط الحق بالباطل فلا يمكن معبر ان يعبر له وقد خلط الحق
بالباطل وهذا من احسن الكلام وهو دليل على معرفة قائله وبصيرته
بالارواح واحكامها وانت ترى الرجل يسمع العلم والحكمة وما هو
انفع شيء له ثم يمر بباطل ولهو من غناء او شبهه او زور او غيره فيصغي
اليه ويفتح له قلبه حتى يتأدى اليه فيتخبط عليه ذلك الذي سمعه من
العلم والحكمة ويلتبس عليه الحق بالباطل فهكذا شأن الارواح عند النوم
واما بعد المفارقة فانها تعذب بتلك الاعتقادات والشبه الباطلة التي كانت

مظهاحال اتصالها بالبدن وينضاف الى ذلك عذابها بتلك الارادات والشهوات التي حيل بينها وبينها وينضاف الى ذلك عذاب اخر ينشئه الله لها وليدنها من الاعمال التي اشتركت معه فيها وهذه هي المعيشة الضنك في البرزخ والزاد الذي تزود به اليه والروح الزكية العلوية المحقة التي لاتحب الباطل ولا تالفه بضد ذلك كله تنعم بتلك الاعتقادات الصحيحة والعلوم والمعارف التي تلقتها من مشكوة النبوة وتلك الارادات والهمم الزكية وينشئ الله سبحانه لها من اعمالها نعيما ينعمها به في البرزخ فتصير لها روضة من رياض الجنة ولذلك حفرة من حفر النار *

* فصل *

* فصل في بيان قول من قال ان ارواح المؤمنين عند الله تعالى *

واما قول من قال ارواح المؤمنين عند الله تعالى ولم يزد على ذلك فانه تادب مع لفظ القران حيث يقول الله عز وجل بل احياء عند ربهم يرزقون وقد احتج ارباب هذا القول بحجج * منها * مارواه محمد بن اسحق الصنعاني ثنا يحيى بن ابي بكير ثنا محمد بن عبد الرحمن بن ابي ذئب عن محمد بن عمرو ابن عطاء عن سعيد بن يسار عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت اذا خرجت نفسه يعرج بها الى السماء حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء يعرج بها الى السماء فانه لا يفتح لها ابواب السماء فترسل من السماء فتصير الى القبر وهذا اسناد لا تسأل عن صحته وهو في مسند احمد وغيره وقال ابو داود الطيالسي ثنا حماد بن سلمة عن عاصم ابن بهدلة عن ابي وائل عن ابي موسى الاشعري

قال تخرج روح المؤ من اطيب من ريح المسك فتطلق بها الملائكة
الذين يتوفونه فتتلقاه الملائكة من دون السماء فيقولون هذا فلان
ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمحاسن عمله فيقولون مرحبا بكم وبه
فيقبضونها منهم فيصعد بها من الباب الذى كان يصعد منه عمله فيشرق
فى السموات ولها برهان كبرهان الشمس حتى ينتهى الى العرش واما
الكافر فاذا قبض انطلق بروحه فيقولون ما هذا فيقولون هذا فلان
ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوي عمله فيقولون لا مرحبا
لا مرحبا ردوه فيرد الى اسفل الارض الى الثرى * وقال المكى بن
ابراهيم عن داود بن يزيد الاودى قال اراه عن عامر الشعبى عن
حذيفة بن اليمان انه قال الارواح موقوفة عند الرحمن عز وجل تنتظر
موعدها حتى ينفخ فيها * وذكر سفيان بن عيينة عن منصور بن صفية عن
امه انه دخل ابن عمر المسجد بعد قتل ابن الزبير وهو مصلوب فاتى اسماء
يعزيها فقال لها عليك بتقوى الله والصبر فان هذه الجثث ليست بشى وانما
الارواح عند الله فقالت وما يمنعنى من الصبر وقد اهدى راس يحيى
ابن زكريا الى بغى من بغايا بنى اسرائيل * وذكر جرير عن الاعمش
عن شمر بن عطية عن هلال بن يساف قال كنا جلوسا الى كعب والربيع
ابن خيثم وخالد بن عرعرة فى اناس فجاء ابن عباس فقال هذا ابن عم
نبيكم قال فاوسع له فجلس فقال يا كعب كل ما فى القران قد عرفت غير
اربعة اشياء فاخبرنى عنهن ما سجين وما عليون وما سدرة المنتهى

* بيان سدرة المنتهى وسجين وعليين *

وما قول الله لادريس ورفعناه مكانا عليا قال اما عليون فالسماء السابعة فيها ارواح المؤمنين واما سجين فالارض السابعة السفلى وارواح الكفار تحت خد ابليس واما قول الله سبحانه لادريس ورفعناه مكانا عليا فاوحى الله اليه اني رافع لك كل يوم مثل اعمال بنى ادم وكلم صديقا له من الملائكة ان يكلم له ملك الموت فيؤخره حتى يزداد عملا فحمله بين جناحيه فعرج به حتى اذا كان في السماء الرابعة لقيه ملك الموت فكلمه في حاجته فقال واين هو قال هو ذا بين جناحي قال فالعجب اني امرت ان اقبض روحه في السماء الرابعة فقبض روحه واما سدرة المنتهى فانها سدرة على رؤس حملة العرش ينتهى اليها علم الخلائق ثم ليس لاحد وراءها علم فلذلك سميت سدرة المنتهى، قال ابن منده ورواه وهب بن جرير عن ابيه ورواه يعقوب القمي عن شمر ورواه خالد بن عبد الله عن العوام بن حوشب عن القاسم بن عوف عن الربيع بن خيثم قال كنا جلوسا عند كعب فذكره * وذكر يعلى بن عبيد عن الاجلح عن الضحاك قال اذا قبض روح العبد المؤمن عرج به الى السماء الدنيا فينطلق معه المقربون الى السماء الثانية ثم الثالثة ثم الرابعة ثم الخامسة ثم السادسة ثم السابعة حتى ينتهى به الى سدرة المنتهى قلت للضحاك لم سميت سدرة المنتهى قال لانه ينتهى اليها كل شيء من امر الله عز وجل لا يعدوها فيقول ربي عبدك فلان وهو اعلم به منهم فيبعث الله اليه بصك مختوم يأمنه من العذاب وذلك قوله تعالى كلا ان

﴿ فصل في بيان قول ان ارواح المومنين بالجابية وارواح الكفار بحضرموت ببرهوت ﴾

كتاب الابرار لفي عليين وما ادراك ماعليون كتاب مرقوم يشهده المقربون * وهذا القول لاينافي قول من قال هم في الجنة فان الجنة عند سدرة المنتهى والجنة عند الله وكان قائله رأى ان هذه العبارة اسلم واوفق وقد اخبر الله سبحانه ان ارواح الشهداء عنده واخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها تسرح في الجنة حيث شاءت *

﴿ فصل ﴾

واما قول من قال ان ارواح المومنين بالجابية وارواح الكفار بحضرموت ببرهوت فقال ابو محمد بن حزم هذا من قول الرافضة وليس كما قال بل قد قاله جماعة من اهل السنة قال ابو عبد الله بن منده وروي عن جماعة من الصحابة والتابعين ان ارواح المؤمنين بالجابية ثم قال انا محمد ابن محمد بن يونس ثنا احمد بن عاصم ثنا ابو داود سليمان بن داود ثنا همام حدثني قتادة حدثني رجل عن سعيد بن المسيب عن عبد الله بن عمرو انه قال ان ارواح المومنين تجتمع بالجابية وان ارواح الكفار تجتمع في سبخة بحضرموت يقال لها برهوت * ثم ساق من طريق حماد بن سلمة عن عبد الجليل بن عطية عن شهر بن حوشب ان كعبا رأى عبد الله بن عمرو وقد تكابّ الناس عليه يسئلونه فقال له رجل سله اين ارواح المومنين وارواح الكفار فسأله فقال ارواح المومنين بالجابية وارواح الكفار ببرهوت * قال ابن منده ورواه ابو داود وغيره عن عبد الجليل ثم ساق من حديث سفيان عن فرات القزاز عن ابي الطفيل عن علي قال خير بير

في الارض زمزم و شر بئر في الارض برهوت بئر في حضرموت
وخير واد في الارض وادى مكة والوادي الذى اهبط فيه آدم
بالهند منه طيبكم و شر واد في الارض الاحقاف وهو في حضرموت
ترده ارواح الكفار * قال ابن مندة وروى حماد بن سلمة عن علي بن
زيد عن يوسف بن مهران عن ابن عباس عن علي قال ابغض بقعة في
الارض واد بحضرموت يقال له برهوت فيه ارواح الكفار وفيه
بئر ماؤها بالنهار اسود كانه قيح تأوى اليه الهوام * ثم ساق من طريق
اسمعيل بن اسحق القاضي ثنا علي بن عبدالله ثنا سفيان ثنا ابان بن تغلب قال
قال رجل رأيت فيه يعني وادى برهوت فكانما حشرت فيه اصوات الناس
وهم يقولون ياد ومه يادومه قال ابان فحدثنا رجل من اهل الكتاب ان
دومه هو الملك الذى على ارواح الكفار وقال سفيان وسألنا الحضرميين
فقالوا لا يستطيع احد يبيت فيه بالليل * فهذا جملة ما علمته في هذا القول
فان اراد عبد الله بن عمرو بالجابية التمثيل والتشبيه وانها تجمع في
مكان فسيح يشبه الجابية لسعته وطيب هوائه فهذا قريب وان اراد
نفس الجابية دون سائر الارض فهذا لا يعلم الا بالتوقيف ولعله مما
تلقاه عن بعض اهل الكتاب *

* فصل في بيان قول ان الارواح تجتمع في الارض التي قال الله فيها يرثها عبادى الصالحون *

﴿ فصل ﴾

واما قول من قال انها تجتمع في الارض التي قال الله فيها ولقد كتبنا في
الزبور من بعد الذكر ان الارض يرثها عبادى الصالحون * فهذا ان كان قاله

تفسير اللاية فليس هو تفسير لها وقد اختلف الناس في الارض المذكورة هنا فقال سعيد بن جبير عن ابن عباس هي ارض الجنة وهذا قول اكثر المفسرين وعن ابن عباس قول اخر انها الدنيا التي فتحها الله على امة محمد صلى الله عليه وسلم وهذا القول هو الصحيح ونظيره قوله تعالى في سورة النور وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم * وفي الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم قال زويت لي الارض مشارقها ومغاربها وسيبلغ ملك أمتي مازوي لي منها * وقالت طائفة من المفسرين المراد بذلك ارض بيت المقدس وهي من الارض التي اورثها الله عباده الصالحين وليست الاية مختصة بها *

فصل

فصل في بيان قول ان ارواح المومنين في عليين وارواح الكفار في سجين

واما قول من قال ان ارواح المومنين في عليين في السماء السابعة وارواح الكفار في سجين في الارض السابعة فهذا قول قد قاله جماعة من السلف والخلف ويدل عليه قول النبي صلى الله عليه وسلم اللهم الرفيق الاعلى * وقد تقدم حديث ابي هريرة ان الميت اذا اخرجت روحه عرج بها الى السماء حتى ينتهي بها الى السماء السابعة التي فيها الله عزوجل * وتقدم قول ابي موسى انها تصعد حتى تنتهي الى العرش * وقول حذيفة انها موقوفة عند الرحمن * وقول عبد الله بن عمران هذه الارواح عند الله * وتقدم قول النبي صلى الله عليه وسلم ان ارواح الشهداء تأوي الى قناديل تحت

العرش ، و تقدم حديث البراء بن عازب انها تصعد من سماء الى سماء و يشيعها من كل سماء مقربوها حتى ينتهي بها الى السماء السابعة ، وفي لفظ الى السماء التي فيها الله عز وجل ، ولكن هذا لا يدل على استقرارها هناك بل يصعد بها الى هنالك للعرض على ربها فيقضي فيها امره و يكتب كتابه من اهل عليين او من اهل سجين ثم تعود الى القبر للمسئلة ثم ترجع الى مقرها التي اودعت فيه فارواح المومنين في عليين بحسب منازلهم وارواح الكفار في سجين بحسب منازلهم ٭

فصل في ابطال كون الارواح في بئر زمزم

فصل

واما قول من قال ان ارواح المومنين تجتمع ببير زمزم فلا دليل على هذا القول من كتاب ولا سنة يجب التسليم لها ولا قول صاحب يوثق به وليس بصحيح فان تلك البير لا تسع ارواح المومنين جميعهم و هو مخالف لما ثبتت به السنة الصريحة من ان نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة و بالجملة فهذا من ابطل الاقوال وافسدها وهو افسد من قول من قال انها بالجابية فان ذلك مكان متسع فضاء بخلاف البير الضيقة ٭

فصل في من قال ان ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت

فصل

واما قول من قال ان ارواح المؤمنين في برزخ من الارض تذهب حيث شاءت فهذا مروى عن سلمان الفارسي والبرزخ هو الحاجز بين شيئين وكان سلمان اراد بها في ارض بين الدنيا والاخرة مرسلة هناك تذهب حيث شاءت وهذا قول قوى فانها قد فارقت الدنيا ولم تلج الآخرة

بل

بل هي في برزخ بينهما فارواح المؤمنين في برزخ واسع فيه الروح والريحان والنعيم وارواح الكفار في برزخ ضيق فيه الغم والعذاب قال تعالى ومن ورائهم برزخ الى يوم يبعثون * فالبرزخ هنا مابين الدنيا والاخرة واصله الحاجز بين الشيئين *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في بيان قول ان ارواح المؤمنين عن يمين ادم وارواح الكفار عن يساره ﴾

واما قول من قال ان ارواح المؤمنين عن يمين ادم وارواح الكفار عن يساره فلعمر الله لقد قال قولا يؤيده الحديث الصحيح وهو حديث الاسراء فان النبي صلى الله عليه وسلم راهم كذلك ولكن لايدل ذلك على تعادلهم في اليمين والشمال بل يكون هؤلاء عن يمينه في العلو والسعة وهؤلاء عن يساره في السفل والسجن وقد قال ابومحمد بن حزم ان ذلك البرزخ الذي راها فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عند سماء الدنيا فال وذلك عند منقطع العناصر قال وهذا يدل على انها عنده تحت السماء حيث تنقطع العناصر وهي الماء والتراب والنار والهواء وهو دائما يشنع على من قال قولا لا دليل عليه فاي دليل له على هذا القول من كتاب وسنة وسياتي اشباع الكلام على قوله اذا انتهينا اليه ان شاء الله تعالى فان قيل فاذا كانت ارواح اهل السعادة عن يمين ادم وادم في السماء الدنيا وقد ثبت ان ارواح الشهداء في ظل العرش والعرش فوق السماء السابعة فكيف تكون عن يمينه وكيف يراها النبي صلى الله عليه وسلم هنالك في السماء الدنيا * فالجواب * من وجوه * احدها * انه لايمتنع كونها

عن يمينه في جهة العلو كما كانت ارواح الاشقياء عن يساره في جهة السفل * الثاني * انه غير ممتنع ان تعرض على النبي صلى الله عليه وسلم في سماء الدنيا وان كان مستقرها فوق ذلك * الثالث * انه لم يخبر انه رأى ارواح السعداء جميعا هناك بل قال فاذا عن يمينه اسودة وعن يساره اسودة ومعلوم قطعا ان روح ابراهيم وموسى فوق ذلك في السماء السادسة والسابعة وكذلك الرفيق الاعلى ارواحهم فوق ذلك والارواح السعداء بعضها اعلى من بعض بحسب منازلهم كما ان الارواح الاشقياء بعضها اسفل من بعض بحسب منازلهم والله اعلم *

فصل في بيان قول ابن حزم ان مستقر الارواح حيث كانت قبل خلق اجسادها

فصل

واما قول ابي محمد بن حزم ان مستقرها حيث كانت قبل خلق اجسادها فهذا ابناء منه على مذهبه الذي اختاره وهو ان الارواح مخلوقة قبل الاجساد وهذا فيه قولان للناس وجمهورهم على ان الارواح خلقت بعد الاجساد والذين قالوا انها خلقت قبل الاجساد ليس معهم على ذلك دليل من كتاب ولا سنة ولا اجماع الا فهموه من نصوص لا تدل على ذلك او احاديث لا تصح كما احتج به ابو محمد بن حزم من قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى شهدنا الاية وبقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا قال فصح ان الله خلق الارواح جملة وهي الانفس وكذلك اخبر عليه السلام ان

الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف
قال واخذ عزوجل عهدها وشهادتها وهي مخلوقة مصورة عاقلة قبل
ان يامر الملائكة بالسجود لادم وقبل ان يدخلها في الاجساد والاجساد
يومئذ تراب وقال لان الله تعالى خلق ذلك بلفظة ثم التي توجب التعقيب
والمهلة ثم اقرها سبحانه وتعالى حيث شاء وهو البرزخ الذي ترجع اليه
عند الموت وسنذكر ما في هذا الاستدلال عند جواب سوال السائل
عن الارواح هي مخلوقة مع الابدان ام قبلها اذ الغرض هنا الكلام على
مستقر الارواح بعد الموت وقوله انها تستقر في البرزخ الذى كانت
فيه قبل خلق الاجساد مبنى على هذا الاعتقاد الذي اعتقده وقوله
ان ارواح السعداء عن يمين آدم وارواح الكفار الاشقياء عن يساره
حق كما اخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وقوله ان ذلك عند منقطع
العناصر لا دليل عليه من كتاب ولا سنة ولا يشبه اقوال اهل الاسلام
والاحاديث الصحيحة تدل على ان الارواح فوق العناصر في الجنة عند الله
وادلة القران تدل على ذلك وقد وافق ابو محمد على ان ارواح الشهداء
في الجنة ومعلوم ان الصديقين افضل منهم فكيف تكون روح
ابي بكر الصديق وعبد الله بن مسعود وابي الدرداء وحذيفة بن اليمان
واشباههم عند منقطع العناصر وذلك تحت هذا الفلك الادنى وتحت
السماء الدنيا وتكون ارواح شهداء زماننا وغيرهم فوق العناصر وفوق
السموات واما قوله قد ذكر محمد بن نصر المروزى عن اسحق بن راهويه

ه ذكره ... فيه قال وعلى هذا اجمع اهل السنة وهو
قول جميع من الاسلام قال محمد بن نصر المروزي ذكر في كتاب
الرد على ابن قتيبة في تفسير قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم من
ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم ألست بربكم الآثار التي ذكر
السلف من استخراج ذرية ادم من صلبه ثم اخذ الميثاق عليهم وردهم
في صلبه وانه اخرجهم مثل الذر وانه سبحانه قسمهم اذ ذاك الى شقي
وسعيد وكتب آجالهم وارزاقهم واعمالهم وما يصيبهم من خير وشر
ثم قال قال اسحق اجمع اهل العلم انها الارواح قبل الاجساد استنطقهم
واشهدهم على انفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم
القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك آباؤنا من قبل انتهى
كلامه وهو كما ترى لا يدل على ان مستقر الارواح ما ذكره
من حيث تنقطع العناصر بوجه من الوجوه بل ولا يدل على ان
الارواح كائنة قبل خلق الاجساد بل انما يدل على انه سبحانه اخرجها
حينئذ ثم ردها الى صلب ادم وهذا القول وان كان قد قاله
جماعة من السلف والخلف فالقول الصحيح غيره كما ستقف عليه ان
شاء الله وليس الغرض في جواب هذه المسئلة الكلام في الارواح هل
هي مخلوقة قبل الاجساد ام لا حتى لو سلم لابي محمد هذا لم
يكن فيه دليل على ان مستقرها حيث تنقطع العناصر ولا ان ذلك
الموضع كان مستقرها اولا •

والقول

﴿ فصل ﴾

واما قول من قال مستقرها العدم المحض فهذا قول من قال انها عرض من اعراض البدن وهو الحياة وهذا قول ابن الباقلاني ومن تبعه وكذلك قال ابو الهذيل العلاف النفس عرض من الاعرض ولم يعينه بانه الحياة كما عينه ابن الباقلاني ثم قال هي عرض كسائر اعراض الجسم وهؤلاء عندهم ان الجسم اذا مات عدمت روحه كما تعدم وسائر اعراضه المشروطة بالحياة ومن يقول منهم ان العرض لا يبقى زمانين كما يقوله اكثر الاشعرية فمن قولهم ان روح الانسان الان هي غير روحه قبل وهو لا ينفك يحدث له روح ثم تغير ثم روح ثم تغير هكذا ابدا فيبدل له الف روح فاكثر في مقدار ساعة من الزمان فاذا مات فلا روح تصعد الى السماء وتعود الى القبر وتقبضها الملائكة ويستفتحون لها ابواب السموات ولا تنعم ولا تعذب وانما ينعم ويعذب الجسد اذا شاء الله تنعيمه وتعذيبه رد اليه الحياة في وقت يريد تنعيمه وعذابه والا فلا روح هناك قائمة بنفسها البتة وقال بعض ارباب هذا القول ترد الحياة الى عجب الذنب فهو الذي يعذب وينعم حسب وهذا قول يرده الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقول والفطن والفطرة وهو قول من لم يعرف روحه فضلا عن روح غيره وقد خاطب الله سبحانه النفس بالرجوع والدخول والخروج ودلت النصوص الصحيحة الصريحة على انها تصعد وتنزل وتقبض وتمسك وترسل

وتستفتح لها ابواب السماء وتسجد وتكلم وانها تخرج تسيل كما تسيل القطرة وتكفن وتحنط في اكفان الجنة والنار وان ملك الموت ياخذها بيده ثم تناولها الملائكة من يده ويشم لها كاطيب نفحة مسك اوانتن جيفة وتشيع من سماء الى سماء ثم تعاد الى الارض مع الملائكة وانها اذا اخرجت تبعها البصر بحيث يراها وهي خارجة ودل القرآن على انها تنتقل من مكان الى مكان حتى تبلغ الحلقوم في حركتها وجميع ما ذكرنا من الادلة الدالة على تلاقي الارواح وتعارفها وانها اجناد مجندة الى غير ذلك تبطل هذا القول وقد شاهد النبي صلى الله عليه وسلم الارواح ليلة الاسراء عن يمين آدم وشماله واخبر النبي صلى الله عليه وسلم ان نسمة المومن طائر يعلق في شجر الجنة* وان ارواح الشهداء في حواصل طير خضر* واخبر تعالى عن ارواح آل فرعون انها تعرض على النار غدوا وعشيا* ولما ورد ذلك على ابن الباقلاني لج في الجواب وقال يخرج على هذا الحد وجهين اما بان يوضع عرض من الحياة في اول جزء من اجزاء الجسم واما ان يخلق لتلك الحياة والنعيم والعذاب جسد اخر وهذا قول في غاية الفساد من وجوه كثيرة واي قول افسد من قول من يجعل روح الانسان عرضا من الاعراض تتبدل كل ساعة الوفا من المرات فاذا فارقه هذا العرض لم يكن بعد المفارقة روح تنعم ولا تعذب ولا تصعد ولا تنزل ولا تمسك ولا ترسل فهذا قول مخالف للعقل ونصوص الكتاب والسنة والفطرة وهو قول من لم يعرف

نفسه وسيأتي ذكر الوجوه الدالة على بطلان هذا القول في موضعه من هذا الجواب ان شاء الله وهو قول لم يقل به احد من سلف الامة ولا من الصحابة والتابعين ولا لائمة الاسلام *

فصل

فصل في بيان قول من قال ان مستقر الارواح بعد الموت ابدان اخر غير هذه الابدان

واما قول من قال ان مستقرها بعد الموت ابدان اخر غير هذه الابدان فهذا القول فيه حق وباطل فاما الحق فما اخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم عن ارواح الشهداء انها في حواصل طير خضر تاوي الى قناديل معلقة بالعرش هي لها كالاوكار للطائر وقد صرح بذلك في قوله جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر واما قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المومن طائر يعلق في شجر الجنة * يحتمل ان يكون هذا الطائر مركبا للروح كالبدن لها ويكون ذلك لبعض المؤمنين والشهداء ويحتمل ان يكون الروح في صورة طائر وهذا اختيار ابي محمد بن حزم وابي عمر بن عبد البر وقد تقدم كلام ابي عمر والكلام عليه واما ابن حزم فانه قال معنى قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق * هو على ظاهره لا على ظن اهل الجهل وانما اخبر صلى الله عليه وسلم ان نسمة المومن طائر يعلق بمعنى انها تطير في الجنة لا انها تمسخ في صورة الطير قال * فان قيل * ان النسمة موءنثة * قلنا * قد صح عن عربي فصيح انه قال اتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له اتوءنث قال اوليس صحيفة وكذلك النسمة تذكر كذلك قال واما الزيادة التي فيها انها في حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل

التي تأوى اليها والحديثان ما حديث واحد وهذا الذى قاله في غاية
الفساد لفظا ومعنى فان حديث نسمة المؤمن طائر يعلق فى شجر الجنة
غير حديث ارواح الشهداء في حواصل طير خضر * والذي ذكره محتمل
فى الحديث الاول واما الحديث الثاني فلا يحتمله بوجه فانه صلى الله
عليه وسلم اخبران ارواحهم في حواصل طير وفي لفظ في اجواف
طير خضر وفي لفظ بيض وان تلك الطير تسرح فى الجنة فتأكل من ثمارها
وتشرب من انهارها ثم تأوى الى قناديل تحت العرش هي لها كالاوكار
للطائر وقوله ان حواصل تلك الطير هي صفة القناديل التي تأوى
اليها خطأ قطعا بل تلك القناديل مأوى لتلك الطير فههنا ثلاثة امور صرح
بها الحديث ارواح وطير هي في اجوافها وقناديل هي مأوى لتلك
الطير والقناديل مستقرة تحت العرش لا تسرح والطير تسرح وتذهب
وتجيء والارواح في اجوافها * فان قيل * يحتمل ان تجعل نفسها فى صورة طير
لا انها تركب في بدن طير كما قال تعالى في اي صورة ما شاء ركبك * ويدل
عليه قوله فى اللفظ الاخر ارواحهم كطير خضر كذلك رواه ابن ابى شيبة
حدثنا ابو معاوية عن الاعمش عن عبد الله بن مرة عن مسروق عن عبد الله
قال ابو عمر والذى يشبه عندى والله اعلم ان يكون القول قول من قال
كطير او صورة طير لمطابقته لحديثنا المذكور يعني حديث كعب
ابن مالك فى نسمة المؤمن * فالجواب * ان هذا الحديث قد روى بهذين
اللفظين والذى رواه مسلم في الصحيح من حديث الاعمش عن مسروق

فلم يختلف حديثها انها في اجواف طير خضر واما حديث ابن عباس فقال عثمان بن ابي شيبة ثنا عبد الله بن ادريس عن محمد بن اسحق عن اسمعيل بن امية عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اصيب اخوانكم يعني يوم احد جعل الله ارواحهم في اجواف طير خضر ترد انهار الجنة و تاكل من ثمارها وتأوى الى قناديل من ذهب مدلاة في ظل العرش فلما وجدوا طيب ماكلهم ومشربهم ومقيلهم قالوا من يبلغ اخواننا عنا انا احياء في الجنة نرزق لان لا ينكلوا عن الحرب ولا يزهدوا في الجهاد فقال الله تعالى انا ابلغهم عنكم فانزل الله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء عند ربهم يرزقون واما حديث كعب بن مالك فهو في السنن الاربعة و مسند احمد و لفظه للترمذي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان ارواح الشهداء في طير خضر تعلق من ثمر الجنة او شجر الجنة قال الترمذي هذا حديث حسن صحيح ولا محذور في هذا و لا يبطل قاعدة من قواعد الشرع ولا يخالف نصا من كتاب ولا سنة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بل هذا من تمام اكرام الله للشهداء ان اعاضهم من ابدانهم التي مزقوها لله ابدانا خيرا منها تكون مركبا لارواحهم ليحصل بها كمال تنعمهم فاذا كان يوم القيامة رد ارواحهم الى تلك الابدان التي كانت فيها في الدنيا * فان قيل * فهذا هو القول بالتناسخ وحلول الارواح في ابدان غير ابدانها التي كانت فيها * قيل * هذا المعنى الذي دلت

عليه السنة الصريحة يجب اعتقاده ولا يبطله تسمية المسمى له ناسخا كاان اثبات ما دل عليه العقل والنقل من صفات الله عزوجل وحقائق اسمائه الحسنى حق لا يبطله تسمية المعطلين لها تركيبا وتجسيما وكذلك ما دل عليه العقل والنقل من اثبات افعاله وكلامه بمشيئته ونزوله كل ليلة الى سماء الدنيا ومجيئه يوم القيامة للفصل بين عباده حق لا يبطله تسمية المعطلين له حلول حوادث وكما ان ما دل عليه العقل والنقل من علو الله على خلقه ومباينته لهم واستوائه على عرشه وعروج الملائكة والروح اليه ونزولها من عنده وصعود الكلم الطيب اليه وعروج رسوله اليه ودنوه منه حتى صار قاب قوسين او ادنى وغير ذلك من الادلة حق لا يبطله تسمية الجهمية له حيزا وجهة وتجسيما قال الامام احمد لا نزيل عن الله صفة من صفاته لاجل شناعة المشنعين فان هذا شان اهل البدع يلقبون اهل السنة وانوالهم بالالقاب التي ينفرون منها الجهال ويسمونها حشوا وتركيبا وتجسيما ويسمون عرش الرب تبارك وتعالى حيزا وجهة ليتوصلوا بذلك الى نفي علوه على خلقه واستوائه على عرشه كما تسمى الرافضة موالاة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم ومحبتهم والدعاء لهم نصبا وكما تسمى القدرية المجوسية اثبات القدر جبرا فليس الشان في الالقاب وانما الشان في الحقائق والمقصود ان ما دلت عليه السنة الصريحة من جعل ارواح الشهداء في اجواف طير خضر تناسخا لا يبطل هذا المعنى واما التناسخ الباطل ما تقوله اعداء الرسل من

الملاحدة وغيرهم الذين ينكرون المعادان الارواح تصير بعد مفارقة الابدان الى اجناس الحيوان والحشرات والطيور التى تناسبها وتشاكلها واذا فارقت هذه الابدان انتقلت الى ابدان تلك الحيوانات فتنعم فيها او تعذب ثم تفارقها وتحل في ابدان آخر تناسب اعمالها واخلاقها وهكذا ابدا فهذا معادها عندهم ونعيمها وعذابها لا معاد لها عندهم غير ذلك فهذا هو التناسخ الباطل المخالف لما اتفقت عليه الرسل والانبياء من اولهم الى آخرهم وهو كفر بالله واليوم الاخر وهذه الطائفة يقولون ان مستقر الارواح بعد المفارقة ابدان الحيوانات التى تناسبها وهو ابطل قول واخبثه ويليه قول من قال ان الارواح تعدم جملة بالموت ولا تبقى هناك روح تنعم ولا تعذب بل النعيم والعذاب يقع على اجزاء الجسد او على جزء منه اما عجب او غيره فيخلق الله فيه الالم واللذة اما بواسطة رد الحياة اليه كما قاله بعض ارباب هذا القول او بدون رد الحياة كما قاله آخرون منهم فهؤلاء عندهم لاعذاب في البرزخ الا على الاجساد ومقابلهم من يقول ان الروح لاتعاد الى الجسد بوجه ولا تتصل به والعذاب والنعيم على الروح فقط والسنة الصريحة المتواترة ترد قول هؤلاء وهؤلاء وتبين ان العذاب على الروح والجسد مجتمعين ومنفردين * فان قيل * فقد ذكرتم اقوال الناس فى مستقر الارواح وماخذهم فما هو الراجح من هذه الاقوال حتى نعتقده * قيل * الارواح متفاوتة في مستقرها في البرزخ

اعظم تفاوت *فمنها* ارواح في اعلى عليين في الملأ الاعلى وهي ارواح
الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم وهم متفاوتون في منازلهم كما راهم
النبي صلى الله عليه وسلم ليلة الاسراء *ومنها* ارواح في حواصل طير خضر
تسرح في الجنة حيث شاءت وهي ارواح بعض الشهداء لا جميعهم
بل من الشهداء من تحبس روحه عن دخول الجنة لدين عليه اوغيره
كما في المسند عن محمد بن عبد الله بن جحش ان رجلا جاء الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يارسول الله مالى ان قتلت في سبيل الله قال الجنة
فلما ولى قال الا الدين سارني به جبريل انفا *ومنهم* من يكون محبوسا
على باب الجنة كما في الحديث الاخر رأيت صاحبكم محبوسا على
باب الجنة *ومنهم* من يكون محبوسا في قبره كحديث صاحب الشملة
التى غلها ثم استشهد فقال الناس هنيئا له الجنة فقال النبي صلى الله
عليه وسلم والذي نفسي بيده ان الشملة التى غلها لتشتعل عليه نارا
في قبره *ومنهم* من يكون مقره باب الجنة كما في حديث ابن عباس
الشهداء على بارق نهر بباب الجنة في قبة خضراء يخرج عليهم رزقهم
من الجنة بكرة وعشية رواه احمد وهذا بخلاف جعفر بن ابى طالب
حيث ابدله الله من يديه جناحين يطير بهما في الجنة حيث شاء *ومنهم*
من يكون محبوسا في الارض لم تعل روحه الى الملأ الاعلى فانها
كانت روحا سفلية ارضية فان الانفس الارضية لا تجامع الانفس
السماوية كما لا تجامعها في الدنيا والنفس التى لم تكتسب في الدنيا

معرفة ربها ومحبته وذكره والانس به والتقرب اليه بل هي ارضية
سفلية لا تكون بعد المفارقة لبدنها الاهناك كما ان النفس العلوية
التي كانت في الدنيا عاكفة على محبة الله وذكره والتقرب اليه
والانس به تكون بعد المفارقة مع الارواح العلوية المناسبة لها فالمرء مع
من احب في البرزخ ويوم القيامة والله تعالى يزوج النفوس بعضها
ببعض في البرزخ ويوم المعاد كما تقدم في الحديث ويجعل روحه يعني
المؤمن مع النسيم الطيب اي الارواح الطيبة المشاكلة لروحه فالروح
بعد المفارقة تلحق باشكالها واخوانها واصحاب عملها فتكون معهم هناك
ومنها ارواح تكون في تنور الزناة والزواني وارواح في نهر الدم تسبح
فيه وتلقم الحجارة فليس للارواح سعيدها وشقيها مستقر واحد بل
روح في اعلى عليين وروح ارضية سفلية لا تصعد عن الارض وانت
اذا تأملت السنن والاثار في هذا الباب وكان لك بها فضل اعتناء عرفت
حجة ذلك ولا تظن ان بين الاثار الصحيحة في هذا الباب تعارضا فانها
كلها حق يصدق بعضها بعضا لكن الشان في فهمها ومعرفة النفس واحكامها
وان لها شانا غير شان البدن وانها مع كونها في الجنة فهي في السماء وتتصل
بفناء القبر وبالبدن فيه وهي اسرع شيء حركة وانتقالا وصعودا
وهبوطا وانها تنقسم الى مرسلة ومحبوسة وعلوية وسفلية ولها بعد
المفارقة صحة ومرض ولذة ونعيم والم اعظم مما كان لها حال اتصالها
بالبدن بكثير فهنالك الحبس والالم والعذاب والمرض والحسرة

وهنالك اللذة والراحة والنعيم والاطلاق وما اشبه حالها في هذا البدن بحال البدن في بطن امه وحالها بعد المفارقة بما له بعد خروجه من البطن الى هذه الدار فلهذه الانفس اربع دور وكل دار اعظم من التي قبلها *الدار الاولى* في بطن الام وذلك الحصر والضيق والغم والظلمات الثلاث *الدار الثانية* هي الدار التي نشأت فيها والفتها واكتسبت فيها الخير والشر واسباب السعادة والشقاوة *والدار الثالثة* دار البرزخ وهي اوسع من هذه الدار واعظم بل نسبتها اليها كنسبة هذه الدار الى الاولى *الدار الرابعة* دار القرار وهي الجنة والنار فلا دار بعدها والله ينقلها في هذه الدور طبقا بعد طبق حتى يبلغها الدار التي لا يصلح لها غيرها ولا يليق بها سواها وهي التي خلقت لها وهيئت للعمل الموصل لها اليها ولها في كل دار من هذه الدور حكم وشان غير شان الدار الاخرى فتبارك الله فاطرها ومنشئها ومميتها ومحييها ومسعدها ومشقيها الذي فاوت بينها في درجات سعادتها وشقاوتها كما فاوت بينها في مراتب علومها واعمالها وقواها واخلاقها فمن عرفها كما ينبغي شهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذي له الملك كله وله الحمد كله وبيده الخير كله واليه يرجع الامر كله وله القوة كلها والقدرة كلها والعز كله والحكمة كلها والكمال المطلق من جميع الوجوه وعرف بمعرفة نفسه صدق انبيائه ورسله وان الذي جاؤا به هو الحق الذي تشهد به العقول وتقر به الفطر وما خالفه فهو الباطل وبالله التوفيق*

* للنفس اربع دور وكل دار منها اعظم من التي قبلها *

فصل

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ واما المسئلة السادسة عشر وهي هل تنتفع ارواح الموتى بشئ من سعي الاحياء ام لا ﴾

﴿ فالجواب ﴾ انها تنتفع من سعي الاحياء بامرين مجمع عليهما بين اهل السنة من الفقهاء واهل الحديث والتفسير * احدهما ما تسبب اليه الميت في حياته * والثاني * دعاء المسلمين له واستغفارهم له والصدقة والحج على نزاع ما الذي يصل من ثوابه هل هو ثواب الانفاق او ثواب العمل فعند الجمهور يصل ثواب العمل نفسه وعند بعض الحنفية انما يصل ثواب الانفاق واختلفوا في العبادة البدنية كالصوم والصلوة وقراءة القرآن والذكر فذهب الامام احمد وجمهور السلف وصولها وهو قول بعض اصحاب ابي حنيفة نص على هذا الامام احمد في رواية محمد بن يحيى الكحال قال قيل لابي عبد الله الرجل يعمل الشئ من الخير من صلوة او صدقة او غير ذلك فيجعل نصفه لابيه او لامه قال ارجو وقال الميت يصل اليه كل شئ من صدقة او غيرها وقال ايضا اقرأ آية الكرسي ثلاث مرات وقل هو الله احد وقل اللهم ان فضله لاهل المقابر * والمشهور من مذهب الشافعي ومالك ان ذلك لا يصل وذهب بعض اهل البدع من اهل الكلام انه لا يصل الى الميت شئ البتة لا دعاء ولا غيره فالدليل على انتفاعه بما تسبب اليه في حياته ما رواه مسلم في صحيحه من حديث ابي هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مات الانسان انقطع عنه عمله الا من ثلاث الا من صدقة جارية او علم ينتفع به او ولد

* المسئلة السادسة عشر هل تنتفع ارواح الموتى من سعي الاحياء ام لا *

* الدليل على انتفاع الميت بما تسبب اليه في حياته *

صالح يدعو له*فانشاء هذه الثلاث من عمله يدل على انها منه فانه هو الذي تسبب اليها وفي سنن ابن ماجة من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما يلحق المومن من عمله وحسناته بعد موته علماعلمه ونشره او ولدا صالحا تركه او مصحفا ورثه او مسجدا بناه او بيتا لابن السبيل بناه او نهرا اكراه او صدقة اخرجها من ماله في صحته وحياته تلحقه من بعد موته*وفي صحيح مسلم ايضا من حديث جرير بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من سن في الاسلام سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها من بعده من غير ان ينقص من اجورهم شيء ومن سن في الاسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده من غير ان ينتقص من اوزارهم شيء*وهذا المعنى روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من عدة وجوه صحاح وحسان وفي المسند عن حذيفة قال سأل رجل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فامسك القوم ثم ان رجلا اعطاه فاعطى القوم فقال النبي صلى الله عليه وسلم من سن خيرا فاستن به كان له اجره ومن اجور من تبعه غير منتقص من اجورهم شيئا ومن سن شرا فاستن به كان عليه وزره ومن اوزار من تبعه غير منتقص من اوزارهم شيئا*وقد دل على هذا قوله صلى الله عليه وسلم لا تقتل نفس ظلما الا كان على ابن ادم الاول كفل من دمها لانه اول من سن القتل فاذا كان هذا في العذاب والعقاب ففي الفضل والثواب اولى واحرى *

فصل

﴿ فصل ﴾

والدليل على انتفاعه بغير ما تسبب فيه القرآن والسنة والاجماع وقواعد الشرع اما القرآن فقوله تعالى والذين جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان * فاثنى الله سبحانه عليهم باستغفارهم للمؤمنين قبلهم فدل على انتفاعهم باستغفار الاحياء وقد يمكن ان يقال انما انتفعوا باستغفارهم لانهم سنوا لهم الايمان بسبقهم اليه فلما اتبعوهم فيه كانوا كالمستنين في حصوله لهم لكن قد دل على انتفاع الميت بالدعاء اجماع الامة على الدعاء له في صلوة الجنازة وفي السنن من حديث ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صليتم على الميت فاخلصوا له الدعاء * وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول اللهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه واكرم نزله واوسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد ونقه من الخطايا كما نقيت الثوب الابيض من الدنس وابدله دارا خيرا من داره واهلا خيرا من اهله وزوجا خيرا من زوجه وادخله الجنة واعذه من عذاب القبر وعذاب النار * وفي السنن عن واثلة بن الاسقع قال صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على رجل من المسلمين فسمعته يقول اللهم ان فلان ابن فلان في ذمتك وحبل جوارك فقه من فتنة القبر وعذاب النار وانت اهل الوفاء والحق فاغفر له وارحمه انك انت الغفور الرحيم * وهذا كثير في

الاحاديث بل هو المقصود بالصلوة على الميت وكذلك الدعاء له بعد الدفن وفي السنن من حديث عثمان بن عفان رضى الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا فرغ من دفن الميت وقف عليه فقال استغفروا لاخيكم واسألوا له التثبيت فانه الان يسئل ❊ وكذلك الدعاء لهم عند زيارة قبورهم كما في صحيح مسلم من حديث بريدة بن الحصيب قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم اذا خرجوا الى المقابر ان يقولوا السلام عليكم اهل الديار من المؤمنين والمسلمين وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله لنا ولكم العافية ❊ وفي صحيح مسلم ان عائشة رضى الله عنها سألت النبي صلى الله عليه وسلم كيف تقول اذا استغفرت لاهل القبور قال قولي السلام على اهل الديار من المؤمنين والمسلمين ويرحم الله المستقدمين منا والمستاخرين وانا ان شاء الله للاحقون ❊ وفي صحيحه عنها ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج في ليلتها من آخر الليل الى البقيع فقال السلام عليكم دار قوم مؤمنين واتاكم ما توعدون غدا مؤجلون وانا ان شاء الله بكم لاحقون اللهم اغفر لاهل بقيع الغرقد ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم للاموات فعلا وتعليما ودعاء الصحابة والتابعين والمسلمين عصرا بعد عصر اكثر من ان يذكر واشهر من ان ينكر وقد جاء ان الله يرفع درجة العبد في الجنة فيقول انى لى هذا فيقال بدعاء ولدك لك ❊ .

فصل في اثبات وصول ثواب الصدقة الى الميت

﴿ فصل ﴾

واما وصول ثواب الصدقة ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها

ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امى افتلتت نفسها ولم توص واظنها لو تكلمت تصدقت افلها اجران تصدقت عنها قال نعم * وفي صحيح البخاري عن عبد الله بن عباس رضى الله عنه ان سعد بن عبادة توفيت امه وهو غائب عنها فاتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امى توفيت وانا غائب عنها فهل ينفعها ان تصدقت عنها قال نعم قال فانى اشهدك ان حائطى المخراف صدقة عنها * وفي صحيح مسلم عن ابي هريرة ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم ان ابى مات وترك مالا ولم يوص فهل يكفى عنه ان اتصدق عنه قال نعم * وفي السنن ومسند احمد عن سعد بن عبادة انه قال يارسول الله ان ام سعد ماتت فاى الصدقة افضل قال الماء فحفر بيرا وقال هذه لام سعد * وعن عبد الله بن عمرو ان العاص ابن وائل نذر في الجاهلية ان ينحر مائة بدنة وان هشام بن العاص نحر خمسة وخمسين وان عمروا سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقال اما ابوك فلو اقر بالتوحيد فصمت وتصدقت عنه نفعه ذلك رواه الامام احمد *

﴿ فصل ﴾

واما وصول ثواب الصوم ففي الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه * وفي الصحيحين ايضا عن ابن عباس قال جاء رجل

الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يارسول الله ان امي ماتت وعليها صوم شهرا فاقضيه عنها قال نعم فدين الله احق ان يقضى ٭ وفي رواية جاءت امرأة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يارسول الله ان امي ماتت وعليها صوم نذر افاصوم عنها قال ارايت لوكان على امك دين فقضيته اكان يؤدي ذلك عنها قالت نعم قال فصومي عن امك ٭ وهذا اللفظ للبخاري وحده تعليقا وعن بريدة قال بينا انا جالس عند رسول الله صلى الله عليه اذ اتته امرأة فقالت اني تصدقت على امي بجارية وانها ماتت فقال وجب اجرك وردها عليك الميراث فقالت يا رسول الله انه كان عليها صوم شهرا فاصوم عنها قال صومي عنها قالت انها لم تحج قط افاحج عنها قال حجي عنها رواه مسلم ٭ وفي لفظ صوم شهرين ٭ وعن ابن عباس ان امرأة ركبت البحر فنذرت ان الله نجاها ان تصوم شهرا فنجاها الله فلم تصم حتى ماتت فجاءت بنتها او اختها الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فامرها ان تصوم عنها ٭ رواه اهل السنن والامام احمد وكذلك روي عنه صلى الله عليه وسلم وصول ثواب بدل الصوم وهو الاطعام ففي السنن عن ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صيام شهر فليطعم عنه لكل يوم مسكين ¶ رواه الترمذي وابن ماجة قال الترمذي ولا نعرفه مرفوعا الا من هذا الوجه والصحيح عن ابن عمر من قوله موقوفا وفي سنن ابي داود عن ابن عباس قال اذا مرض الرجل في رمضان ولم يصم

¶ فليطعم عنه مكان كل يوم مسكينا ــ هكذا في متن الترمذي اهـ

اطعم عنه ولم يكن عنه قضاء وان نذر قضى عنه وليه *

﴿ فصل ﴾

واما وصول ثواب الحج ففي صحيح البخاري عن ابن عباس ان امرأة من جهينة جاءت الى النبي صلى الله عليه وسلم فقالت ان امي نذرت ان تحج فلم تحج حتى ماتت افاحج عنها قال حجي عنها ارأيت لو كان على امك دين اكنت قاضيته اقضوا الله فالله احق بالقضاء * وقد تقدم حديث بريدة وفيه ان امي لم تحج قط افاحج عنها قال حجي عنها * وعن ابن عباس قال ان امرأة سنان بن سلمة الجهني سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم ان امها ماتت ولم تحج افيجزي ان تحج عنها قال نعم لو كان على امها دين فقضته عنها الم يكن يجزي عنها * رواه النسائي وروى ايضا عن ابن عباس ان امرأة سألت النبي صلى الله عليه وسلم عن ابيها مات ولم يحج قال حجي عن ابيك * وروي ايضا عنه قال قال رجل يا نبي الله ان ابي مات ولم يحج افاحج عنه قال ارأيت لو كان على ابيك دين اكنت قاضيه وصيته قال نعم قال فدين الله احق * واجمع المسلمون على ان قضاء الدين يسقطه من ذمته ولو كان من اجنبي اومن غير تركته وقد دل عليه حديث ابي قتادة حيث ضمن الدينارين عن الميت فلما قضاهما قال له النبي صلى الله عليه وسلم الان بردت عليه جلدته * واجمعوا على ان الحي اذا كان له في ذمة الميت حق من الحقوق فاحله منه انه ينفعه ويبرأ منه كما يسقط من ذمة الحي فاذا سقط من ذمة الحي بالنص والاجماع مع امكان ادائه له

﴿ فصل في وصول ثواب الحج ﴾

بنفسه ولو لم يرض به بل رده فسقوطه من ذمة الميت بالابراء حيث لا يمكن
من اداؤه اولى واحرى واذا انتفع بالابراء والاسقاط فكذلك ينتفع
بالهبة والاهداء ولا فرق بينهما فان ثواب العمل حق المهدي الواهب
فاذا جعله للميت انتقل اليه كما ان ما على الميت من الحقوق من الدين وغيره
هو محض حق الحي فاذا ابرأه وصل الابراء اليه وسقط من ذمته فكلاهما
حق للحي فاي نص او قياس او قاعدة من قواعد الشرع يوجب وصول
احدهما ويمنع وصول الآخر وهذه النصوص متظاهرة على وصول
ثواب الاعمال الى الميت اذا فعلها الحي عنه وهذا محض القياس فان
الثواب حق للعامل فاذا وهبه لاخيه المسلم لم يمنع من ذلك كما لم يمنع
من هبة ماله في حياته وابرائه له منه بعد موته وقد نبه النبي صلى الله عليه
وسلم بوصول ثواب الصوم الذي هو مجرد ترك ونية تقوم بالقلب
لا يطلع عليه الا الله وليس بعمل الجوارح على وصول ثواب القراءة
التي هي عمل باللسان تسمعه الاذن وتراه العين بطريق الاولى ويوضحه
ان الصوم نية محضة وكف النفس عن المفطرات وقد اوصل الله ثوابه
الى الميت فكيف بالقراءة التي هي عمل ونية بل لا تفتقر الى النية فوصول
ثواب الصوم الى الميت فيه تنبيه على وصول سائر الاعمال والعبادات
قسمان مالية وبدنية وقد نبه الشارع بوصول ثواب الصدقة على
وصول ثواب سائر العبادات المالية ونبه بوصول ثواب الصوم على

وصول

وصول ثواب سائر العبادات البدنية واحتجوا بوصول ثواب الحج المركب من المالية والبدنية فالانواع الثلاثة ثابتة بالنص والاعتبار وبالله التوفيق * قال المانعون من الوصول قال الله تعالى وان ليس للانسان الاماسعى * وقال ولا تجزون الاما كنتم تعملون * وقال لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا مات العبد انقطع عمله الامن ثلاث صدقة جارية عليه او ولد صالح يدعوله او علم ينتفع به من بعده * فاخبر انه انما ينتفع بما كان تسبب اليه في الحيوة وما لم يكن قد تسبب اليه فهو منقطع عنه وايضا فحديث ابي هريرة المتقدم وهو قوله ان مما يلحق الميت من عمله وحسناته بعد موته علما نشره الحديث يدل على انه انما ينتفع بما كان قد تسبب فيه وكذلك حديث انس يرفعه سبع تجري على العبد اجرهن وهو في قبره بعد موته من علم علما او اكرى نهرا او حفر بئرا اوغرس نخلا او بنى مسجدا او ورث مصحفا او ترك ولدا صالحا يستغفر له بعد موته * وهذا يدل على ان ماعدا ذلك لا يحصل له منه ثواب والا لم يكن للحصر معنى * قالوا والا هداء حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم والاعمال لا توجب الثواب وانما هو مجرد تفضل الله واحسانه فكيف يحيل العبد على مجرد الفضل الذي لا يجب على الله بل ان شاء آتاه وان لم يشأ لم يؤته وهو نظير حوالة الفقير على من يرجو ان يتصدق عليه ومثل هذا لا يصح اهداؤه وهبته كصلة ترجى من ملك لا يتحقق حصولها قالوا وايضا فالايثار باسباب الثواب مكروه

وهو الايثار بالقرب فكيف الايثار بنفس الثواب الذى هو غاية فاذا كره الايثار بالوسيلة فالغاية اولى واحرى وكذلك كره الامام احمد التاخر عن الصف الاول وايثار الغير به لما فيه من الرغبة عن سبب الثواب قال احمد في رواية حنبل وقد سئل عن الرجل يتأخر عن الصف الاول ويقدم اباه فى موضعه قال مايعجبنى هو يقدر ان يبر اباه بغير هذا * قالوا وايضا لو ساغ الاهداء الى الميت لساغ نقل الثواب والاهداء الى الحي * وايضا لو ساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه وقيراط منه * وايضا لو ساغ ذلك لساغ اهداؤه بعد ان يعمله لنفسه وقد قلتم انه لابد ان ينوي حال الفعل اهداءه الى الميت والا لم يصل اليه فاذا ساغ له نقل الثواب فاي فرق بين ان ينوى قبل الفعل او بعده * وايضا لو ساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات على الحي كما يسوغ اهداء ثواب التطوعات التى يتطوع بها * قالوا وان التكاليف امتحان وابتلاء لاتقبل البدل فان المقصود منها عين المكلف العامل المامور المنهي فلا يبدل المكلف الممتحن بغيره ولا ينوب غيره عنه فى ذلك اذ المقصود طاعته هو نفسه وعبوديته ولو كان ينتفع باهداء غيره له من غير عمل منه لكان اكرم الاكرمين اولى بذلك وقد حكم سبحانه انه لاينتفع الا بسعيه وهذه سنته تعالى فى خلقه وقضاؤه كما هي سنته في امره وشرعه فان المريض لاينوب عنه غيره في شرب الدواء والجائع والظمآن والعاري لاينوب

عنه غيره في الاكل والشرب واللباس * قالوا ولو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه قالوا ولهذا لا يقبل الله اسلام احد عن احد ولا صلاته عن صلاته فاذا كان رأس العبادات لا يصح اهداء ثوابه فكيف فروعها * قالوا واما الدعاء فهو سوال ورغبة الى الله ان يتفضل على الميت ويسامحه ويعفو عنه وهذا اهداء ثواب عمل الحي اليه * قال المقتصرون على وصول العبادات التي تدخلها النيابة كالصدقة والحج العبادات نوعان * نوع * لا تدخله النيابة بحال كالاسلام والصلوة وقراءة القرآن والصيام فهذا النوع يختص ثوابه بفاعله لا يتعداه ولا ينقل عنه كما انه في الحيوة لا يفعله احد عن احد ولا ينوب فيه عن فاعله غيره * ونوع * تدخله النيابة كرد الودائع واداء الديون واخراج الصدقة والحج فهذا يصل ثوابه الى الميت لانه يقبل النيابة ويفعله العبد عن غيره في حياته فبعد موته بالطريق الاولى والاحرى * قالوا واما حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه * فجوابه من وجوه * احدها ما قاله مالك في موطاءه قال لا يصوم احد عن احد قال وهو امر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه * الثاني * ان ابن عباس هو الذي روى حديث الصوم عن الميت وقد روى عنه النسائي اخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع ثنا حجاج الاحول ثنا ايوب ابن موسى عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال لا يصلي احد عن احد * الثالث * انه حديث اختلف في اسناده هكذا قال صاحب المفهم في شرح مسلم * الرابع * انه معارض بنص القرآن كما تقدم من قوله تعالى

وان ليس للانسان الا ما سعى والخامس انه معارض بما رواه النسائي عن
ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يصلي احد عن احد
ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مدا من حنطة
والسادس انه معارض بحديث محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن نافع
عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صوم رمضان
يطعم عنه [illegible] الصلوة والاسلام
[illegible]
بن عباس [illegible] حتى ان يكون نذر
حج او عمرة وصدقة فامره [illegible] نذر صلوة وصياما
ثم مات فانه يكفر عنه في الصوم ولا يصلى عنه ولا يكفر عنه في
الصوم [illegible] وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم امر احد
ان يصوم عن احد وقال [illegible] وروي ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم
[illegible] وحدث الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس
عن النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] مع [illegible] الزهري وطول
مجالسة عبيد الله لابن عباس [illegible] عن رجل عن ابن عباس
[illegible] حديث عبيد [illegible] ان لا يكون [illegible]
الرجل الذي جاء بهذا الحديث [illegible] عن ابن عباس [illegible]
اصحاب ابن [illegible] عن ابن عباس انه قال لان [illegible] الزبير [illegible] من
متعة الحج [illegible] هذا عن ابن عباس [illegible] متعة النساء وهذا [illegible] فاحش

بهذا الجواب عن فعل الصوم واما فعل الحج فانما يصل منه ثواب الانفاق واما افعال المناسك فهي كافعال الصلوة انما تقع عن فاعلها*

* قال اصحاب الوصول * ليس في شئ مما ذكرتم مايعارض ادلة الكتاب والسنة واتفاق سلف الامة ومقتضى قواعد الشرع ونحن نجيب عن كل ماذكرتموه بالعدل والانصاف * اما قوله تعالى وان ليس الانسان الا ما سعى * فقد اختلفت طرق الناس في المراد بالآية * فقالت طائفة * المراد بالانسان ههنا الكافر واما المؤمن فله ما سعى وما سعى له بالادلة التي ذكرناها قالوا وغاية ما في هذا التخصيص وهو جائز اذا دل عليه الدليل وهذا الجواب ضعيف جدا ومثل هذا العام لا يراد به الكافر وحده بل هو للمسلم والكافر وهو كالعام الذي قبله وهو قوله تعالى ان لا تزر وازرة وزر اخرى * والسياق كله من اوله الى آخره كالصريح في ارادة العموم لقوله تعالى وان سعيه سوف يرى ثم يجزاه الجزاء الاوفى * وهذا يعم الشر والخير قطعا ويتناول البر والفاجر والمؤمن والكافر كقوله تعالى فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره * ولقوله في الحديث الالهي ياعبادي انما هي اعمالكم احصيها لكم ثم اوفيكم اياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن الا نفسه وهو كقوله تعالى ياايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه * ولا تغتر بقول كثير من المفسرين في لفظ الانسان في القرآن الانسان ههنا ابو جهل والانسان ههنا عقبة بن ابي معيط والانسان ههنا الوليد بن

المعيرة فالقرآن اجل من ذلك بل الانسان هو الانسان من حيث هو من غير اختصاص بواحد بعينه كقوله تعالى ان الانسان لفي خسر * وان الانسان لربه لكنود * وان الانسان خلق هلوعا * وان الانسان ليطغى ان رآه استغنى * وان الانسان لظلوم كفار * وحملها الانسان انه كان ظلوما جهولا * فهذا شان الانسان من حيث ذاته ونفسه وخروجه عن هذه الصفات بفضل ربه وتوفيقه له ومنته عليه لا من ذاته فليس له من ذاته الا هذه الصفات وما به من نعمة فمن الله وحده فهو الذي حبب الى عبده الايمان وزينه في قلبه وكره اليه الكفر والفسوق والعصيان وهو الذي كتب في قلبه الايمان وهو الذي يثبت انبياءه ورسله واولياءه على دينه وهو الذي يصرف عنهم السوء والفحشاء وكان يرتجز بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم

والله لولا الله ما اهتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا

وقد قال تعالى وما كان لنفس ان تؤمن الا باذن الله * وقال تعالى وما يذكرون الا ان يشاء الله * وما تشاؤن الا ان يشاء الله رب العالمين * فهو رب جميع العالم وربوبيته شاملة لجميع ما في العالم من ذوات وافعال واحوال * وقالت طائفة الاية اخبار شرع من قبلنا وقد دل شرعنا على ان له ما سعى وما سعي له وهذا ايضا اضعف من الاول او من جنسه فان الله سبحانه اخبر بذلك اخبار مقرر له محتج به لا اخبار مبطل له ولهذا قال ام لم ينبأ بما في صحف موسى * فلو كان هذا باطلا في هذه الشريعة لم يخبر به اخبار مقرر له محتج به * وقالت طائفة اللام بمعنى على اي وليس على

الانسان الا ماسعى وهذا ابطل من القولين الاولين فانه قلب موضوع الكلام الى ضد معناه المفهوم منه ولا يسوغ مثل هذا ولا تحتمله اللغة واما نحو لهم اللعنة فهي على بابها اي نصيبهم وحظهم واما ان العرب تعرف في لغاتها الى درهم بمعنى عليّ درهم فكلا وقالت طائفة في الكلام حذف تقديره وان ليس للانسان الا ماسعى اوسعي له وهذا ايضامن النمط الاول فانه حذف مالا يدل السياق عليه بوجه وقول على الله وكتابه بلا علم ۞ وقالت طائفة اخرى الاية منسوخة بقوله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذريتهم وهذا منقول عن ابن عباس وهذا ضعيف ايضاولا يرفع حكم الاية بمجرد قول ابن عباس ولا غيره انهامنسوخة والجمع بين الايتين غيرمتعذر ولا ممتنع فان الابناء تبعوا الاباء في الاخرة كما كانوا تبعالهم في الدنيا وهذه التبعية هي من كرامة الاباء وثوابهم الذي نالوه بسعيهم واما كون الابناء لحقوابهم في الدرجة بلاسعي منهم فهذا ليس هولهم وانما هوللاباء اقر الله اعينهم بالحاق ذريتهم بهم في الجنة وتفضل على الابناء بشيء لم يكن لهم كما تفضل بذلك على الولدان والحور العين والخلق الذين ينشئهم للجنة بغيراعمال والقوم الذين يدخلهم الجنة بلاخير قدموه ولا عمل عملوه فقوله تعالى ان لا تزروازرة وزر اخرى ۞ وقوله وان ليس للانسان الا ماسعي ايتان محكمتان يقتضيها عدل الرب تعالى وحكمته وكماله المقدس والعقل والفطرة شاهدان ان

بها فالاولى تقتضي انه لا يعاقب بجرم غيره والثانية تقتضي انه لا يفلح الا بعمله وسعيه فالاولى تؤمن العبد من اخذه بجريرة غيره كما يفعله ملوك الدنيا والثانية تقطع طمعه من نجاته بعمل ابائه وسلفه ومشائخه كما عليه اصحاب الطمع الكاذب فتامل حسن اجتماع هاتين الايتين ونظيره قوله تعالى من اهتدى فانما يهتدي لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر اخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا فحكم سبحانه لعباده باربعة احكام هي غاية العدل والحكمة * احدها ان هدى العبد بالايمان والعمل الصالح لنفسه لا لغيره * الثاني ان ضلاله بفوات ذلك وتخلفه عنه على نفسه لا على غيره * الثالث ان احدا لا يؤاخذ بجريرة غيره * الرابع انه لا يعذب احدا الا بعد اقامة الحجة عليه برسله فتامل ما تضمنت هذه الاحكام الاربعة من حكمته تعالى وعدله وفضله والرد على اهل الغرور والاطماع الكاذبة وعلى اهل الجهل بالله واسمائه وصفاته * وقالت طائفة اخرى * المراد بالانسان ههنا الحي دون الميت وهذا ايضا من النمط الاول في الفساد وهذا كله من سوء التصرف في اللفظ العام وصاحب هذا التصرف لا ينفذ تصرفه في دلالات الالفاظ وحملها على خلاف موضوعها وما يتبادر الى الذهن منها وهو تصرف فاسد قطعا يبطله السياق والاعتبار وقواعد الشرع وادلته وعرفه وسبب هذا التصرف السيء ان صاحبه يعتقد قولا ثم يرد كل دليل على خلافه باي طريق اتفقت له فالادلة المخالفة لما اعتقده عنده من باب

السائل لا يبالي باي شيء دفعه واد له الحق لا تتعارض ولا تتناقض بل يصدق بعضها بعضا * وقالت طائفة اخرى * وهو جواب ابي الوفاء بن عقيل قال الجواب الجيد عندي ان يقال الانسان بسعيه وحسن عشرته اكتسب الاصدقاء واولد الاولاد ونكح الازواج واسدى الخير وتودد الى الناس فترحموا عليه واهدوا له العبادات وكان ذلك اثر سعيه كما قال صلى الله عليه وسلم ان اطيب ما اكل الرجل من كسبه وان ولده من كسبه * ويدل عليه قوله في الحديث الاخر اذا مات العبد انقطع عمله الا من ثلاث علم ينتفع به من بعده وصدقة جارية عليه او ولد صالح يدعو له ومن هنا قال الشافعي اذا بذل له ولده طاقة الحج كان ذلك سببا لوجوب الحج عليه حتى كانه في ماله زاد وراحلة بخلاف بذل الاجنبي وهذا جواب متوسط يحتاج الى تمام فان العبد بايمانه وطاعته لله ورسوله قد سعى في انتفاعه بعمل اخوانه المؤمنين مع عمله كما ينتفع بعملهم في الحيوة مع عمله فان المؤمنين ينتفع بعضهم بعمل بعض في الاعمال التي يشتركون فيها كالصلوة في جماعة فان كل واحد منهم تضاعف صلاته الى سبعة وعشرين ضعفا لمشاركة غيره له في الصلوة فعمل غيره كان سببا لزيادة اجره كما ان عمله سبب لزيادة اجر الاخر بل قد قيل ان الصلوة يضاعف ثوابها بعدد المصلين وكذلك اشتراكهم في الجهاد والحج والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه

بمشاركته بين اصابه وسلوم ان هذا بامور الدين اولى منه بامور الدنيا فدخول المسلم مع جملة المسلمين في عقد الاسلام من اعظم الاسباب في وصول نفع كل من المسلمين الى صاحبه في حياته وبعد مماته ودعوة المسلمين تحيط من ورائهم وقد اخبر الله سبحانه عن حملة العرش ومن حوله انهم يستغفرون للمؤمنين ويدعون لهم واخبر عن دعاء رسله واستغفارهم للمؤمنين كنوح وابراهيم ومحمد صلى الله عليه وعليهم وسلم فالعبد بايمانه قد تسبب الى وصول هذا الدعاء اليه فكانه من سعيه يوضحه ان الله سبحانه جعل الاعادة سببا لانتفاع صاحبه بدعاء اخوانه من المؤمنين وسعيهم فاذا اتى به فقد سعى في السبب الذى يوصل اليه ذلك وقد دل على ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو بن العاص ان اباك لو كان اقر بالتوحيد نفعه ذلك يعني العتق الذى فعل عنه بعد موته فلو اتى بالسبب لكان قد سعى في عمل يوصل اليه ثواب العتق وهذه طريقة لطيفة حسنة جداه وقالت طائفة اخرى ٭ القران لم ينف انتفاع الرجل بسعى غيره وانما نفى ملكه لغير سعيه وبين الامرين من الفرق ما لا يخفى فاخبر تعالى انه لا يملك الا سعيه واما سعى غيره فهو ملك لساعيه فان شاء ان يبذله لغيره وان شاء ان يبقيه لنفسه وهو سبحانه لم يقل لا ينتفع الا بما سعى وكان شيخنا يختار هذه الطريقة ويرجحها ٭

وكذلك

﴿ فصل ﴾

وكذلك قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت * وقوله ولا تجزون الا ما كنتم تعملون * على ان هذه الاية اصرح في الدلالة على ان سياقها انما ينفي عقوبة العبد بعمل غيره واخذه بجريرته فان الله سبحانه قال فاليوم لا تظلم نفس شيئا ولا تجزون الا ما كنتم تعملون * فنفي ان يظلم بان يزاد عليه في سيئاته او ينقص من حسناته او يعاقب بعمل غيره ولم ينف ان ينتفع بعمل غيره لا على وجه الجزاء فان انتفاعه بما يهدى اليه ليس جزاء على عمله وانما هو صدقة تصدق الله بها عليه وتفضل بها عليه من غير سعي منه بل وهبه ذلك على يد بعض عباده لا على وجه الجزاء *

﴿ فصل ﴾

واما استدلالكم بقوله صلى الله عليه وسلم اذا مات العبد * انقطع عمله فاستدلال ساقط فانه صلى الله عليه وسلم لم يقل انقطع انتفاعه وانما اخبر عن انقطاع عمله واما عمل غيره فهو لعامله فان وهبه له فقد وصل اليه ثواب عمل العامل لا ثواب عمله هو فالمنقطع شئ والواصل اليه شئ آخر وكذلك الحديث الاخر وهو قوله ان مما يلحق الميت من حسناته وعمله * فلا ينفي ان يلحقه غير ذلك من عمل غيره وحسناته * .

﴿ فصل ﴾

واما قولكم الاهداء حوالة والحوالة انما تكون بحق لازم * فهذه حوالة المخلوق على المخلوق واما حوالة المخلوق على الخالق فامر آخر لا يصح

قياسها على حوالة السيد بعضهم على بعض وهل هذا الامر ابطل القياس وافسده والذي يبطله اجماع الامة على انتفاعه باداء دينه وما عليه من الحقوق وابراء المستحق له منه والصدقة والحج عنه بالنص الذي لا سبيل الى رده ودفعه وكذلك الصوم وهذه الاقيسة الفاسدة لا تعارض نصوص الشرع وقواعده •

﴿ فصل ﴾

واما قولكم الايثار بسبب الثواب مكروه وهو مسئلة الايثار بالقرب فكيف الايثار بنفس الثواب الذي هو الغاية • فقد اجيب عنه باجوبة • احدها • ان حال الحياة حال لا يوثق فيها بسلامة العاقبة لجواز ان يرتد الحي فيكون قد آثر بالقربة غير اهلها وهذا قد امن بالموت • فان قيل • والمهدى اليه ايضا قد لا يكون مات على الاسلام باطنا فلا ينتفع بما يهدى اليه وهذا سؤال في غاية البطلان فان الاهداء له من جنس الصلوة عليه والاستغفار له والدعاء له فان كان اهلا والا انتفع به الداعي وحده • الجواب الثاني • ان الايثار بالقرب يدل على قلة الرغبة فيها والتأخر عن فعلها فلو ساغ الايثار بها لافضى الى التقاعد والتكاسل والتأخر بخلاف اهداء ثوابها فان العامل يحرص عليها لاجل ثوابها لينتفع به او ينفع به اخاه المسلم فبينهما فرق ظاهر • الجواب الثالث • ان الله سبحانه يحب المبادرة والمسارعة الى خدمته والتنافس فيها فان ذلك ابلغ في العبودية فان الملوك تحب المسارعة والمنافسة في طاعتها

 وحيد منها

وخذ منها الايثار بذلك مناف لمقصود العبودية فان الله سبحانه امر عبده بهذه القربة اما ايجابا واما استحبابا فاذا اثر بها ترك ما امره وولاه غيره بخلاف ما اذا اهدى ما امر به طاعة وقربة ثم ارسل ثوابه الى اخيه المسلم وقد قال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والارض وقال فاستبقوا الخيرات ومعلوم ان الايثار بها ينافي الاستباق اليها والمسارعة وقد كان الصحابة يسابق بعضهم بعضا بالقرب ولا يؤثر الرجل منهم غيره بها قال عمر والله ما سابقني ابو بكر الى خير الا سبقني اليه حتى قال والله لا اسابقك الى خير ابدا وقد قال تعالى وفي ذلك فليتنافس المتنافسون يقال نافست في الشيء منافسة ونفاسا اذا رغبت فيه على وجه المباراة ومن هذا قولهم شيء نفيس اي هو اهل ان يتنافس فيه ويرغب فيه وهذا انفس مالي اي احبه الي وانفسني فلان في كذا اي ارغبني فيه وهذا كله ضد الايثار به والرغبة عنه ٭

﴿ فصل ﴾

واما قولكم لو ساغ الاهداء الى الميت لساغ الى الحي فجوابه من وجهين احدهما انه قد ذهب الى ذلك بعض الفقهاء من اصحاب احمد وغيرهم قال القاضي وكلام احمد لا يقتضي التخصيص بالميت فانه قال يفعل الخير ويجعل نصفه لابيه وامه ولم يفرق واعترض عليه ابو الوفاء بن عقيل وقال هذا فيه بعد وهو تلاعب بالشرع وتصرف في امانة الله

واسجال على الله سبحانه بثواب على عمل يفعله الى غيره و بعد الموت قد جعل لنا طريقا الى ايصال النفع كالاستغفار و الصلوة على الميت * ثم اورد على نفسه سوالا وهو * فان قيل * اليس قضاء الدين وتحمل الكل حال الحياة كقضائه بعد الموت فقد استوى ضمان الحياة وضمان الموت في انهما يزيلان المطالبة عنه فاذا وصل قضاء الديون بعد الموت وحال الحياة فاجعلوا ثواب الاهداء واصلا حال الحياة و بعد الموت * واجاب * عنه بانه لو صح هذا وجب ان تكون الذنوب تكفر عن الحي بتوبة غيره عنه وينذفع عنه ماثم الاخرة بعمل غيره واستغفاره * قلت * وهذا لا يلزم بل طرد ذلك انتفاع الحي بدعاء غيره له واستغفاره له و تصدقه عنه و قضاء ديونه وهذا حق وقد اذن النبي صلى الله عليه وسلم في اداء فريضة الحج عن الحي المعضوب والعاجز وهما حيان و قد اجاب غيره من الاصحاب بان حال الحياة لا تثق بسلامة العاقبة خوفا ان يرتد المهدى له فلا ينتفع بما يهدى اليه * قال ابن عقيل وهذا عذر باطل باهداء الحي فانه لا يومن ان يرتد ويموت فيحبط عمله كله ومن جملته ثواب الاهدى الى الميت * قلت * هذا الا يلزمهم و موارد النص والاجماع تبطله و ترده فان النبي صلى الله عليه وسلم اذن في الحج والصوم عن الميت واجمع الناس على براءة ذمته من الدين اذا قضاه عنه الحي مع وجود ما ذكره من الاحتمال * والجواب * ان يقال ما اهداه من اعمال البر الى الميت فقد صار ملكا له فلا يبطل بردة فاعله بعد

خروجه

خروجه عن ملكه كتصرفاته التي تصرفها قبل الردة من عتق وكفارة بل لو حج عن مغصوب ثم ارتد بعد ذلك لم يلزم المغصوب ان يقيم غيره يحج عنه فانه لا يومن في الثاني والثالث ذلك على ان الفرق بين الحي والميت ان الحي ليس بمحتاج كحاجة الميت اذ يمكنه ان يباشر ذلك العمل او نظيره فعليه اكتساب الثواب بنفسه وسعيه بخلاف الميت وايضا فانه يفضي الى اتكال بعض الاحياء على بعض وهذه مفسدة كبيرة فان ارباب الاموال اذا فهموا ذلك واستشعروه استاجروا من يفعل ذلك عنهم فتصير الطاعات معاوضات وذلك يفضي الى اسقاط العبادات والنوافل ويصير ما يتقرب به الى الله يتقرب به الى الادميين فيخرج عن الاخلاص فلا يحصل الثواب لواحد منها ونحن نمنع من اخذ الاجرة على كل قربة ونحبطها باخذ الاجر عليها كالقضاء والفتيا وتعليم العلم والصلوة وقراءة القران وغيرها فلا يثيب الله عليها الا الخلص اخلص العمل لوجهه فاذا فعله للاجرة لم يثب عليه الفاعل ولا المستاجر فلا يليق بمحاسن الشرع ان يجعل العبادات الخالصة له معاملات تقصد بها المعاوضات والاكساب الدنيوية وفارق قضاء الديون وضمانها فانها حقوق الادميين ينوب بعضهم فيها عن بعض فلذلك جازت في الحيوة وبعد الموت ●

﴿ فصل ﴾

واما قولكم لو ساغ ذلك لساغ اهداء نصف الثواب وربعه الى الميت

* فالجواب من وجهين * احدهما * منع الملازمة فانكم لم تذكروا عليها دليلا الا مجرد الدعوى * الثاني * التزام ذلك والقول به نص عليه الامام احمد في رواية محمد بن يحيى الكحال ووجه هذا ان الثواب ملك له فله ان يهديه جميعه وله ان يهدي بعضه يوضحه انه لو اهداه الى اربعة مثلا يحصل لكل منهم ربعه فاذا اهدى الربع وابقى لنفسه الباقي جاز كما لو اهداه الى غيره *

﴿ فصل ﴾

واما قولكم لو ساغ ذلك لساغ اهداؤه بعد ان يعمله لنفسه وقد قلتم انه لابد ان ينوي حال الفعل اهداءه الى الميت والا لم يصل * فالجواب * ان هذه المسئلة غير منصوصة عن احمد ولا هذا الشرط في كلام المتقدمين من اصحابه وانما ذكره المتأخرون كالقاضي واتباعه قال ابن عقيل اذا فعل طاعة من صلوة وصيام وقراءة قرآن واهداها بان جعل ثوابها للميت المسلم فانه يصل اليه ذلك وينفعه بشرط ان تتقدم نية الهدية على الطاعة او تقارنها وقال ابو عبد الله بن حمدان في رعايته ومن تطوع بقربة من صدقة وصلوة وصيام وحج وعمرة وقراءة وعتق وغير ذلك من عبادة بدنية تدخلها النيابة او عبادة مالية وجعل ثوابها او بعضه لميت مسلم حتى النبي صلى الله عليه وسلم ودعا له او استغفر له او قضى ما عليه من حق شرعي او واجب تدخله النيابة نفعه ذلك ووصل اليه اجره وقيل ان نواه حال فعله او قبله وصل اليه والا فلا

وسر المسئلة ان اوان شرط حصول الثواب ان يقع ان اهدى له
اولا وبجوزان يقع للعامل ثم ينتقل عنـه الى غيره ثمن شرط ان ينوى
قبل الفعل او الفراغ منه وصوله قال لولم ينوه وقع الثواب للعامل فلا يقبل
انتقاله عنـه الى غيره فان الثواب يترتب على العمل ترتب الاثر
على مؤثره ولهذا لو اعتق عبدا عن نفسه كان ولاؤه له فلو نقل ولاءه
الى غيره بعد العتق لم ينتقل بخلاف ما لو اعتقه عن الغير فان ولاءه
يكون للمعتق عنه وكذلك لو ادى دينا عن نفسه ثم اراد بعد الاداء ان
يجعله عن غيره لم يكن له ذلك وكذلك لو حج اوصام اوصلى لنفسه
ثم بعد ذلك اراد ان يجعل ذلك عن غيره لم يملك ذلك ويؤيد هذا
ان الذين سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك لم يسألوه عن
اهداء ثواب العمل بعده وانما سألوه عما يفعلونه عن الميت كما قال سعد
اينفعها ان اتصدق عنها ولم يقل ان اهدى لها ثواب ما تصدقت به عن
نفسي وكذلك قول المرأة الاخرى افاحج عنها وقول الرجل الاخر
افاحج عن ابي فاجابهم بالاذن في الفعل عن الميت لا باهداء ثواب
ما عملوه لانفسهم الى موتاهم فهذا لا يعرف انه صلى الله عليه وسلم مثل
عنه قط ولا يعرف عن احد من الصحابة انه فعله وقال اللهم اجعل
لفلان ثواب عملي المتقدم او ثواب ما عملته لنفسي فهذا سر الاشتراط
وهو افقه ومن لم يشترط ذلك يقول الثواب للعامل فاذا تبرع به واهداه
الى غيره كان بمنزلة ما يهديه اليه من ماله *

فصل

واما قولكم لو ساغ الاهداء لساغ اهداء ثواب الواجبات التي تجب على الحي * فالجواب * ان هذا الالزام محال على اصل من شرط في الوصول نية الفعل عن الميت فان الواجب لا يصح ان يفعله عن الغير فان هذا واجب على الفاعل يجب عليه ان ينوي به القربة الى الله واما من لم يشترط نية الفعل عن الغير فهل يسوغ عنده ان يجعل للميت ثواب فرض من فروضه فيه وجهان قال ابو عبد الله بن حمدان وقيل ان جعل له ثواب فرض من صلوة او صوم او غيرهما جاز واجزأ فاعله *قلت* وقد نقل عن جماعة انهم جعلوا ثواب اعمالهم من فرض ونفل للمسلمين وقالوا نلقى الله بالفقر والافلاس المجرد والشريعة لا تمنع من ذلك فالاجر ملك العامل فان شاء ان يجعله لغيره فلا حجر عليه في ذلك والله اعلم *

فصل

واما قولكم ان التكاليف امتحان وابتلاء لا تقبل البدل اذ المقصود منها عين المكلف العامل الى اخره * فالجواب * منه ان ذلك لا يمنع اذن الشارع للمسلم ان ينفع اخاه بشيء من عمله بل هذا من تمام احسان الرب ورحمته لعباده ومن كمال هذه الشريعة التي شرعها لهم التي مبناها على العدل والاحسان والتعارف والرب تعالى اقام ملائكته وحملة عرشه يدعون لعباده المؤمنين ويستغفرون لهم ويسألون لهم

ان يقيهم السيئات وامر خاتم رسله ان يستغفر للمؤمنين والمؤمنات ويقيمه يوم القيامة مقاما محمودا ليشفع في العصاة من اتباعه واهل سنته وقد امره تعالى ان يصلي على اصحابه في حياتهم وبعد مماتهم وكان يقوم على قبورهم فيدعو لهم وقد استقرت الشريعة على ان المأثم الذي على الجميع بترك فروض الكفايات تسقط اذا فعله من يحصل المقصود بفعله ولو واحدا واسقط سبحانه الارتهان وحرارة الجلود في القبر بضمان الحي دين الميت وادائه منه وان كان ذلك الوجوب امتحانا في حق المكلف واذن النبي صلى الله عليه وسلم في الحج والصيام عن الميت وان كان الوجوب امتحانا في حقه واسقط عن المأموم سجود السهو بصحة صلاة الامام وخلوها من السهو وقراءة الفاتحة بتحمل الامام لها فهو يتحمل عن المأموم سهوه وقراءته وسترته فقراءة الامام وسترته قراءة لمن خلفه وسترة له وهل الاحسان الى المكلف باهداء الثواب اليه الا تأسٍ باحسان الرب تعالى والله يحب المحسنين والخلق عيال الله فاحبهم اليه انفعهم لعياله واذا كان سبحانه يحب من ينفع عياله بشربة ماء ومذقة لبن وكسرة خبز فكيف من ينفعهم في حال ضعفهم وفقرهم وانقطاع اعمالهم وحاجتهم الى شيء يهدى اليهم احوج ما كانوا اليه فاحب الخلق الى الله من ينفع عياله في هذه الحال ولهذا جاء اثر عن بعض السلف انه من قال كل يوم سبعين مرة رب اغفر لي ولوالدي وللمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات حصل له من الاجر بعدد كل مسلم

وصلة ومؤمن مؤمنة ولا تستبعد هذا فانه اذا استغفر لاخوانه فقد احسن اليهم والله لايضيع اجر المحسنين●

﴿ فصل ﴾

واما قولكم انه لو نفعه عمل غيره لنفعه توبته عنه واسلامه عنه●فهذه الشبهة تورد على صورتين صورة تلازم يدعى فيها اللزوم بين الامرين ثم يبين انتفاء اللازم فينتفي ملزومه وصورتها هكذا لو نفعه عمل الغير عنه لنفعه اسلامه وتوبته عنه لكن لا ينفعه ذلك فلا ينفعه عمل الغير والصورة الثانية ان يقال لا ينتفع باسلام الغير وتوبته عنه فلا ينتفع بصلاته وصيامه وقراءته عنه ومعلوم ان هذا التلازم والاقتران باطل قطعا اما اولا فلانه قياس مصادم لما تظاهرت به النصوص واجتمعت عليه الامة واما ثانيا فلانه جمع بين ما فرق الله بينه فان الله سبحانه فرق بين اسلام المرء عن غيره وبين صدقته وحجته وعتقه عنه فالقياس المسوى بينهما من جنس قياس الذين قاسوا الميتة على المذكى والربا على البيع واما ثالثا فان الله سبحانه جعل الاسلام سببا لنفع المسلمين بعضهم بعضا في الحيوة وبعد الموت فاذا لم يأت بسبب انتفاعه بعمل المسلمين لم يحصل له ذلك النفع كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لعمرو ان اباك لو كان اقر بالتوحيد فصمت او تصدقت عنه نفعه ذلك وهذا كما جعل سبحانه الاسلام سببا لانتفاع العبد بما عمل من خير فاذا فاته هذا السبب لم ينفعه خير عمله ولم يقبل منه كما جعل الاخلاص

والمتابعة سببا لقبول الاعمال فاذا فقد لم تقبل الاعمال وكما جعل الوضوء
وسائر شروط الصلوة سببا لصحتها فاذا فقدت فقدت الصحة وهذا
شان سائر الاسباب مع مسبباتها الشرعية والعقلية والحسية فمن سوى
بين حالين وجود السبب وعدمه فهو مبطل ونظير هذا الموس ان
يقال لو قبلت الشفاعة في العصاة لقبلت في المشركين ولو خرج اهل
الكبائر من الموحدين من النار لخرج الكفار منها وامثال ذلك من
الاقيسة التي هي من نجاسات معدة اصحابها ورجيع افواههم وبالجملة
فالاولى باهل العلم الاعراض عن الاشتغال بدفع هذه الهذيانات
لولا انهم قد سودوا بها صحف الاعمال والصحف التي بين الناس *

﴿ فصل ﴾

واما قولكم العبادات نوعان * نوع * تدخله النيابة فيصل ثواب
اهدائه الى الميت * ونوع * لا تدخله فلا يصل ثوابه * فهذا هو نفس المذهب
والدعوى فكيف تحتجون به ومن اين لكم هذا الفرق فاي كتاب ام اي
سنة ام اي اعتبار دل عليه حتى يجب المصير اليه وقد شرع النبي صلى الله
عليه وسلم الصوم عن الميت مع ان الصوم لا تدخله النيابة وشرع للامة ان
ينوب بعضهم عن بعض في اداء فرض الكفاية فاذا فعله واحد ناب
عن الباقين في فعله وسقط عنهم المأثم وشرع لقيم الطفل الذي لا يعقل
ان ينوب عنه في الاحرام وافعال المناسك وحكم له بالاجر بفعل نائبه وقد
قال ابو حنيفة يحرم الرفقة عن المغمى عليه فجعل احرام رفقته بمنزلة احرامه

وجعل الشارع اسلام الابوين بمنزلة اسلام اطفالها وكذلك اسلام السابي والمالك على القول المنصوص فقد رأيت كيف حدت هذه الشريعة الكاملة افعال البر من فاعلها الى غيرهم فكيف يليق بها ان تحجر على العبد ان ينفع والديه ورحمه واخوانه من المسلمين في اعظم اوقات حاجاتهم بشئ من الخير والبر يفعله ويجعل ثوابه لهم وكيف يحجر العبد واسما او يحجر على من لم يحجر عليه الشارع في ثواب عمله ان يصرف منه ماشاء الى من شاء من المسلمين والذي اوصل ثواب الحج والصدقة والعتق هو بعينه الذي يوصل ثواب الصيام والصلوة والقراءة والاعتكاف وهو اسلام المهدى اليه وتبرع المهدى واحسانه وعدم حجر الشارع عليه في الاحسان بل ندبه الى الاحسان بكل طريق وقد تواطأت رؤيا المؤمنين وتواترت اعظم تواتر على اخبار الاموات لهم بوصول مايهدونه اليهم من قراءة وصلوة وصدقة وحج وغيره ولو ذكرنا ماحكى لنا من اهل عصرنا وما بلغنا عن من قبلنا من ذلك لطال جدا وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم ارى رؤياكم قد تواطأت على انها في العشر الاواخر كاعته صلى الله عليه وسلم (١) تواطؤ رؤيا المومنين وهذا كما يعتبر تواطؤ روايتهم كما شاهده فهم لايكذبون في روايتهم ولا في رؤياهم اذا تواطأت *

فصل

واما رد حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قوله من مات وعليه

صيام صام عنه وليه * بتلك الوجوه التي ذكرتموها فنحن ننتصر لحديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونبين موافقته للصحيح من تلك الوجوه
واما الباطل فيكفينا بطلانه من معارضته للحديث الصحيح الصريح الذى
لا تغمز قناته ولا سبيل الى مقابلته الا بالسمع والطاعة والاذعان والقبول
وليس لنا بعده الخيرة بل الخيرة كل الخيرة في التسليم له والقول به
ولو خالفه من بين المشرق والمغرب * فاما قولكم نرده بقول مالك
في موطائه لا يصوم احد عن احد * فمازعوكم يقولون بل نرد قول مالك
هذا بقول النبي صلى الله عليه وسلم فاي الفريقين احق بالصواب واحسن
رد ا * واما قوله وهو امر مجمع عليه عندنا لا خلاف فيه * فمالك رحمه الله
لم يحك اجماع الامة من شرق الارض وغربها وانما حكى قول اهل
المدينة فيما بلغه ولم يبلغه خلاف بينهم وعدم اطلاعه رحمه الله على
الخلاف في ذلك لا يكون مسقطا لحديث رسول الله صلى الله عليه
وسلم بل لو اجمع عليه اهل المدينة كلهم لكان الاخذ بالحديث المعصوم
اولى من الاخذ بقول اهل المدينة الذين لم تضمن لنا العصمة في قولهم
دون الامة ولم يجعل الله ورسوله اقوالهم حجة يجب الرد عند
التنازع اليها بل قال الله تعالى فان تنازعتم في شيء فردوه الى الله والرسول
ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الاخر ذلك خير واحسن تاويلا * وان
كان مالك واهل المدينة قد قالوا لا يصوم احد عن احد فقد روي
الحكم بن عتيبة وسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس انه

افتى في قضاء رمضان يطعم عنه وفي النذر يصام عنه وهذا مذهب الامام احمد وكثير من اهل الحديث وهو قول ابي عبيد وقال ابو ثور يصام عنه النذر وغيره وقال الحسن بن صالح في النذر يصوم عنه وليه *

﴿ فصل ﴾

واما قولكم ابن عباس هو روى حديث الصوم عن الميت وقد قال لا يصوم احد عن احد * فغاية هذا ان يكون الصحابي قد افتى بخلاف ما رواه وهذا لا يقدح في روايته فان روايته معصومة وفتواه غير معصومة ويجوز ان يكون نسي الحديث او تاوله او اعتقد له معارضا راجحا في ظنه او لغير ذلك من الاسباب على ان فتوى ابن عباس غير معارضة للحديث فانه افتى في رمضان انه لا يصوم احد عن احد وافتى في النذر انه يصام عنه وليس هذا بمخالف لروايته بل حمل الحديث على النذر ثم ان حديث من مات وعليه صيام صام عنه وليه * هو ثابت من رواية عائشة فهب ان ابن عباس خالفه فكان ماذا فخلاف ابن عباس لا يقدح في رواية ام المؤمنين بل رد قول ابن عباس برواية عائشة اولى من رد روايتها بقوله وايضا فابن عباس قد اختلف عنه في ذلك وعنه روايتان فليس اسقاط الحديث للرواية المخالفة له عنه اولى من اسقاطها بالرواية الاخرى بالحديث *

﴿ فصل ﴾

واما قولكم انه حديث اختلف في اسناده * فكلام مجازف لا يقبل قوله

فالحديث صحيح ثابت متفق على صحته رواه صاحبا الصحيح ولم يختلف في اسناده ٭ قال ابن عبد البر ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه ٭ وصححه الامام احمد وذهب اليه وعلق الشافعي القول به على صحته فقال وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصوم عن الميت شيء فان كان ثابتا صيم عنه كما يحج عنه وقد ثبت بلا شك فهو مذهب الشافعي كذلك قال غير واحد من ائمة اصحابه قال البيهقي بعد حكايته هذا اللفظ عن الشافعي قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس وفي رواية اكثرهم ان امرأة سألت فاشبه ان تكون غير قصة ام سعد وفي رواية بعضهم صومي عن امك ٭ وسياتي تقرير ذلك عند الجواب عن كلام معترضه الله ٭ وقولكم انه معارض بنص القرآن وهو قوله وان ليس للانسان الا ما سعى ٭ اساءة ادب في اللفظ وخطأ عظيم في المعنى وقد اعاذ الله رسول الله صلى الله عليه وسلم ان تعارض سنته لنصوص القرآن بل تعاضدها وتؤيدها والله ما يصنع التعصب ونصرة التقليد وقد تقدم من الكلام على الاية ما فيه كفاية وبينا انها لا تعارض بينها وبين سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجه وانما يظن التعارض من سوء الفهم وهذه طريقة وخيمة ذميمة وهي رد السنن الثابتة بما يفهم من ظاهر القرآن والعلم كل العلم تنزيل السنن على القرآن فانها مشتقة منه وماخوذة عن من جاء به وهي بيان له لا انها مناقضة له ٭ وقولكم انه معارض

بما رواه النسائي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه كل يوم مد من حنطة* فغلط قبيح فان النسائي رواه هكذا اخبرنا محمد بن عبد الاعلى ثنا يزيد بن زريع ثنا حجاج الاحوال ثنا ايوب بن موسى عن عطاء بن ابي رباح عن ابن عباس قال لا يصلي احد عن احد ولا يصوم احد عن احد ولكن يطعم عنه مكان كل يوم مد من حنطة* هكذا رواه قول ابن عباس لا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يعارض قول رسول الله صلى الله عليه وسلم بقول ابن عباس ثم يقدم عليه مع ثبوت الخلاف عن ابن عباس ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقل هذا الكلام قط وكيف يقوله وقد ثبت عنه في الصحيحين انه قال من مات وعليه صيام صام عنه وليه*فكيف يقوله وقد قال في حديث بريدة الذي رواه مسلم في صحيحه ان امرأة قالت له ان امي ماتت وعليها صوم شهر قال صومي عن امك*واما قولكم انه معارض بحديث ابن عمر من مات وعليه صوم رمضان يطعم عنه*فمن هذا النمط فانه حديث باطل على رسول الله صلى الله عليه وسلم قال البيهقي حديث محمد بن عبد الرحمن بن ابي ليلى عن نافع عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم من مات وعليه صوم رمضان يطعم عنه لا يصح * محمد بن عبد الرحمن كثير الوهم وانما رواه اصحاب نافع عن نافع عن ابن عمر من قوله* واما قولكم انه معارض بالقياس الجلي على الصلوة

والاسلام والتوبة فان احدا لا يفعلها عن احد فلعمر الله انه لقياس على البطلان والفساد لرد سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم الصحيحة الصريحة له وشهادتها ببطلانه وقد اوضحنا الفرق بين قبول الاسلام عن الكافر بعد موته وبين انتفاع المسلم بما يهديه اليه اخوه المسلم من ثواب صيام او صدقة اوصلوة ولعمر الله ان الفرق بينهما اوضح من ان يخفى وهل في القياس افسد من قياس انتفاع المسلم بعد موته بما يهديه اليه اخوه المسلم من ثواب عمله على قبول الاسلام عن الكافر بعد موته اوقبول التوبة عن المجرم بعد موته *

﴿ فصل ﴾

واما كلام الشافعي رحمه الله في تغليط راوي حديث ابن عباس ان نذر ام سعد كان صوما فقد اجاب عنه انصر الناس له وهو البيهقي ونحن نذكر كلامه بلفظه قال في (كتاب المعرفة) بعد ان حكى كلامه قد ثبت جواز القضاء عن الميت برواية سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعكرمة عن ابن عباس وفي رواية اكثرهم ان امرأة سألت فاشبه ان تكون غير قصة ام سعد وفي رواية بعضهم صومي عن امك قال وتشهد له بالصحة رواية عبد الله بن عطاء المدني قال حدثني عبد الله بن بريدة الاسلمي عن ابيه قال كنت عند النبي صلى الله عليه وسلم فاتته امرأة فقالت يا رسول الله اني كنت تصدقت بوليدة على امي فماتت وبقيت الوليدة قال قد وجب اجرك ورجعت اليك في الميراث قالت فانها

ماتت وعليها صوم شهر قال صومي عن امك قال وانها ماتت ولم تحج قال حجي عن امك رواه مسلم في صحيحه من اوجه عن عبد الله بن عطاء انتهى * قلت * وقد روى ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان امي ماتت وعليه صيام شهر افاقضيه عنها فقال النبي صلى الله عليه وسلم لو كان عليها دين اكنت قاضيه عنها قال نعم قال فدين الله احق ان يقضى * ورواه ابن خيثمة ثنا معاوية بن عمرو ثنا زائدة عن الاعمش فذكره ورواه النسائي عن قتيبة بن سعيد ثنا عبثرة عن الاعمش فذكره فهذا غير حديث ام سعد اسنادا ومتنا فان قصة ام سعد رواها مالك عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس ان سعد بن عبادة استفتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان امي ماتت وعليها نذر فقال النبي صلى الله عليه وسلم اقضه عنها هكذا اخرجاه في الصحيحين فهب ان هذا والمحفوظ في هذا الحديث انه نذر مطلق لم يسم فهل يكون هذا في حديث الاعمش عن مسلم البطين عن سعيد بن جبير على ان ترك استفصال النبي صلى الله عليه وسلم لسعد في النذر هل كان صلوة او صدقة اوصياما مع ان الناذر قد ينذر هذا وهذا يدل على انه لا فرق بين قضاء نذر الصيام والصلوة والا لقال له ما هو النذر فان النذر اذا انقسم الى قسمين نذر يقبل القضاء عن الميت ونذر لا يقبله لم يكن بد من الاستفصال *

﴿ فصل ﴾

ونحن نذكر اقوال اهل العلم في الصوم عن الميت لئلا يتوهم ان في المسئلة اجماعا بخلافه قال عبد الله بن عباس يصام عنه في النذر ويطعم عنه في قضاء رمضان، وهذا مذهب الامام احمد وقال ابو ثور يصام عنه النذر والفرض وكذلك قال داود بن علي واصحابه يصام عنه نذرا كان او فرضا وقال الاوزاعي يجعل وليه مكان الصوم صدقة فان لم يجد صام عنه وهذا قول سفيان الثوري في احدى الروايتين عنه وقال ابو عبيد القاسم بن سلام يصام عنه النذر ويطعم عنه في الفرض وقال الحسن اذا كان عليه صيام شهر فصام عنه ثلاثون رجلا يوما واحدا اجاز *

﴿ فصل ﴾

واما قولكم انه يصل اليه في الحج ثواب النفقة دون افعال المناسك * فدعوى مجردة بلا برهان والسنة تردها فان النبي صلى الله عليه وسلم قال حج عن ابيك * وقال للمرأة حجي عن امك * فاخبران الحج نفسه عن الميت ولم يقل ان الانفاق هو الذي يقع عنه وكذلك قال للذي سمعه يلبي عن شبرمة حج عن نفسك ثم حج عن شبرمة * ولما سألته المرأة عن الطفل الذي معها فقالت الهذا حج قال نعم * ولم يقل انما له ثواب الانفاق بل اخبران له حجا مع انه لم يفعل شيئا بل وليه ينوب عنه في افعال المناسك ثم ان النائب عن الميت قد لا ينفق شيئا في حجه غير نفقة

مقامه ثم الذي يحمل ثواب نفقة مقامه للمحجوج عنه وهو لم ينفقها على الحج بل تلك نفقته اقام ام سافر فهذا القول ترده السنة والقياس والله اعلم*

﴿ فصل ﴾

فان قيل فهل تشترطون في وصول الثواب ان يهديه بلفظه ام يكفي في وصوله مجرد نية العامل ان يهديه الى الغير قيل *السنة لم تشترط التلفظ بالاهداء في حديث واحد بل اطلق صلى الله عليه وسلم الفعل عن الغير كالصوم والحج والصدقة ولم يقل لفاعل ذلك قل اللهم هذا عن فلان ابن فلان والله سبحانه يعلم نية العبد وقصده بعمله فان ذكره جاز وان ترك ذكره واكتفى بالنية والقصد وصل اليه ولا يحتاج ان يقول اللهم اني صائم غدا عن فلان ابن فلان ولهذا والله اعلم اشترط من اشترط نية الفعل عن الغير قبله ليكون واقعا بالقصد عن الميت فاما اذا فعله لنفسه ثم نوى ان يجعل ثوابه للغير لم يصر للغير بمجرد النية كما لو نوى ان يهب او يعتق او يتصدق لم يحصل ذلك بمجرد النية ومما يوضح ذلك انه لو بنى مكانا بنية ان يجعله مسجدا او مدرسة او سقاية ونحو ذلك صار وقفا بفعله مع النية ولم يحتج الى تلفظ وكذلك لو اعطى الفقير مالا بنية الزكاة سقطت عنه الزكاة وان لم يتلفظ بها وكذلك لو ادى عن غيره دينا حيا كان او ميتا سقط من ذمته وان لم يقل هذا عن فلان* فان قيل* فهل يتعين عليه تعليق الاهداء بان يقول اللهم ان كنت قبلت هذا العمل واثبتني عليه فاجعل ثوابه لفلان ام لا* قيل*

﴿ فصل هل يشترط في ايصال الثواب

تلفظ العامل بالاهداء ام لا ﴾

لا يتعين ذلك لفظا ولا قصدا بل لا فائدة في هذا الشرط فان الله سبحانه انما يفعل هذا سواء شرطه او لم يشرطه فلو كان سبحانه يفعل غير هذا بدون الشرط كان في الشرط فائدة * واما قوله اللهم ان كنت اثبتني على هذا فاجعل ثوابه لفلان فهو بناء على ان الثواب يقع للعامل ثم ينتقل منه الى من اهدى له وليس كذلك بل اذا نوى حال الفعل انه عن فلان وقع الثواب او لا عن المعمول له كما لو اعتق عبدا عن غيره لا نقول ان الولاء يقع للمعتق ثم ينتقل عنه الى المعتق عنه فهكذا هذا وبالله التوفيق * فان قيل * فما الافضل ان يهدى الى الميت * قيل * الافضل ما كان انفع في نفسه فالعتق عنه والصدقة افضل من الصيام عنه وافضل الصدقة ما صادفت حاجة من المتصدق عليه وكانت دائمة مستمرة ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل الصدقة سقي الماء * وهذا في موضع يقل فيه الماء ويكثر فيه العطش والا فسقي الماء على الانهار والقني لا يكون افضل من اطعام الطعام عند الحاجة وكذلك الدعاء والاستغفار له اذا كان بصدق من الداعي واخلاص وتضرع فهو في موضعه افضل من الصدقة عنه كالصلاة على الجنازة والوقوف للدعاء على قبره وبالجملة فافضل ما يهدى الى الميت العتق والصدقة والاستغفار له والدعاء له والحج عنه * واما قراءة القرآن * واهداؤها له تطوعا بغير اجرة فهذا يصل اليه كما يصل ثواب الصوم والحج * فان قيل * فهذا لم يكن معروفا في السلف ولا يمكن نقله عن واحد منهم مع شدة حرصهم

على الخير ولا ارشدهم النبي صلى الله عليه وسلم اليه وقد ارشدهم الى الدعاء والاستغفار والصدقة والحج والصيام فلو كان ثواب القراءة يصل لارشدهم اليه ولكانوا يفعلونه • فالجواب • ان مورد هذا السؤال ان كان معترفا بوصول ثواب الحج والصيام والدعاء والاستغفار قيل له ماهذه الخاصية التي منعت وصول ثواب القرآن واقتضت وصول ثواب هذه الاعمال وهل هذا الا تفريق بين المتماثلات وان لم يعترف بوصول تلك الاشياء الى الميت فهو محجوج بالكتاب والسنة والاجماع وقواعد الشرع واما السبب الذي لاجله لم يظهر ذلك في السلف فهو انهم لم يكن لهم اوقاف على من يقرء ويهدي الى الموتى ولا كانوا يعرفون ذلك البتة ولا كانوا يقصدون القبر للقراءة عنده (١) كما يفعله الناس اليوم ولا كان احدهم يشهد من حضره من الناس على ان ثواب هذه القراءة لفلان الميت بل ولا ثواب هذه الصدقة والصوم ثم يقال لهذا القائل لو كلفت ان تنقل عن واحد من السلف انه قال اللهم ثواب هذا الصوم لفلان لعجزت فان القوم كانوا احرص شيء على كتمان اعمال البر فلم يكونوا ليشهدوا على الله بايصال ثوابها الى امواتهم • فان قيل • فرسول الله صلى الله عليه وسلم ارشدهم الى الصوم والصدقة والحج دون القراءة • قيل • هو صلى الله عليه وسلم لم يبتدئهم بذلك بل خرج ذلك منه مخرج الجواب لهم فهذا سأله عن الحج عن ميته فاذن له وهذا سأله عن الصيام عنه فاذن له وهذا سأله عن الصدقة فاذن له ولم يمنعهم مما سوى ذلك واي فرق بين

وصول ثواب الصوم الذى هومجرد نية وامساك وبين وصول ثواب
القراءة والذكر والقائل ان احدا من السلف لم يفعل ذلك قائل
مالاعلم له به فان هذه شهادة على نفي مالم يعلمه فمايدريه ان السلف كانوا
يفعلون ذلك ولايشهدون من حضرهم عليه بل يكفي اطلاع علام
الغيوب على نياتهم و مقاصدهم لاسيما والتلفظ بنية الاهداء لايشترط
كما تقدم وسر المسئلة ان الثواب ملك للعامل فاذا تبرع به واهداه الى
اخيه المسلم اوصله الله اليه فما الذي خص من هذا ثواب قراءة القران
وحجر على العبد ان يوصله الى اخيه وهذا عمل الناس حتى المنكرين في
سائر الاعصار والامصار من غير نكير من العلماء *فان قيل* فما تقولون
في الاهداء الى رسول الله صلى الله عليه وسلم *قيل* من الفقهاء المتأخرين
من استحبه ومنهم من لم يستحبه ورآه بدعة فان الصحابة لم يكونوا يفعلونه وان
النبي صلى الله عليه وسلم له اجر كل من عمل خيرا من امته من غير ان
ينقص من اجر العامل شئ لانه هو الذى دل امته على كل خير وارشدهم
ودعاهم اليه ومن دعا الى هدى فله من الاجر مثل اجور من تبعه من
غير ان ينقص من اجورهم شئ وكل هدى وعلم فانما نالته امته على يده
فله مثل اجر من اتبعه اهداه اليه او لم يهده والله اعلم*

فصل * * * واما المسئلة السابعة عشر وهي هل الروح قديمة
او محدثة مخلوقة واذا كانت محدثة مخلوقة وهي من امر الله فكيف يكون امر الله
محدثا مخلوقا وقد اخبر سبحانه انه نفخ في ادم من روحه فهذه الاضافة اليه هل

اهداء ثواب الاعمال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم * المسئلة السابعة عشر وهي هل الروح قديمة او محدثة ...

تدل على انها قديمة ام لا وما حقيقة هذه الاضافة فقد اخبر عن ادم انه خلقه
بيده و نفخ فيه من روحه فاضاف اليد و الروح اليه اضافة واحدة ﴿
فهذه مسئلة زل فيها عالم وضل فيها طوائف من بنى ادم وهدى الله اتباع
رسوله فيها للحق المبين والصواب المستبين فاجمعت الرسل صلوات الله
وسلامه عليهم على انها محدثة مخلوقة مصنوعة مربوبة مدبرة هذا معلوم
بالاضطرار من دين الرسل صلوات الله و سلامه عليهم كما يعلم بالاضطرار
من دينهم ان العالم حادث و ان معاد الابدان واقع و ان الله وحده الخالق
وكل ما سواه مخلوق له وقد انطوى عصر الصحابة والتابعين و تابعيهم
وهم القرون الفضيلة على ذلك من غير اختلاف بينهم فى حدوثها وانها
مخلوقة حتى نبغت نابغة ممن قصر فهمه فى الكتاب والسنة فزعم انها قديمة غير
مخلوقة و احتج بانها من امر الله وامره غير مخلوق و بان الله تعالى اضافها
اليه كما اضاف اليه علمه و كتابه و قدرته و سمعه و بصره و يده و توقف
اخرون فقالوا الانقول مخلوقة ولا غير مخلوقة و سئل عن ذلك حافظ
اصبهان ابو عبد الله بن مندة فقال اما بعد فان سائلاً سألنى عن الروح
التى جعلها الله سبحانه قوام نفس الخلق وابدانهم و ذكر ان اقواما تكلموا
فى الروح و زعموا انها غير مخلوقة وخص بعضهم منها ارواح القدس
وانها من ذات الله قال و انا اذكر اختلاف اقاويل متقدميهم وابين
مايخالف اقاويلهم من الكتاب والاثر و اقاويل الصحابة و التابعين واهل
العلم و اذكر بعد ذلك وجوه الروح من الكتاب والاثر و اوضح خطأ

المتكلم في الروح بغير علم وان كلامهم يوافق قول جهم واصحابه فنقول وبالله التوفيق ان الناس اختلفوا في معرفة الارواح ومحلها من النفس فقال بعضهم الارواح كلها مخلوقة وهذا مذهب اهل الجماعة والاثر واحتجوا بقول النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى الله حقيقتها وعلمها عن الخلق واحتجوا بقول الله تعالى قل الروح من امر ربي* وقال بعضهم الارواح نور من نور الله تعالى وحياة من حياته واحتجت بقول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق خلقه في ظلمة والقى عليهم من نوره* ثم ذكر الخلاف في الارواح هل تموت ام لا وهل تعذب مع الاجساد في البرزخ وفي مستقرها بعد الموت وهل هي النفس او غيرها وقال محمد بن نصر المروزى في كتابه تأول صنف من الزنادقة وصنف من الروافض في روح ادم ما تأولته النصارى في روح عيسى وما تأوله قوم من ان الروح انفصل من ذات الله فصار في المؤمن فعبد صنف من النصارى عيسى ومريم جميعا لان عيسى عندهم روح من الله صار في مريم فهو غير مخلوق عندهم وقال صنف من الزنادقة وصنف من الروافض ان روح ادم مثل ذلك انه غير مخلوق وتأولوا قوله تعالى ونفخت فيه من روحي وقوله تعالى ثم سواه ونفخ فيه من روحه* فزعموا ان روح آدم ليس بمخلوق كما تأول من قال ان النور من الرب غير مخلوق قالوا ثم صار بعد آدم في الوصي بعده ثم هو في كل نبي ووصي الى

ان صار في علي ثم في الحسن والحسين ثم في كل وصي وامام فيه يعلم الامام كل شي ولا يحتاج ان يتعلم من احد ولا خلاف بين المسلمين ان الارواح التي في آدم وبنيه وعيسى ومن سواه من بني ادم كلها مخلوقة لله خلقها وانشاها وكونها واخترعها ثم اضافها الى نفسه كما اضاف اليه سائر خلقه قال تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه . وقال شيخ الاسلام ابن تيمية روح الادمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الامة وائمتها وسائر اهل السنة وقد حكي اجماع العلماء على انها مخلوقة غير واحد من ائمة المسلمين مثل محمد بن نصر المروزي الامام المشهور الذي هو من اعلم اهل زمانه بالاجماع والاختلاف وكذلك ابو محمد بن قتيبة قال في (كتاب اللفظ) لما تكلم على الروح قال النسم الارواح قال واجمع الناس على ان الله تعالى هو فالق الحبة وبارئ النسمة اي خالق الروح وقال ابو اسحق بن شاقلا فيما اجاب به في هذه المسئلة سألت رحمك الله عن الروح مخلوقة هي او غير مخلوقة قال وهذا مما لا يشك فيه من وفق للصواب ان الروح من الاشياء المخلوقة وقد تكلم في هذه المسئلة طوائف من اكابر العلماء والمشائخ وردوا على من يزعم انها غير مخلوقة وصنف الحافظ ابو عبد الله بن منده في ذلك كتابا كبيرا وقبله الامام محمد بن نصر المروزي وغيره والشيخ ابو سعيد الخراز وابو يعقوب النهرجوري والقاضي ابو يعلى وقد نص على ذلك الائمة الكبار واشتد نكيرهم على من يقول ذلك في روح عيسى ابن مريم فكيف بروح غيره كما ذكره

الامام احمد فيما كتبه في مجلسه في الرد على الزنادقة والجهمية * ثم ان الجهمي ادعى امرا * فقال * انا اجد اية في كتاب الله مما يدل على ان القران مخلوق قول الله تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه * وعيسى مخلوق * قلنا له * ان الله تعالى منعك الفهم للقران ان عيسى تجري عليه الفاظ لا تجري على القرآن لانا نسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما ياكل ويشرب وهو مخاطب بالامر والنهي يجري عليه الخطاب والوعد والوعيد ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم * فلا يحل لنا ان نقول في القران ما نقول في عيسى فهل سمعتم الله يقول في القران ما قال في عيسى ولكن المعنى في قوله انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم * حين قال له كن فكان عيسى بكن وليس عيسى هو كن ولكن كان بكن فكن من الله قول وليس كن مخلوقا وكذبت النصارى والجهمية على الله في امر عيسى وذلك ان الجهمية قالوا روح الله وكلمته الا ان كلمته مخلوقة وقالت النصارى عيسى روح الله وكلمته من ذاته كما يقال هذه الخرقة من هذا الثوب * قلنا نحن * ان عيسى بالكلمة كان وليس عيسى هو الكلمة وانما الكلمة قول الله تعالى كن وقوله وروح منه يقول من امره كان الروح فيه كقوله وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه يقول من امره وتفسير روح الله انما معناها بكلمة الله خلقها كما يقال عبد الله وسماء الله وارض الله فقد صرح بان روح المسيح مخلوقة فكيف بسائر الارواح وقد اضاف الله اليه الروح

الذي ارسله الى مريم وهو عبده ورسوله ولم يدل ذلك على انه قديم غير مخلوق فقال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت اني اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا * فهذا الروح هو روح الله وهو عبده ورسوله وسنذكر ان شاء الله اقسام المضاف الى الله واني يكون المضاف صفة له قديمة واني يكون مخلوقا وما ضابط ذلك *

فصل

والذي يدل على خلقها وجوه * احدها * قول الله تعالى الله خالق كل شيء * فهذا اللفظ عام لا تخصيص فيه بوجه ما ولا يدخل في ذلك صفاته فانها داخلة في مسمى اسمه فالله سبحانه هو الاله الموصوف بصفات الكمال فعلمه وقدرته وحياته وارادته وسمعه وبصره وسائر صفاته داخل في مسمى اسمه ليس داخلا في الاشياء المخلوقة كما لم تدخل ذاته فيها فهو سبحانه بذاته وصفاته الخالق وما سواه مخلوق ومعلوم قطعا ان الروح ليست هي الله ولا صفة من صفاته وانما هي مصنوع من مصنوعاته فوقوع الخلق عليها كوقوعه على الملائكة والجن والانس * الوجه الثاني * قوله تعالى لزكرياء وقد خلقتك من قبل ولم تك شيئا * وهذا الخطاب لروحه وبدنه ليس لبدنه فقط فان البدن وحده لا يفهم ولا يخاطب ولا يعقل وانما الذي يفهم ويعقل ويخاطب هو الروح * الثالث * قوله تعالى والله خلقكم وما تعملون * الرابع * قوله تعالى ولقد

خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم * وهذا الاخبار انما
يتناول ارواحنا واجسادنا كما يقوله الجمهور واما ان يكون واقعا على
الارواح قبل خلق الاجساد كما يقوله من يزعم ذلك وعلى التقديرين
فهو صريح في خلق الارواح * الخامس * النصوص الدالة على انه
سبحانه ربنا ورب اباءنا الاولين ورب كل شئ وهذه الربوبية شاملة
لارواحنا وابداننا فالارواح مربوبة له مملوكة كما ان الاجسام كذلك
وكل مربوب مملوك فهو مخلوق * السادس * اول سورة فى القرآن
وهي الفاتحة تدل على ان الارواح مخلوقة من عدة اوجه * احدها *
قوله الحمد لله رب العلمين * والارواح من جملة العالم فهو ربها * الثاني *
قوله اياك نعبد واياك نستعين * فالارواح عابدة له مستعينة ولوكانت
غير مخلوقة لكانت معبودة مستعانا بها * الثالث * انها فقيرة الى هداية
فاطرها وربها تسأله ان يهديها صراطه المستقيم * الرابع * انها منعم عليها
مرحومة ومغضوب عليها وضالة شقية وهذا شان المربوب المملوك لا
شان القديم غير المخلوق * الوجه السابع * النصوص الدالة على ان
الانسان عبد بجملته وليست عبوديته واقعة على بدنه دون روحه
بل عبودية الروح اصل وعبودية البدن تبع كما انه تبع لها في الاحكام
وهي التي تحركه وتستعمله وهو تبع لها في العبودية * الوجه الثامن *
قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا
فلوكانت روحه قديمة لكان الانسان لم يزل شيئا مذكورا فانما هو

انسان بروحه لا بدنه فقط كما قيل •

يا خادم الجسم كم تشقى بخدمته • فانت بالروح لا بالجسم انسان

• الوجه التاسع • النصوص الدالة على ان الله سبحانه كان ولم يكن شيء غيره كما ثبت في صحيح البخاري من حديث عمران بن حصين ان اهل اليمن قالوا يا رسول الله جئناك لنتفقه في الدين ونسألك عن اول هذا الامر فقال كان الله ولم يكن شيء غيره وكان عرشه على الماء وكتب في الذكر كل شيء • فلم يكن مع الله ارواح ولا نفوس قديمة يساوي وجودها وجوده • تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا بل هو الاول وحده لا يشاركه غيره في اوليته بوجه من الوجوه • الوجه العاشر • النصوص الدالة على خلق الملائكة وهم ارواح مستغنية عن اجساد تقوم بها وهم مخلوقون قبل خلق الانسان وروحه فاذا كان الملك الذي يحدث الروح في جسد ابن ادم بنفخته مخلوقا فكيف تكون الروح الحادثة بنفخه قديمة وهؤلاء الغالطون يظنون ان الملك يرسل الى الجنين بروح قديمة ازلية ينفخها فيه كما يرسل الرسول بثوب الى الانسان يلبسه اياه وهذا ضلال وخطأ وانما يرسل الله سبحانه اليه الملك فينفخ فيه نفخة تحدث له الروح بواسطة تلك النفخة فتكون النفخة هي سبب حصول الروح وحدوثها كما كان الوطئ والانزال سبب تكوين جسمه والغذاء سبب نموه فمادة الروح من نفخة الملك ومادة الجسم من صب الماء في الرحم فهذه مادة سماوية وهذه مادة ارضية فمن الناس من تغلب عليه المادة

السماوية فتصير روحه علوية شريفة تناسب الملائكة ومنهم من تغلب عليه المادة الارضية فتصير روحه سفلية ترابية مهينة تناسب الارواح السفلية فالملك اب لروحه والتراب اب لبدنه وجسمه * الوجه الحادي عشر * حديث ابي هريرة الذي في صحيح البخاري وغيره * عن النبي صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف * والجنود المجندة لا تكون الا مخلوقة وهذا الحديث رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم ابو هريرة وعائشة ام المومنين وسلمان الفارسي وعبد الله بن عباس وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وعلي بن ابي طالب وعمرو بن عبسة * الوجه الثاني عشر * ان الروح توصف بالوفاة والقبض والامساك والارسال وهذا شان المخلوق المحدث المربوب قال الله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الاخرى الى اجل مسمى ان في ذلك لايات لقوم يتفكرون * والانفس ههنا هي الارواح قطعا وفي الصحيحين من حديث عبد الله بن ابي قتادة الانصاري عن ابيه قال سرينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر ذات ليلة فقلنا يا رسول الله لو عرست بنا فقال اني اخاف ان تناموا فمن يوقظنا للصلوة فقال بلال انا يا رسول الله قال فعرس بالقوم فاضطجعوا واستند بلال الى راحلته فغلبته عيناه فاستيقظ رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد طلع جانب الشمس فقال يا بلال اين ما قلت لنا فقال والذي بعثك بالحق ما القيت علي نومة مثلها

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قبض ارواحكم حين شاء و ردها حين شاء . فهذه الروح المقبوضة في النفس التي يتوفاها الله حين موتها و في منامها وهي التي يتوفاها ملك الموت و هي التي توفاها رسل الله سبحانه وهي التي يجلس الملك عند رأس صاحبها و يخرجها من بدنه كرها و يكفنها بكفن من الجنة او النار و يصعد بها الى السماء فتصلي عليها الملائكة او تلعنها و توقف بين يدي ربها فيقضى فيها امره ثم تعاد الى الارض فتدخل بين الميت و اكفانه فيسئل و يمتحن و يعاقب و ينعم وهي التي تجعل في اجواف الطير الخضر تاكل و تشرب من الجنة وهي التي تعرض على النار غدوا وعشيا وهي التي تؤمن و تكفر و تطيع و تعصي وهي الامارة بالسوء وهي اللوامة وهي المطمئنة الى ربها وامره و ذكره وهي التي تعذب و تنعم و تسعد و تشقى و تحبس و ترسل و تصح و تسقم و تلذ و تالم و تخاف و تحزن و ماذلك الا صفات مخلوق مبدع و صفات منشأ مخترع واحكام مربوب مدبر مصرف تحت مشية خالقه وفاطره و بارئه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول عند نومه اللهم انت خلقت نفسي وانت توفاها لك مماتها ومحياها فان امسكتها فارحمها وان ارسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين وهو تعالى بارئ النفوس كما هو بارئ الاجساد قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير . قيل من قبل ان نبرأ المصيبة وقيل من قبل ان نبرأ الارض وقيل من قبل ان نبرأ الانفس وهو اولى لانه اقرب مذكور الى الضمير

ولو قيل يرجع الى الثلاثة اى من قبل ان نبرأ المصيبة والارض والانفس لكان اوجه وكيف تكون قديمة مستغنية عن خالق محدث مبدع لها وشواهد الفقر والحاجة والضرورة اعدل شواهد على انها مخلوقة مربوبة مصنوعة وان وجود ذاتها وصفاتها وافعالها من ربها وفاطرها ليس لها من نفسها الا العدم فهي لا تملك لنفسها ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ولا تستطيع ان تاخذ من الخير الا ما اعطاها ولا تتقي من الشر الا ما وقاها ولا تهتدي الى شيء من مصالح دنياها واخراها الا بهداه ولا تصلح الا بتوفيقه لها واصلاحه اياها ولا تعلم الا ما علمها ولا تتعدى ما الهمها وهو الذي خلقها فسواها والهمها فجورها وتقواها فاخبر سبحانه انه خالقها ومبدعها وخالق افعالها من الفجور والتقوى خلافا لمن يقول انها ليست مخلوقة ولمن يقول انها وان كانت مخلوقة فليس خالقا لافعالها بل هي التي تخلق افعالها وهما قولان لاهل الضلال والغي ومعلوم انها لو كانت قديمة غير مخلوقة لكانت مستغنية بنفسها في وجودها وصفاتها وكمالها وهذا من ابطل الباطل فان فقرها اليه سبحانه في وجودها وكمالها وصلاحها هو من لوازم ذاتها ليس معللا بعلة فانه امر ذاتي لها كما ان غناه ربها وفاطرها ومبدعها من لوازم ذاته ليس معللا بعلة فهو سبحانه الغني بالذات وهي الفقيرة اليه بالذات فلا يشاركه سبحانه في غناه مشارك كما لا يشاركه في قدمه وربوبيته والهيته وملكه التام وكماله المقدس مشارك فثبوت هذا الخلق والحدوث على الارواح كشواهده

ذكر الاختلاف في معنى الروح في الآية الكريمة بين السلف والخلف

فصل

واما ما احتجت به هذه الطائفة فاما ما اتوا به من اتباع متشابه القرآن والعدول عن محكمه فهذا شان كل ضال ومبتدع فمحكم القرآن من اوله الى آخره يدل على ان الله تعالى خالق الارواح ومبدعها واما قوله تعالى قل الروح من امر ربي فمعلوم قطعا انه ليس المراد ههنا بالامر الطلب الذي هو احد انواع الكلام فيكون المراد ان الروح كلامه الذي يأمر به وانما المراد بالامر ههنا المامور وهو عرف مستعمل في لغة العرب وفي القرآن منه كثير كقوله تعالى اتى امر الله اى ماموره الذي قدره وقضاه وقال له كن فيكون وكذلك قوله فما اغنت عنهم آلهتهم التي يدعون من دون الله من شيء لما جاء امر ربك اى ماموره الذي امر به من هلاكهم وكذلك قوله وما امر الساعة الا كلمح البصر وكذلك الخلق يستعمل بمعنى المخلوق كقوله للجنة انت رحمتي فليس في قوله قل الروح من امر ربي ما يدل على انها قديمة غير مخلوقة بوجه ما وقد قال بعض السلف في تفسيرها جرى بامر الله في اجساد الخلق وبقدرته استقر وهذا بناء على ان المراد بالروح في الآية روح الانسان وفي ذلك خلاف بين السلف والخلف واكثر السلف بل كلهم على ان الروح المسئول عنها في الآية ليست ارواح بني آدم بل هو الروح الذي اخبر الله عنه في كتابه انه يقوم يوم القيامة مع الملائكة وهو ملك عظيم وقد ثبت في الصحيح من حديث الاعمش عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال بينا انا

امشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في حرة المدينة وهو يتكئ على عسيب
فمر ناعلى نفر من اليهود فقال بعضهم لبعض سلوه عن الروح وقال
بعضهم لاتسألوه عسى ان يخبر فيه بشيء تكرهونه وقال بعضهم
نسأله فقام رجل فقال يا ابا القاسم ما الروح فسكت عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم فعلمت انه يوحى اليه فقمت فلما تجلى عنه قال
ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم
الا قليلا ٭ ومعلوم انهم انما سألوه عن امر لا يعرف الا بالوحي وذلك
هو الروح الذي عند الله لا يعلمه الناس واما ارواح بني آدم فليست
من الغيب وقد تكلم فيها طوائف الناس من اهل الملل وغيرهم فلم يكن
الجواب عنها من اعلام النبوة ٭ فان قيل ٭ فقد قال ابو الشيخ ثنا الحسين
ابن محمد بن ابراهيم انا ابراهيم بن الحكم عن ابيه عن السدي عن ابي
مالك عن ابن عباس قال بعث قريش عقبة بن ابي معيط وعبدالله بن
ابي امية بن المغيرة الى يهود المدينة يسألونهم عن النبي صلى الله عليه
وسلم فقالوا لهم انه قد خرج فينا رجل يزعم انه نبي وليس على ديننا
ولا على دينكم قالوا فمن تبعه قالوا سفلتنا والضعفاء والعبيد ومن لا خير فيه
واما اشراف قومه فلم يتبعوه فقالوا انه قد اظل زمان نبي يخرج وهو على
ما تصفون من امر هذا الرجل فأتوه فاسألوه عن ثلاث خصال نأمركم
بهن فان اخبركم بهن فهو نبي صادق وان لم يخبركم بهن فهو كذاب سلوه
عن الروح التي نفخ الله تعالى في آدم فان قال لكم هي من الله فقولوا كيف

يعذب الله في النار شيئاهو منه فسأل جبريل عنه فانزل الله عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي يقول هو خلق من خلق الله ليس هو من الله ثم ذكر باقي الحديث قيل مثل هذا الاسناد لا يحتج به فانه من تفسير السدى عن ابي مالك وفيه اشياء منكرة وسياق هذه القصة فى السوال من الصحاح والمسانيد كلها تخالف سياق السدي وقد رواها الاعمش والمغيرة بن مقسم عن ابراهيم عن علقمة عن عبد الله قال مر النبي صلى الله عليه وسلم على ملأ من اليهود وانا امشى معه فسألوه عن الروح قال فسكت فظننت انه يوحى اليه فنزلت ويسألونك عن الروح يعني اليهود قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا* وكذلك هي في قراءة عبدالله فقالوا كذلك نجد مثله في التوراة ان الروح من امر الله عز وجل رواه جرير بن عبد الحميد وغيره عن المغيرة وروى يحيى بن زكريا بن ابي زائدة عن داود بن ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قال اتت اليهود الى النبي صلى الله عليه وسلم فسألوه عن الروح فلم يجبهم النبي صلى الله عليه وسلم بشيء فانزل الله عز وجل ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي وما اوتيتم من العلم الا قليلا* فهذا يدل على ضعف حديث السدى وان السوال كان بمكة فان هذا الحديث وحديث ابن مسعود صريح ان السوال كان بالمدينة مباشرة من اليهود ولو كان قد تقدم السوال والجواب بمكة لم يسكت النبي صلى الله عليه وسلم ولبادر الى جوابهم بما تقدم من اعلام الله له

﴿ بيان اختلاف الروايات عن ابن عباس في تفسير آية ويسئلونك عن الروح ﴾

وما انزل عليه وقد اضطربت الروايات عن ابن عباس في تفسير هذه
الاية اعظم اضطراب فاما ان تكون من قبل الرواة او تكون اقواله قد
اضطربت فيها ونحن نذكر ذلك فقد ذكرنا رواية السدى عن ابي مالك
عنه ورواية داود بن ابي هند عن عكرمة عنه تخالفها وفي رواية داود
ابن ابي هند هذه اضطراب فقال مسروق بن المرزبان وابراهيم بن ابي
طالب عن يحيى بن زكريا عنه ان اليهود اتت النبي صلى الله عليه وسلم
وقال محمد بن نصر المروزي ثنا اسحق انا يحيى بن زكريا عن داود بن
ابي هند عن عكرمة عن ابن عباس قالت قريش لليهود اعطونا شيئا
نسأل عنه هذا الرجل فقالوا سلوه عن الروح فنزلت ويسئلونك عن
الروح الاية * وهذا يخالف الرواية الاخرى عنه وحديث ابن مسعود
وعن ابن عباس رواية ثالثة قال هشيم ثنا ابو بشر عن مجاهد عن ابن عباس
قل الروح امر من امر الله عزوجل وخلق من خلق الله وصور مثل صور
بني آدم وما نزل من السماء ملك الا ومعه واحد من الروح وهذا يدل
على انها غير الروح التي في ابن ادم وعنه رواية رابعة قال ابن منده روى
عبد السلام بن حرب عن خصيف عن مجاهد عن ابن عباس ويسألونك
عن الروح قل الروح من امر ربي قد نزل من القران بمنزل كن تقول كما
قال الله ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي * ثم ساق من
طريق خصيف عن عكرمة عن ابن عباس انه كان لا يفسر اربعة اشياء
الرقيم والغسلين والروح وقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في

الارض

الارض جميعا منه وعنه رواية خامسة رواها جويبر عن الضحاك عنه ان اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الروح قال قال الله تعالى قل الروح من امر ربي * يعني خلقا من خلقي وما اوتيتم من العلم الا قليلا * يعني لو سألتم عن خلق انفسكم وعن مدخل الطعام والشراب ومخرجهما او صفتم ذلك حق صفته وما اهتديتم لصفتها * وعنه رواية سادسة روى عبد الغني بن سعيد ثنا موسى بن عبد الرحمن عن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس وعن مقاتل عن الضحاك عن ابن عباس في قوله ويسألونك عن الروح وذلك ان قريشا اجتمعت فقال بعضهم لبعض والله ما كان محمد يكذب ولقد نشأ فينا بالصدق والامانة فارسلوا جماعة الى اليهود فسألوهم عنه وكانوا مستبشرين به يكثرون ذكره ويدعون نبوته ويرجون نصرته موقنين بانه سيهاجر اليهم ويكونون له انصارا فسألوهم عنه فقالت لهم اليهود سلوه عن ثلاث سلوه عن الروح وذلك انه ليس في التوراة قصته ولا تفسيره الا ذكر اسم الروح ما انزل الله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي * يريد من خلق ربي عز وجل * والروح في القران على عدة اوجه * احدها * الوحي كقوله وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا * وقوله يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده * وسمى الوحي روحا لما يحصل به من حياة القلوب والارواح * الثاني * القوة والثبات والنصرة التي يؤيد بها من شاء من عباده المؤمنين كما قال اولائك كتب في قلوبهم الايمان

وايدهم بروح منه * الثالث * جبريل كقوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك * وقال تعالى من كان عدوا لجبريل فانه نزله على قلبك باذن الله * وهو روح القدس قال تعالى قل نزله روح القدس * الرابع * الروح التي سأل عنها اليهود فاجيبوا بانها من امر الله وقد قيل انها الروح المذكورة في قوله تعالى يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون * وانها الروح المذكورة في قوله تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم * الخامس * المسيح ابن مريم قال تعالى انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه * واما ارواح بني ادم فلم تقع تسميتها في القران الا بالنفس قال تعالى يا ايتها النفس المطمئنة * وقال ولا اقسم بالنفس اللوامة * وقال ان النفس لامارة بالسوء * وقال اخرجوا انفسكم * وقال ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها * وقال كل نفس ذائقة الموت * واما في السنة فجاءت بلفظ النفس والروح والمقصود ان كونها من امر الله لا يدل على قدمها وانها غير مخلوقة *

﴿ فصل ﴾

واما استدلالهم باضافتها اليه سبحانه بقوله تعالى ونفخت فيه من روحي * فينبغي ان يعلم ان المضاف الى الله سبحانه نوعان * صفات لا تقوم بانفسها * كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر فهذه اضافة صفة الى الموصوف بها فعلمه وكلامه وارادته وقدرته وحياته صفات له غير مخلوقة وكذلك وجهه ويده سبحانه * والثاني * اضافة اعيان منفصلة عنه

كالبيت

﴿ بيان معنى اضافة الروح الى الله سبحانه تعالى ﴾

كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح فهذه اضافة مخلوق الى خالقه و مصنوع الى صانعه لكنها اضافة تقتضي تخصيصا و تشريفا لتميز به المضاف عن غيره كبيت الله وان كانت البيوت كلها ملكا له وكذلك ناقة الله والنوق كلها ملكه وخلقه لكن هذه اضافة الى الهيته تقتضي محبته لها و تكريمه و تشريفه بخلاف الاضافة العامة الى ربوبيته حيث تقتضي خلقه و ايجاده ٭ فالاضافة العامة تقتضي الايجاد و الخاصة تقتضي الاختيار والله يخلق ما يشاء و يختار مما خلقه كما قال تعالى وربك يخلق ما يشاء ويختار ٭ واضافة الروح اليه من هذا الاضافة الخاصة لا من العامة ولا من باب اضافة الصفات فتامل هذا الموضع فانه يخلصك من ضلالات كثيرة وقع فيها من شاء الله من الناس ٭ فان قيل ٭ فما تقولون في قوله تعالى ونفخت فيه من روحي ٭ فاضاف النفخ الى نفسه و هذا يقتضي المباشرة منه تعالى كما في قوله خلقت بيدي ولهذا فرق بينهما في الذكر في الحديث الصحيح في قوله صلى الله عليه وسلم فيأتون ادم فيقولون انت ادم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شئ فذكروا لادم اربع خصائص اختص بها عن غيره ولو كانت الروح التي فيه انما هي من نفخة الملك لم يكن له خصيصة بذلك وكان بمنزلة المسيح بل وسائر اولاده ٭ فان الروح حصلت فيهم من نفخة الملك و قد قال الله تعالى فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فهو الذي سواه بيده وهو الذي نفخ فيه من روحه ٭ قيل ٭ هذا الموضع هو الذي اوجب لهذه الطائفة ان قالت بقدم

الروح وتوقف فيها اخرون ولم يقفوا ورادالقران فاما الروح المضافة
الى الرب فهى روح مخلوقة اضافها الى نفسه اضافة تخصيص وتشريف
كما بينا واما النفخ فقد قال تعالى فى مريم التى احصنت فرجها فنفخنا فيه
من روحنا وقد اخبر فى موضع اخر انه ارسل اليها الملك فنفخ فى فرجها
وكان النفخ مضافا الى الله امرا واذنا والى الرسول مباشرة يبقى ههنا
امران احدهما ان يقال فاذا كان النفخ حصل فى مريم من جهة الملك
وهو الذى ينفخ الارواح فى سائر البشر فما وجه تسمية المسيح روح الله واذا
كان سائر الناس تحدث ارواحهم من هذه الروح فما خاصية المسيح الثانى
ان يقال فهل تعلق الروح بادم كانت بواسطة نفخ هذا الروح هو الذى
نفخها فيه باذن الله كما نفخها فى مريم ام الرب تعالى هو الذى نفخها بنفسه
كما خلقه بيده قيل لعمر الله انهما سؤالان مهمان فاما الاول فالجواب عنه
ان الروح الذى نفخ فى مريم هو الروح المضاف الى الله الذى اختصه
لنفسه واضافه اليه وهو روح خاص من بين سائر الارواح وليس
بالملك الموكل بالنفخ فى بطون الحوامل من المؤمنين والكفار فان الله
سبحانه وكل بالرحم ملكا ينفخ الروح فى الجنين فيكتب رزق المولود
واجله وعمله وشقاوته وسعادته واما هذا الروح المرسل الى مريم
فهو روح الله الذى اصطفاه من الارواح لنفسه فكان لمريم بمنزلة
الاب لسائر النوع فان نفخته لما دخلت فى فرجها كان ذلك بمنزلة لقاح
الذكر للانثى من غير ان يكون هناك وطء واما ما اختص به ادم فانه

لم يخلق كخلقة المسيح من ام ولا كخلقة سائر الروح من اب وام ولا كان الروح الذى نفخ الله فيه منه هو الملك الذي ينفخ الروح في سائر اولاده ولو كان كذلك لم يكن لادم به اختصاص وانما ذكر في الحديث ما اختص به على غيره وهو اربعة اشياء خلق الله له بيده ونفخه فيه من روحه واسجاد ملائكته له وتعليمه اسماء كل شئ فنفخه فيه من روحه يستلزم نافخا ونفخا ومنفوخا منه فالمنفوخ منه هو الروح المضافة الى الله فمنها سرت النفخة في طينة ادم والله تعالى هو الذي نفخ في طينته من تلك الروح هذا هو الذى دل عليه النص واما كون النفخة بمباشرة منه سبحانه كما خلقه بيده اوانها حصلت بامره كما حصلت في مريم عليها السلام فهذا يحتاج الى دليل والفرق بين خلق الله له بيده ونفخه فيه من روحه ان اليد غير مخلوقة والروح مخلوقة والخلق فعل من افعال الرب واما النفخ فهل هو من افعاله القائمة به او هو مفعول من مفعولاته القائمة بغيره المنفصلة عنه وهذا مما يحتاج الى دليل وهذا بخلاف النفخ في فرج مريم فانه مفعول من مفعولاته واضافه اليه لانه باذنه وامره فنفخه في ادم هل هو فعل له او مفعول وعلى كل تقدير فالروح التى نفخ منها في ادم روح مخلوقة غير قديمة وهي مادة روح ادم فروحه اولى ان تكون حادثة مخلوقة وهو المراد *

﴿فصل﴾ *** واما المسئلة الثامنة عشر وهي تقدم خلق الارواح على الاجساد او تاخر خلقها عنها ﴾

فهذه المسئلة للناس فيها قولان معروفان حكاهما شيخ الاسلام

* المسئلة الثامنة عشر وهي تقدم خلق الارواح على الاجساد او تاخر خلقها عنها *

وغيره وممن ذهب الى تقدم خلقها محمد بن نصر المروزي
وابو محمد بن حزم وحكاه ابن حزم اجماعا ونحن نذكر حجج الفريقين
وما هو الاولى منها بالصواب * قال من ذهب الى تقدم خلقها
على خلق البدن قال الله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة
اسجدوا لادم فسجدوا قالوا وثم للترتيب والمهلة فقد تضمنت الاية ان
خلقها مقدم على امر الله للملائكة بالسجود لادم ومن المعلوم قطعا ان
ابدانها حادثة بعد ذلك فعلم انها الارواح * قالوا ويدل عليه قوله سبحانه
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم واشهدهم على انفسهم
الست بربكم قالوا بلى * قالوا وهذا الاستنطاق والاشهاد انما كان لارواحها
اذلم تكن الابدان حينئذ موجودة ففي الموطأ حدثنا مالك عن زيد بن
ابي انيسة ان عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب اخبره عن
مسلم بن يسار الجهني ان عمر بن الخطاب سئل عن هذه الاية واذ اخذ
ربك من بني ادم من ظهورهم ذريتهم فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يسئل عنها فقال خلق الله ادم ثم مسح ظهره بيمينه فاستخرج
منه ذريته فقال خلقت هؤلاء للنار وبعمل اهل النار يعملون وخلقت
هؤلاء للجنة وبعمل اهل الجنة يعملون فقال رجل يارسول الله ففيم العمل
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا خلق الرجل للجنة استعمله
بعمل اهل الجنة حتى يموت على عمل من اعمال اهل الجنة فيدخله به الجنة
واذا خلق العبد للنار استعمله بعمل اهل النار حتى يموت على عمل من

* دلائل من يقول بتقدم خلق الارواح على خلق الابدان *

اعمال اهل النار فيدخله النار * قال الحاكم هذا حديث على شرط مسلم
و روى الحاكم ايضا من طريق هشام بن زيد عن زيد بن اسلم عن ابي صالح
عن ابي هريرة مرفوعا لما خلق الله ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل
نسمة هو خالقها الى يوم القيامة امثال الذر ثم جعل بين عيني كل انسان
منهم وبيصا من نور ثم عرضهم على ادم فقال من هؤلاء يا رب قال
هؤلاء ذريتك فرأى رجلا منهم اعجبه وبيص ما بين عينيه فقال
يا رب من هذا فقال هذا ابنك داود يكون في اخر الامم
قال كم جعلت له من العمر قال ستين سنة قال يا رب زده من عمري
اربعين سنة فقال الله تعالى اذا يكتب ويختم فلا يبدل فلما انقضى
عمر ادم جاءه ملك الموت قال اولم يبق من عمري اربعين
سنة فقال اولم تجعلها لابنك داود فقال فجحد فجحدت ذريته ونسي
فنسيت ذريته وخطأ فخطأت ذريته * قال هذا على شرط مسلم ورواه
الترمذي وقال هذا حديث حسن صحيح ورواه الامام احمد
من حديث ابن عباس قال لما نزلت اية الدين قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان اول من جحد ادم * وزاد محمد بن سعد ثم اكمل الله لادم
الف سنة ولداود مائة سنة * وفي صحيح الحاكم ايضا من حديث ابي جعفر
الداري ثنا الربيع بن انس عن ابي العالية عن ابي بن كعب في قوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم الاية قال جمعهم له يومئذ جميعا ما
هو كائن الى يوم القيامة فجعلهم ارواحا ثم صورهم واستنطقهم فتكلموا

واخذ عليهم العهد و الميثاق واشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى
شهدنا ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين قال فاني اشهد عليكم
السموات السبع و الارضين السبع واشهد عليكم اباكم ادم ان تقولوا
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين فلا تشركوا بي شيئا فاني ارسل اليكم
رسلي يذكرونكم عهدي و ميثاقي وانزل عليكم كتبي فقالوا نشهد انك
ربنا والهنا لارب لنا غيرك و رفع لهم ابوهم ادم فرأى فيهم الغني والفقير
وحسن الصورة وغير ذلك فقال رب لو سويت بين عبادك فقال
اني احب ان اشكر ورأى فيهم الانبياء مثل السرج وخصوا بميثاق
اخر بالرسالة والنبوة فذلك قوله و اذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
و من نوح * وهو قوله فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطر الناس
عليها لا تبديل لخلق الله * وهو قوله هذا نذير من النذر الاولى * وقوله
وما وجدنا لاكثرهم من عهد وان وجدنا اكثرهم لفاسقين * وكان روح
عيسى من تلك الارواح التي اخذ عليها الميثاق فارسل ذلك الروح
الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل من فيها * و هذا اسناد
صحيح فقال اسحق بن راهويه * ثنا بقية بن الوليد قال اخبرني الزبيدي
محمد بن الوليد عن راشد بن سعد عن عبد الرحمن بن ابي قتادة البصري
عن ابيه عن هشام بن حكيم بن حزام ان رجلا قال يا رسول الله ابتدأ
الاعمال ام قد مضى القضاء فقال ان الله لما اخرج ذرية ادم من ظهره
اشهدهم على انفسهم ثم افاض بهم في كفيه فقال هؤلاء للجنة و هؤلاء

النار فاهل الجنة ميسرون لعمل اهل الجنة واهل النار ميسرون لعمل
اهل النار * قال اسحق وانا النضر ثنا ابو معشر عن سعيد المقبري و نافع مولى
الزبير عن ابي هريرة قال لما اراد الله ان يخلق ادم فذكر خلق آدم فقال له
يا ادم اي يدي احب اليك ان اريك ذريتك فيها فقال يمين ربي
وكلتا يدي ربي يمين فبسط يمينه فاذا فيها ذريته كلهم ما هو خالق الى
يوم القيامة الصحيح على هيئته والمبتلى على هيئته والانبياء على هيئتهم
فقال الا اعفيتهم كلهم فقال اني احب ان اشكره وذكر الحديث * وقال
محمد بن نصر ثنا محمد بن يحيى ثنا سعيد بن ابي مريم اخبرنا الليث بن
سعد حدثني ابن عجلان عن سعيد بن ابي سعيد المقبري عن ابيه عن عبد الله
ابن سلام قال خلق الله آدم ثم قال بيديه فقبضهما فقال اختر يا ادم فقال
اخترت يمين ربي و كلتا يديه يمين فبسطها فاذا فيها ذريته فقال من
هؤلاء يارب قال من قضيت ان اخلق من ذريتك من اهل الجنة الى ان
تقوم الساعة * قال واخبرنا اسحق ثنا جعفر بن عون انا هشام بن سعد عن
زيد بن اسلم عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لما خلق الله
ادم مسح ظهره فسقط من ظهره كل نسمة هو خالقها من ذريته الى
يوم القيامة * وثنا اسحق وعمرو بن زرارة اخبرنا اسمعيل عن كلثوم بن جبر
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم
ذريتهم الاية قال مسح ربك ظهر ادم فخرجت منه كل نسمة هو خالقها
الى يوم القيامة بنعمان هذا الذي وراء عرفة فاخذ ميثاقهم الست بربكم

قال الوايلي شهدنا وورواه ابو جمرة الضبعي ومجاهد وحبيب بن ابي ثابت
وابو صالح وغيرهم عن ابن عباس وقال اسحق اخبرنا جرير عن منصور
عن مجاهد عن عبد الله بن عمر وفي هذه الاية قال اخذهم كما يوخذ
المشط بالراس وحدثنا حجاج عن ابن جريج عن الزبير بن موسى عن
سعيد بن جبير عن ابن عباس قال ان الله ضرب منكبه الايمن فخرجت
كل نفس مخلوقة للجنة بيضاء نقية فقال هولاء اهل الجنة ثم ضرب منكبه
الايسر فخرجت كل نفس مخلوقة للنار سوداء فقال هولاء اهل النار
ثم احذ عهده على الايمان به والمعرفة له ولامره والتصديق له وبامره من
بني ادم كلهم واشهدهم على انفسهم فامنوا وصدقوا وعرفوا واقروا
وذكر محمد بن نصر من تفسير السدي عن ابي مالك وابي صالح عن
ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود عن اناس من اصحاب النبي
صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم الاية لما اخرج الله
ادم من الجنة قبل ان يهبط من السماء مسح صفحة ظهر ادم اليمنى فاخرج
منه ذرية بيضاء مثل اللؤلؤ وكهيئة الذر فقال لهم ادخلوا الجنة برحمتي
ومسح صفحة ظهره اليسرى فاخرج منه ذرية سوداء كهيئة الذر فقال
ادخلوا النار ولا ابالي فذلك حيث يقول واصحاب اليمين واصحاب
الشمال ثم اخذ منهم الميثاق فقال الست بربكم قال الوايلي فاعطاه طائفة
طائعين وطائفة كارهين على وجه التقية فقال هو والملائكة شهدنا ان
تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا انما اشرك اباؤنا من

قبل وكاذرية من بعدهم فليس احد من ولد ادم الا وهو يعرف ان الله
ربه ولا مشرك الا وهو يقول انا وجدنا اباءنا على امة فذلك قوله تعالى
واذ اخذ ربك من بني ادم وقوله وله اسلم من في السموات والارض طوعا
وكرها وقوله فلله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم اجمعين ه قال يعني يوم
اخذ عليهم الميثاق * قال اسحق واخبرنا روح بن عبادة ثنا موسى بن
عبيدة الربذي قال سمعت محمد بن كعب القرظي يقول في هذه
الاية واذ اخذ ربك من بني ادم الاية اقروا له بالايمان والمعرفة الارواح
قبل ان يخلق اجسادها * قال وثنا الفضل بن موسى عن عبد الملك عن
عطاء في هذه الاية قال اخرجوا من صلب ادم حين اخذ منهم الميثاق
ثم ردوا في صلبه ه قال اسحق واخبرنا علي بن الاجلح عن الضحاك قال ان الله
اخرج من ظهر ادم يوم خلقه ما يكون الى ان تقوم الساعة فاخرجهم
مثل الذر فقال الست بربكم قالوا بلى قالت الملائكة شهدنا ان تقولوا
يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ثم قبض قبضة بيمينه فقال هؤلاء في
الجنة وقبض اخرى فقال هؤلاء في النار * قال اسحق واخبرنا ابو عامر
العقدي وابو نعيم الملائي قالا ثنا هشام بن سعد عن يحيى وليس بابن
سعيد قال قلت لابن المسيب ما تقول في العزل قال ان شئت حدثتك
حديثا هو حق ان الله سبحانه لما خلق ادم اراه كرامة لم يرها احد من
خلق الله اراه كل نسمة هو خالقها من ذريته الى يوم القيامة فمن حدثك
ان لا يزيد فيهم شيئا او ينقص منهم فقد كذب ولو كان لي سبعون

ما بابت وروى تفسير ابن عيينة عن الربيع بن انس عن ابي العالية وله اسلم من في السموات والارض طوعا وكرها قال يوم اخذ الميثاق قال اسحق فقد كانوا في ذلك الوقت مقرين وذلك ان الله عز وجل اخبر انه قال الست بربكم قالوا بلى والله تعالى لا يخاطب الا من يفهم عنه مخاطبة ولا يجيب الا من فهم السؤال فاجابتهم اياه بقولهم دليل على انهم قد فهموا عن الله وعقلوا عنه استشهاده اياهم الست بربكم فاجابوه من بعد عقل منهم للمخاطبة ونعم لما بان قالوا بلى فاقروا له بالربوبية.

✿ فصل ✿

واحتجوا ايضا بما رواه ابو عبد الله بن منده اخبرنا محمد بن صابر البخاري ثنا محمد بن المدور سعيد المروزي ثنا جعفر بن محمد بن هارون المصيصي ثنا عتبة بن السكن ثنا ارطاة بن المنذر ثنا عطاء بن عجلان عن يونس بن حلبس عن عمرو بن عبسة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بالفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف. فهذا بعض ما احتج به هؤلاء. قال الآخرون الكلام معكم في مقامين احدهما ذكر الدليل على الارواح انما خلقت بعد خلق الابدان. والثاني الجواب عما استدللتم به فاما المقام الاول فقد قال تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وهذا خطاب للانسان الذي هو روح وبدن فدل على ان جملته مخلوقة بعد خلق الابوين واصرح منه قوله يا ايها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الاية وهذا صريح في ان خلق جملة النوع الانساني بعد خلق اصله * فان قيل * فهذا لا ينفي تقدم خلق الارواح على اجسادها وان خلقت بعد خلق ابي البشر كما دلت عليه الاثار المتقدمة * قيل * سنبين ان شاء الله تعالى ان الاثار المذكورة لا تدل على سبق الارواح الاجساد سبقا مستقرا ثابتا وغايتها ان تدل بعد صحتها وثبوتها على ان بارئها وفاطرها سبحانه صور النسم وقدر خلقها وآجالها واعمالها واستخرج تلك الصور من مادتها ثم اعادها اليها وقدر خروج كل فرد من افرادها في وقته المقدر له ولا تدل على انها خلقت خلقا مستقرا ثم استمرت موجودة حية عالمة ناطقة كلها في موضع واحد ثم ترسل منها الى الابدان جملة بعد جملة كما قاله ابو محمد بن حزم فهل تحتمل الاثار ما لا طاقة لها به نعم الرب سبحانه يخلق منها جملة بعد جملة على الوجه الذي سبق به التقدير اولا فيجيء الخلق الخارجي مطابقا للتقدير السابق كشأنه تعالى في جميع مخلوقاته فانه قدر لها اقدارا وآجالا وصفات وهيئات ثم ابرزها الى الوجود مطابقة لذلك التقدير الذي قدره لها لا تزيد عليه ولا تنقص منه فالاثار المذكورة انما تدل على اثبات القدر السابق وبعضها يدل على انه سبحانه استخرج امثالهم وصورهم وميز اهل السعادة من اهل الشقاوة واما مخاطبتهم واستنطاقهم واقرارهم له بالربوبية وشهادتهم على انفسهم بالعبودية فمن قاله من السلف فانما هو بناء منه على فهم الاية والاية لم تدل على هذا

بل دلت على خلافه واما حديث مالك فقال ابو عمر هو حديث منقطع
مسلم بن يسار لم يلق عمر بن الخطاب وبينهما في هذا الحديث نعيم بن ربيعة
وهو ايضا مع هذا الاسناد لا يقوم به حجة ومسلم بن يسار هذا مجهول قيل انه
مدنى وليس بمسلم بن يسار البصرى قال ابن ابي خيثمة قرأت على يحيى بن
معين حديث مالك هذا عن زيد بن ابي انيسة فكتب بيده على مسلم بن يسار
لا يعرف ثم ساقه ابو عمر من طريق النسائى اخبرنا احمد بن وهب ثنا محمد بن
سلمة قال حدثني ابو عبد الرحيم قال حدثنى زيد بن ابي انيسة عن عبد الحميد
ابن عبد الرحمن عن مسلم بن يسار عن نعيم بن ربيعة ه ثم ساقه من طريق
خيثمة ثنا احمد بن عبد الملك بن واقد ثنا محمد بن سلمة عن ابي عبد الرحيم
عن زيد بن ابي انيسة عن عبد الحميد عن مسلم عن نعيم ه قال ابو عمر وزيادة
من زاد في هذا الحديث نعيم بن ربيعة ليست حجة لان الذي لم يذكره
احفظ وانما تقبل الزيادة من الحافظ المتقن وجملة القول فى هذا
الحديث انه حديث ليس اسناده بالقائم لان مسلم بن يسار ونعيم
ابن ربيعة جميعا غير معروفين بحمل العلم ولكن معنى هذا الحديث
قد صح عن النبى صلى الله عليه وسلم من وجوه كثيرة ثابتة يطول
ذكرها من حديث عمر بن الخطاب وغيره وجماعة يطول ذكرهم ومراد
ابي عمر الاحاديث الدالة على القدر السابق فانها هي التي ساقها بعد
ذلك فذكر حديث عبد الله بن عمر فى القدر وقال في آخره وسأله رجل
من مزينة او جهينة فقال يارسول الله ففيم العمل فقال ان اهل الجنة

يسرون لعمل اهل الجنة واهل النار ييسرون لعمل اهل النار« قال وروى هذا المعنى في القدر عن النبي صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب وأبي بن كعب وعبد الله بن عباس وابن عمرو ابو هريرة وابو سعيد وابو سريحة الغفاري وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عمرو وعمران بن حصين وعائشة وانس بن مالك وسراقة بن جعشم وابو موسى الاشعري وعبادة ابن الصامت واكثر احاديث هؤلاء لها طرق شتى ثم ساق كثيرا منها باسناده واما حديث ابي صالح عن ابي هريرة فانما يدل على استخراج الذرية وتمثلهم في صور الذر وكان منهم حينئذ المشرق والمظلم وليس فيه انه سبحانه خلق ارواحهم قبل الاجساد واقرها بموضع واحد ثم يرسل كل روح من تلك الارواح عند حدوث بدنها اليه نعم هو سبحانه يخص كل بدن بالروح التي قدر ان يكون له في ذلك الوقت واما انه خلق نفس ذلك البدن في ذلك الوقت وفرغ من خلقها واودعها في مكان معطلة عن بدنها حتى اذا احدث بدنها ارسلها اليه من ذلك المكان فلا يدل شيء من الاحاديث على ذلك البتة لمن تاملها واما حديث أُبي ابن كعب فليس هو عن النبي صلى الله عليه وسلم وغايته لو صح ولم يصح ان يكون من كلام أُبيّ وهذا الاسناد يروى به اشياء منكرة جدا مرفوعة وموقوفة وابو جعفر الرازي وثق وضعف قال علي بن المديني كان ثقة وقال ايضا كان يخلط وقال ابن معين هو ثقة وقال ايضا يكتب حديثه الا انه يخطئ وقال الامام احمد ليس بقوي في الحديث وقال

ايضا صالح الحديث وقال الفلاس سيئ الحفظ وقال ابو زرعة يهم كثيرا وقال ابن حبان ينفرد بالمناكير عن المشاهير * قلت * ومما ينكر من هذا الحديث قوله فكان روح عيسى من تلك الارواح التى اخذ عليها الميثاق فارسل ذلك الروح الى مريم حين انتبذت من اهلها مكانا شرقيا فدخل فى فيها ومعلوم ان الروح الذي ارسل الى مريم ليس هو روح المسيح بل ذلك الروح نفخ فيها فحملت بالمسيح قال تعالى فارسلنا اليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا قالت انى اعوذ بالرحمن منك ان كنت تقيا قال انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا فروح المسيح لا يخاطبها عن نفسه بهذه المخاطبة قطعا وفي بعض طرق حديث ابى جعفر هذا ان روح المسيح هو الذى خاطبها وهو الذي ارسل اليها وههنا اربع مقامات * احدها * ان الله سبحانه استخرج صورهم وامثالهم فميز شقيهم وسعيدهم ومعافاهم من مبتلاهم * والثانى * ان الله سبحانه اقام عليهم الحجة حينئذ واشهدهم بربوبيته واستشهد عليهم ملائكته * الثالث * ان هذا هو تفسير قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذريتهم * الرابع * انه اقر تلك الارواح كلها بعد اخراجها بمكان وفرغ من خلقها وانما يجدد كل وقت ارسال جملة منها بعد جملة الى ابدانها * فاما المقام الاول * فالاثار متظاهرة به مرفوعة وموقوفة * واما المقام الثانى * فانما اخذ من اخذه من المفسرين من الاية وظاهر انه تفسيرها وهذا قول جمهور المفسرين من اهل الاثر قال ابو اسحاق جائز ان يكون الله سبحانه جعل لامثال الذر التى اخرجها

فهما تمثل به كما قال قالت نملة يا ايها النمل ادخلوا مساكنكم وقد سخر مع
داود الجبال تسبح معه والطير وقال ابن الانبارى مذهب اهل الحديث
وكبراء اهل العلم في هذه الاية ان الله اخرج ذرية آدم من صلبه واصلاب
اولاده وهم في صور الذر واخذ عليهم الميثاق انه خالقهم وانهم مصنوعون
فاعترفوا بذلك وقبلوا وذلك بعد ان ركب فيهم عقولا عرفوا
بها ماعرض عليهم كما جعل للجبل عقلا حين خوطب وكما فعل ذلك بالبعير
لما سجد والنخلة حتى سمعت وانقادت حين دعيت وقال الجرجاني ليس
بين قول النبي صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر آدم فاخرج منه ذريته
وبين الاية اختلاف بحمد الله لانه عزوجل اذا اخذهم من ظهر آدم فقد
اخذهم من ظهور ذريته لان ذرية ادم ذرية لذريته بعضهم من بعض
وقوله تعالى ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين اى عن الميثاق
المأخوذ عليهم فاذا قالوا ذلك كانت الملائكة شهودا عليهم باخذ الميثاق
قال وفي هذا دليل على التفسير الذى جاءت به الرواية من ان الله تعالى
قال للملائكة اشهدوا فقالوا شهدنا قال وزعم بعض اهل العلم ان الميثاق
انما اخذ على الارواح دون الاجساد ان الارواح هي التى تعقل وتفهم
ولها الثواب وعليها العقاب والاجساد اموات لا تعقل ولا تفهم
قال وكان اسحق بن راهويه يذهب الى هذا المعنى وذكر انه قول
ابي هريرة قال اسحق واجمع اهل العلم انها الارواح قبل الاجساد
استنطقهم واشهدهم قال الجرجاني واحتجوا بقوله تعالى ولا تحسبن الذين

قتلوا في سبيل الله امواتا بل احياء * والاجساد قد بليت وضلت في الارض والارواح ترزق وتفرح وهي التي تلذ وتالم وتفرح وتحزن وتعرف وتنكر وبيان ذلك في الاحلام موجود ان الانسان يصبح واثر لذة الفرح والم الحزن باق في نفسه مما تلاقى الروح دون الجسد قال وحاصل الفائدة في هذا الفصل انه سبحانه قد اثبت الحجة على كل منفوس ممن يبلغ وممن لم يبلغ بالميثاق الذي اخذه عليهم وزاد على من بلغ منهم الحجة بالايات والدلائل التي نصبها في نفسه وفي العالم وبالرسل المنفذة اليهم مبشرين ومنذرين وبالمواعظ بالمثلات المنقولة اليهم اخبارها غير انه عز وجل لا يطالب احدا منهم من الطاعة الا بقدر ما لزمه من الحجة وركب فيهم من القدرة واتاهم من الآلة وبين سبحانه ما هو عامل في البالغين الذين ادركوا الامر والنهي وحجب عنا علم ما قدره في غير البالغين الا انا نعلم انه عدل لا يجور في حكمه وحكيم لا تفاوت في صنعه وقادر لا يسئل عما يفعل له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين *

﴿ فصل ﴾

ونازع هؤلاء غيرهم في كون هذا معنى الاية وقالوا معنى قوله واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم * اي اخرجهم وانشأهم بعد ان كانوا نطفا في اصلاب الاباء الى الدنيا على ترتيبهم في الوجود واشهدهم على انفسهم انه ربهم بما اظهر لهم من اياته وبراهينه التي تضطرهم الى

ان يعلموا انه خالقهم فليس من احد الا وفيه من صنعته ربه ما يشهد على انه بارئه و نافذ الحكم فيه فلما عرفوا ذلك و دعاهم كل ما يرون ويشاهدون الى التصديق به كانوا بمنزلة الشاهدين والمشهدين على انفسهم بصحته كما قال فى غير هذا الموضع شاهدين على انفسهم بالكفر. يريدهم بمنزلة الشاهدين وان لم يقولوا نحن كفرة وكما تقول قد شهدت جوارحي بقولك تريد قد عرفته فكان جوارحي لو استشهدت وفي وسعها ان تنطق لشهدت ومن هذا اعلامه وتبيينه ايضا شهد الله انه لا اله الا هو. يريد اعلم وبين فاشبه ذلك شهادة من شهد عند الحكام وغيرهم هذا كلام ابن الانباري وزاد الجرجاني بيانا لهذا القول فقال حاكيا عن اصحابه ان الله لما خلق الخلق ونفذ علمه فيهم بما هو كائن وما لم يكن بعد بما هو كائن كالكائن اذ علمه بكونه مانع من غير كونه تابع فى مجاز العربية ان يضع ما هو منتظر بعد ما لم يقع بعد موقع الواقع لسبق علمه بوقوعه كما قال عز وجل فى مواضع من القران كقوله و نادى اصحاب النار ونادى اصحاب الجنة. و نادى اصحاب الاعراف. قال فيكون تاويل قوله واذ اخذ ربك واذ ياخذ ربك و كذلك قوله واشهدهم على انفسهم اى ويشهدهم بما ركبه فيهم من العقل الذى يكون به الفهم ويجب به الثواب والعقاب وكل من ولد وبلغ الحنث وعقل الضر والنفع وفهم الوعد والوعيد والثواب والعقاب صار كان الله تعالى اخذ عليه الميثاق فى التوحيد بما ركب فيه من العقل واراه من الايات

والدلائل على حدوثه وانه لا يجوز ان يكون قد خلق نفسه واذا
لم يحز ذلك فلابد له من خالق هو غيره ليس كمثله وليس من مخلوق يبلغ
هذا المبلغ ولم يقدح فيه مانع من فهم الا اذا احزبه امر يفزع الى الله
عز وجل حين يرفع راسه الى السماء ويشير اليها باصبعه علامته بان
خالقه تعالى فوقه واذا كان العقل الذي منه الفهم والافهام مؤديا
الى معرفة ما ذكرناه والاعليه فكل من بلغ هذا المبلغ فقد اخذ عليه
العهد والميثاق اذ جعل فيه السبب والآلة الذين بهما يوخذ العهد
والميثاق وجائز ان يقال له قد اقر واذعن واسلم كما قال الله عز وجل وله
يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها قال واحتجوا بقوله
صلى الله عليه وسلم رفع القلم عن ثلاثة عن الصبي حتى يحتلم وعن المجنون
حتى يفيق وعن النائم حتى ينتبه وقوله عز وجل انا عرضنا الامانة على
السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها ثم قال
وحملها الانسان والامانة ههنا عهد وميثاق فامتناع السموات والارض
والجبال من حمل الامانة خلوها من العقل الذي يكون به الفهم والافهام
وحمل الانسان اياها لمكان العقل فيه قال وللعرب فيها ضروب نظم فمنها قوله

ضمن القيان لفقعس سباتها * ان القيان لفقعس لايانلى

والقيان جبل وذكر انه قد ضمن لفقعس وضمانه لهم انهم كانوا اذا احزبهم
امر من هزيمة او خوف لجأوا اليه فجعل ذلك كالضمان لهم ومنه قول النابغة

كحارف الحولان من هلل ربه * وجوزان منها خاشع متضائل

واجارف الجو لان جبالماوجوران الارض التي الى جانبها وقال هذا
القائل ان في قوله تعالى ان تقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين او تقولوا
انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم * دليلا على هذا التاويل لانه
عزوجل اعلم ان هذا الاخذ للعهد عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا
عن هذا غافلين و الغفلة ههنا لا تخلوا من احد وجهين اما ان تكون عن
يوم القيامة اوعن اخذ الميثاق فاما يوم القيامة فلم يذكر سبحانه في كتابه انه
اخذ عليهم عهدا و ميثاقا بمعرفة البعث و الحساب وانما ذكر معرفته
فقط و اما اخذ الميثاق فالاطفال والاسقاط ان كان هذا العهد ماخوذا
عليهم كما قال المخالف فهم لم يبلغوا بعد اخذ هذا الميثاق عليهم مبلغا
يكون منهم غفلة عنه فيجحدونه و ينكرونه فمتى تكون هذه الغفلة منهم
وهو عزوجل لا يؤاخذهم بما لم يكن منهم و ذكر ما لا يجوز ولا يكون محال
وقوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم فلا يخلو
هذا الشرك الذي يؤاخذون به ان يكون منهم انفسهم او من ابائهم
فان كان منهم فلا يجوز ان يكون ذلك الا بعد البلوغ و ثبوت الحجة
عليهم اذ الطفل لا يكون منه شرك ولا غيره و ان كان من غيرهم فالامة
مجمعة على ان لا تزر وازرة وزر اخرى كما قال عزوجل في الكتاب
وليس هذا بخالف المروي عن النبي صلى الله عليه و سلم ان الله مسح ظهر
آدم واخرج منه ذريته فاخذ عليهم العهد * لانه صلى الله عليه و سلم
التنص قول الله عزوجل فجاء مثل نظمه فوضع الماضي من اللفظ موضع

المستقل قال وهذا شبيه القصة بقصة قوله واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به * فحمل سبحانه ما انزل على الانبياء من الكتاب والحكمة ميثاقا اخذه من اممهم بعدهم يدل على ذلك قوله ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه * ثم قال للامم أأقررتم واخذتم على ذلكم اصري قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين * فجعل سبحانه بلوغ الامم كتابه المنزل على انبيائهم حجة عليهم كأخذ الميثاق عليهم وجعل معرفتهم به اقرارا منهم * قلت * وشبيه به ايضا قوله تعالى واذكروا نعمة الله عليكم وميثاقه الذي واثقكم به اذ قلتم سمعنا واطعنا * فهذا ميثاقه الذي اخذه عليهم بعد ارسال رسله اليهم بالايمان به وتصديقه ونظيره قوله تعالى والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق وقوله تعالى الم اعهد اليكم يا بني ادم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين وان اعبدوني هذا صراط مستقيم * فهذا عهده اليهم على السنة رسله ومثله قوله تعالى لبني اسرائيل واوفوا بعهدي اوف بعهدكم * ومثله واذ اخذ الله ميثاق الذين اوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه * وقوله واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم واخذنا منهم ميثاقا غليظا * فهذا ميثاق اخذه منهم بعد بعثهم كما اخذ من اممهم بعد انذارهم وهذا الميثاق الذي لعن سبحانه من نقضه وعاقبه بقوله فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية * فانما عاقبهم بنقضهم الميثاق الذي اخذه

عليهم

عليهم على السنة رسله وقد صرح به في قوله واذ اخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما اتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون ٭ ولما كانت هذه الاية ونظيرها في سورة مدنية خاطب بالتذكير بهذا الميثاق فيها اهل الكتاب فانه ميثاق اخذه عليهم بالايمان به وبرسله ولما كانت اية الاعراف في سورة مكية ذكر فيها الميثاق والاشهاد العام لجميع المكلفين من اقر بربوبيته ووحدانيته وبطلان الشرك وهو ميثاق واشهاد تقوم به عليهم الحجة وينقطع به العذر وتحل به العقوبة ويستحق بمخالفته الاهلاك فلابد ان يكونوا ذاكرين له عارفين به وذلك ما فطرهم عليه من الاقرار بربوبيته وانه ربهم وفاطرهم وانهم مخلوقون مربوبون ثم ارسل اليهم رسله يذكرونهم بما في فطرهم وعقولهم ويعرفونهم حقه عليهم وامره ونهيه ووعده ووعيده ونظم الاية انما يدل على هذا من وجوه متعددة ٭ احدها انه قال واذ اخذ ربك من بني ادم ولم يقل ادم وبنو ادم غير ادم ٭ الثاني ٭ انه قال من ظهورهم ولم يقل ظهره وهذا بدل بعض من كل او بدل اشتمال وهو احسن ٭ الثالث ٭ انه قال ذرياتهم ولم يقل ذريته ٭ الرابع ٭ انه قال واشهدهم على انفسهم اي جعلهم شاهدين على انفسهم فلابد ان يكون الشاهد ذاكرا لما شهد به وهو انما يذكر شهادته بعد خروجه الى هذه الدار لا يذكر شهادة قبلها ٭ الخامس ٭ انه سبحانه اخبر ان حكمة هذا الاشهاد اقامة الحجة عليهم لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين والحجة انما قامت عليهم بالرسل والفطرة التي فطروا

عليها كما قال تعالى رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل * السادس * تذكيرهم بذلك لئلا يقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين ومعلوم انهم غافلون بالاخراج لهم من صلب آدم كلهم واشهادهم جميعا ذلك الوقت فهذا لا يذكره احد منهم * السابع * قوله تعالى او تقولوا انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم * فذكر حكمتين في هذا التعريف والاشهاد * احداهما * ان لا يدعوا الغفلة * والثانية * ان لا يدعوا التقليد فالغافل لا شعور له والمقلد متبع في تقليده لغيره * الثامن * قوله تعالى افتهلكنا بما فعل المبطلون * اي لو عذبهم بجحودهم وشركهم لقالوا ذلك وهو سبحانه انما يهلكهم لمخالفة رسله وتكذيبهم فلو اهلكهم بتقليدا بائهم في شركهم من غير اقامة الحجة عليهم بالرسل لاهلكهم بما فعل المبطلون او اهلكهم مع غفلتهم عن معرفة بطلان ما كانوا عليه وقد اخبر سبحانه انه لم يكن ليهلك القرى بظلم واهلها غافلون * وانما يهلكهم بعد الاعذار والانذار * التاسع * انه سبحانه اشهد كل واحد على نفسه انه ربه وخالقه واحتج عليهم بهذا الاشهاد في غير موضع من كتابه كقوله ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فانى يؤفكون * اى فكيف يصرفون عن التوحيد بعد هذا الاقرار منهم ان الله ربهم وخالقهم وهذا كثير في القران فهذه هي الحجة التي اشهدهم على انفسهم بمضمونها وذكرتهم بها رسله بقوله تعالى افي الله شك فاطر السموات والارض * فالله تعالى انما ذكرهم على السنة رسله بهذا الاقرار والمعرفة ولم يذكرهم قط باقرار سابق على ايجادهم

ولا القام به عليهم حجة * العاشر * انه جمل هذا اية وهي الدلالة الواضحة البينة المستلزمة لمدلولها بحيث لا تتخلف عنها المدلول وهذا شان ايات الرب تعالى فانها ادلة معينة على مطلوب معين مستلزمة للعلم به فقال تعالى وكذلك نفصل الايات اى مثل هذا التفصيل والتبيين نفصل الايات لعلهم يرجعون من الشرك الى التوحيد ومن الكفر الى الايمان وهذه الايات التى فصلها هى التى بينها في كتابه من انواع مخلوقاته وهى آيات افقية ونفسية ايات في نفوسهم وذواتهم وخلقهم وآيات فى الاقطار والنواحي عما يحدثه الرب تبارك وتعالى مما يدل على وجوده ووحدانيته وصدق رسله وعلى المعاد والقيامة ومن ابينها ماشهد به كل واحد على نفسه من انه ربه وخالقه ومبدعه وانه مربوب مخلوق مصنوع حادث بعد ان لم يكن ومحال ان يكون حدث بلا محدث او يكون هو المحدث لنفسه فلابد له من موجد اوجده ليس كمثله شئ وهذا الاقرار والمشاهدة فطرة فطروا عليها ليست بمكتسبة وهذه الاية وهي قوله تعالى واذ اخذ ربك من بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم مطابقة لقول النبى صلى الله عليه وسلم كل مولود يولد على الفطرة * ولقوله تعالى فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن اكثر الناس لا يعلمون منيبين اليه ومن المفسرين من لم يذكر الا هذا القول فقط كالزمخشرى ومنهم من لم يذكر الا القول الاول فقط ومنهم من حكى القولين كابن الجوزي

والواحدي والماوردي وغيرهم ‪*‬ قال الحسن بن يحيى الجرجاني فان اعترض معترض في هذا الفصل بحديث يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله مسح ظهر ادم فاخرج منه ذريته واخذ عليهم العهد ثم ردهم في ظهره ‪*‬ وقال ان هذا مانع من جواز التاويل الذي ذهبت اليه لامتناع ردهم في الظاهر ان كان اخذ الميثاق عليهم بعد البلوغ وتمام العقل ‪*‬ قيل له ‪*‬ ان معنى ثم ردهم في ظهره ثم يردهم في ظهره كما قلنا ان معنى اخذ ربك يأخذ ربك فيكون معناه ثم يردهم في ظهره بوفاتهم لانهم اذا ماتوا ردوا الى الارض للدفن وادم خلق منها ورد فيها فاذا ردوا اليها فقد ردوا الى ادم وفي ظهره اذ كان ادم خلق منها وفيها ردوا بعض الشيء من الشيء وفيما ذهبتم اليه من تاويل هذا الحديث على ظاهره تفاوت بينه وبين ما جاء به القران في هذا المعنى الا ان يرد تاويله الى ما ذكرنا لانه عز وجل قال واذ اخذ ربك من بني ادم من ظهورهم ذرياتهم ولم يذكر ادم في القصة انما هو هنا مضاف اليه لتعريف ذريته انهم اولاده وفي الحديث انه مسح ظهر ادم فلا يمكن رد ما جاء في القران وما جاء في الحديث الى الاتفاق الا بالتاويل الذي ذكرناه قال الجرجاني وانا اقول ونحن الى ما روي في الاية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ذهب اليه اهل العلم من السلف الصالح امثل وله اقبل وبه انس والله ولي التوفيق للهوى (?) قال الواحدي على ان بعض اصحابنا من اهل السنة قد ذكر في الرد على هذا القائل معنى يحتمل

وبسوغ في النظر الجاري ومجاز العربية بسهولة وامكان من غير تعسف ولا استكراه وهو ان يكون قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني آدم * مبتدأ خبره من الله عز وجل عما كان منه في اخذ العهد عليهم واذ يقتضي جوابا بجعل جوابه قوله تعالى قالوا بلى * وانقطع هذا الخبر بتمام قصته ثم ابتدأ عز وجل خبرا اخر بذكر ما يقوله المشركون يوم القيامة فقالوا شهدنا يعني نشهد كما قال الحطيئة *

شهد الحطيئة حين يلقى ربه * ان الوليد احق بالعذر

بمعنى يشهد الحطيئة يقول تعالى نشهد انكم ستقولون يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين اي عما هم فيه من الحساب والمناقشة والمؤاخذة بالكفر ثم اضاف اليه خبرا اخر فقال اوتقولوا بمعنى وان تقولوا لان او بمعنى واو النسق مثل قوله تعالى ولا تطع منهم آثما او كفورا معناه وكفورا فلا نشهد ان تقولوا يوم القيامة انما اشرك اباؤنا من قبل وكنا ذرية من بعدهم اي انهم اشركوا وحملونا على مذهبهم في الشرك في صبانا فجرينا على مذاهبهم واقتدينا بهم فلا ذنب لنا اذ كنا مقتدين بهم والذنب في ذلك لهم قالوا انا وجدنا اباءنا على امة وانا على آثارهم مقتدون يدل على ذلك قولهم افتهلكنا بما فعل المبطلون اي حملهم ايانا على الشرك فتكون القصة الاولى خبرا عن جميع المخلوقين باخذ الميثاق عليهم والقصة الثانية خبرا عما يقول المشركون يوم القيامة من الاعتذار وقال فيما ادعاه المخالف انه تفاوت فيما بين الكتاب والخبر لاختلاف الفاظهما فيما قرلا يجب قوله بالنظائر والعبر التي تأيدها

لما الفته فقال ان الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح
ظهر ادم* افادز يادة خبر كان في القصة التي ذكر الله تعالى في الكتاب
بعضها ولم يذكر كلها ولو اخبر صلى الله عليه وسلم بسوى هذه الزيادة
التي اخبر بها فما عسى ان يكون قد كان في ذلك الوقت الذى اخذ فيه
العهد مالم يضمنه الله كتابه لما كان في ذلك خلاف ولا تفاوت بل كان
زيادة في الفائدة وكذلك الالفاظ اذا اختلفت في ذاتها وكان مرجعها
الى امر واحد لم يوجب ذلك تناقضا كما قال عزوجل في كتابه في خلق ادم
فذكر مرة انه خلق من تراب* ومرة انه خلق من حمأ مسنون* ومرة من
طين لازب* ومرة من صلصال كالفخار* فهذه الالفاظ مختلفة ومعانيها
ايضا في الاحوال مختلفة ان الصلصال غير الحمأة والحمأة غير التراب الا
ان مرجعها كلها في الاصل الى جوهر واحد وهو التراب ومن التراب
تدرجت هذه الاحوال فقوله سبحانه وتعالى واذ اخذ ربك من
بنى ادم من ظهورهم ذرياتهم* وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله مسح ظهر
ادم فاستخرج منه ذريته* معنى واحد في الاصل الا ان قوله صلى الله
عليه وسلم مسح ظهر ادم* زيادة في الخبر عن الله عزوجل ومسحه عزوجل
ظهر ادم واستخراج ذريته منه مسح لظهور ذريته واستخراج
ذرياتهم من ظهورهم كما ذكر تعالى لانا قد علمنا ان جميع ذرية ادم
لم يكونوا من صلبه لكن لما كان الطبق الاول من صلبه ثم الثاني من صلب
الاول ثم الثالث من صلب الثاني جاز ان ينسب ذلك كله الى ظهر ادم

لانهم فرعه وهو اصلهم و كما جاز ان يكون اذ كر الله عزوجل انه استخرجه
من ظهور ذرية ادم من ظهر ادم جاز ان يكون اذ كرصلى الله عليه وسلم
انه استخرجه من ظهر آدم من ظهور ذريته اذ الاصل والفرع شي واحد
وفيه ايضا انه عزوجل لما اضاف الذرية الى آدم فى الخبر احتمل ان يكون
الخبر عن الذرية وعن آدم كما قال عزوجل فظلت اعناقهم لها خاضعين *
والخبر فى الظاهر عن الاعناق والنعت للاسماء المكنية فيها وهو مضاف
اليها كما كان ادم مضافا اليه هناك وليسا جميعا بالمقصود بن فى الظاهر
بالخبر ولا يحتمل ان يكون قوله خاضعين للاعناق لان وجه جمعها
خاضعات ومنه قول الشاعر *

وتشرق بالقول الذى قد اذعته * كما شرقت صدر القناة من الدم

بالصدر مذكر وقوله شرقت انث لاضافة الصدر الى القناة *

﴿ فصل ﴾

فهذا بعض كلام السلف والخلف فى هذه الاية وعلى كل تقديرفلا يدل
على خلق الارواح قبل الاجساد خلقا مستقرا وانما غايتها ان تدل على
اخراج صورهم وامثالهم فى صور الذر واستنطاقهم ثم ردهم الى اصلهم
ان صح الخبر بذلك والذى صح انما هو اثبات القدر السابق وتقسيمهم الى
شقي وسعيد واما استدلال ابي محمد بن حزم بقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم
صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لادم فما اليق هذا الاستدلال
بظاهريته لترتيب الامر بالسجود لآدم على خلقنا وتصويرنا والخطاب

للجملة المركبة من البدن والروح وذلك متأخر عن خلق آدم ولهذا قال ابن عباس ولقد خلقناكم يعني ادم ثم صورناكم لذريته ومثال هذا ما قاله مجاهد خلقناكم يعني ادم وصورناكم في ظهر آدم وانما قال خلقناكم بلفظ الجمع وهو يريد آدم كما تقول ضربناكم وانما ضربت سيدهم واختار ابو عبيد في هذه الاية قول مجاهد لقوله تعالى بعد ثم قلنا للملائكة اسجدوا وكان قوله تعالى للملائكة اسجدوا قبل خلق ذرية ادم وتصويرهم في الارحام وثم توجب التراخي والترتيب فمن جعل الخلق والتصوير في هذه الاية لاولاد ادم في الارحام يكون قد راعى حكم ثم في الترتيب الا ان ياخذ بقول الاخفش فانه يقول ثم ههنا في معنى الواو وقال الزجاج وهذا خطأ لا يجيزه الخليل وسيبويه وجميع من يوثق بعلمه قال ابو عبيد وقد يسه مجاهد حين قال ان الله تعالى خلق ولد ادم وصورهم في ظهره ثم امر بعد ذلك بالسجود قال وهذا بين في الحديث وهو انه اخرجهم من ظهره في صور الذر * قلت * والقران يفسر بعضه بعضا ونظير هذه الاية قوله تعالى يا ايها الناس ان كنتم في ريب من البعث فانا خلقناكم من تراب ثم من نطفة * فاوقع الخلق من تراب عليهم وهو لابيهم ادم اذ هو اصلهم والله سبحانه يخاطب الموجودين والمراد اباؤهم كقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فاخذتكم الصاعقة وانتم تنظرون * وقوله تعالى واذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد الاية وقوله تعالى واذ قتلتم نفسا فادارأتم فيها * وقوله تعالى واذ اخذنا ميثاقكم

ورزقناكم فكم الطوره وهو كثير في القران يخاطبهم والمراد به اباؤهم
وهكذا قوله ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقد يستطرد سبحانه من ذكر
الشخص الى ذكر النوع كقوله ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين
ثم جعلناه نطفة في قرار مكين * فالمخلوق من سلالة من طين ادم والمجعول
نطفة في قرار مكين ذريته واما حديث خلق الارواح قبل الاجساد
بالفي عام فلا يصح اسناده ففيه عتبة بن السكن قال الدارقطني متروك
وارطاة بن المنذر قال ابن عدي بعض احاديثه غلط *

﴿ فصل ﴾

واما الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن خلق ابدانها فمن وجوه
* احدها * ان خلق ابي البشر واصلهم كان هكذا فان الله سبحانه ارسل
جبريل فقبض قبضة من الارض ثم خمرها حتى صارت طينا ثم صوره ثم نفخ
فيه الروح بعد ان صوره فلما دخلت الروح فيه صار لحما ودما حيا ناطقا
ففي تفسير ابي مالك وابي صالح عن ابن عباس وعن مرة عن ابن مسعود
وعن اناس من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم لما فرغ الله عز وجل من
خلق ما احب استوى على العرش فجعل ابليس ملكا على سماء الدنيا وكان من
الخزان قبله من ملائكة يقال لهم الجن وانما سموا الجن لانهم خزان اهل
الجنة وكان ابليس مع ملكه خازنا فوقع في صدره وقال ما اعطاني الله
هذا الا لمزية لي وفي لفظ لمزية لي على الملائكة فلما وقع ذلك الكبر في نفسه
اطلع الله على ذلك منه فقال الله للملائكة اني جاعل في الارض خليفة

﴿ فصل في الدليل على ان خلق الارواح متأخر عن خلق ابدانها ﴾

ذ لو ار باو ما يكون حال الخليفة وما يصنعون في الارض قال الله تكون
له ذرية يفسد و ن في الارض و يتحاسد ون و يقتل بعضهم بعضا قالوا ربنا
اتجعل فيها من يفسد فيها و يسفك الدماء و نحن نسبح بحمدك و نقدس لك
قال اني اعلم ما لا تعلمون • يعنى من شان ابليس فبعث جبريل الى الارض
ليأتيه بطين منها فقالت الارض اني اعوذ بالله منك ان تنقص مني فرجع
و لم ياخذ و قال رب انها عاذت بك فاعذ لها فبعث ميكائيل فعاذت منه
فاعاذها فبعث ملك الموت فعاذت منه فقال و انا اعوذ بالله ان ارجع
و لم انفذ امره • فاخذ من وجه الارض وخلط فلم ياخذ من مكان
واحد فاخذ من تربة حمراء و بيضاء وسوداء ولذلك خرج بنو ادم مختلفين
فصعد به قبل الرب عز وجل حتى عاد طينا لازبا واللازب هو الذي يلزق
بعضه ببعض ثم قال للملائكة اني خالق بشرا من طين فاذا سويته ونفخت فيه
من روحي فقعوا له ساجدين فخلقه الله بيده لكيلا يتكبر ابليس عنه ليقول له
تتكبر عما عملت بيدى ولم اتكبر انا عنه فخلقه بشرا فكان جسدا من طين
اربعين سنة فمرت به الملائكة ففزعوا منه لما رأوه وكان اشدهم منه فزعا
ابليس فكان يمر به فيضربه فيصوت الجسد كما يصوت الفخار تكون له
صلصلة فذلك حين يقول من صلصال كالفخار و يقول لامر ما خلقت
ودخل من فيه فخرج من دبره فقال للملائكة لا ترهبوا من هذا فان ربكم
صمد و هذا اجوف لئن سلطت عليه لاهلكنه فلما بلغ الحين الذى
يريد الله جل ثناؤه ان ينفخ فيه الروح قال للملائكة اذا نفخت فيه من

روحى

روحي فاسجدوا له فلما نفخ فيه الروح ودخل الروح في راسه عطس فقالت
الملائكة قل الحمد لله فقال الحمد لله فقال له الله يرحمك ربك فلما دخل
الروح في عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام قبل
ان يبلغ الروح رجليه فنهض عجلان الى ثمار الجنة فذلك حين يقول
خلق الانسان من عجل وذكر باقي الحديث وقال يونس بن عبد الاعلى
اخبرنا ابن وهب ثنا ابن زيد قال لما خلق الله النار ذعرت منها الملائكة
ذعرا شديدا وقالوا ربنا لم خلقت هذه النار ولاي شيء خلقتها قال لمن
عصاني من خلقي ولم يكن لله يومئذ خلق الا الملائكة والارض ليس
فيها خلق انما خلق ادم بعد ذلك وقرأ قوله تعالى هل اتى على الانسان
حين من الدهر لم يكن شيئا مذكورا قال عمر بن الخطاب يا رسول الله
ليت ذلك الحين ثم قال وقالت الملائكة ويأتي علينا دهر نعصيك فيه
لا يرون له خلقا غيرهم قال لا اني اريد ان اخلق في الارض خلقا واجعل
فيها خليفة وذكر الحديث قال ابن اسحق فيقال والله اعلم خلق الله ادم
ثم وضعه ينظر اليه اربعين عاما قبل ان ينفخ فيه الروح حتى عاد صلصالا
كالفخار ولم تمسه نار فيقال والله اعلم لما انتهى الروح الى رأسه عطس
فقال الحمد لله وذكر الحديث والقران والحديث والاثار تدل على انه
سبحانه نفخ فيه من روحه بعد خلق جسده فمن تلك النفخة حدثت فيه
الروح ولو كانت روحه مخلوقة قبل بدنه مع جملة ارواح ذريته لما عجبت
الملائكة من خلقه ولما تعجبت من خلق النار وقالت لاي شيء خلقتها

وهي ترى ارواح بني ادم فيهم المؤمن والكافر والطيب والخبيث ولما كانت ارواح الكفار كلها تبعا لابليس بل كانت الارواح الكافرة مخلوقة قبل كفره فان الله سبحانه انما حكم عليه بالكفر بعد خلق بدن ادم وروحه ولم يكن قبل ذلك كافرا فكيف تكون الارواح قبله كافرة ومؤمنة وهو لم يكن كافرا اذ ذاك وهل حصل الكفر للارواح الابتزاية واغوائه فالارواح الكافرة انما حدثت بعد كفره الا ان يقال كانت كلها مؤمنة ثم ارتدت بسببه والذي احتجوا به على تقديم خلق الارواح يخالف ذلك وفي حديث ابي هريرة في تخليق العالم الاخبار عن خلق اجناس العالم وتاخر خلق ادم الى يوم الجمعة ولو كانت الارواح مخلوقة قبل الاجساد لكانت من جملة العالم المخلوق في ستة ايام فلما لم يخبر عن خلقها في هذه الايام علم ان خلقها تابع لخلق الذرية وان خلق ادم وحده هو الذي وقع في تلك الايام الستة واما خلق ذريته فعلى الوجه المشاهد المعاين ولو كان للروح وجود قبل البدن وهي حية عالمة ناطقة لكانت ذاكرة لذلك في هذا العالم شاعرة به ولو بوجه ما ومن الممتنع ان تكون حية عالمة ناطقة عارفة بربها وهي بين ملأ من الارواح ثم تنتقل الى هذا البدن ولا تشعر بحالها قبل ذلك بوجه ما واذا كانت بعد المفارقة تشعر بحالها وهي في البدن على التفصيل وتعلم ما كانت عليه هنا مع انها اكتسبت بالبدن امورا عاقتها عن كثير من كمالها فلان تشعر بحالها الاول وهي غير معوقة هناك بطريق الاولى الا ان يقال تعلقها

بالبدن واشتغالها بتدبيره منعها من شعورها بحالها الاول فيقال هب انه منعها من شعورها به على التفصيل والكمال فهل يمنعها عن ادنى شعور بوجه ما مما كانت عليه قبل تعلقها بالبدن ومعلوم ان تعلقها بالبدن لم يمنعها عن الشعور باول احوالها وهي في البدن فكيف يمنعها من الشعور بما كان قبل ذلك * وايضا فانها لو كانت موجودة قبل البدن لكانت عالمة حية ناطقة عاقلة فلما تعلقت بالبدن سلبت ذلك كله ثم حدث لها الشعور والعلم والعقل شيئا فشيئا ولو كان هذا لكان من اعجب الامور وان تكون الروح كاملة عاقلة ثم تعود ناقصة ضعيفة جاهلة ثم تعود بعد ذلك الى عقلها وقوتها فاين في العقل والنقل والفطرة ما يدل على هذا وقد قال تعالى والله اخرجكم من بطون امهاتكم لا تعلمون شيئا وجعل لكم السمع والابصار والافئدة لعلكم تشكرون * فهذه الحال التى اخرجنا عليها هي حالنا الاصلية والعلم والعقل والمعرفة والقوة طار علينا حادث فينا بعد ان لم يكن ولم نكن نعلم قبل ذلك شيئا البتة اذ لم يكن لنا وجود نعلم ونعقل به وايضا لو كانت مخلوقة قبل الاجساد وهي على ما هي الان من طيب وخبث وكفر وايمان وخير وشر لكان ذلك ثابتا لها قبل الاعمال وهي انما اكتسبت هذه الصفات والهيئات من اعمالها التى سعت في طلبها واستعانت عليها بالبدن فلم تكن لتتصف بتلك الهيئات والصفات قبل قيامها بالابدان التى بها عملت تلك الاعمال وان كان قد رلها ذلك قبل ايجادها ولكن ثم خرجت الى هذه الدار على ما قدر لها فنحن

لا نكر الكتاب و القدر السابق لها من الله و لو دل دليل على انها خلقت جملة ثم او دعت في مكان حية عالمة ناطقة ثم كل وقت تبرز الى ابد انها شيئا فشيئا لكنا اول قائل به فالله سبحانه على كل شئ قدير ولكن لا نخبر عنه خلقا و امرا الا بما اخبر به عن نفسه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم و معلوم ان الرسول صلى الله عليه وسلم لم يخبر عنه بذلك و انما اخبر بما في الحديث الصحيح ان خلق ابن ادم يجمع في بطن امه اربعين يوما نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ثم يكون مضغة مثل ذلك ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح فالملك وحده يرسل اليه فينفخ فيه فاذا نفخ فيه كان ذلك سبب حدوث الروح فيه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه وانما ارسل اليه الملك فاحدث فيه الروح بنفخته فيه لا ان الله سبحانه ارسل اليه الروح التي كانت موجودة قبل ذلك بالزمان الطويل مع الملك ففرق بين ان يرسل اليه ملك ينفخ فيه الروح و بين أن يرسل اليه روح مخلوقة قائمة بنفسها مع الملك و تامل ما دل عليه النص من هذين المعنيين وبالله التوفيق *

﴿فصل﴾ * * * ﴿واما المسئلة التاسعة عشر وهي ماحقيقة النفس هل هي جزء من اجزاء البدن او عرض من اعراضه او جسم مساكن له مودع فيه او جوهر مجرد و هل هي الروح او غيرها وهل الامارة واللوامة والمطمئنة نفس واحدة لها هذه الصفات ام هي ثلاثة انفس﴾

والجواب ان هذه مسائل قد تكلم الناس فيها من سائر الطوائف واضطربت اقوالهم فيها وكثر فيها خطؤهم وهدى الله اتباع الرسول واهل سنته لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم فنذكر اقوال الناس وما لهم وما عليهم في تلك الاقوال ونذكر الصواب بحمد الله وعونه قال ابو الحسن الاشعري في مقالاته اختلف الناس في الروح والنفس والحيوة وهل الروح هي الحيوة او غيرها وهل الروح جسم ام لا فقال النظام الروح جسم وهي النفس وزعم ان الروح حي بنفسه وانكر ان تكون الحيوة والقوة معنى غير الحي القوي وقال اخرون الروح عرض وقال قائلون منهم جعفر بن حرب لا ندري الروح جوهر او عرض كذا قال واعتلوا في ذلك بقوله تعالى ويسألونك عن الروح قل الروح من امر ربي* ولم يخبر عنها ما هي لا انها جوهر ولا عرض قال واظن جعفرا اثبت الحيوة غير الروح واثبت الحيوة عرضا وكان الجبائي يذهب الى ان الروح جسم وانها غير الحيوة والحيوة عرض ويعتل بقول اهل اللغة خرجت روح الانسان وزعم ان الروح لا تجوز عليها الاعراض وقال قائلون ليس الروح شيئا اكثر من اعتدال الطبائع الاربعة ولم يرجعوا من قولهم الا الى المعتدل ولم يثبتوا في الدنيا شيئا الا الطبائع الاربعة التي هي الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة وقال قائلون ان الروح معنى خامس غير الطبائع الاربعة وانه ليس في الدنيا الا الطبائع الاربعة والروح واختلفوا في الروح فجعلها بعضهم طباعا وبعضها

بعضهم اجساد اوقال قائلون الروح الدم الصافي الخالص من الكدر
والمفوتات وكذلك قالوا في القوة وقال قائلون الحيوة هي الحرارة الغريزية
وكل هؤلاء الذين حكينا قولهم في الروح من اصحاب الطبائع يثبتون
ان الحيوة هي الروح وكان الاصم لا يثبت الحيوة والروح شيئا غير
الجسد ويقول ليس اعقل الا الجسد الطويل العريض العميق الذى
اراه واشاهده وكان يقول النفس هي هذا البدن بعينه لا غير وانما جرى
عليها هذا الذكر على جهة البيان والتاكيد بحقيقة الشيء لا انها معنى غير
البدن وذكر عن ارسطاطاليس ان النفس معنى مرتفع عن الوقوع تحت
الحق واللون وانها جوهر بسيط منبث في العالم كله من الحيوان على
جهة الاعمال له والتدبير وانه لا يجوز عليه صفة قلة ولا كثرة قال وهي
على ما وصفت من انبساطها في هذا العالم غير منقسمة الذات والبنية وانها
في كل حيوان العالم بمعنى واحد لا غير وقال آخرون بل النفس معنى
موجود ذات حد ودو اركان وطول وعرض وعمق وانها غير مفارقة
في هذا العالم لغيرها فيما يجرى عليه حكم الطول والعرض والعمق
وكل واحد منها يجمعها صفة الحد والنهاية وقالت طائفة ان النفس
موصوفة بما وصفها هؤلاء الذين قدمنا ذكرهم من معنى الحدود والنهايات
الا انها غير مفارقة لغيرها مما لا يجوز ان يكون موصوفا بصفة الحيوان
وحكى الجريري عن جعفر بن مبشر ان النفس جوهر ليس هو هذا الجسم وليس
بجسم ولكنه معنى باين الجوهر والجسم وقال اخرون النفس معنى غير

الروح والروح غير الحيوة والحيوة عنده عرض وهو ابو الهذيل وزعم انه قد يجوز ان يكون الانسان في حال نومه مسلوب النفس والروح دون الحيوة واستشهد على ذلك بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها والتي لم تمت في منامها وقال جعفر بن حرب النفس عرض من الاعراض يوجد في هذا الجسم وهو احد الالات التي يستعين بها الانسان على الفعل كالصحة والسلامة وما اشبهها وانها غير موصوفة بشيء من صفات الجواهر والاجسام هذا ما حكاه الاشعري وقالت طائفة النفس هي النسيم الداخل والخارج بالتنفس قالوا والروح عرض وهو الحيوة فقط وهو غير النفس وهذا قول القاضي ابي بكر بن الباقلاني ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة ليست النفس جسما ولا عرضا وليست النفس في مكان ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا لون ولا بعض ولا هي في العالم ولا خارجة ولا مجانبة له ولا مباينة وهذا قول المشائين وهو الذي حكاه الاشعري عن ارسطاطاليس وزعموا ان تعلقها بالبدن لا بالحلول فيه ولا بالمجاورة ولا بالمساكنة ولا بالالتصاق ولا بالمقابلة وانما هو بالتدبير له فقط واختار هذا المذهب البوشنجي ومحمد بن النعمان الملقب بالمفيد ومعمر ابن عباد والغزالي وهو قول ابن سيناء واتباعه وهو اردى المذاهب وابطلها وابعدها من الصواب وقال ابو محمد بن حزم وذهب سائر اهل الاسلام والملل المقرة بالمعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان جثة متحيزة مصرفة للجسد قال وبهذا القول قال والنفس

والروح اسمان مترادفان لمعنى واحد ومعناهما واحد وقد ضبط ابوعبدالله ابن الخطيب مذاهب الناس فى النفس فقال مايشير اليه كل انسان بقوله انااماان يكون جسما او عرضا ساريا في الجسم اولاجسما ولاعرضا ساريا فيه اماالقسم الاول وهوانه جسم فذلك الجسم اماان يكون هو هذا البدن واماان يكون جسما مشاركا لهذا البدن واماان يكون خارجا عنه اما القسم الثالث وهوان نفس الانسان عبارة عن جسم خارج عن هذا البدن فهذالم يقله احد واما القسم الاول وهوان الانسان عبارة عن هذا البدن والهيكل المخصوص فهوقول جمهور الخلق وهوالمختار عند اكثر المتكلمين * قلت * هو قول جمهور الخلق الذين عرف الرازي اقوالهم من اهل البدع وغيرهم من المضلين واما اقوال الصحابة والتابعين واهل الحديث فلم يكن له بها شعور البتة ولا اعتقد ان لهم في ذلك قولا على عادته فى حكاية المذاهب الباطلة فى المسئلة والمذهب الحق الذى دل عليه القران والسنة واقوال الصحابة لم يعرفه ولم يذكره وهذا الذي نسبه الى جمهور الخلق من ان الانسان هو هذا البدن المخصوص فقط وليس وراءه شئ هو من ابطل الاقوال في المسئلة بل هو ابطل من قول ابن سيناء و اتباعه بل الذى عليه جمهور العقلاء ان الانسان هو البدن والروح معا وقد يطلق اسمه على احدهما دون الاخر بقرينة فالناس لهم اربعة اقوال فى مسمى الانسان * هل هوالروح فقط * اوالبدن فقط * او مجموعهما * او كل واحد منهما * وهذه الاقوال الاربعة لهم في كلامه هل هواللفظ فقط

او المني نقط • او مع وعيها • او كل واحد منها • فالخلاف بينهم في
اما المني ونطفه قال الرازي واما القسم الثاني وهو ان الانسان عبارة
عن جسم مخصوص موجود في داخل هـذا البدن فالقائلون
بهذا القول اختلفوا في تعيين ذلك الجسم على وجوه • الاول •
انه عبارة عن الاخلاط الاربعة التي منها يتولد هذا البدن • والثاني •
انه الدم • والثالث • انه الروح اللطيف الذي يتولد في الجانب
الايسر من القلب وينفذ في الشريانات الى سائر الاعضاء • والقول
الرابع • انه الروح الذي يصعد من القلب الى الدماغ ويتكيف بالكيفية
الصالحة لقبول قوة الحفظ والفكر والذكر • والخامس • انه جزء لا يتجزأ
في القلب • والسادس • انه جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس
وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الاعضاء
ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في
الفحم فما دامت هذه الاعضاء صالحة لقبول الآثار الفائضة عليها من هذا
الجسم اللطيف بقي ذلك الجسم اللطيف مشابكا لهذه الاعضاء وافادها
هذه الآثار من الحس والحركة الارادية واذا فسدت هذه الاعضاء
بسبب استيلاء الاخلاط الغليظة عليها وخرجت عن قبول تلك الآثار
فارق الروح البدن وانفصل الى عالم الارواح وهذا القول هو الصواب
في المسئلة وهو الذي لا يصح غيره وكل الاقوال سواه باطلة وعليه دل
الكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل والفطرة ونحن نسوق

﴿ القول الصواب في حقيقة الروح مع الاستدلال عليه بالكتاب والسنة واجماع الصحابة وادلة العقل وذكر دلائله ﴾

الادلة عليه على نسق واحد * الدليل الاول * قوله تعالى الله يتوفى الانفس
حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل
الاخرى الى اجل مسمى * ففي الاية ثلاثة ادلة الاخبار بتوفيها وامساكها
وارسالها * الرابع * قوله تعالى ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت
والملائكة باسطو ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون *
الى قوله ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم اول مرة * وفيها اربعة ادلة
* احدها * بسط الملائكة ايديهم لتناولها * الثاني * وصفها بالاخراج
والخروج * الثالث * الاخبار عن عذابها ذلك اليوم * الرابع * الاخبار
عن مجيئها الى ربها فهذه سبعة ادلة * الثامن * قوله تعالى وهو الذى
يتوفاكم بالليل ويعلم ماجرحتم بالنهار ثم يبعثكم فيه ليقضى اجل مسمى
ثم اليه مرجعكم * الى قوله حتى اذا جاء احدكم الموت توفته رسلنا وهم
لايفرطون * وفيها ثلاثة ادلة * احدها * الاخبار بتوفى الانفس بالليل
* الثانى * بعثها الى اجسادها بالنهار * الثالث * توفى الملائكة له
عند الموت فهذه عشرة ادلة * الحادي عشر * قوله تعالى ياايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي *
وفيها ثلاثة ادلة * احدها * وصفها بالرجوع * والثاني * وصفها بالدخول
* والثالث * وصفها بالرضا * واختلف السلف هل يقال لها ذلك عند الموت
او عند البعث او في الموضعين على ثلاثة اقوال وقد روي في حديث
مرفوع ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لابي بكر الصديق اما ان الملك

سيقولها لك عند الموت و قال زيد بن اسلم بشرت بالجنة عند الموت و يوم الجمع وعند البعث و قال ابو صالح ارجعي الى ربك راضية مرضية هذا عند الموت فادخلي في عبادي وادخلي جنتي * قال هذا يوم القيامة فهذه اربعة عشر دليلا * الخامس عشر * قوله صلى الله عليه و سلم ان الروح اذا قبض تبعه البصر * ففيه دليلان * احدهما * وصفه بانه يقبض * والثاني * ان البصر يراه * و السابع عشر * ما رواه النسائي ثنا ابو داود عن عفان عن حماد عن ابي جعفر عن عمارة بن خزيمة ان اباه * قال رأيت في المنام كاني اسجد على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال ان الروح ليلقى الروح فاقنع رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا قال عفان براسه الى خلفه فوضع جبهته (١) النبي صلى الله عليه وسلم * فاخبر ان الارواح تتلاقى في المنام وقد تقدم قول ابن عباس تلتقي ارواح الاحياء والاموات في المنام فيتساءلون بينهم فيمسك الله ارواح الموتى * الثامن عشر * قوله صلى الله عليه و سلم في حديث بلال ان الله قبض ارواحكم وردها اليكم حين شاء * ففيه دليلان وصفها بالقبض و الرد * العشرون * قوله صلى الله عليه وسلم نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة * وفيه دليلان * احدهما * كونها طائرا * الثاني * تعلقها في شجر الجنة و اكلها على اختلاف التفسيرين * الثاني والعشرون * قوله ارواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة حيث شاءت و تأوي الى قناديل معلقة بالعرش فاطلع اليهم ربك اطلاعة فقال اي شئ تريدون الحديث وقد تقدم وفيه ستة ادلة * احدها *

(١) هكذا في الاصل ولعله فوضع جبهته على جبهة النبي صلى الله عليه وسلم — ١٢

كونها مودعة في جوف طير • الثالث • انها تسرح في الجنة • الرابع • انها
تأكل من ثمارها وتشرب من انهارها • الرابع • انها تأوي الى تلك القناديل
اى تسكن اليها • الخامس • ان الرب تعالى خاطبها واستنطقها فاجابته
وخاطبته • السادس • انها طلبت الرجوع الى الدنيا فعلم انها مما يقبل
الرجوع • فان قيل • هذا كله صفة الطير لا صفة الروح • قيل • بل الروح
المودعة في الطير قصدا وعلى الرواية التي رجحها ابو عمر وهي قوله ارواح
الشهداء كطير ينفي السوال بالكلية • التاسع والعشرون • قوله صلى الله
عليه وسلم في حديث طلحة ابن عبيد الله اردت مالي بالغابة فادركني الليل
فاويت الى قبر عبد الله ابن عمرو بن حرام فسمعت قراءة من القبر ما سمعت
احسن منها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ذاك عبد الله الم تعلم
ان الله قبض ارواحهم فجعلها في قناديل من زبرجد وياقوت ثم علقها وسط
الجنة فاذا كان الليل ردت اليهم ارواحهم فلا تزال كذلك حتى
اذا طلع الفجر ردت ارواحهم الى مكانها التي كانت • وفيه اربعة
ادلة سوى ما تقدم • احدها • جعلها في القناديل • الثاني •
انتقالها من حيز الى حيز • الثالث • تكلمها وقراءتها في القبر
• الرابع • وصفها بانها في مكان • الثالث والثلاثون • حديث البراء بن
عازب وقد تقدم سياقه وفيه عشرون دليلا • احدها • قول ملك الموت
لنفسه يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية • وهذا
الخطاب لمن يفهم ويعقل • الثاني • قوله اخرجي الى مغفرة من الله

ورضوان

ورضوان * الثالث * فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء * الرابع * قوله فلا يدعونها في يده طرفة عين حتى ياخذ وهامنه * الخامس * قوله حتى يكفنوها في ذلك الكفن ويحنطوها بذلك الحنوط فاخبرانها تكفن وتحنط * السادس * قوله ثم يصعد بروحه الى السماء * السابع * قوله ويوجد منها كاطيب نفحة مسك وجدت * الثامن * قوله فيفتح له ابواب السماء * التاسع * قوله ويشيعه من كل سماء مقربوها حتى ينتهي الى الرب تعالى * العاشر * قوله فيقول الله تعالى ردوا عبدي الى الارض * الحادي عشر * قوله فترد روحه في جسده * الثاني عشر * قوله في روح الكافر فتفرق في جسده فيجذبها فتنقطع منها العروق والعصب * الثالث عشر * قوله ويوجد لروحه كانتن ريح وجدت على وجه الارض * الرابع عشر * قوله فيقذف بروحه من السماء وتطرح طرحا فتهوي الى الارض * الخامس عشر * قوله فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة الا قالوا ما هذا الروح الطيب وما هذا الروح الخبيث * السادس عشر * قوله فيجلسانه ويقولان له ما كنت تقول في هذا الرجل * فان كان هذا للروح فظاهر وان كان للبدن فهو بعد رجوع الروح اليه من السماء * السابع عشر * قوله فاذا صعد بروحه قيل اي رب عبدك فلان * الثامن عشر * قوله ارجعوه فاروه ماذا اعددت له من الكرامة فيرى مقعده من الجنة او النار * التاسع عشر * قوله في الحديث اذا خرجت روح المؤمن صلى عليها كل ملك بين السماء

ريض فالملائكة تصلي على روحه وبنو ادم يصلون على جسده •

• العشرون • قوله فينظر الى مقعده من النار حتى تقوم الساعة والبدن قد تمزق وتلاشى وانما الذي يرى المقعدين الروح •

﴿ فصل ﴾

• الرابع والخمسون • حديث ابي موسى تخرج نفس المؤمن اطيب من ريح المسك فتنطلق بها الملائكة الذين يتوفونه فتلقاهم ملائكة من دون السماء فيقولون هذا فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت بمحاسن عمله فيقولون مرحبا بكم وبه فيقبضونه منهم فيصعد به من الباب الذي كان يصعد منه عمله فتشرق في السموات وهو كبرهان الشمس حتى ينتهي بها الى العرش واما الكافر فاذا قبض انطلق بروحه فيقولون من هذا فيقولون فلان ابن فلان كان يعمل كيت وكيت لمساوي اعماله فيقولون لا مرحبا لا مرحبا ردوه فيرد الى اسفل الارض الى الثرى ففيه عشرة ادلة • احدها • خروج نفسه • الثاني • طيب ريحها • الثالث • انطلاق الملائكة بها • الرابع • تحية الملائكة لها • الخامس • قبضهم لها • السادس • صعودهم بها • السابع • اشراق السموات لضوئها • الثامن • انتهاؤها الى العرش • التاسع • قول الملائكة من هذا وهذا سؤال عن عين وذات قائمة بنفسها • العاشر • قوله ردوه الى اسفل الارضين •

﴿ فصل ﴾

• الرابع والستون • حديث ابي هريرة اذا خرجت روح المؤمن تلقاها

ملكان

ملكان فيصعد الله الى السماء فيقول اهل السماء روح طيبة جاءت من قبل الارض صلى الله عليك وعلى جسد كنت تعمرينه وذكر المسك ثم يصعد به الى ربه عزوجل فيقول ردوه الى اخر الاجلين ففيه ستة ادلة * احدها * قوله يلقاه ملكان * الثاني * قوله فيصعد انه الى السماء * الثالث * قول الملائكة روح طيبة جاءت من قبل الارض * الرابع * صلاتهم عليها * الخامس * طيب ريحها * السادس * الصعود بها الى الله عز وجل *

فصل

* الحادى والسبعون * حديث ابي هريرة ان المؤمن تحضره الملائكة فاذا كان الرجل الصالح قالوا اخرجي ايتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب اخرجي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج فيعرج بها حتى ينتهي بها الى السماء فيستفتح لها فيقال من هذا فيقال فلان ابن فلان فيقال مرحبا بالنفس الطيبة كانت في الجسد الطيب ادخلي حميدة وابشري بروح وريحان ورب غير غضبان فلا يزال يقال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله عز وجل واذا كان الرجل السوء قال اخرجي ايتها النفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث اخرجي ذميمة وابشري بحميم وغساق واخر من شكله ازواج فلا يزال يقال لها حتى تخرج فينتهي بها الى السماء فيقال من هذا فيقال فلان ابن فلان فيقال لا مرحبا بالنفس الخبيثة كانت في الجسد الخبيث ارجعي ذميمة فانه لا تفتح لك ابواب السماء فترسل الى

الارض ثم تصير الى القبر • وهو حديث صحيح وفيه عشرة ادلة • احدها • قوله كانت في الجسد الطيب كانت في الجسد الخبيث فهنا حال ومحل • الثاني • قوله اخرجي حميدة • الثالث • قوله وابشري بروح وريحان فهذا بشارة بما تصير اليه بعد خروجها • الرابع • قوله فلا يزال ينال لها ذلك حتى ينتهي بها الى السماء • الخامس • قوله فيستفتح لها • السادس • قوله ادخلي حميدة • السابع • قوله حتى ينتهي بها الى السماء التي فيها الله تعالى • الثامن • قوله لنفس الفاجر ارجعي ذميمة • التاسع • قوله فانه لا تفتح لك ابواب السماء • العاشر • قوله فترسل الى الارض ثم تصير الى القبر •

﴿ فصل ﴾

• الحادي والثمانون • قوله صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف • فوصفها بانها جنود مجندة والجنود ذوات قائمة بنفسها ووصفها بالتعارف والتناكر ومحال ان تكون هذه الجنود اعراضا او تكون لا داخلة العالم ولا خارجه ولا بعض له ولا كل • الثاني والثمانون • قوله في حديث ابن مسعود وعلي الارواح تتلاقى وتتشام كما تشام الخيل وقد تقدم • الثالث والثمانون • قوله في حديث عبد الله بن عمرو ان ارواح المؤمنين تتلاقى على مسيرة يومين وما رأى احدهما صاحبه • الرابع والثمانون • الآثار التي ذكرناها في خلق ادم وان الروح لما دخل في رأسه عطس فقال الحمد لله فلما وصل الروح الى عينيه نظر الى ثمار الجنة فلما وصل الى جوفه اشتهى الطعام فوثب قبل ان

ان

قيام ينظرون وهذا معلوم بالضرورة ان الرسول اخبر به وان الله سبحانه
لا ينشئ لهم ارواحا غير ارواحهم التي كانت في الدنيا بل هي الارواح
التي اكتسبت الخير والشر انشأ ابدانها نشأة اخرى ثم ردها اليها
* الناسع والثمانون * ان الروح والجسد يختصمان بين يدي الرب
عز وجل يوم القيامة قال علي بن عبد العزيز ثنا احمد بن يونس ثنا ابو بكر
ابن عياش عن ابي سعيد البقال عن عكرمة عن ابن عباس قال ما تزال
الخصومة بين الناس يوم القيامة حتى يخاصم الروح الجسد فيقول الروح
يارب انما كنت روحا منك جعلتني في هذا الجسد فلا ذنب لي
ويقول الجسد يارب كنت جسدا خلقتني ودخل فيّ هذا الروح
مثل النار فبه كنت اقوم وبه كنت اقعد وبه اذهب وبه اجيء لا ذنب لي
قال فيقال انا اقضي بينكما اخبراني عن اعمى ومقعد دخلا حائطا فقال
المقعد للاعمى اني ارى ثمرا فلو كانت لي رجلان لتناولت فقال الاعمى انا
احملك على رقبتي فحمله فتناول من الثمر فأكلا جميعا فعلى من الذنب
قالا عليهما جميعا فقال قضيتما على انفسكما * التسعون * الاحاديث
والاثار الدالة على عذاب القبر ونعيمه الى يوم البعث فمعلوم ان الجسد
تلاشى واضمحل وان العذاب والنعيم المستمرين الى يوم القيامة انما هو على
الروح * الحادي والتسعون * اخبار الصادق المصدوق صلى الله عليه
وسلم في الحديث الصحيح عن الشهداء انهم لما سئلوا ما تريدون قالوا نريد
ان ترد ارواحنا في اجسادنا حتى نقتل فيك مرة اخرى فهذا سؤال وجواب

من

من ذات حية عالمة ناطقة تقبل الرد الى الدنيا والدخول فى اجساد
خرجت منها وهذه الارواح مثلت وهي تسرح في الجنة والاجساد
قد مزقها البلى * الثاني والتسعون * ماثبت من سلمان الفارسي وغيره من
الصحابة ان ارواح المؤمنين في برزخ تذهب حيث شاءت وارواح
الكفار في سجين وقد تقدم * الثالث والتسعون * رؤية النبي صلى الله عليه
وسلم لارواح الناس عن يمين ادم ويساره ليلة الاسراء فراها متحيزة
بمكان معين * الرابع والتسعون * رويته ارواح الانبياء في السموات
وسلامهم عليه وترحيبهم به كما اخبر به واما ابدانهم ففي الارض * الخامس
والتسعون * رويته ارواح الاطفال حول ابراهيم الخليل عليه السلام
* السادس والتسعون * رؤيته ارواح المعذبين في البرزخ بانواع العذاب
في حديث سمرة الذى رواه البخاري في صحيحه وقد تلاشت اجسادهم
واضمحلت وانما كان الذى راه ارواحهم ونسمهم يفعل بها ذلك * السابع
والتسعون * اخباره سبحانه عن الذين قتلوا في سبيله انهم احياء عند ربهم
يرزقون * وانهم فرحون مستبشرون باخوانهم وهذا للارواح قطعا
لان الابدان في التراب تنتظر عود ارواحها اليها يوم البعث * الثامن
والتسعون * ماتقدم من حديث ابن عباس ونحن نسوقه لنبين كم فيه من
دليل على بطلان قول الملاحدة واهل البدع في الروح وقد ذكرنا
اسناده فيما تقدم قال بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قاعد تلا
هذه الاية ولو ترى اذ الظالمون في غمرات الموت الاية ثم قال والذى نفس

محمد بيده ما من نفس تفارق الدنيا حتى ترى مقعدها من الجنة او النار
فاذا كان عند ذلك صف له سماطان من الملائكة ينتظمان ما بين الخافقين
كان وجوههم الشمس فينظر اليهم ما يرى غيرهم وان كنتم ترون انه ينظر
اليكم مع كل ملك منهم اكفان وحنوط فان كان مومنا بشروه بالجنة و قالوا
اخرجي ايتها النفس المطمئنة الى رضوان الله وجنته فقد اعد الله
لك من الكرامة ما هو خير لك من الدنيا وما فيها فلا يزالون يبشرونه
ويحفون به فلهم الطف به وارأف من الوالدة بولدها ثم يسلون روحه من تحت
كل ظفر و مفصل يموت الاول فالاول ويبرد كل عضو الاول فالاول
و يهون عليه وان كنتم ترونه شديدا حتى تبلغ ذقنه فلهي اشد كراهية
للخروج من الجسد من الولد حين يخرج من الرحم فيبتدرونها كل
ملك منهم ايهم يقبضها فيتولى قبضها ملك الموت ثم تلا رسول الله صلى الله
عليه و سلم قل يتوفاكم ملك الموت الذي وكل بكم ثم الى ربكم ترجعون *
فيتلقاها باكفان بيض ثم يحتضنها اليه فلهو اشد لزوما من المرأة لولدها
ثم يفوح منها ريح اطيب من المسك فيتشقون ريحها و يتباشرون بها
و يقولون مرحبا بالريح الطيبة و الروح الطيب اللهم صل عليه روحا
وصل على جسد خرجت منه قال فيصعدون بها فتفوح لهم ريح اطيب
من المسك فيصلون عليها و يتباشرون بها وتفتح لهم ابواب السماء و يصلى
عليها كل ملك في كل سماء تمر بهم حتى تنتهي بين يدى الجبار جل جلاله
فيقول الجبار عز و جل مرحبا بالنفس الطيبة ادخلوها الجنة و اروها

مقعدها من الجنة واعرضوا عليها ما اعددت لها من الكرامة والنعيم ثم اذهبوا بها الى الارض فاني قضيت اني منها خلقتهم وفيها اعيدهم ومنها اخرجهم تارة اخرى فوالذي نفس محمد بيده لهي اشد كراهية للخروج منها حين كانت تخرج من الجسد وتقول اين تذهبون بي الى ذلك الجسد الذي كنت فيه فيقولون انا مامورون بهذا فلا بد لك منه فيهبطون به على قدر فراغهم من غسله واكفانه فيدخلون ذلك الروح بين الجسد واكفانه * فتامل كم في هذا الحديث من موضع يشهد ببطلان قول المبطلين في الروح * التاسع والتسعون * ما ذكره عبد الرزاق عن معمر عن زيد بن اسلم عن عبد الرحمن بن البيلماني عن عبد الله بن عمر* قال اذا توفي المومن بعث اليه ملكان بريحان من الجنة وخرقة تقبض فيها فتخرج كاطيب رائحة وجدها احد قط بانفه حتى يوتى به الرحمن جل جلاله فتسجد الملائكة قبله وتسجد بعدهم ثم يدعى ميكائيل فيقال اذهب بهذه النفس فاجعلها مع انفس المومنين حتى اسئلك عنها يوم القيامة * وقد تظاهرت الاثار عن الصحابة ان روح المومن تسجد بين يدي العرش في وفاة النوم ووفاة الموت واما حين قدومها على الله فاحسن تحيتها ان تقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام وحدثني القاضي نور الدين بن الصائغ قال كانت لي خالة وكانت من الصالحات العابدات قال عدتها في مرض موتها فقالت لي الروح اذا قدمت على الله ووقفت بين يديه ما يكون تحيتها وقولها له قال فعظمت علي

* عبد الله بن عمرو

مسألتها وفكرت فيها ثم قلت تقول اللهم انت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والاكرام قال فلما توفيت رأيتها في المنام فقالت لي جزاك الله خيرا لقد دهشت فما ادري ما اقول ثم ذكرت تلك الكلمة التي قلت لي فقلتها ٭

٭ فصل ٭

٭ المائة ٭ ما قد اشترك في العلم به عامة اهل الارض من لقاء ارواح الموتى وسؤالهم لهم واخبارهم اياهم بامور خفيت عليهم فرأوها عيانا وهذا اكثر من ان يتكلف ايراده واعجب من هذا الوجه ٭ الحادي والمائة ٭ ان روح النائم يحصل لها في المنام آثار فتصبح تراها على البدن عيانا وهي من تأثير الروح في الروح كما ذكر القيرواني في (كتاب البستان) عن بعض السلف قال كان لي جار يشتم ابا بكر وعمر رضي الله عنهما فلما كان ذات يوم اكثر من شتمهما فتناولته وتناولني فانصرفت الى منزلي وانا مغموم حزين فنمت وتركت العشاء فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت يا رسول الله فلان يسب اصحابك قال من اصحابي قلت ابو بكر وعمر فقال خذ هذه المدية فاذبحه بها فاخذتها فاضجعته وذبحته ورأيت كأن يدي اصابها من دمه فالقيت المدية واهويت بيدي الى الارض لامسحها فانتبهت وانا اسمع الصراخ من نحو داره فقلت ما هذا الصراخ قالوا فلان مات فجأة فلما اصبحنا جئت فنظرت اليه فاذا خط

موضع الذبح * وفي (كتاب المنامات) لابن ابي الدنيا عن شيخ من قريش
قال رأيت رجلا بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه فسألته عن ذلك
فقال قد جعلت لله عليّ ان لا يسئلني احد عن ذلك الا اخبرته به كنت
شديد الوقيعة في علي بن ابي طالب رضي الله عنه فبينا انا ذات ليلة نائم اذ
اتاني ات في منامي فقال لي انت صاحب الوقيعة في فضرب شق وجهي
فاصبحت وشق وجهي اسود كما ترى * وذكر مسعدة عن هشام بن حسان
عن واصل مولى ابن عيينة عن موسى بن عبيدة عن صفية بنت شيبة
قالت كنت عند عائشة رضي الله عنها فاتتها امرأة مشتملة على يدها
فجعل النساء يولعن بها فقالت ما اتيتك الا من اجل يدي ان ابي كان
رجلا سمحا واني رأيت في المنام حياضا عليها رجال معهم انية يسقون
من اتاهم فرأيت ابي فقلت اين امي فقال انظري فنظرت فاذا امي ليس
عليها الا قطعة خرقة فقال انها لم تتصدق قط الا بتلك الخرقة وشحمة
من بقرة ذبحوها فتلك الشحمة تذاب وتطرف بها وهي تقول واعطشاه
قالت فاخذت اناء من الانية فسقيتها فنوديت من فوقي من سقاها
ايبس الله يده فاصبحت يدي كما ترين * وذكر الحارث بن اسد المحاسبي
واصبغ وخلف بن القاسم وجماعة عن سعيد بن مسلمة قال بينما امرأة
عند عائشة اذ قالت بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم على ان لا اشرك
بالله شيئا ولا اسرق ولا ازني ولا اقتل ولدي ولا آتي ببهتان افتريه
بين يدي ورجلي ولا اعصي في معروف فوفيت لربي ووفالي ربي

فو الله لا يعذ بني الله فاتاها في المنام ملك فقال لها كلا الك ثيرجين
وزينتك تبدين وخيرك تكندين وجارك تو ذين وزوجك تعصين
ثم وضع اصابعه الخمس على وجهها وقال خمس بخمس ولو زدت زدناك
فاصبحت واثر الاصابع في وجهها، وقال عبد الرحمن بن القاسم صاحب
مالك سمعت مالكا يقول ان يعقوب بن عبد الله بن الاشج كان من
خيار هذه الامة نام في اليوم الذي استشهد فيه فقال لاصحابه اني قد رأيت
امرا لاخبرنه اني رأيت كاني ادخلت الجنة فسقيت لبنا فاستقاء فقاء
اللبن واستشهد بعد ذلك قال ابو القاسم وكان في غزوة في البحر بموضع
لا لبن فيه وقد سمعت غير مالك يذكره ويذكر انه معروف فقال اني
رأيت كاني ادخل الجنة فسقيت فيها لبنا فقال له بعض القوم اقسمت
عليك لما تقيأت فقاء لبنا يصلد اي يبرق وما في السفينة لبن ولا شاة، قال
ابن قتيبة قوله يصلد اي يبرق يقال صلد اللبن يصلد ومنه حديث عمر
ان الطبيب سقاه لبنا فخرج من الطعنة ابيض يصلد، وكان نافع القارى
اذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك فقيل له كلما قعدت تتطيب فقال
ما امس طيبا ولا اقربه ولكن رأيت النبي صلى الله عليه وسلم في
المنام وهو يقرأ في فمي فمن ذلك الوقت يشم من فيّ هذه الرائحة، وذكر
مسعدة في كتابه في الرؤيا عن ربيع بن زيد الرقاشي قال اتاني رجلان
فقعد الي فاغتابا رجلا فنهيتهما فاتاني احدهما بعد فقال اني رأيت في المنام
كان زنجيا اتاني بطبق عليه جنب خنزير لم ار لحما قط اسمن منه

فقال لي كل فقلت اكل لحم خنازير فتمرد دني فاكلت فاصبحت وقد تغير في فلم يزل يجد الريح في فمه شهرين وكان العلاء بن زياد له وقت يقوم فيه فقال لاهله تلك الليلة اني اجد فترة فاذا كان وقت كذا فايقظوني فلم يفعلوا فقال فاتاني ات في منامي فقال قم يا علاء بن زياد اذكر الله يذكرك واخذ بشعرات في مقدم رأسي فقامت تلك الشعرات في مقدم رأسي فلم تزل قائمة حتى مات قال يحيى بن بسطام فلقد غسلناه يوم مات وانهن لقيام في رأسه وذكر ابن ابي الدنيا عن ابي حاتم الرازي عن محمد بن علي قال كنا بمكة في المسجد الحرام قعودا فقام رجل نصف وجهه اسود ونصفه ابيض فقال يا ايها الناس اعتبروا بي فاني كنت اتناول الشيخين واشتمهما فبينما انا ذات ليلة نائم اذ اتاني ات فرفع يده فلطم وجهي وقال لي يا عدو الله يا فاسق الست تسب ابابكر وعمر رضي الله عنهما فاصبحت وانا على هذه الحالة وقال محمد بن عبدالله المهلبي رأيت في المنام كاني في رحبة بني فلان واذا النبي صلى الله عليه وسلم جالس على اكمة ومعه ابوبكر وعمر واقف قدامه فقال له عمر يا رسول الله ان هذا يشتمني ويشتم ابابكر فقال جئ به يا ابا حفص فاتى برجل فاذا هو العماني وكان مشهورا بسبهما فقال له النبي صلى الله عليه وسلم اضجعه فاضجعه ثم قال اذبحه فذبحه قال فما نبهني الا صياحه فقلت مالي لا اخبره عسى ان يتوب فلما تقربت من منزله سمعت بكاء شديدا فقلت ما هذا البكاء فقالوا العماني ذبح البارحة على سريره قال فدنوت من عنقه فاذا من

٭ محمد بن عباد

اذ نه الى اذنه طريقة حمراء كالدم المعصود وقال القير واني اخبرني شيخ لنا من اهل الفضل قال اخبرني ابو الحسن المطلبي امام مسجد النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت بالمدينة عجباً كان رجل يسب ابابكر وعمر رضي الله عنهما فبينا نحن يوما من الايام بعد صلوة الصبح اذ اقبل رجل وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه فسألناه ما قصتك فقال رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلي بن يديه ومعه ابو بكر وعمر فقالا يارسول الله هذا الذي يوذينا ويسبنا فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم من امرك بهذا يا ابانيس فقلت له علي واشرت اليه فاقبل علي علي بوجهه ويده وقد ضم اصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بها الى عيني فقال ان كنت كذبت ففقأ الله عينيك وادخل اصبعيه في عيني فانتبهت من نومي وانا على هذه الحال فكان يبكي ويخبر الناس واعلن بالتوبة * قال القيرواني واخبرني شيخ من اهل الفضل قال اخبرني فقيه قال كان عندنا رجل يكثر الصوم ويسرده ولكنه كان يؤخر الفطر فرأى في المنام اسودين اخذا بضبعيه وثيابه الى تنور محمى ليلقياه فيه قال فقلت لهما على ماذا فقالا على خلافك لسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه امر بتعجيل الفطر وانت تؤخره قال فاصبح وجهه قد اسود من وهج النار فكان يمشي متبرقعاً في الناس * واعجب من هذا الرجل يرى في المنام وهو شديد العطش والجوع والالم ان غيره قد سقاه واطعمه او داواه بدواء فيستيقظ وقد زال

عنه ذلك كله وقد رأى الناس من هذا عجائب* وقد ذكر مالك عن ابي
الرجال عن عمرة عن عائشة ان جارية لها سحرتها وان سيدها دخل
عليها وهي مريضة فقال انك سحرت قالت ومن سحرني قال جارية في
حجرها صبي قد بال عليها فدعت جاريتها فقالت حتى اغسل بولا في
ثوبي فقالت لها اسحرتيني قالت نعم قالت وما دعاك الى ذلك قالت
اردت تعجيل العتق فامرت اخاها ان يبيعها من الاعراب ممن يسيء
ملكها فباعها ثم ان عائشة رأت في منامها ان اغتسلي من ثلاثة ابار يمد
بعضها بعضا فاستسقي لها فاغتسلت فبرأت* وكان سماك بن حرب قد ذهب
بصره فرأى ابراهيم الخليل في المنام فمسح على عينيه وقال اذهب الى
الفرات فانغمس فيه ثلاثا ففعل فابصر* وكان اسمعيل بن بلال الحضرمي
قد عمي فاتي في المنام فقيل له قل ياقريب يامجيب ياسميع الدعاء يالطيف
لما يشاء رد علي بصري فقال الليث بن سعد انا رأيته قد عمي ثم ابصره وقال
عبيد الله بن ابي جعفر اشتكيت شكوى فجهدت منها فكنت اقرأ اية
الكرسي فنمت فاذا رجلان قائمان بين يدي فقال احدهما لصاحبه انه
ليقرأ اية فيها ثلاثمائة وستون رحمة افلا يصيب هذا المسكين فيها رحمة
واحدة فاستيقظت فوجدت خفة* قال ابن ابي الدنيا اعتلت امرأة من
اهل الخير والصلاح بوجع المعدة فرأت في المنام قائلا يقول لها لا اله الا الله
الملك وشراب الورد فشربته فاذهب الله عنها ما كانت تجد قال وقالت ايضا
رأيت في المنام كاني اقول السناء والعسل وماء الحمص الاسود شفاء لوجع

الاوراك فلما استيقظت اتتني امرأة تشكو وجعا بوركها فوصفت لها ذلك فاستشفت به وقال جالينوس السبب الذي دعاني الى فصد العروق الضوارب اني امرت به في منامي مرتين قال كنت اذ ذاك غلاما قال واعرف انسانا شفاه الله من وجع كان به في جنبه بفصد العرق الضارب لرؤيا رآها في منامه * وقال ابن الخراز كنت اعالج رجلا ممعودا فغاب عني ثم لقيته فسألته عن حاله فقال رأيت في المنام انسانا في زي ناسك متوكئا على عصا وقف علي وقال انت رجل ممعود فقلت نعم فقال عليك بالكباء والجلنجبين فاصبحت فسألت عنهما فقيل لي الكباء المصطكى والجلنجبين الورد المربا بالعسل فاستعملتهما اياما فبرأت فقلت له ذلك جالينوس * والوقائع في هذا الباب اكثر من ان تذكر قال بعض الناس ان اصل الطب من المنامات ولا ريب ان كثيرا من اصوله مستند الى الرؤيا كما ان بعضها عن التجارب وبعضها عن القياس وبعضها عن الهام ومن اراد الوقوف على ذلك فلينظر في (تاريخ الاطباء) وفي (كتاب البستان للقيرواني) وغير ذلك *

فصل

* الوجه الثاني بعد المائة * قوله تعالى ان الذين كذبوا باياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم ابواب السماء * وهذا دليل على ان المؤمنين تفتح لهم ابواب السماء وهذا التفتيح هو تفتيحها لارواحهم عند الموت كما تقدم في الاحاديث المستفيضة ان السماء تفتح لروح المؤمن حتى ينتهي بها الى بين يدي الرب تعالى واما الكافر فلا تفتح لروحه ابواب السماء ولا تفتح

لجسده ابواب الجنة *

﴿ فصل ﴾

* الوجه الثالث بعد المائة * قول النبي صلى الله عليه وسلم يا بلال ما دخلت الجنة الا سمعت خشخشتك بين يدي فبم ذاك قال ما احدثت في ليل او نهار الا توضأت وصليت ركعتين قال بهما * ومعلوم ان الذى سمع خشخشته بين يديه هو روح بلال والا فجسده لم ينقل الى الجنة * الوجه الرابع بعد المائة * الاحاديث والآثار التى فى زيارة القبور والسلام على اهلها ومخاطبتهم والاخبار عن معرفتهم بزوارهم وردهم عليهم السلام وقد تقدمت الاشارة اليها * الوجه الخامس بعد المائة * حكاية كثير من ارواح الموتى الى اقاربهم وغيرهم امورا مرئية فيجدونها كما شكوه فيزيلونها * الوجه السادس بعد المائة * لو كانت الروح عبارة عن عرض من اعراض البدن او جوهر مجرد ليس بجسم ولا حال فيه لكان قول القائل خرجت وذهبت وقمت وجئت وقعدت وتحركت ودخلت ورجعت ونحو ذلك كله اقوالا باطلة لان هذه الصفات ممتنعة الثبوت فى حق الاعراض والمجردات وكل عاقل يعلم صدق قوله وقول غيره ذلك فالقدح فى ذلك القدح في اظهر المعلومات فهو من باب السفسطة * لا يقال * حاصل هذا الدليل التمسك بالفاظ الناس واطلاقاتهم وهي تحمل الحقيقة والمجاز فلعل مرادهم دخل جسمي وخرج * لانا * انما استدللنا بشهادة العقل والفطرة بمعاني هذه الالفاظ فكل احد يشهد

عقله و حسه بانه هو الذى دخل وخرج و انتقل لا عبر د بدنه فشهادة الحس
والعقل بمعاني هذه الالفاظ و اضافتها الى الروح اصلا و الى البدن تبعا من
اصدق الشهادات والاعتماد على ذلك لا على مجرد الاطلاق اللفظى ٭ الوجه
السابع بعد المائة ٭ ان البدن مركب ومحل لتصرف النفس فكان دخول
البدن وخروجه وانتقاله جار يامجرى دخول مركبه من فرسه ودابته فلو
كانت النفس غير قابلة للدخول والخروج والانتقال والحركة والسكون
لكان ذلك بمنزلة دخول مركب الانسان الى الدار وخروجه منها دون
دخوله هو وهذا معلوم البطلان بالضرورة وكل احد يعلم ان نفسه وروحه هي
التى دخلت وخرجت وانتقلت و صرفت البدن و جملته فمعاني
الدخول و الخروج فهولها بالاصل و للبدن بالتبع لكنه للبدن بالمشاهدة
و للروح بالعلم والعقل ٭ الوجه الثامن بعد المائة ٭ ان النفس لو كانت كما
يقوله من يقول انها عرض لكان الانسان كل وقت قد يبدل مائة الف
نفس او اكثر والانسان انما هو انسان بروحه و نفسه لا ببدنه وكان
الانسان الذي هو الانسان غير الذى هو قبله بلحظة و بعده بلحظة وهذا
من نوع الهوس ولو كانت الروح مجردة و تعلقها بالبدن بالتدبير فقط
لا بالمساكنة والمداخلة لم يمتنع ان ينقطع تعلقها بهذا البدن وتتعلق بغيره
كما يجوز انقطاع تدبير المدبر لبيت او مدينة عنها و يتعلق بتدبير غيرها
وعلى هذا التدبير فنصير شاكين في ان هذه النفس التى لزيد هي النفس
الاولى اوغيرها وهل زيد هو ذلك الرجل ام غيره وعاقل لا يجوز ذلك

فلو كانت الروح عرضا او امرا مجردا لحصل الشك المذكور * الوجه التاسع بعد المائة * ان كل احد يقطع ان نفسه موصوفة بالعلم والفكر والحب والبغض والرضاء والسخط وغيرها من الاحوال النفسانية و يعلم ان الموصوفات بذلك ليس عرضا من اعراض بدنه ولا جوهرا مجردا منفصلا عن بدنه غير مجاور له ويقطع ضرورة بان هذه الادراكات لامر داخل فى بدنه كما يقطع بانه اذا سمع وابصر وشم وذاق ولمس وتحرك وسكن فتلك امور قائمة به مضافة الى نفسه وان جوهر النفس هو الذى قام به ذلك كله لم يقم بمجرد ولا بعرض بل قام بمتحيز داخل العالم منتقل من مكان الى مكان يتحرك ويسكن ويخرج ويدخل وليس الا هذا البدن والجسم السارى فيه المشابك له الذي لولاه لكان بمنزلة الجماد * الوجه العاشر بعد المائة * ان النفس لو كانت مجردة وتعلقها بالبدن تعلق التدبير فقط كتعلق الملاح بالسفينة والجمال بجمله لامكنها ترك تدبير هذا البدن واشتغالها بتدبير بدن اخر كما يمكن الملاح والجمال ذلك وفى ذلك تجويز نقل النفوس من ابدان الى ابدان * ولا يقال * ان النفس اتحدت ببدنها فامتنع عليها الانتقال او انها عاشق طبيعي وشوق ذاتى الى تدبير هذا البدن فلهذا السبب امتنع انتقالها * لانا نقول * اتحاد ما لا يتحيز بالمتحيز محال ولانها لو اتحدت به لبطلت ببطلانه ولانها بعد الاتحاد ان بقيا فهما اثنان لا واحد وان عدما معا وحدث ثالث فليس من الاتحاد في شيء وان بقى احدهما وعدم الاخر فليس باتحاد ايضا واما عشق النفس الطبيعي للبدن

فالنفس انما تشتقه لانها تتناول اللذات بواسطة ادراكات الابدان
متسارعة في حصول مشتهياتها كانت نسبتها اليها على السواء فلو لكم ان
النفس المبنية عاشقة لبدن المعين باطل ومثل ذلك العطشان اذا صادف
آنية متساوية كل منها يحصل غرضه امتنع عليه ان يشتق واحدا منها
بعينه دون سائرها • الوجه الحادي عشر بعد المائة • ان نفس الانسان لو
كانت جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه ولا متصلة بالعالم
ولا منفصلة عنه ولا مباينة له ولا محايثة لكان يعلم بالضرورة انه موجود
بهذه الصفة لان علم الانسان بنفسه وصفاتها اظهر من كل معلوم وان
علمه بما عداه تابع لعلمه بنفسه ومعلوم قطعا ان ذلك باطل فان جماهير
اهل الارض يعلمون ان اثبات هذا الموجود محال في العقول شاهدا
وغائبا فمن قال ذلك في نفسه وربه فلا نفسه عرف ولا ربه عرف
• الوجه الثاني عشر بعد المائة • ان هذا البدن الشاهد محل لجميع صفات
النفس وادراكاتها الكلية والجزئية ومحل للقدرة على الحركات الارادية
فوجب ان يكون الحامل لتلك الادراكات والصفات هو البدن
وما سكن فيه اما ان يكون محلها جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه
فباطل بالضرورة • الوجه الثالث عشر بعد المائة • ان النفس لو كانت
مجردة عن الجسمية والتحيز لامتنع ان يتوقف فعلها على مماسة محل الفعل
لان ما لا يكون متحيزا يمتنع ان يصير مماسا للمتحيز ولو كان الامر كذلك
لكان فعلها على سبيل الاختراع من غير حاجة الى حصول مماسة وملاقاة

بين الفاعل و بين محل الفعل فكان الواحدمنا يقدرعلى تحريك الاجسام
من غيران يماسها او يماس شيئا يماسها فان النفس عندكم كما كانت قادرة
على تحريك البدن من غيران يكون بينها و بينه مماسة كذلك
لا تمتنع قدرتها على تحريك جسم غيره من غير مماسة له و لا لما يماسه
و ذلك باطل بالضرورة نعلم ان النفس لا تقوى على التحريك الا بشرط
ان تماس محل الحركة او تماس ما يماسه و كل ما كان مماسا للجسم او لما يماسه
فهو جسم *فان قيل* يجوز ان يكون تاثير النفس في تحريك بدنها الخاص
غير مشروط بالمماسة و تاثيرها في تحريك غيره موقوف على حصول
المماسة بين بدنها و بين ذلك الجسم *فالجواب* انه لما كان قبول البدن
لتصرفات النفس لا يتوقف على حصول المماسة بين النفس و بين البدن
وجب ان تكون الحال كذلك في غيره من الاجسام لان الاجسام متساوية
في قبول الحركة و نسبة النفس الى جميعها سواء لانها اذا كانت مجردة عن
الجسمية و علائق الجسمية كانت نسبة ذاتها الى الكل بالسوية و متى كانت
ذات الفاعل نسبتها الى الكل بالسوية والقوابل نسبتها الى ذلك الفاعل
بالسوية كان التاثير بالنسبة الى الكل على السواء فاذا استغنى الفاعل عن
مماسة محل الفعل في حق البعض وجب ان يستغنى في حق الجميع وان افتقر الى
المماسة في البعض وجب افتقاره في الجميع *فان قيل* النفس عاشقة لهذا
البدن دون غيره فكان تاثيرها فيه اقوى من تاثيرها في غيره *قيل* هذا
العشق الشديد يقتضي ان يكون تعلقها بالبدن اكثر و تصرفها فيه اقوى

واما ان يتغير مقتضى ذاتها بالنسبة الى هذه الاجسام فذلك محال وهذا
دليل في غاية القوة * الوجه الرابع عشر بعد المائة * ان العقلاء كلهم متفقون
على ان الانسان هو هذا الحي الناطق المتغذي النامي الحساس المتحرك
بالارادة وهذه الصفات نوعان صفات لبدنه وصفات لروحه ونفسه
الناطقة فلو كانت الروح جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا
خارجه ولا متصلة به ولا منفصلة عنه لكان الانسان لا داخل العالم
ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه او كان بعضه في العالم وبعضه
لا داخل العالم ولا خارجه وكل عاقل يعلم بالضرورة بطلان ذلك
وان الانسان بجملته داخل العالم بدنه وروحه وهذا في البطلان
ايضا في قول من قال ان نفسه قديمة غير مخلوقة فجعلوا نصف الانسان مخلوقا
ونصفه غير مخلوق * فان قيل * نحن نسلم ان الانسان كما ذكرتم الا انا نثبت
جوهرا مجردا يدبر الانسان الموصوف بهذه الصفات فقلنا فذلك
الجوهر الذي اثبتموه مغاير للانسان او هو حقيقة الانسان ولا بد
لكم من احد الامرين * فان قلتم * هو غير الانسان رجع كلامكم الى انكم اثبتم
للانسان مدبرا غيره سميتموه نفسا وكلامنا الآن انما هو في حقيقة الانسان
لا في مدبره فان مدبر الانسان وجميع العالم العلوي والسفلي هو الله الواحد
القهار * الوجه الخامس عشر بعد المائة * ان كل عاقل اذا قيل له ما الانسان
فانه يشير الى هذه البنية وما قام بها لا يخطر بباله امر مغاير لها مجرد ليس
في العالم ولا خارجه والعلم بذلك ضروري لا يقبل شكا ولا تشكيكا

الوجه السادس عشر بعد المائة ان عقول العالمين قاضية بان الخطاب متوجه الى هذه البنية و اقام بها و ساكنها و كذلك المدح و الذم و الثواب و العقاب و الترغيب و الترهيب و لو ان رجلا قال المامور و المنهي و الممدوح و المذموم و المخاطب و العاقل جوهر مجرد ليس في العالم و لا خارجه و لا متصل به و لا منفصل عنه لاضحك العقلاء على عقله و لاطبقوا على تكذيبه و كل ما شهدت بداهة العقول و صرائحها ببطلانه كان الاستدلال على ثبوته استدلالا على صحة وجود المحال و بالله التوفيق *

﴿فصل﴾

فان قيل قد ذكرتم الادلة الدالة على جسميتها و تحيزها فما جوابكم عن ادلة المنازعين لكم في ذلك فانهم استدلوا بوجوه *احدها* اتفاق العقلاء على قولهم الروح و الجسم و النفس و الجسم فيجعلونها شيئا غير الجسم فلو كانت جسما لم يكن لهذا القول معنى *الثاني* و هو اقوى ما يحتجون به انه من المعلوم ان في الوجود ذات ما هو غير قابل للقسمة كالنقطة و الجوهر الفرد بل ذات واجب الوجود فوجب ان يكون العلم بذلك غير قابل للقسمة فوجب ان يكون الموصوف بذلك العلم و هو محله غير قابل للقسمة و هو النفس فلو كانت جسما لكانت قابلة للقسمة و يتقرر هذا الدليل على وجه آخر و هو ان محل العلوم الكلية لو كان جسما او جسمانيا لانقسمت تلك العلوم لان الحال في المنقسم منقسم و انقسام تلك العلوم مستحيل *الثالث* ان الصور العقلية الكلية مجردة بلا شك و تجردها اما ان يكون بسبب

﴿فصل في بيان ادلة المنازعين لجسمية الروح و تحيزها﴾

الماخوذ عنه او بسبب الاخذ والاول باطل لان هذه الصور انما اخذت عن الاشخاص الموصوفة بالمقادير المختلفة والاوضاع المعينة فثبت ان تجرد هالانماهو بسبب الاخذ لها والقوة العقلية المسماة بالنفس * الرابع * ان القوة العاقلة تقوى على افعال غير متناهية فانها تقوى على ادراكات لا تتناهي والقوة الجسمانية لا تقوى على افعال غير متناهية لان القوة الجسمانية تنقسم بانقسام محلها فالذي يقوى عليه بعضها يجب ان يكون اقل من الذى يقوى عليه الكل فالذي يقوى عليه الكل يزيد على الذى يقوى عليه البعض اضعافا متناهية والزائد على المتناهي بمتناه متناه * الخامس * ان القوة العاقلة لو كانت حالة فى آلة جسمانية لوجب ان تكون القوة العاقلة دائمة الادراك لتلك الآلة او ممتنعة الادراك لها بالكلية وكلاهما باطل لان ادراك القوة العاقلة لتلك الآلة ان كان عين وجودها فهو محال وان كان صورة مساوية لوجودها وهى حالة في القوة العقلية الحالة فى تلك الآلة لزم اجتماع صورتين متماثلين وهو محال واذ ابطل هذا ثبت ان القوة العاقلة لو ادركت آلتها لكان ادراكها عبارة عن نفس حصول تلك الآلة عند القوة العاقلة فيجب حصول الادراك دائما ان كفى هذا القدر فى حصول الادراك وان لم يكف امتنع حصول الادراك في وقت من الاوقات اذ لو حصل في وقت دون وقت لكان بسبب امر زائد على مجرد حضور صورة الآلة * السادس * ان كل احد يدرك نفسه وادراك الشئ عبارة عن حضور ماهية المعلوم عند العالم فاذا علمنا انفسنا

فهو اما ان يكون لاجل حضور ذواتها لذواتها اولاجل حضور صورة
مساوية لذواتها في ذواتها والقسم الثاني باطل والالزم اجتماع المثلين
فثبت انه لامعنى لعلمنا بذاتنا الاحضور ذاتنا عندذاتنا وهذا انما يكون اذا
كانت ذاتا قائمة بالنفس غنية عن المحل لانها لوكانت حالة في محل كانت
حاضرة عند ذلك المحل فثبت ان هذا المعنى انما يحصل اذا كانت النفس
قائمة بنفسها غنية عن محل تحل فيه * السابع * ما احتج به ابوالبركات
البغدادي وابطل ماسواه فقال لاشك ان الواحد منا يمكنه ان يتخيل
بحرامن زيبق وجبلامن ياقوت وشموسا واقمارا فهذه الصور الخيالية
لاتكون معدومة لان قوة المتخيل تشير الى تلك الصور وتميز بين كل
صورة وغيرها وقديقوى ذلك التخيل الى ان يصير كالمشاهد المحسوس
ومعلوم ان العدم المحض والنفي الصرف لايثبت فيه ذلك ونحن
نعلم بالضرورة ان هذه الصور ليست موجودة في الاعيان فثبت انها
موجودة في الاذهان فنقول محل هذه الصورة اما ان يكون جسما
اوحالا في الجسم اولاجسما ولاحالا في الجسم والقسمان الاولان باطلان
لان صورة البحر والجبل صورة عظيمة والدماغ والقلب جسم صغير
وانطباع العظيم في الصغير محال فثبت ان محل هذه الصورة الخيالية
ليس بجسم ولاجسماني * الثامن * لوكانت القوة العقلية جسدانية
لضعفت في زمان الشيخوخة دائما وليس كذلك * التاسع * ان القوة
العقلية غنية في افعالها عن الجسم وماكان غنيا في فعله عن الجسم وجب ان

يكون غنياً في ذاته عن الجسم * بيان الاول * القوة العقلية تدرك نفسها ومن المحال ان يحصل بينها وبين نفسها آلة متوسطة ايضاً وتدرك ادراكها لنفسها و ليس هذا الادراك بآلة وايضاً فانها تدرك الجسم الذي هو آلتها وليس بينها وبين آلتها آلة اخرى * و بيان الثاني * من وجهين * احدهما * ان القوى الجسمانية كالناظرة والسامعة والخيال والوهم لما كانت جسمانية يقدر عليها ادراك ذواتها وادراكها لكونها مدركة لذواتها وادراكها لتلك الاجسام الحاملة لها فلو كانت القوة العاقلة جسمانية لتعذر عليها هذه الامور الثلاثة * الثاني * ان مصدر الفعل هو النفس فلو كانت النفس متعلقة في قوامها ووجودها بالجسم لم تحصل تلك الافعال الا بشركة من الجسم لما ثبت انه ليس كذلك ثبت ان القوة العقلية غنية عن الجسم * العاشر * ان القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولا تقوى على القوي بعد الضعف وسببه ظاهر فان القوى الجسمانية بسبب من اولة الافعال تعرض موادها للتحلل والذبول وهو يوجب الضعف واما القوة العقلية فانها لا تضعف بسبب كثرة الافعال و تقوى على القوي بعد الضعيف فوجب ان لا تكون جسمانية * الحادي عشر * انا اذا حكمنا بان السواد مضاد للبياض وجب ان يحصل في الذهن ماهية السواد والبياض والبداهة حاكمة بان اجتماع السواد و البياض و الحرارة و البرودة في الاجسام محال فلما حصل هذا الاجتماع في القوة العقلية وجب ان لا تكون قوة جسمانية * الثاني عشر * انه لو كان محل الادراكات جسماً لكل جسم منقسم لا محالة لم يمتنع ان يقوم ببعض اجزاء الجسم

علم بالشئ و بالبعض الاخر منه جهل وحينئذ فيكون الانسان في الحال الواحد عالما بالشئ وجاهلا به * الثالث عشر ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نقوش مخصوصة فان وجود تلك النقوش فيها يمنع من حصول نقوش غيرها واما النقوش العقلية فبالضد من ذلك لان النفس اذا كانت خالية من جميع العلوم والادراكات فانه يصعب عليها التعلم فاذا تعلمت شيئا صار حصول تلك العلوم معينا على سهولة غيرها فالنقوش الجسمانية متغايرة متنافية والنقوش العقلية متعاونة متعاضدة * الرابع عشر ان النفس لو كانت جسما لكان بين ارادة العبد تحريك رجله وبين تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله فان النفس هي المحركة للجسد والممهدة لحركته فلو كان المحرك للرجل جسما فاما ان يكون حاصلا في هذه الاعضاء او جائيا اليها فان كان جائيا احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العضلة التي تكون بها الحركة لم يبق منها في العضو المتحرك شئ فلو كان ذلك المتحرك حاصلا فيه لبقي منه شئ في ذلك العضو * الخامس عشر لو كانت النفس جسما لكانت منقسمة ولصح عليها ان يعلم بعضها كما يعلم كلها فيكون الانسان عالما ببعض نفسه جاهلا بالبعض الاخر وذلك محال * السادس عشر لو كانت النفس جسما لوجب ان يثقل البدن بدخولها فيه لان شان الجسم الفارغ اذا ملأه غيره ان يثقل به كالزق الفارغ والامر بالعكس فاخف ما يكون البدن اذا كانت فيه النفس واثقل ما يكون اذا فارقته * السابع عشر لو كانت النفس جسما لكانت على صفات سائر الاجسام التي لا تخلو

شيء منها من الخفة والثقل والحرارة والبرودة والنعومة والخشونة او السواد والبياض وغير ذلك من صفات الاجسام وكيفياتها ومعلوم ان الكيفيات النفسانية انما هي الفضائل والرذائل لا تلك الكيفيات الجسمانية فالنفس ليست جسما * الثامن عشر * انها لو كانت جسما لوجب ان يقع تحت جميع الحواس او تحت حاسة منها او حاستين او اكثر فانا نرى الاجسام كذلك منها ما يدرك بجميع الحواس ومنها ما يدرك باكثرها ومنها ما يدرك بحاستين منها او واحدة والنفس بريئة من ذلك كله وهذه الحجة التي احتج بها جهم على طائفة من الملاحدة حين انكروا الخالق سبحانه وقالوا لو كان موجودا لوجب ان يدرك بحاسة من الحواس فعارضهم بالنفس واني تتم المعارضة اذا كانت جسما والا لو كانت جسما لجاز ادراكها ببعض الحواس * التاسع عشر * لو كانت جسما لكانت ذات طول وعرض وعمق وسطح وشكل وهذه المقادير والابعاد لا تقوم الا بمادة ومحل فان كانت مادتها ومحلها نفسا لزم اجتماع نفسين وان كان غير نفس كانت النفس مركبة من بدن وصورة وهي في جسد مركب من بدن وصورة فيكون الانسان انسانين * العشرون * ان من خاصة الجسم ان يقبل التجزي والجزء الصغير منه ليس كالكبير ولو قبلت التجزي فكل جزء منها ان كان نفسا لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة لا نفس واحدة وان لم يكن نفسا لم يكن المجموع نفسا كما ان جزء الماء ان لم يكن ماء لم يكن مجموعه ماء * الحادي والعشرون * ان الجسم محتاج في قوامه وحفظه وبقائه الى

النفس ولهذا يضمحل و يتلاشى لمانفارقه فلوكانت جسما لكانت محتاجة الى نفس اخرى وهلم جرا و يتسلسل الامر وهذا المحال الازم من كون النفس جسما ٭الثاني والمشرون٭ لوكانت جسما لكان اتصالها بالجسم ان كان على سبيل المداخلة لزم تداخل الاجسام وان كان على سبيل الملاصقة والمجاورة كان الانسان الواحد جسمين متلاصقين احدهما يرى و الاخر لايرى فهذا كل ما موهت به هذه الطائفة المبطلة من منخنقة وموقوذة ومتردية ونحن نجيبهم عن ذلك كله فصلا بفصل بحول الله وقوته ومعونته٭

﴿ فصل ﴾

٭فاما قولهم٭ان العقلاء متفقون على قولهم الروح والجسم والنفس والجسم وهذا يدل على تغايرهما٭ فالجواب٭ان يقال ان مسمى الجسم في اصطلاح المتفلسفة والمتكلمين اعم من مسماه في لغة العرب و عرف اهل العرف فان الفلاسفة يطلقون الجسم على قابل الابعاد الثلاثة خفيفا كان او ثقيلا مرئيا كان اوغير مرئي فيسمون الهواء جسما والنار جسما والماء جسما و كذلك الدخان و البخار والكوكب ولا يعرف في لغة العرب تسمية شئ من ذلك جسما البتة فهذه لغتهم واشعارهم وهذه النقول عنهم في كتاب اللغة قال الجوهري قال ابوزيد الجسم الجسد وكذلك الجسمان والجثمان٭ قال الاصمعي الجسم والجسمان الجسد والجثمان الشخص وقد جسم الشئ اى عظم فهوعظيم جسيم وجسام بالضم ونحن

﴿ فصل في ترديد الشبهة الاولى للمانعين من جسمية الروح والنفس ﴾

اذا سمينا النفس جسما فانما هو باصطلاحهم وعرف خطابهم والا فليست جسما باعتبار وضع اللغة ومقصودنا بكونها جسما اثبات الصفات والافعال والاحكام التي دل عليها الشرع والعقل والحس من الحركة والانتقال والصعود والنزول ومباشرة النعيم والعذاب واللذة والالم وكونها تحبس او ترسل وتقبض وتدخل وتخرج فلذلك اطلقنا عليها اسم الجسم تحقيقا لهذه المعاني وان لم يطلق عليها اهل اللغة اسم الجسم فالكلام مع هذه الفرقة المبطلة في المعنى لا في اللفظ فنقول اهل الكتاب الروح والجسم هو بهذا المعنى *

﴿ فصل ﴾

فصل في رد الشبهة الثانية

واما الشبهة الثانية فهي اقوى شبههم التي بها يصولون وعليها يعولون وهي مبنية على اربع مقدمات * احدها * ان في الوجود ما لا يقبل القسمة بوجه من الوجوه * الثانية * انه يمكن العلم به * الثالثة * ان العلم به غير منقسم * الرابعة * انه يجب ان يكون محل العلم به كذلك اذ لو كان جسما لكان منقسما وقد نازعهم في ذلك جمهور العقلاء وقالوا لم تقيموا دليلا على ان في الوجود ما لا يقبل القسمة الحسية ولا الوهمية وانما بايديكم دعاو لا حقيقة لها وانما اثبتموه من واجب الوجود وهو بناء على اصلكم الباطل عند جميع العقلاء من اهل الملل وغيرهم من انكار ماهية الرب تعالى وصفاته وانه وجود مجرد لا صفة له ولا ماهية وهذا قول باينتم به المعقول وجميع الكتب المنزلة من السماء

واجماع الرسل ونفيتم به علم الله وقدرته ومشيته وسمعه وبصره وعلوه على خلقه ونفيتم به خلق السموات والارض في ستة ايام وسميتموه توحيدا وهو اصل كل تعطيل قالوا والنقطة التى استدللتم بها في من اظهر ما يبطل دليلكم فانها غير منقسمة وهي حالة في الجسم المنقسم فقد حل في المنقسم ماليس بمنقسم ثم ان مثبتى الجوهر الفرد وهم جمهور المتكلمين ينازعونكم في هذا الاصل ويقولون الجوهر حال في الجسم بل هو مركب منه فقد حل في المنقسم ماليس بمنقسم ولا يمكن تتميم دليلكم الابنفي الجوهر الفرد فان قلتم النقطة عبارة عن نهاية الخط وفنائه وعدمه فهى امر عدمى بطل استدلالكم بها وان كانت امرا وجوديا فقد حلت في المنقسم فبطل الدليل على التقديرين* قالوا وايضا فلم لا يكون العلم حالا في محله لاعلى وجه التوع والسريان فان حلول كل شئ في محله بحسبه فحلول الحيوان فى الدار نوع وحلول العرض فى الجسم نوع وحلول الخط فى الكتاب نوع وحلول الدهن في السمسم نوع وحلول الجسم في المرض نوع وحلول الروح فى البدن نوع وحلول العلوم والمعارف في النفس نوع* قالوا وايضا فالوحدة حاصلة فان كانت جوهرا فقد ثبت الجوهر الفرد وبطل دليلكم فانه لايتم الا بنفيه وان كان عرضا وجب ان يكون لها محل فمحلها ان كان منقسما فقد جاز قيام غير المنقسم بالمنقسم وان كان غير منقسم فهو الجوهر وبطل الدليل* فان قلتم الوحدة امر عدمى لا وجود له في الخارج فكذلك ما اثبتم به وجود

ما لا ينقسم كم [illegible] لا وجود له في الخارج [illegible]
الموجود له قد اثبتوه امر محقق في الخارج [illegible] الموجود له الى ان قالوا وايضا
والاضافات عارضة للاشياء مثل الابوة والبنوة والمالكية والمملوكية
مع انقسام المحال انقسام [illegible] لزم انقسام هذه الاضافات فيلزم ان
يكون نصف الابوة والبنوة ونصف [illegible] وهذا لا يقبله العقل ولو ان
القوة الوهمية والمتكبرة [illegible] لزم ان يحصل
لها [illegible] وذلك محال لانها لو انقسمت لكان كل واحد من
[illegible] كان منها كان الجزء مساويا للكل وان لم يكن منها الكل
تحت الاخر كذلك وايضا فان الوهم لا [illegible] الا كونه [illegible] واحد
وهو [illegible] كذلك لا يقبل القسمة ولو ان الوجود امر زائد على
الماهيات [illegible] فلو لزم انقسام الحال لانقسام محله لزم انقسام ذلك
الوجود بانقسام محله وهذا الوجه لا يلزم من جعل وجود الشي غير
ماهيته ولو [illegible] الاعداد ماهيات محصلة فالمفهوم من كون
العشرة عشرة مفهوم واحد وماهية واحدة فتلك الماهية اما ان تكون
عارضة لكل واحد من تلك الاحاد وهو محال واما ان ينقسم بانقسام
تلك الاحاد وهو محال لان المفهوم من كون العشرة عشرة لا يقبل القسمة
من العشرة فلا تقبل القسمة الا [illegible] ما لا ينقسم بالمنقسم
ولو [illegible] الكيفيات المختصة بالكميات كالاستدارة والتقوس
وغيرها عند الفلاسفة اعراض موجودة في [illegible] الاستدارة ان كانت

عرضا

عرضافاماان تكون بتمامه قائما و اماان تكون بكل واحدمن الاجزاء وهو محال و اماان ينقسم ذلك العرض بانقسام الاجزاء و يقوم بكل جزء من اجزاء الخط جزء من اجزاء ذلك العرض وهو محال لان جزءه ان كان استدارة لزم ان يكون جزء الدائرة دائرة وان لم يكن استدارة فعند اجتماع الاجزاء ان لم يحدث امر زائد وجب ان لاتحصل الاستدارة وان حدث امرزائدفان كان منقسماعادالتقسيم وان لم ينقسم كان الحال غير منقسم ومحله منقسما قلت وهذ الايلزمهم فان لهم ان يقولوا ينقسم بانقسام محله تبعا له كسائرالاعراض القائمة بمحالها من البياض والسواد واما ما لا ينقسم كالطول فشرط حصوله اجتماع الاجزاء و المعلق على الشرط منتف بانتفائه قالوا ان هذه الاجسام ممكنة بذواتها وذلك صفة عرضية لهاخارجة عن ماهيتها فان لم تنقسم بانقسام محلها بطل الدليل وان انقسمت عاد المحذور المذكور من مساواة الجزء للكل و التسلسل * قلت * وهذا ايضا لايلزمهم لان الامكان ليس امرا يدل على قبول الممكن للوجود والعدم وذلك القبول من لوازم ذاته ليس صفة عارضة له و لكن الذهن يجرد هذا القبول عن القابل فيكون عروضه للماهية بتجريد الذهن واما قضية مشاركة الجزء للكل فلا امتناع في ذلك كسائر الماهيات البسيطة فان جزءها مساو لكلها في الحد والحقيقة كالماء والتراب والهواء و انما الممتنع ان يساوي الجزء للكل في الكم لا في نفس الحقيقة والمعول في ابطال هذه الشبهة على ان العلم ليس

بصورة حالة في النفس وانما هو نسبة واضافة بين العلم والمعلوم كما نقول في الابصار انه ليس بانطباع صورة مساوية للمبصر في القوة الباصرة وانما هو نسبة واضافة بين القوة الباصرة والمبصر وعامة شبههم التي اوردوها في هذا الفصل مبنية على انطباع صورة المعلوم في القوة العاقلة ثم بنوا على ذلك ان انقسام مالا ينقسم في المنقسم محال وقولهم محل العلوم الكلية لو كان جسما او جسمانيا لانقسمت تلك العلوم لان الحال في المنقسم منقسم لم يذكروا على صحة هذه المقدمة دليلا ولا شبهة وانما يدعيهم مجرد الدعوى وليست بديهية حتى تستغني عن الدليل وهي مبنية على ان العلم بالشئ عبارة عن حصول صورة مساوية لماهية المعلوم في نفس العالم وهذا من ابطل الباطل للوجوه التي نذكرها هناك وايضا فلو سلمنا لكم ذلك كان من اظهر الادلة على بطلان قولكم فان هذه الصورة اذا كانت حالة في جوهر النفس الناطقة فهي صورة جزئية حالة في نفس جزئية تقارنها سائر الاعراض الحالة في تلك النفس الجزئية فاذا اعتبرنا تلك الصورة مع جملة هذه اللواحق لم تكن صورة مجردة بل مقرونة بلواحق وعوارض وذلك يمنع كليتها فان قلتم المراد بكونها كلية انا اذا حذفنا عنها تلك اللواحق واعتبرناها من حيث هي هي كانت كلية قلنا لكم فاذا جاز هذا فلم لا يجوز ان يقال هذه الصورة حالة في مادة جسمانية متصفة بمقدار معين وبشكل معين الا انا اذا حذفنا عنها ذلك واعتبرناها من حيث هي هي كانت بمنزلة تلك الصورة التي قلتموها

ذلك فالمعين في مقابلة المبين و المطلق الماخوذ من حيث هو هو في مقابلة
مه له المطلق وهذا هو المعقول الذى شهدت به العقول الصحيحة
والميزان الصحيح فظهر ان هذه الشبهة من افسد الشبه وابطلها وانما اتى
القوم من الكليات فانها هي التى خربت دورهم و افسدت نظرهم
و مناظرهم فانهم جردوا امورا كلية لا وجود لها في الخارج ثم حكموا
عليها باحكام الموجودات وجعلوها ميزانا و اصلا للموجودات فاذا
جردوا صور المعلومات و جعلوها كلية جردنا نحن محالها وجعلناه كليا وان
احدث جزئية معينة فجعلها كذلك فالكلي في مقابلة الكلي و الجزئي في
مقابلة الجزئي على انا نقول ليس في الذهن كلي و انما في الذهن صورة
معينة مشخصة منطبقة على سائر افرادها فان سميت كلية بهذا الاعتبار
فلا مشاحة في الالفاظ وهي كلية وجزئية باعتبارين ●

﴿ فصل ﴾

● قولكم في الوجه الثالث ● ان الصور العقلية الكلية مجردة وتجردها انما
هو بسبب الاخذ لها و هو القوة العقلية ● جوابه ان يقال ● ما الذى
تريدون بهذه الصورة العقلية الكلية اتريدون به ان المعلوم
حصل في ذات العالم او ان العلم به حصل في ذات العالم فالاول ظاهر
الاحالة والثاني حق الا انه لا يفيدكم شيئا لان الامر الكلي المشترك
بين الاشخاص الانسانية هو الانسانية لا العلم بها والانسانية
لا وجود لها في الخارج كلية و الوجود في الخارج للمعينات فقط

والعلم تابع للمعلوم فيكون المعلوم معينا فالعلم به معين لكن صورة مطلقة على افراد كثيرة فليس في الذهن ولا في الخارج صورة غير منقسمة الخ وكم قد سلط في هذا الموضع طوائف من العقلاء لايحصيهم الا الله تعالى والصورة الكلية التي يثبتونها ويزعمون انها حاصلة في النفس هي صورة شخصية موصوفة بعوارض شخصية فمن ادعى ان هذه الصورة العقلية حالة في جوهر ليس بجسم ولا جسماني فانها غير مجردة من العوارض ❊ فان قلتم ❊ مراد ما يكونها مجردة النظر اليها من حيث هي هي مع قطع النظر عن تلك العوارض ❊ قيل لكم ❊ فلم لا يجوز ان تكون الصورة الحالة في المحل الجسماني منقسمة وانما تكون مجردة اذا انظر اليها من حيث هي هي مع قطع النظر عن عوارضها ❊

﴿ فصل ﴾

في ابطال الرابع من الادلة

❊ قولكم في الرابع ❊ ان القوة العقلية تقوى على افعال غير متناهية ولا شئ من القوى الجسمانية كذلك ❊ فجوابه ❊ انا لا نسلم انها تقوى على افعال غير متناهية وقولكم انها تقوى على ادراكات لا تتناهى والادراكات افعال متقدمتان كاذبتان فان ادراكاتها ولو بلغت ما بلغت فهي متناهية فلو كان لما يكمل نفس الف الف ادراك لانتهت ادراكاتها من فطما تنتهي في الادراكات والمعارف الى حد لا يمكنها ان تزيد عليه شيئا كما قال الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم ❊ الى ان ينتهي العلم الى من هو بكل شئ عليم فهو الله الذي لا اله الا هو وحده وذلك من خصائصه التي لا يشركه فيها سواه

* فان قلتم * لو انتهى ادراكها الى حد لا يمكنها المزيد عليه لزم انقلاب الشيء من الامكان الذاتي * قلنا * فهذا بعينه لو صح دل على ان القوة الجسمانية تقوى على افعال غير متناهية وذلك يوجب سقوط الشبهة وبطلانها وايضا فان قوة التخيل والتفكر والتذكر تقوى على استحضار المخيلات والمتذكرات الى غير نهاية مع انها عندكم قوة جسمانية * فان قلتم * لا نسلم انها تقوى على ما لا يتناهى * قيل لكم * وهكذا يقول خصومكم في القوة العاقلة سواء * واما كذب المقدمة الثانية * فان الادراك ليس بفعل فلا يلزم من تناهي فعلها تناهي ادراكها وقد صرحتم بان الجوهر العقلي قابل لصورة المعلوم لانه فاعل لها والشيء الواحد لا يكون فاعلا وقابلا عندكم وقد صرحتم بان الاجسام يمتنع عليها افعال لا نهاية لها ولا يمتنع عليها جهولات وانفعالات لا تتناهى وقد اورد ابن سيناء على هذه الشبهة سؤالا فقال اليس النفس الفلكية المباشرة لتحريك الفلك قوة جسمانية مع ان الحركات الفلكية غير متناهية واجاب عنه بانها وان كانت قوة جسمانية الا انها تستمد الكمال من العقل المفارق فلهذا السبب قدرت على افعال غير متناهية فنقول فاذا كان الامر عندك كذلك فلم لا يجوز ان يقال النفس الناطقة تستمد الكمال والقوة من فاطرها ومنشئها الذي له القوة جميعا فلا جرم تقوى مع كونها جسمانية على ما لا يتناهى فاذا قلت بذلك وافقت الرسل والعقل ودخلت مع زمرة المسلمين وفارقت العصبة المبطلين *

فصل

قولكم في الخامس لو كانت القوة العاقلة حالة في آلة جسمانية لوجب ان تكون دائمة الادراك لتلك الآلة او ممتنعة الادراك لها فهو مبني على اصلكم الفاسد ان الادراك عبارة عن حصول صورة مساوية للمدرك في القوة المدركة ثم لو سلمنا لكم ذلك الاصل لم يلزمكم شيئا فان حصول تلك الصورة يكون شرطا لحصول الادراك فاما ان يقال ان الادراك عين حصول تلك الصورة فهذا لا يقوله عاقل فلم لا يجوز ان يقال القوة العقلية حالة في جسم مخصوص ثم ان القوة الناطقة قد تحصل لها حالة اضافية تسمى بالشعور والادراك فحينئذ تصير القوة العاقلة مدركة لتلك الآلة وقد لا توجد تلك الحالة الاضافية فتصير غافلة عنها واذا كان هذا ممكنا سقطت تلك الشبهة رأسا ثم نقول لا تدعون انا اذا عقلنا شيئا فان الصورة الحاضرة في العقل مساوية لذلك المعقول من جميع الوجوه والاعتبارات اولا يجب حصول هذه المساواة من جميع الوجوه فالاول لا يقوله عاقل وهو اظهر من ان يحتج لفساده واذا اعترف انه لا تجب المساواة من جميع الوجوه لم يلزم من حدوث صورة اخرى في القلب والدماغ اجتماع المثلين وايضا فالقوة العاقلة حالة في جوهر القلب او الدماغ والصورة الحادثة حالة في القوة العاقلة فاحدى الصورتين محل للقوة العاقلة وايضا فنحن اذا ابصرنا المسافة الطويلة والبعد الممتد فهل يتوقف هذا الابصار على ارتسام صورة المرئي في عين الرائي

او لايتوقف فان لو قف لزم اجتماع المثلين لان القوة الباصرة عند كم جسمانية فهي في محل له حجم و مقدار فاذا حصل فيه حجم المرئي و مقداره لزم اجتماع المثلين و اذ اجاز هناك فلم لايجوز مثله في مسئلتنا و ان كان ادراك الشي لايتوقف على حصول صورة المرئي في الرائي بطل قولكم ان ادراك القلب و الدماغ يتوقف على حصول صورة القلب و الدماغ في القوة العاقلة و ايضا فقولكم لو كانت القوة العقلية حالة في جسم لوجب ان تكون دائمة الادراك لذلك الجسم لكن ادراكنا لقلبنا و دماغنا غير دائم فهذا انما يلزم من يقول انها حالة في القلب او الدماغ واما من يقول انها حالة في جسم مخصوص و هو النفس و هي مشابكة للبدن فهذا الالزام غير وارد عليه فانه يقول النفس جسم مخصوص و الانسان ابدا عالم بانه جسم مخصوص ولايزول ذلك عن عقله الا اذا عرضت له الغفلة فسقطت الشبهة التي عولتم عليها على كل تقدير *

فصل

* قولكم في السادس * ان كل احد يدرك نفسه و الادراك عبارة عن حصول ماهية المعلوم عند العالم وهذا انما يصح اذا كانت النفس غنية عن المحل الى اخره * جوابه * ان ذلك مبني على الاصل المتقدم وهو ان العلم عبارة عن حصول صورة مساوية للمعلوم في نفس العالم وهذا باطل من وجوه كثيرة مذكورة في مسئلة العلم حتى لو سلم ذلك فالصورة المذكورة شرط في حصول العلم لا انها نفس العلم و ايضا فهذه الشبهة مع ركاكة

فصل في جواب الشبهة السادسة

على الصغير اولى ان لا يمتنع من حلول الصورة العظيمة فى المحل الصغير
وايضا فان سلفكم من الاوائل اقاموا الدليل على ان انطباع الصورة
الحالة فى الجوهر المجرد محال وذكروا له وجوها *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل فى ترديد الشبهة الثامنة ﴾

* قولكم فى الثامن * لو كانت القوة العقلية جسدانية لضعفت فى زمن
الشيخوخة وليس كذلك * جوابه من وجوه * احدها * لم لا يجوز ان يقال
القدر المحتاج اليه من صحة البدن فى كمال القوة العقلية مقدار معين واما
كمال حال البدن فى الصحة فانه غير معتبر فى كمال حال القوة العقلية واذا
احتمل ذلك لم يبعد ان يقال ذلك القدر المحتاج اليه باق الى اخر الشيخوخة
فبقى العقل الى اخرها * الثانى * ان الشيخ لعله انما يمكنه ان يستمر فى
الادراكات العقلية على الصحة ان عقله يبقى ببعض الاعضاء التى يتاخر
الفساد والاستحالة اليها فاذا انتهى اليها الفساد والاستحالة فسد عقله
وادراكه * الوجه الثالث * انه لا يمتنع ان يكون بعض الامزجة اوفق
لبعض القوى فلعل مزاج الشيخ اوفق للقوة العقلية فلهذا السبب تقوى
فيه القوة العاقلة * الوجه الرابع * ان المزاج اذا كان فى غاية القوة والشدة
كانت سائر القوى قوية فتكون القوة الشهوانية والغضبية قوية جدا وقوة
هذه القوى يمنع العقل من الاستكمال فاذا حصلت الشيخوخة وحصل
الضعف حصل بسبب الضعف ضعف فى هذه القوى المانعة للعقل من
الاستكمال وحصل فى العقل ايضا ضعف ولكن بعد ما حصل فى العقل

من الضعف حصل ذلك في اضداده فبجبر النقصان من احد الجانبين بالنقصان من الجانب الاخر فيقع الاعتدال * الوجه الخامس * ان الشيخ حفظ العلوم و التجارب الكثيرة و مارس الامور ودر بها وكثرة تجاربه و هذه الاحوال تعينه على وجوه الفكر و قوة النظر فقاوم النقصان الحاصل بسبب ضعف البدن والقوى * الوجه السادس * ان كثرة الافعال بسبب حصول الملكات الراسخة فصارت الزيادة الحاصلة بهذا الطريق جابر النقصان الحاصل بسبب اختلاف البدن * الوجه السابع * انه قد ثبت في الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يهرم ابن ادم و تشب فيه خصلتان الحرص و طول الامل * والواقع شاهد لهذا الحديث مع ان الحرص و الامل من القوى الجسمانية و الصفات الخيالية ثم ان ضعف البدن لم يوجب ضعف هاتين الصفتين فعلم انه لايلزم من اختلال البدن و ضعفه ضعف الصفات البدنية * الوجه الثامن * انا نرى كثيرا من الشيوخ يصيرون الى الخرف وضعف العقل بل هذا هو الاغلب و يدل عليه قوله تعالى و منكم من يرد الى ارذل العمر لكيلا يعلم بعد علم شيئا * فالشيخ في ارذل عمره يصير كالطفل او اسوأ حالا منه واما من لم يحصل له ذلك فانه لايرد الى ارذل العمر * الوجه التاسع * انه لاتلازم بين قوة البدن و قوة النفس و لا بين ضعفه و ضعفها فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف النفس جبانا خوارا و قد يكون ضعيف البدن قوي النفس فيكون شجاعا مقداما على ضعف

بدنه * الوجه العاشر * انه لو سلم لكم ما ذكرتم لم يدل على كون النفس جوهرا مجردا لا داخل العالم ولا خارجه ولا هي في البدن ولا خارجة عنه لانها اذا كانت جسما صافيا مشرقا سماويا مخالفا للاجسام الارضية لم تقبل الانحلال والذبول والتبدل كانة له الاجسام المنحلة الارضية فلا يلزم من حصول الانحلال والذبول في هذا البدن حصولها في جوهر النفس *

فصل

* قولكم في التاسع * ان القوة العقلية غنية في افعالها عن الجسم وما كان غنيا عن الجسم في افعاله كان غنيا عنه في ذاته الى اخره * جوابه * ان يقال لا يلزم من ثبوت حكم في قوة جسمانية ثبوت مثل ذلك الحكم في جميع القوى الجسمانية وليس معكم غير الدعوى المجردة والقياس الفاسد وايضا فالصور والاعراض محتاجة الى محالها وليس احتياجها الى تلك المحال لاجل ذواتها لا يلزم من استقلالها بهذا الحكم استغناءها في ذواتها عن تلك المحال فلا يلزم من كون الشيء مستقلا باقتضاء حكم من الاحكام ان يكون مستغنيا في ذاته عن المحل والله اعلم *

فصل

* قولكم في العاشر * ان القوة الجسمانية تكل بكثرة الافعال ولا تقوى على القوي بعد الضعيف الى اخره * جوابه * ان القوة الخيالية جسمانية ثم انها تقوى على تخيل الاشياء العظيمة مع تخيلها الاشياء الحقيرة فانها

فصل في رد دليلهم التاسع

فصل في رد دليلهم العاشر

فصل في رد الشبهة الثالثة عشر

يمكنها ان تتخيل النملة الصغيرة حال ما تتخيل الشمس والقمر وايضا فان الابصار القوية القاهرة تمنع ابصار الاشياء الضعيفة فكذلك نقول المعقول العظيمة العالية تمنع تعقل المعقولات الضعيفة فان المستغرق في معرفة جلال رب الارض والسموات واسمائه وصفاته تمنع عليه في تلك الحال الفكر في ثبوت الجوهر الفرد وحقيقته *

فصل

فصل في رد الشبهة الحادية عشر

* قولكم في الحادي عشر * انا اذا حكمنا بان السواد مضاد للبياض وجب ان يحصل في الذهن ماهية السواد والبياض معا والبداهة حاكمة بان اجتماعها في الجسم محال * جوابه * ان هذا مبني على ان من ادرك شيئا فقد حصل في ذات المدرك صورة مساوية للمدرك وهذا باطل واستدلالكم على صحته بانطباع الصورة في المرآة باطل فان المرآة لم ينطبع فيها شيء البتة كما يقوله جمهور العقلاء من الفلاسفة والمتكلمين وغيرهم والقول بالانطباع باطل من وجوه كثيرة ثم نقول اذا كنتم قد قلتم ان المنطبع في النفس عند ادراك السواد والبياض رسومها ومثالها لا حقيقتها فلم لا يجوز حصول رسوم هذه الاشياء في المادة الجسمانية *

فصل

* قولكم في الثاني عشر * انه لو كان محل الادراكات جسما فكل جسم منقسم لم يمتنع ان يقوم ببعض اجزاء الجسم علم بالشيء وبالجزء الاخر منه جهل به فيكون الانسان عالما بالشيء جاهلا به في وقت واحد * جوابه * ان

هذه الشبهة متنقضة على اصولكم فان الشهوة و الغضب و التخيل من الاحوال الجسمانية عندكم و محلها منقسم فلزمكم ان تجوزوا قيام الشهوة و الغضب باحد الجزئين و ضدها بالجزء الاخر فيكون مشتهيا للشئ نافرا عنه غضبان عليه غير غضبان في وقت واحد *

﴿ فصل في ترديد الشبهة الثالثة عشر ﴾

﴿ فصل ﴾

* قولكم في الثالث عشر * ان المادة الجسمانية اذا حصلت فيها نقوش مخصوصة امتنع فيها حصول مثلها و النفوس البشرية بضد ذلك الى اخره * جوابه * ان غاية هذا ان يكون قياسا ممتازا بغير جامع وذلك لا يفيد الظن فضلا عن اليقين فان النقوش العقلية هي العلوم و الادراكات و النقوش الجسمانية هي الاشكال و الصور و لا ريب ان العلوم مخالفة بحقائقها للصور و الاشكال و لا يلزم من ثبوت حكم في نوع من انواع الماهيات ثبوته فيما يخالف ذلك النوع *

﴿ فصل في ترديد الشبهة الرابعة عشر ﴾

﴿ فصل ﴾

* قولكم في الرابع عشر * لو كانت النفس جسما لكان بين تحريك المحرك رجله و بين ارادته للحركة زمان الى اخره * جوابه * ان النفس مع الجسد لا تخلو من ثلاثة احوال اما ان تكون لابسة لجسمه من خارج كالثوب او تكون في موضع واحد كالقلب و الدماغ او تكون سارية في جميع اجزاء الجسد و على كل تقدير من هذه التقادير فتحريكها لما يريد تحريكه يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقيه

وادراك السمع والشم والذوق واذا قطعت العضو لم يقطع ما كان من جسم النفس متخللا لذلك العضو سواء كانت لابسة له من داخل او من خارج بل تفارق العضو الذى بطل حسه في الوقت و تتقلص عنه بلا زمان و يكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للاناء اذا ملئ ماء واما ان كانت النفس ساكنة فى موضع واحد من البدن لم يلزم ان تبين مع العضو المقطوع واما ان كانت لابسة البدن من خارج لم يلزم ان يكون بين ارادتها تحريكه و نفس التحريك زمان بل يكون فعلها حينئذ فى تحريك الاعضاء كفعل المغناطيس فى الحديد وان لم يلاصقه ثم نقول هذا الهذيان الذى شغلتم به الزمان وارد عليكم بعينه فانها عندكم غير متصلة بالبدن ولا منفصلة عنه ولا داخلة فيه ولا خارجة عنه فيلزمكم مثل ذلك ✽

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل فى ترديد الشبهة الخامسة عشر ﴾

✽ قولكم فى الخامس عشر ✽ لو كانت جسما لكانت منقسمة و لصح عليها ان تعلم بعضها و تجهل بعضها فيكون الانسان عالما ببعض نفسه جاهلا بالبعض الاخر ✽ جوابه ✽ ان هذه الشبهة مركبة من مقدمتين تلازمية و استثنائية و المنع واقع فى كلا المقدمتين او احدهما فلا نسلم انها لو كانت جسما لصح ان تعلم بعضها وتجهل بعضها فان النفس بسيطة غير مركبة من هذه العناصر ولا من الاجزاء المختلفة فمن شعرت بذاتها شعرت بجملتها فهذا منع المقدمة التلازمية واما الاستثنائية فلا نسلم انها لا يصح ان تعلم بعضها حال غفلتها عن

البعض الاخر ولم يذكروا على بطلان ذلك شبهة فضلا عن دليل ومن المعلوم ان الانسان قد يشعر بنفسه من بعض الوجوه دون كلها ويتفاوت الناس في ذلك فمنهم من يكون شعوره بنفسه اتم من غيره بدرجات كثيرة وقد قال تعالى ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم * فهؤلاء نسوا انفسهم لا من جميع الوجوه بل من الوجه الذى به مصالحها وكمالها وسعادتها وان لم ينسوها من الوجه الذى منه شهوتها وحظها وارادتها فانساهم مصالح نفوسهم ان يعملوها ويطلبوها وعيوبها ونقائصها ان يزيلوها ويجتنبوها وكمالها الذى خلقت له ان يعرفوه ويطلبوه فهم جاهلون بحقائق انفسهم من هذه الوجوه وان كانوا عالمين بها من وجوه اخر *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في ترديد الشبهة السادسة عشر ﴾

* قولكم في السادس عشر * لو كانت النفس جسما لوجب ثقل البدن بدخولها فيه لان من شان الجسم اذا زدت عليه جسما اخر ان يثقل به * فهذه شبهة في غاية النقالة والمحتج بها اثقل واثقل وليس كل جسم زيد عليه جسم اخر ثقله فهذه الخشبة تكون ثقيلة فاذا زيد عليها جسم النار خفت جدا وهذا الظرف يكون ثقيلا فاذا دخله جسم الهواء خف وهذا انما يكون في الاجسام الثقال التي تطلب المركز والوسط بطبعها وهي تتحرك بالطبع اليه واما الاجسام التي تتحرك بطبعها الى العلو فلا يعرض لها ذلك بل الامر فيها بالضد من تلك الاجسام الثقال بل اذا اضيف الى جسم

ثقيل اكسبته الخفة وقد اخذ هذا المعنى بعضهم فقال ،

ثقلت زجاجات اتينا فرغا * حتى اذا ملئت بصرف الراح
خفت فكادت ان تطير بما حوت * وكذا الجسوم تخف بالارواح

﴿ فصل ﴾

قولكم في السابع عشر لو كانت النفس جسما لكانت على صفات سائر الاجسام التي لا تخلو منها من الخفة والثقل والحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة والنعومة والخشونة الى اخره* شبهة فاسدة داحضة فانه لا يجب اشتراك الاجسام في جميع الكيفيات والصفات وقد فاوت الله سبحانه بين صفاتها وكيفياتها وطبائعها فمنها ما يرى بالبصر ويلمس باليد ومنها مالا يرى ولا يلمس ومنها ماله لون ومنها مالا لون له ومنها مايقبل الحرارة والبرودة ومنها مالا يقبله على ان للنفس من الكيفيات المختصة بها ما لا يشاركها فيها البدن ولها خفة وثقل وحرارة وبرودة ويبس او لين بحسبها وانت تجد الانسان في غاية الثقالة وبدنه نحيل جدا او تجده في غاية الخفة وبدنه ثقيل وتجد نفسا لينه وادعه ونفسا يابسة قاسية ومن له حس سليم يشم رائحة بعض النفوس كالجيفة المنتنة ورائحة بعضها اطيب من ريح المسك وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر في طريق بقي اثر رائحته في الطريق ويعرف انه مر بها وتلك رائحة نفسه وقلبه وكانت رائحة عرقه من اطيب شيء وذلك تابع لطيب نفسه وبدنه واخبر وهو اصدق البشر ان

الروح عند المفارقة يوجد لها كاطيب نفحة مسك وجدت على وجه الارض او كانتن ريح جيفة وجدت على وجه الارض * ولولا الزكام الغالب لشم الحاضرون ذلك على ان كثيرا من الناس يجد ذلك وقد اخبر به غير واحد ويكفي فيه خبر الصادق المصدوق وكذلك اخبر بان ارواح المؤمنين مشرقة وارواح الكفار سود * وبالجملة فكيفيات النفوس اظهر من ان ينكرها الا من هو من اجهل الناس بها *

❊ فصل ❊

❊ فصل في ترديد الشبهة الثامنة عشر ❊

* قولكم في الثامن عشره لو كانت النفس جسما لوجب ان تقع تحت جميع الحواس او تحت حاسة منها الى اخره * فجوابه * منع اللزوم فانكم لم تذكروا عليه شبهة فضلا عن دليل ومنع انتفاء اللازم فان الروح تدرك بالحواس فتلمس وترى ويشم لها الرائحة الطيبة والخبيثة كما تقدم في النفوس المستفيضة ولكن لا نشاهد نحن ذلك وهذا الدليل لا يمكن ممن يصدق الرسل ان يحتج به فان الملك جسم ولا يقع تحت حاسة من حواسنا وكذلك الجن والشياطين اجسام لطاف لا تقع تحت حاسة من حواسنا والاجسام متفاوتة في ذلك تفاوتا كثيرا * فمنها * ما يدرك باكثر الحواس * ومنها * ما لا يدرك باكثرها * ومنها * ما يدرك بحاسة واحدة * ومنها * ما لا ندركه نحن في الغالب وان ادرك في بعض الاحوال لكونه لم يخلق لنا ادراكه او المانع يمنع من ادراكه او للطافه من ادراك حواسنا فما عدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر

كالهواء والنار في عنصرها وما عدم الرائحة لم يدرك بالشم كالنار والحصا والزجاج وما عدم الخشنة لم يدرك باللمس كالهواء الساكنة وايضا فالروح هي المدركة لمدارك هذه الحواس بواسطة آلاتها فالنفس هي الحاسة المدركة وان لم تكن محسوسة فالاجسام والاعراض محسوسة والنفس محسة بها وهي القابلة لاعراضها المتعاقبة عليها من الفضائل والرذائل كقبول الاجرام لاعراضها المتعاقبة عليها وهي المتحركة باختيارها المحركة للبدن قسرا وقهرا وهي مؤثرة في البدن متأثرة به تألم وتلذ وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتنعم وتبأس وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتصعد وتنزل وتعرف وتنكر وآثارها من ادل الدلائل على وجودها كما ان آثار الخالق سبحانه دالة على وجوده وعلى كماله فان دلالة الاثر على مؤثره ضرورية وتاثيرات النفوس بعضها في بعض امر لا ينكره ذو حس سليم ولا عقل مستقيم ولا سيما عند تجردها نوع تجرد عن العلائق والعوائق البدنية فان قواها تتضاعف وتتزايد بحسب ذلك ولا سيما عند مخالفة هواها وحملها على الاخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفساف الاخلاق ورذائلها وسافلها فان تاثيرها في العالم يقوى جدا تاثيرا يعجز عنه البدن واعراضه (١) ان تنظر الى حجر عظيم فتشقه او حيوان كبير فتتلفه او الى نعمة فتزيلها وهذا امر قد شاهده الامم على اختلاف اجناسها وادیانها وهو الذي يسمى اصابة العين فيضيفون الاثر الى العين وليس لها في الحقيقة وانما هو للنفس المتكيفة بكيفية ردية سمية وقد تكون بواسطة

(١) لعله كان اذ العبارة لا يستقيم بهذا اللفظ ١٢ السيد ابوبكر دام فيوضه

نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشئ من بعيد فتتكيف عليه نفسه بتلك الكيفية فتفسده . وانت ترى تاثير النفس في الاجسام صفرة وحمرة وارتعاشا بمجرد مقابلتها لما وقوتها وهذه واضعافها آثار خارجة عن تاثير البدن واعراضه فان البدن لا يؤثر الا نيا الاقاء ومامسه تاثيرا منصوصا ولم تزل الامم تشهد تاثير الهمم الفعالة في العالم وتستعين بها وتحذر اثرها وقد امر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يغسل العائن مغابنه ومواضع القذر منه ثم يصب ذلك الماء على المعين فانه يزيل عنه تاثير نفسه فيه وذلك بسبب امر طبعي اقتضته حكمة الله سبحانه فان النفس الامارة لما بهذه المواضع تعلق والف والارواح الخبيثة الخارجية تساعدها وتالف هذه المواضع غالبا للمناسبة بينها وبينها فاذا اغسلت بالماء طفيت تلك النارية منها كما يطفى الحديد المحمى بالماء فاذا صب ذلك الماء على المصاب طفا عنه تلك النارية التي وصلت اليه من العاين وقد وصف الاطباء الماء الذى يطفأ فيه الحديد لالام واوجاع معروفة وقد درب الناس من تاثير الارواح بعضها في بعض عند تجردها في المنام عجائب تفوت الحصر وقد نبهنا على بعضها فيما مضى فعالم الارواح عالم اخر اعظم من عالم الابدان واحكامه وآثاره اعجب من آثار الابدان بل كل ما في العالم من الآثار الانسانية فانما هي من ما تاثير النفوس بواسطة البدن فالنفوس والابدان يتعاونان على التاثير تعاون المشتركين في الفعل وتنفرد النفس بآثار لا يشاركها فيها البدن ولا يكون للبدن

تاثير لاتشاركه فيه النفس *

فصل

* قولكم في التاسع عشر لوكانت النفس جسما لكانت ذات طول وعرض وعمق وشكل وسطح وهذه المقادير لاتقوم الابمادة الى اخره * جوابه * انا نقول قولكم هذه المقادير لاتقوم الا بمادة فلنا وكان ماذا والنفس لها مادة خلقت منها وجعلت على شكل معين وصورة معينة * قولكم مادتها ان كانت نفسا لزم اجتماع نفسين وان كانت غير نفس كانت مركبة من بدن وصورة * قلنا * مادتها ليست نفسا كما ان مادة الانسان ليست انسانا ومادة الجن ليست جنا و مادة الحيوان ليست حيوانا * قولكم يلزم كون النفس مركبة من بدن وصورة مقدمة كاذبة وانما يلزم كون النفس مخلوقة من مادة ولها صورة معينة وهكذا القول سواء ولم تذكروا على بطلان هذا الشبهة فضلا عن حجة ظنية او قطعية *

فصل

* قولكم في الوجه العشرين * ان خاصة الجسم ان يقبل التجزى وان الجزء الصغير منه ليس كالكبير فلو قبلت التجزى فكل جزء منها ان كان نفسا لزم ان يكون للانسان نفوس كثيرة وان لم يكن نفسا لم يكن المجموع نفسا * جوابه * ان اردتم ان كل جسم يقبل التجزى في الخارج فكذب ظاهر فان الشمس والقمر والكواكب لا تقبل ذلك ولا يلزم ان كل جسم يصح عليه التجزى والتبعيض في الخارج اما الحلى قول نفاة الجوهر

فصل في ترديد الشبهة التاسعة عشر *

* فصل في ترديد الشبهة العشرين *

الفرد فظاهر واما على قول مثبتيه فانه عندهم جوهر متحيز لا يصح عليه قبول الانقسام سلمنا انه لا يقبل الانقسام فاي شيء يلزم من ذلك * قولكم * ان كان كل جزء من تلك الاجزاء نفسا لزم اجتماع نفوس كثيرة في الانسان * قلنا * انما يلزم ذلك لو انقسمت النفس بالعمل الى نفوس كثيرة وهذا محال * قولكم * وان لم يكن كل جزء نفسا لم يكن المجموع نفسا مقدمة كاذبة منتقضة فكل ماهية ثبت لها حكم عند اجتماع اجزائها فان ذلك الحكم لا يثبت لكل جزء من تلك الاجزاء كماهية البيت والانسان والعشرة وغيرها *

فصل

* قولكم في الوجه الحادي والعشرين * ان الجسم يحتاج في قوامه وبقائه وحفظه الى نفس اخرى ويلزم التسلسل * جوابه * انه لا يلزم من افتقار البدن الى نفس تحفظه افتقار النفس الى نفس تحفظها وهل ذلك الا مجرد دعوى كاذبة مستند الى قياس قد تبين بطلانه فان كل جسم لا يصير الى نفس تحفظه كاجسام المعادن وجسم الهواء والماء والنار والتراب واجسام سائر الجمادات * فان قلتم * ان هذه ليست احياء ناطقة بخلاف النفس فانها حية ناطقة * قلنا * فحينئذ يبقى الدليل هكذا ان كل جسم حي ناطق يحتاج في حفظه وقيامه الى نفس تقوم به وهذه دعوى مجردة وهي كاذبة فان الجن والملائكة احياء ناطقون وليسوا مفتقرين في قيامهم الى ارواح اخر تقوم بهم * فان قلتم * وكلامنا معكم في الجن والملائكة

فانهم ليسوا باجسام متميزة * قلنا * الكلام مع من يومن بالله و ملائكته
وكتبه ورسله واما من كفر بذلك فالكلام معه في النفس ضائع وقد
كفر بغا طر النفس و مبدعها وملائكته وماجاءت به رسله وكفى نارك
مادل عليه البيان مع دليل الايمان فان الاثار المشهودة في العالم من
تاثيرات الملائكة والجن باذن ربهم لايمكن انكارها ولا هي موجودة
بنفسها ولا تقدر عليها القوى البشرية *

﴿ تكفير منكري الجن والملائكة ﴾

﴿ فصل ﴾

* قولكم في الثاني والعشرين * لو كانت جسما لكان اتصالها بالبدن ان
كان على سبيل المداخلة لزم تداخل الاجسام وان كان على سبيل
الملاصقة والمجاورة كان للانسان الواحد جسمين متلاصقين احدهما
يرى والاخر لايرى * جوابه * من وجوه * احدها * ان تداخل الاجسام
المحال ان يتداخل جسمان كثيفان احدهما في الاخر بحيث يكون حيزهما
واحدا واما ان يدخل جسم لطيف في كثيف يسري فيه فهذا ليس
بمحال * الثاني * ان هذا باطل بصور كثيرة منها دخول الماء في العود
والسحاب ودخول النار في الحديد ودخول الغذاء في جميع اجزاء
البدن ودخول الجن في المصروع فالروح للطافتها لايمتنع عليها مشابكة
البدن والدخول في جميع اجزائه * الثالث * ان حيز النفس البدن وحيزه
مكانه المنفصل عنه وهذا ليس بتداخل ممتنع فاذا فارقته صار لها حيزا
اخر غير حيزه وحينئذ فلا يتداخلان بل يصير لكل منهما حيز يخصه

﴿ فصل في رد شبهة الثانية والعشرين ﴾

﴿ دخول الجن في المصروع ﴾

وبالجملة فدخول الروح في البدن الطف من دخول الماء في الثرى والدهن في البدن فهذه الشبهة الفاسدة لا يعارض بها مادل عليها نصوص الوحي والادلة العقلية وبالله التوفيق *

﴿ فصل ﴾ * * * ﴿ واما المسئلة الثالثة والعشرون وهي هل النفس والروح شئ واحد او شيئان متغائران ﴾

فاختلف الناس في ذلك فمن قائل ان مسماهما واحد وهم الجمهور ومن قائل انهما متغائران ونحن نكشف سر المسئلة بحول الله وقوته فنقول النفس تطلق على امور * احدها * الروح قال الجوهري النفس الروح يقال خرجت نفسه قال ابو خراش

نجا سالم والنفس منه بشدقه * ولم ينج الا جفن سيف ومئزر

اى بجفن سيف ومئزر والنفس الدم يقال سالت نفسه وفي الحديث مالا نفس له سائلة لا ينجس الماء اذا مات فيه والنفس الجسد قال الشاعر

نبئت ان بني تميم ادخلوا * ابناءهم تامور نفس المنذر

والتامور الدم والنفس العين يقال اصابت فلانا نفس اى عين * قلت * ليس كما قال بل النفس ههنا الروح ونسبة الاصابة الى العين توسع لانها تكون بواسطة النظر المصيب والذى اصابه انما هو نفس العائن كما تقدم * قلت * والنفس في القران تطلق على الذات بجملتها كقوله تعالى فسلموا على انفسكم وقوله ولا تقتلوا انفسكم وقوله يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وقوله كل نفس بما كسبت رهينة * وتطلق على الروح

وحدها كقوله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة وقوله اخرجوا انفسكم وقوله ونهى النفس عن الهوى وقوله ان النفس لامارة بالسوء * واما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس وتطلق الروح على القران الذي اوحاه الله الى رسوله قال تعالى وكذلك اوحينا اليك روحا من امرنا * وعلى الوحي الذي يوحيه الى انبيائه ورسله قال تعالى يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده لينذر يوم التلاق * وقال ينزل الملائكة بالروح من امره على من يشاء من عباده ان انذروا انه لا اله الا انا فاتقون * وسمى ذلك روحا لما يحصل به من الحيوة النافعة فان الحيوة بدونه لا تنفع صاحبها البتة بل حيوة الحيوان البهيم خير منها واسلم عاقبة وسميت الروح روحا لان بها حيوة البدن وكذلك سميت الريح لما يحصل بها من الحيوة وهي من ذوات الواو ولهذا تجمع على ارواح قال الشاعر

اذا هبت الارواح من نحو ارضكم * وجدت لمسراها على كبدي بردا

ومنها الروح والريحان والاستراحة فسميت النفس روحا لحصول الحيوة بها وسميت نفسا اما من الشيء النفيس لنفاستها وشرفها واما من تنفس الشيء اذا خرج فلكثرة خروجها ودخولها في البدن سميت نفسا ومنه النفس بالتحريك فان العبد كلما نام خرجت منه فاذا استيقظ رجعت اليه فاذا مات خرجت خروجا كليا فاذا دفن عادت اليه فاذا سئل خرجت فاذا بعث رجعت اليه * فالفرق بين النفس والروح فرق

* وجه تسمية الروح روحا *

ولهذات لا فرق بالمد ات وانما سمي الدم نفسا لان خروجه الذي يكون معه الموت يلازم خروج النفس وان الحيوة لا تتم الا به كما لا تتم الا بالنفس ولهذا قال

تسيل على حد الظباة نفوسنا * وليست على غير الظباة تسيل

ويقال فاضت نفسه وخرجت نفسه وفارقت نفسه كما يقال خرجت روحه وفارقت ولكن الفيض الاندفاع وهلة واحدة ومنه الافاضة وهي الاندفاع بكثرة وسرعة لكن الناس اذا دفع باختياره وارادته وماش اذا اندفع قسرا وقهرا فالله سبحانه هو الذى يفيضها عند الموت فتفيض هي *

فصل

وقالت فرقة اخرى من اهل الحديث والفقه والتصوف الروح غير النفس قال مقاتل بن سليمان للانسان حيوة وروح ونفس فاذا نام خرجت نفسه التي يعقل بها الاشياء ولم تفارق الجسد بل تخرج كحبل ممتد له شعاع فيرى الرؤيا بالنفس التي خرجت منه وتبقى الحيوة والروح في الجسد فيه يتقلب ويتنفس فاذا حرك رجعت اليه اسرع من طرفة عين فاذا اراد الله عز وجل ان يميته في المنام امسك تلك النفس التي خرجت وقال ايضا اذا نام خرجت نفسه فصعدت الى فوق فاذا رأت الرؤيا رجعت فاخبرت الروح ويخبر الروح القلب فيصبح يعلم انه قد رأى كيت وكيت * قال ابو عبد الله بن منده ثم اختلفوا في معرفة الروح والنفس

فقال بعضهم النفس طينية نارية والروح نورية روحانية وقال بعضهم
الروح لاهوتية والنفس ناسوتية وان الخلق بها ابتلي وقالت طائفة وهم
اهل الاثر ان الروح غير النفس والنفس غير الروح وقوام النفس بالروح
والنفس صورة العبد والهوى والشهوة والبلاء معجون فيها ولا عدو
اعدى لابن ادم من نفسه فالنفس لا تريد الا الدنيا ولا تحب الا اياها والروح
تدعو الى الاخرة وتؤثرها وجعل الهوى تبعا للنفس والشيطان تبع النفس
والهوى والملك مع العقل والروح والله تعالى يمدهما بالهامه وتوفيقه
وقال بعضهم الارواح من امر الله اخفى حقيقتها وعلمها على الخلق وقال
بعضهم الارواح نور من نور الله وحيوة من حيوة الله ثم اختلفوا
في الارواح هل تموت بموت الابدان والانفس او لا تموت فقالت طائفة
الارواح لا تموت ولا تبلى وقال جماعة الارواح على صور الخلق لها ايدي
وارجل واعين وسمع وبصر ولسان وقالت طائفة للمؤمن ثلاثة ارواح
وللمنافق والكافر روح واحدة وقال بعضهم للانبياء والصديقين
خمس ارواح وقال بعضهم الارواح روحانية خلقت من الملكوت فاذا
صفت رجعت الى الملكوت * قلت * اما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح
واحدة وهي النفس واما ما يؤيد الله به اولياءه من الروح فهي روح اخرى غير
هذه الروح كما قال تعالى اولئك كتب في قلوبهم الايمان وايدهم بروح منه
وكذلك الروح الذي ايد بها روحه المسيح ابن مريم كما قال تعالى اذ قال الله

يا عيسى ابن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك اذ ايدتك بروح القدس، وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن واما القوى التي في البدن فانها تسمى ايضا ارواحا فيقال الروح الباصر والروح السامع والروح الشام فهذه الارواح قوى مودعة في الابدان تموت بموت الابدان وهي غير الروح التي لا تموت بموت البدن ولا تبلى كما يبلى ويطلق الروح على اخص من هذا كله وهو قوة المعرفة بالله والانابة اليه ومحبته وانبعاث الهمة الى طلبه وارادته ونسبة هذه الى الروح كنسبة الروح الى البدن فاذا فقدتها الروح كانت بمنزلة البدن اذا فقد روحه وهي الروح التي يؤيد بها اهل ولايته وطاعته ولهذا يقول الناس فلان فيه روح وفلان ما فيه روح وهو بو وهو قصبة فارغة ونحو ذلك فللعلم روح وللاحسان روح وللاخلاص روح وللمحبة والانابة روح وللتوكل وللصدق روح والناس متفاوتون في هذه الارواح اعظم تفاوت فمنهم من تغلب عليه هذه الارواح فيصير روحانيا ومنهم من يفقدها او اكثرها فيصير ارضيا بهيميا والله المستعان.

﴿ فصل ﴾ * * ﴿ واما المسألة الحادية والعشرون وهي هل النفس واحدة ام ثلاث ﴾

فقد وقع في كلام كثير من الناس ان لابن ادم ثلاث انفس نفس مطمئنة ونفس لوامة ونفس امارة وان منهم من تغلب عليه هذه ومنهم من تغلب عليه

﴿ المسألة الحادية والعشرون هل النفس واحدة ام ثلاث ﴾

وهذا الحقيقة اليقين الذي وصف به سبحانه اهل الايمان حيث قال وبالاخرة هم يوقنون* فلا يحصل الايمان بالاخرة حتى يطمئن القلب الى ما اخبر الله سبحانه به عنها طمانينة الى الامور التي لا يشك فيها ويرتاب بهذا هو المومن حقا باليوم الاخر كما في حديث حارثة اصبحت مؤمنا حقا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال عزفت نفسي عن الدنيا واهلها وكاني انظر الى عرش ربي بارزا والى اهل الجنة يتزاورون فيها واهل النار يعذبون فيها فقال عبد نور الله قلبه*

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في ان الطمانينة الى اسماء الرب تعالى وصفاته نوعان ﴾

والطمانينة الى اسماء الرب تعالى وصفاته نوعان* طمانينة الى الايمان بها واثباتها واعتقادها* وطمانينة الى ما تقتضيه وتوجبه من اثار العبودية مثاله الطمانينة الى القدر واثباته والايمان به يقتضي الطمانينة الى مواضع الاقدار التي لم يؤمر العبد بدفعها ولا قدرة له على دفعها فيسلم لها ويرضى بها ولا يسخط ولا يشكو ولا يضطرب ايمانه فلا يأسى على ما فاته ولا يفرح بما اتاه لان المصيبة فيه مقدرة قبل ان تصل اليه وقبل ان يخلق كما قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم* وقال تعالى ما اصاب من مصيبة الا باذن الله ومن يؤمن بالله يهد قلبه* قال غير واحد من السلف هو العبد تصيبه المصيبة

فيعلم انها من عند الله فيرضى ويسلم فهذه طمأنينة الى احكام الصفات وموجباتها وآثارها في العالم وهي قدر زائد على الطمأنينة بمجرد العلم بها واعتقادها وكذلك سائر الصفات وآثارها ومتعلقاتها كالسمع والبصر والعلم والرضاء والغضب والمحبة فهذه طمأنينة الايمان واما طمأنينة الاحسان فهي الطمأنينة الى امره امتثالا واخلاصا ونصحا فلا يقدم على امره ارادة ولا هوى ولا تقليدا فلا يساكن شبهة تعارض خبره ولا شهوة تعارض امره بل اذا امرت به اقر لها منزلة الوسواس التي لأن يخر من السماء الى الارض احب اليه من ان يجدها فهذا كما قال النبي صلى الله عليه وسلم صريح الايمان وعلامة هذه الطمأنينة ان يطمئن من قلق المعصية وانزعاجها الى سكون التوبة وحلاوتها وفرحتها ويسهل عليه ذلك بان يعلم ان اللذة والحلاوة والفرحة في الظفر بالتوبة وهذا امر لا يعرفه الا من ذاق الامرين وباشر قلبه آثارهما فللتوبة طمأنينة تقابل ما في المعصية من الانزعاج والقلق ولو فتش العاصي عن قلبه لوجده حشوه المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب وانما يوارى عنه شهود ذلك سكر الغفلة والشهوة فان لكل شهوة سكرا يزيد على سكر الخمر وكذلك الغضب له سكر اعظم من سكر الشراب ولهذا ترى العاشق والغضبان يفعل ما لا يفعله شارب الخمر وكذلك يطمئن من قلق الغفلة والاعراض الى سكون الاقبال على الله وحلاوة ذكره وتعلق الروح بحبه ومعرفته فلا طمأنينة للروح بدون هذا البتة ولو انصفت نفسها لرأتها اذا فقدت ذلك في

غاية الانزعاج والقلق والاضطراب ولكن يواريها السكر فاذا كشف الغطاء تبين له حقيقة ما كان فيه *

فصل

فصل في ان الله سبحانه جعل لكل عضو من اعضاء الانسان كمالا ان لم

وههنا امر لطيف يجب التنبيه عليه والتنبه له والتوفيق له بيد من ازمة التوفيق بيده * وهو ان الله سبحانه جعل لكل عضو من اعضاء الانسان كمالا ان لم يحصل له فهو في قلق واضطراب وانزعاج بسبب فقد كماله الذي جعل له مثاله كمال العين بالابصار وكمال الاذن بالسمع وكمال اللسان بالنطق فاذا اعدمت هذه الاعضاء القوى التي بها كمالها حصل الالم والنقص بحسب فوات ذلك وجعل كمال القلب ونعيمه وسروره ولذته وابتهاجه في معرفته سبحانه وارادته ومحبته والانابة اليه والاقبال عليه والشوق اليه والانس به فاذا اعدم القلب ذلك كان اشد عذابا واضطرابا من العين الذي فقدت النور الباصر ومن اللسان الذي فقد قوة الكلام والذوق ولا سبيل له الى الطمانينة بوجه من الوجوه ولو نال من الدنيا واسبابها ومن العلوم ما نال الا بان يكون الله وحده هو محبوبه والهه ومعبوده وغاية مطلوبه وان يكون هو وحده مستعانه على تحصيل ذلك فحقيقة الامر انه لا طمانينة له بدون التحقق باياك نعبد واياك نستعين واقوال المفسرين في الطمانينة ترجع الى ذلك * قال ابن عباس المطمئنة المصدقة * وقال قتادة هو المؤمن اطمانت نفسه الى ما وعد الله * وقال الحسن المصدقة بما قال الله * وقال مجاهد هي النفس

التي ايقنت بان الله ربها المسلمة لامره فيماهو فاعل بها، وروى منصور عنه قال النفس التي ايقنت ان الله ربها وضربت جاشالامره وطاعته وقال ابن ابي نجيح عنه النفس المطمئنة المخبتة الى الله وقال ايضاهي التي ايقنت بلقاء الله فكلام السلف في المطمئنة يدور على هذين الاصلين طمانينة العلم والايمان وطمانينة الارادة والعمل*

فصل

فاذ اطمانت من الشك الى اليقين ومن الجهل الى العلم ومن الغفلة الى الذكر ومن الخيانة الى التوبة ومن الرياء الى الاخلاص ومن الكذب الى الصدق ومن العجز الى الكيس ومن صولة العجب الى ذلة الاخبات ومن التيه الى التواضع ومن الفتور الى العمل فقد باشرت روح الطمانينة واصل ذلك كله ومنشاه من اليقظة فهي اول مفاتيح الخير فان الغافل عن الاستعداد للقاء ربه والتزود لمعاده بمنزلة النائم بل اسوءحالا منه فان العاقل يعلم وعد الله ووعيده وما تتقاضاه اوامر الرب تعالى ونواهيه واحكامه من الحقوق لكن يحجبه عن حقيقة الادراك ويقعده عن الاستدراك سنة القلب وهي غفلته التي رقد فيها فطال رقوده وركد واخلد الى نوازع الشهوات فاشتد اخلاده وركوده وانغمس في غمار الشهوات واستولت عليه العادات ومخالطة اهل البطالات ورضي بالتشبه باهل اضاعة الاوقات فهو في رقاده مع النائمين وفي سكرته مع المخمورين فمتى انكشف عن قلبه سنة هذه الغفلة بزجرة من

زواجر الحق في قلبه استجاب فيها الواعظ الله في قلب عبده المومن اوهمة
عليه اثارها معول الفكر في المحل القابل فضرب بمعول فكره وكبر
تكبيرة اضاءت له منها قصور الجنة فقال*

الا يا نفس ويحك ساعديني * بسعي منك في ظلم الليالي
لعلك في القيمة ان تفوزي * بطيب العيش في تلك العلالي

فاثارت له تلك الفكرة نورا رأى في ضوءه ما خلق له وما سيلقاه بين
يديه من حين الموت الى دخول دار القرار ورأى سرعة انقضاء الدنيا
وعدم وفائها لبنيها وقتلها لعشاقها وفعلها بهم انواع المثلات فنهض في
ذلك الضوء على ساق عزمه قائلا يا حسرتي على ما فرطت في جنب الله
واستقبل بقية عمره التي لا قيمة لها مستدركا بها ما فات محييا بها ما امات
مستقبلا بها ما تقدم له من العثرات منتهزا فرصة الامكان التي ان فاتت
فاته جميع الخيرات ثم يلحظ في نور تلك اليقظة وفود نعمة ربه عليه من
حين استقر في الرحم الى وقته وهو يتقلب فيها ظاهرا وباطنا ليلا ونهارا
ويقظة ومناما سرا وعلانية لو اجتهد في احصاء انواعها لما قدر ويكفي ان
ادناها نعمة النفس ولله عليه في كل يوم اربعة وعشرون الف نعمة فما
ظنك بغيرها ثم يرى في ضوء ذلك النور انه آيس من حصرها واحصائها
عاجز عن اداء حقها وان المنعم بها ان طالبه بحقوقها استوعب جميع اعماله
حق نعمة واحدة منها فيتيقن حينئذ انه لا مطمع له في النجاة الا بعفو الله
ورحمته وفضله ثم يرى في ضوء تلك اليقظة انه لو عمل اعمال الثقلين

من البر لاحتقرها بالنسبة الى جنب عظمة الرب تعالى وما يستحقه بجلال وجهه وعظم سلطانه هذا لو كانت اعماله منه فكيف وهي مجرد فضل الله ومنته واحسانه حيث يسرها له واعانه عليها وهيأه لها وشاءها منه وكونها ولو لم يفعل ذلك لم يكن له سبيل اليها فحينئذ لا يرى اعماله منه وان الله سبحانه لن يقبل عملا يراه صاحبه من نفسه حتى يرى عين توفيق الله له وفضله عليه ومنته وانه من الله لا من نفسه وانه ليس له من نفسه الا الشر واسبابه وما به من نعمة فمن الله وحده صدقة تصدق بها عليه وفضلا منه ساقه اليه من غير ان يستحقه بسبب ويستاهله بوسيلة فيرى ربه ووليه ومعبوده اهلا لكل خير ويرى نفسه اهلا لكل شر وهذا اساس جميع الاعمال الصالحة الظاهرة والباطنة وهو الذي يرفعها ويجعلها في ديوان اصحاب اليمين ثم تبرق له في نور تلك اليقظة بارقة اخرى يرى في ضوئها عيوب نفسه وآفات عمله وما تقدم له من الجنايات والاساءات وهتك الحرمات والتقاعد عن كثير من الحقوق الواجبات فاذا انضم ذلك الى شهود نعم الله عليه واياديه لديه ورأى ان حق المنعم عليه في نعمه واوامره لم يبق له حسنة واحدة يرفع بها راسه فيطمئن قلبه وانكسرت نفسه وخشعت جوارحه وسار الى الله ناكس الراس بين مشاهدة نعمه ومطالعة جناياته وعيوب نفسه وافات عمله قائلا ابوء لك بنعمتك علي وابوء لك بذنبي فاغفر لي فانه لا يغفر الذنوب الا انت فلا يرى لنفسه حسنة ولا يراها اهلا لخير فيوجب له امرين عظيمين

احدها * استكثار ما من الله عليه * والثاني * استقلال ما منه من الطاعة كائنة ما كانت ثم تبرق له بارقة اخرى يرى في ضوءها عزة وقته وخطره وشرفه وانه راس مال سعادته فيبخل به ان يضيعه فيما لا يقربه الى ربه فان في اضاعته الخسران والحسرة والندامة وفي حفظه وعمارته الربح والسعادة فيشح بانفاسه ان يضيعها فيما لا ينفعه يوم معاده *

﴿ فصل ﴾

ثم يلحظ في ضوء تلك البارقة ما تقتضيه يقظته من سنة غفلته من التوبة المحاسبة والمراقبة والغيرة لربه ان يؤثر عليه غيره وعلى حظه من رضاه وقربه وكرامته يبيعه بثمن بخس في دار سريعة الزوال وعلى نفسه ان يملك رقها المشرق لو فكر في منتهى حسنه ورأى اخره بعين بصيرة لانف لها من صحبته فهذا كله من اثار اليقظة وموجباتها وهي اول منازل النفس المطمئنة التي تشا منها سفرها الى الله والدار الاخرة *

﴿ فصل ﴾

واما النفس اللوامة وهي التي اقسم بها سبحانه في قوله ولا اقسم بالنفس اللوامة فاختلف فيها فقالت طائفة هي التي لا تثبت على حال واحدة اخذوا اللفظة من التلوم وهو التردد فهي كثيرة التقلب والتلون وهي من اعظم آيات الله فانها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلا عن اليوم والشهر والعام والعمر الوانا متلونة فتذكر وتغفل وتقبل وتعرض وتلطف وتكثف وتنيب وتجفو وتحب

وتنقبض وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتطيع وتعصي وتتقي وتفجر الى اضعاف اضعاف ذلك من حالاتها وتلونها فهي تتلون كل وقت الوانا كثيرة فهذا قول ۔ فقالت طائفة ۔ اللفظة ماخوذة من اللوم ثم اختلفوا فقالت فرقة هي نفس المومن وهذا من صفاتها المجردة قال الحسن البصري ان المؤمن لا تراه الا يلوم نفسه دائما يقول ما اردت بهذا لم فعلت هذا كان غير هذا اولى اونحو هذا من الكلام وقال غيره هي نفس المومن توقعه في الذنب ثم تلومه عليه فهذا اللوم من الايمان بخلاف الشقي فانه لا يلوم نفسه على ذنب بل يلومها وتلومه على فواته ۔ وقالت طائفة ۔ بل هذا اللوم للنوعين فان كل احد يلوم نفسه براكان او فاجرا فالسعيد يلومها على ارتكاب معصية الله وترك طاعته والشقي لا يلومها الا على فوات حظها وهواها ۔ وقالت فرقة اخرى ۔ هذا اللوم يوم القيامة فان كل احد يلوم نفسه ان كان مسيئا على اساءته وان كان محسنا على تقصيره وهذه الاقوال كلها حق ولا تنافي بينها فان النفس موصوفة بهذا كله وباعتباره سميت لوامة لكن اللوامة نوعان لوامة ملومة وهي النفس الجاهلة الظالمة التي يلومها الله وملائكته ولوامة غير ملومة وهي التي لا تزال تلوم صاحبها على تقصيره في طاعة الله مع بذله جهده فهذه غير ملومة واشرف النفوس من لامت نفسها في طاعة الله واحتملت ملام اللائمين في مرضاته فلا تاخذها فيه لومة لائم فهذه قد تخلصت من لوم الله واما من رضيت باعمالها ولم تلم نفسها ولم تحتمل في الله ملام اللوام فهي

التي يلزمها الله عز وجل *

﴿ فصل ﴾

واما النفس الامارة فهي المذمومة فانها التي تامر بكل سوء وهذا من طبيعتها الا ما وفقها الله وثبتها واعانها فما تخلص احد من شر نفسه الا بتوفيق الله له كما قال تعالى حاكيا عن امرأة العزيز وما ابرئ نفسي ان النفس لامارة بالسوء الا ما رحم ربي ان ربي غفور رحيم * وقال تعالى ولولا فضل الله عليكم ورحمته ما زكى منكم من احد ابدا * وقال تعالى لاكرم خلقه عليه واحبهم اليه ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا * وكان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمهم خطبة الحاجة الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له فالشر كامن في النفس وهو يوجب سيئات الاعمال فان خلا الله بين العبد وبين نفسه هلك بين شرها وما تقتضيه من سيئات الاعمال فان وفقه واعانه نجاه من ذلك كله فنسال الله العظيم ان يعيذنا من شرور انفسنا ومن سيئات اعمالنا وقد امتحن الله سبحانه الانسان بهاتين النفسين الامارة واللوامة كما اكرمه بالمطمئنة فهي نفس واحدة تكون امارة ثم لوامة ثم مطمئنة وهي غاية كمالها وصلاحها وايد المطمئنة بجنود عديدة فجعل الملك قرينها وصاحبها الذي يليها ويسددها ويقذف فيها الحق ويرغبها فيه ويريها حسن صورته ويزجرها عن الباطل ويزهدها فيه ويريها قبح صورته وامدها بما علمها من القران والاذكار

واعمال

و اعمال البر وجمل وفود الخيرات وامداد التوفيق سباتها ويصل اليها من كل ناحية وكلما تلقتها بالقبول والشكر والحمد لله ورؤية اوليته في ذلك كله ازدادمد دها فتقوى على محاربة الامارة فمن جند ها وهو سلطان عساكرها وملكها الايمان واليقين فالجيوش الاسلامية كلها تحت لوائه ناظرة اليه ان ثبت ثبتت وان انهزم ولت على ادبارها ثم امراء هذ الجيش ومقد مو اعساكره شعب الايمان المتعلقة بالجوارح على اختلاف انواعها كالصلوة والزكوة والصيام والحج والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن المكرونصيحة الخلق والاحسان اليهم بانواع الاحسان وشعب الباطنه المتعلقة بالقلب كالاخلاص والتوكل والانابة والتوبة والمراقبة والصبر والحلم والتواضع والمسكنة وامتلاء القلب من محبة الله ورسوله وتعظيم اوامر الله وحقوقه والغيرة لله وفي الله والشجاعة والعفة والصدق والشفقة والرحمة وملاك ذلك كله الاخلاص والصدق فلا يتعب الصادق المخلص فقد اقيم على الصراط المستقيم فيسار به وهو راقد ولا يتعب من حرم الصدق والاخلاص فقدقطعت عليه الطريق واستهوته الشياطين في الارض حيران فان شاء فليعمل وان شاء فليترك فلا يزيده عمله من الله الا بعدا وبالجملة فما كان لله وبالله فهو من جند النفس المطمئنة واما النفس الامارة فجعل الشيطان قرينها وصاحبها الذي يليها فهو يعدها ويمنيها ويقذف فيها الباطل ويامرها بالسوء ويزينه لها (١) في الامل ويريها الباطل في صورة تقبلها وتستحسنها

(١) ويطيل لها

ويمدها بانواع الامداد الباطل من الاماني الكاذبة والشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها وارادتها فمنه يدخل عليها ويدخل عليها كل مكروه فما استعان على النفوس بشيء هو ابلغ من هواها وارادتها اليه وقد علم ذلك اخوانه من الشياطين الانس فلا يستعينون على الصور الممنوعة منهم بشيء ابلغ من هواهم وارادتهم فاذا اعيتهم صورة طلبوا بجهدهم ما تحبه وتهواه ثم طلبوا بجهدهم تحصيله فاصطادوا به تلك الصورة فاذا انفتحت لهم النفس باب الهوى دخلوا منه فجاسوا خلال الديار فعاثوا وافسدوا وفتكوا وسبوا وفعلوا ما يفعله العدو ببلاد عدوه اذا تحكم فيها فهدموا معالم الايمان والقران والذكر والصلوة وخربوا المساجد وعمروا البيع والكنائس والحانات والمواخير وقصدوا الى الملك فاسروه وسلبوه ملكه ونقلوه من عبادة الرحمن الى عبادة البغايا والاوثان ومن عز الطاعة الى ذل المعصية ومن السماع الرحماني الى السماع الشيطاني ومن الاستعداد للقاء رب العالمين الى الاستعداد للقاء اخوان الشياطين فبيناهو يراعي حقوق الله وما امره به صار يرعى الخنازير وبيناهو منتصب لخدمة العزيز الرحيم اذ صار منتصبا لخدمة كل شيطان رجيم والمقصود ان الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين الامارة وقد روى ابو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق

و امالة الملك فايعاد بالخير و تصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله و ليحمد الله و من وجد الاخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء * وقد رواه عمرو عن عطاء بن السائب و زاد فيه عمرو قال سمعنا في هذا الحديث انه كان يقال اذا احس احدكم من لمة الملك شيئا فليحمد الله و ليساله من فضله و اذا احس من لمة الشيطان شيئا فليستغفر الله و ليتعوذ من الشيطان *

﴿ فصل ﴾

فالنفس المطمئنة و الملك وجنده من الايمان يقتضيان من النفس المطمئنة التوحيد و الاحسان و البر و التقوى و الصبر و التوكل و التوبة و الانابة و الاقبال على الله و قصر الامل و الاستعداد للموت وما بعده و الشيطان وجنده من الكفر يقتضيان من النفس الامارة ضد ذلك وقد سلط الله سبحانه الشيطان على كل ما ليس له ولم يرد به وجهه ولا هو طاعة له وجعل ذلك اقطاعه فهو يستنيب النفس الامارة على هذا العمل و الاقطاع و يتقاضاها ان تاخذ الاعمال من النفس المطمئنة فتجعلها قوة لها فهي احرص شئ على تخليص الاعمال كلها له او ان تصير من حظوظها فاصعب شئ على النفس المطمئنة تخليص الاعمال من الشيطان ومن الامارة لله فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغي لنجا به العبد و لكن ابت الامارة و الشيطان ان يدعا له عملا واحدا يصل الى الله كما قال بعض العارفين بالله و بنفسه والله لو اعلم ان لي عملا واحدا وصل الى الله لكنت افرح بالموت من

و يعد هابانواع الامد اد الباطل من الاماني الكاذبة والشهوات المهلكة ويستعين عليها بهواها وارادتها فمنه يدخل عليها ويدخل عليها كل مكروه فما استعان على النفوس بشئ هو ابلغ من هواها وارادتها اليه وقد علم ذلك اخوانه من الشياطين الانس فلا يستعينون على الصور الممنوعة منهم بشئ ابلغ من هواهم وارادتهم فاذا اعيتهم صورة طلبوا بجهدهم ما تحبه وتهواه ثم طلبوا بجهدهم تحصيله فاصطادوا به تلك الصورة فاذا انفتحت لهم النفس باب الهوى دخلوا منه فجاسوا خلال الديار فعاثوا وافسدوا وفتكوا وسبوا وفعلوا ما يفعله العدو ببلاد عدوه اذا تحكم فيها فهدموا معالم الايمان والقران والذكر والصلوة وخربوا المساجد وعمروا البيع والكنائس والحانات والمواخير وقصدوا الى الملك فاسروه وسلبوه ملكه ونقلوه من عبادة الرحمن الى عبادة البغايا والاوثان ومن عز الطاعة الى ذل المعصية ومن السماع الرحماني الى السماع الشيطاني ومن الاستعداد للقاء رب العالمين الى الاستعداد للقاء اخوان الشياطين فبينا هو يراعي حقوق الله وما امره به صار يرعى الخنازير وبينا هو منتصب لخدمة العزيز الرحيم اذ صار منتصبا لخدمة كل شيطان رجيم والمقصود ان الملك قرين النفس المطمئنة والشيطان قرين الامارة وقد روى ابو الاحوص عن عطاء بن السائب عن مرة عن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان للشيطان لمة بابن ادم وللملك لمة فاما لمة الشيطان فايعاد بالشر وتكذيب بالحق

واما لمة الملك فايعاد بالخير و تصديق بالحق فمن وجد ذلك فليعلم انه من الله و ليحمد الله و من وجد الاخر فليتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ثم قرأ الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء * ورواه عمرو عن عطاء بن السائب و زاد فيه عمرو قال سمعنا في هذا الحديث انه كان يقال اذا احس احدكم من لمة الملك شيئا فليحمد الله و ليسأله من فضله و اذا احس من لمة الشيطان شيئا فليستغفر الله و ليتعوذ من الشيطان *

﴿ فصل ﴾

فالنفس المطمئنة و الملك وجنده من الايمان يقتضيان من النفس المطمئنة التوحيد و الاحسان و البر و التقوى و الصبر و التوكل و التوبة و الانابة و الاقبال على الله و قصر الامل و الاستعداد للموت و ما بعده و الشيطان و جنده من الكفر يقتضيان من النفس الامارة ضد ذلك وقد سلط الله سبحانه الشيطان على كل ما ليس له و لم يرد به وجهه ولا هو طاعة له وجعل ذلك اقطاعه فهو يستنيب النفس الامارة على هذا العمل و الاقطاع و يتقاضيان ان تاخذ الاعمال من النفس المطمئنة فتجعلها قوة لها فهي احرص شئ على تخليص الاعمال كلها لها او ان تصير من حظوظها فاصعب شئ على النفس المطمئنة تخليص الاعمال من الشيطان ومن الامارة لله فلو وصل منها عمل واحد كما ينبغي لنجابة العبد و لكن ابت الامارة و الشيطان ان يدعا لها عملا واحدا يصل الى الله كما قال بعض العارفين بالله و بنفسه والله لو اعلم ان لي عملا واحدا وصل الى الله لكنت افرح بالموت من

الذنب بقدم من اهله وقال عبد الله بن عمرو لأن اتذلل من سجدة واحدة لم يكن شيء احب الي من الموت لما يتقبل الله من المتقين

﴿ فصل ﴾

وقد ذكرت الامارة في مقابلة المطمئنة فكلما جاءت به تلك من خير ضاهتها هذه وجاءت من الشر بما يقابله حتى تفسده عليها فاذا جاءت بالايمان والتوحيد جاءت هذه بما يقدح في الايمان من الشك والنفاق وما يقدح في التوحيد من الشرك ومحبة غير الله وخوفه ورجائه ولا ترضى حتى تقدم محبة غيره وخوفه ورجاءه على محبته سبحانه وخوفه ورجائه فيكون ما له عنده هو المؤخر وما للخلق هو المقدم وهذا حال اكثر هذا الخلق واذا جاءت تلك بتجريد المتابعة للرسول جاءت هذه بتحكيم آراء الرجال واقوالهم على الوحي واتت من الشبه المضلة بما يمنع من كمال المتابعة وتحكيم السنة وعدم الالتفات الى آراء الرجال فتقوم الحرب بين هاتين النفسين والمنصور من نصره الله واذا جاءت تلك بالاخلاص والصدق والتوكل والانابة والمراقبة جاءت هذه باضدادها واخرجتها في عدة قوالب وتقسم بالله ما مرادها الا الاحسان والتوفيق والله يعلم انها كاذبة وما مرادها الا مجرد حظها واتباع هواها والتفلت من سجن المتابعة والتحكيم المحض للسنة الى قضاء ارادتها وشهواتها وحظوظها ولعمر الله ما تخلصت الا من فضاء المتابعة والتسليم الى سجن الهوى والارادة وضيقه وظلمته ووحشته فهي مسجونة في هذا العالم وفي

البرزخ

البرزخ في اضيق منه ويوم المعاد الثاني في اضيق منها ومن اعجب امرها انها تسحر العقل والقلب فتاتي الى اشرف الاشياء وافضلها واجلها فتخرجه في صورة مذمومة واكثر الخلق صبيان العقول اطفال الاحلام لم يصلوا الى حد الفطام الاول عن الموائد والمالوفات فضلا عن البلوغ الذى يميز به العاقل البالغ بين خير الخيرين فيؤثره وشر الشرين فيجتنبه فتريه صورة تجريد التوحيد التي هي ابهى من صورة الشمس والقمر في صورة التنقيص المذموم وهضم العظماء منازلهم وحطهم منها الى مرتبة العبودية المحضة والمسكنة والذل والفقر المحض الذى لا ملكة لهم معه ولا ارادة ولا شفاعة الا من بعد اذن الله فتريهم النفس السحارة هذا القدر غاية تنقيصهم وهضمهم ونزول اقدارهم وعدم تمييزهم عن المساكين الفقراء فتنفر نفوسهم من تجريد التوحيد اشد النفار ويقولون اجعل الالهة الها واحدا ان هذا لشيء عجاب وتريهم تجريد المتابعة للرسول وما جاء به وتقديمه على اراء الرجال في صورة تنقيص العلماء والرغبة عن اقوالهم وما فهموه عن الله ورسوله وان هذه اساءة ادب عليهم وتقدم بين ايديهم وهو مفض الى اساءة الظن بهم وانهم قد فاتهم الصواب وكيف لنا قوة ان نرد عليهم ونفوز ونحظى بالصواب دونهم فتنفر من ذلك اشد النفار وتجعل كلامهم هو المحكم الواجب الاتباع وكلام الرسول هو المتشابه الذى يعرض على اقوالهم فما وافقها قبلناه وما خالفها رددناه واولناه او فوضناه وتقاسم النفس السحارة بالله ان اردنا

الا احسانا و توفيقا او لئك الذين يعلم الله ما في قلوبهم *

﴿ فصل ﴾

و تريه صورة الا خلاص في صورة ينفر منها وهي الخروج عن حكم العقل المعيشي والمداراة والمداهنة التي بها اندراج حال صاحبها ومشيه بين الناس فمتى اخلص اعماله و لم يعمل لاحد شيئا تجنبهم و تجنبوه و ابغضهم وابغضوه وعاداهم وعادوه وسار على جادة وهم على جادة فينفر من ذلك اشد النفار وغايته ان يخلص في القدر اليسير من اعماله التي لا تتعلق بهم و سائر اعماله لغير الله *

﴿ فصل ﴾

و تريه صورة الصدق مع الله وجهاد من خرج عن دينه وامره في قالب الانتصاب لمداوة الخلق واذاهم وحربهم وانه يعرض نفسه من البلاء لما لا يطيق وانه يصير غرضا لسهام الطاعنين وامثال ذلك من الشبه التي تقيها النفس الامارة و الخيالات التي تخيلها * و تريه حقيقة الجهاد في صورة تقتل فيها النفس وتنكح المرأة ويصير الاولاد يتامى ويقسم المال * وتريه حقيقة الزكوة والصدقة في صورة مفارقة المال و نقصه و خلو اليد منه واحتياجه الى الناس و مساواته للفقير وعوده بمنزلته * وتريه حقيقة اثبات صفات الكمال لله في صورة التشبيه و التمثيل فينفر من التصديق بها ويفر غيره * و تريه حقيقة التعطيل والالحاد فيها في صورة التنزيه والتعظيم واعجب من ذلك انها تضاهي ما يحبه الله

ورسوله من الصفات والاخلاق والافعال بما يبغضه منها وتلبس
على العبد احد الامرين بالاخر ولا يخلص من هذا الا ارباب
البصائر فان الافعال تصدر عن الارادات وتظهر على الاركان من
النفسين الامارة والمطمئنة فيتباين الفعلان في البطلان ويشتبهان في
الظاهر ولذلك امثلة كثيرة منها المداراة والمداهنة فالاول من المطمئنة
والثاني من الامارة وخشوع الايمان وخشوع النفاق وشرف النفس
والتيه والحمية والجفان والتواضع والمهانة والقوة في امر الله والعلو في
الارض والحمية لله والغضب له والحمية للنفس والغضب لها والجود والسرف
والمهابة والكبر والصيانة والتكبر والشجاعة والجرأة والحزم والجبن
والاقتصاد والشح والاحتراز وسوء الظن والفراسة والظن والنصيحة
والغيبة والهدية والرشوة والصبر والقوة والعفو والذل وسلامة
القلب والبله والغفلة والثقة والغرة والرجاء والتمني والتحدث بنعم الله
والفخر بها وفرح القلب وفرح النفس ورقة القلب والجزع والموجدة
والحقد والمنافسة والحسد وحب الرياسة وحب الامامة والدعوة الى الله
والحب لله والحب مع الله والتوكل والعجز والاحتياط والوسوسة
والهام الملك والهام الشيطان والاناءة والتسويف والاقتصاد والتقصير
والاجتهاد والغلو والنصيحة والتانيب والمبادرة والعجلة والاخبار
بالحال عند الحاجة والشكوى فالشئ الواحد تكون صورته واحدة
وهو منقسم الى محمود ومذموم كالفرح والحزن والاسف والغضب

و ... وحزنه والقسوة والخشوع والحسد والمنافسة والمرأة
و ... والصيد ... والمداهنة والسكينة والصمت
و ... و ... والغيرة والحمية والغيرة في الحديث
... ومنها ما يكرهه فالغيرة التي يحبها الله الغيرة في
الريبة والتي يكرهها الغيرة في غير ريبة وان من الخيلاء ما يحبه الله ومنها
ما يكرهه ... الخيلاء في الحرب وفي الصحيح ايضا لا حسد
الا في اثنتين رجل آتاه الله مالا وسلطه على هلكته في الحق ورجل آتاه الله
الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها وفي الصحيح ايضا ان الله رفيق يحب
الرفق ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف وفيه ايضا من اعطي
حظه من الرفق فقد اعطي حظه من الخير فالرفق شيء والتواني
والكسل شيء فان المتواني يتثاقل عن مصلحته بعد امكانها فيتقاعد
عنها والرفيق يتلطف في تحصيلها بحسب الامكان مع المطاوعة وكذلك
المداراة صفة مدح والمداهنة صفة ذم والفرق بينهما ان المداري
يتلطف بصاحبه حتى يستخرج منه الحق او يرده عن الباطل والمداهن
يتلطف به ليقره على باطله ويتركه على هواه فالمداراة لاهل الايمان
والمداهنة لاهل النفاق وقد ضرب لذلك مثل مطابق وهو حال رجل
به قرحة قد آلمته فجاءه الطبيب المداوي الرفيق فتعرف حالها ثم اخذ في
تليينها حتى اذا نضجت اخذ في بطها برفق وسهولة حتى اخرج ما فيها ثم
وضع على مكانها من الدواء والمرهم ما يمنع فساده ويقطع مادته ثم تابع

عليها بالمراهم التي تنبت اللحم ثم يذر عليها بعد نبات اللحم ما ينشف رطوبتها
ثم يشد عليها الرباط ولم يزل يتابع ذلك حتى صلحت * والمداهن قال
لصاحبها لا باس عليك منها وهذه لا شئ فاسترها عن العيون بخرقة ثم
اله عنها فلا تزال مادتها تقوى وتستحكم حتى عظم فسادها وهذا
المثل ايضا مطابق كل المطابقة لحال النفس الامارة مع المطمئنة فتامله فاذا
كانت هذه حال قرحة بقدر الحمصة فكيف بسقم هاج من نفس امارة
بالسوء هي معدن الشهوات ومأوى كل فسق وقد قارنها شيطان في
غاية المكر والخداع يعدها ويمنيها ويسحرها بجميع انواع السحر حتى
يخيل اليها النافع ضارا والضار نافعا والحسن قبيحا والقبيح جميلا وهذا
لعمر الله من اعظم انواع السحر ولهذا يقول سبحانه فانى تسحرون * والذى
نسبوا اليه الرسل من كونهم مسحورين هو الذي اصابهم بعينه
وهم اهله لا رسل الله صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين كما انهم نسبوهم الى
الضلال والفساد في الارض والجنون والسفه وما استعاذت
الانبياء والرسل وامراء الامم بالاستعاذة من شر النفس الامارة وصاحبها
وقرينها الشيطان لانهما اصل كل شر وقاعدته ومنبعه وهما متساعدان
عليه متعاونان * رضيعى لبان ثدى ام تقاسما باسحم داج عوض لا يتفرق *
قال الله تعالى فاذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم *
وقال واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم *
وقال وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين واعوذ بك رب ان

يبصرون وقال تعالى قل اعوذ برب الفلق من شر ما خلق ومن شر غاسق اذا وقب ومن شر النفاثات في العقد ومن شر حاسد اذا حسد فهذا استعاذة من شر النفس * وقال قل اعوذ برب الناس ملك الناس اله الناس من شر الوسواس الخناس الذى يوسوس فى صدور الناس من الجنة والناس * فهذا استعاذة من قرينها وصاحبها وبئس القرين والصاحب فامر الله سبحانه نبيه واتباعه بالاستعاذة بربوبية التامة الكاملة من هذين الخلقين العظيم شأنهما في الشر والفساد والقلب بين هذين العدوين لا يزال شرهما يطرقه ويتابه واول ما يدب فيه السقم من النفس الامارة من الشهوة وما يتبعها من الحب والحرص والطلب والغضب ويتبعه من الكبر والحسد والظلم والتسلط فيعلم الطبيب الغاش الخائن بمرضه فيمرده ويصف له انواع السموم والموزبات ويعرل اليه بسحره ان شفاءه فيها ويتفق ضعف القلب بالمرض وقوة النفس الامارة والشيطان وتتابع امدادها وانه نقد حاضر ولذة عاجلة والداعي اليه يدعو من كل ناحية والهوى ينفذ والشهوة تهون والناس بالاكثر والتشبه بهم والرضاء بان يصيبه ما اصابهم فكيف يستجيب مع هذه القواطع وانما نهاالداعى الايمان ومنادى الجنة الا من امده الله بامداد التوفيق وايده برحمته وتولى حفظه وحمايته وفتح بصيرة قلبه فرأى سرعة انقطاع الدنيا وزوالها وتقلبها باهلها وفعلها بهم وانها في الحيوة الدائمة كمس

اصبع في البحر بالنسبة اليه *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين خشوع الايمان وخشوع النفاق ان خشوع الايمان هو خشوع القلب لله بالتعظيم والاجلال والوقار والمهابة والحياء فينكسر القلب لله كسرة ملتئمة من الوجل والخجل والحب والحياء وشهود نعم الله وجناياته هو فيخشع القلب لا محالة فيتبعه خشوع الجوارح واما خشوع النفاق فيبدو على الجوارح تصنعا وتكلفا والقلب غير خاشع وكان بعض الصحابة يقول اعوذ بالله من خشوع النفاق قيل له وما خشوع النفاق قال ان يرى الجسد خاشعا والقلب غير خاشع فالخاشع لله عبد قد خمدت نيران شهوته وسكن دخانها عن صدره فانجلى الصدر واشرق فيه نور العظمة فماتت شهوات النفس للخوف والوقار الذي حشي به وخمدت الجوارح وتوقر القلب واطمأن الى الله وذكره بالسكينة التي نزلت عليه من ربه فصار مخبتا له والمخبت المطمئن فان الخبت من الارض ما تطامن فاستنقع فيه الماء فكذلك القلب المخبت قد خشع وتطامن كالبقعة المطمئنة من الارض التي يجري اليها الماء فيستقر فيها وعلامته ان يسجد بين يدي ربه اجلالا له وذلا وانكسارا بين يديه سجدة لا يرفع رأسه عنها حتى يلقاه واما القلب المتكبر فانه قد اهتز بتكبره وربا فهو كبقعة رابية من الارض لا يستقر عليها الماء فهذا خشوع الايمان واما التماوت وخشوع النفاق فهو حال عند تكلف اسكان

الجوارح تصنعا ومراناة و نفسه في الباطن شابة طرية ذات شهوات وارادات فهو يتخشع في الظاهر وحية الوادي واسد الغابة رابض بين جنبيه ينتظر الفريسة *

﴿ فصل ﴾

فصل في الفرق بين شرف النفس والتيه

واما شرف النفس فهو صيانتها عن الدنايا والرذائل والمطامع التي تقطع اعناق الرجال فيربا بنفسه عن ان يلقيها في ذلك بخلاف التيه فانه خلق متولد بين امرين اعجابه بنفسه وازرائه بغيره فيتولد من بين هذين التيه والاول يتولد من بين خلقين كريمين اعزاز النفس واكرامها وتعظيم مالكها وسيدها ان يكون عبده دنياً وضيعاً خسيساً فيتولد من بين هذين الخلقين شرف النفس وصيانتها واصل هذا كله استعداد النفس وتهيؤها وامداد وليها ومولاها لها فاذا فقد الاستعداد والامداد فقد الخير كله *

﴿ فصل ﴾

فصل في الفرق بين الحمية والجفاء

وكذلك الفرق بين الحمية والجفاء فالحمية فطام النفس عن رضاع اللوم من ثدي هو مصب الخبائث والرذائل والدنايا ولو عز لبنه وتهالك الناس عليه فان لهم فطاما تنقطع معه الاكباد حسرات فلابد من الفطام فان شئت عجل وانت محمود مشكور وان شئت اخر وانت غير ماجور بخلاف الجفاء فانه غلظة في النفس وقساوة في القلب وكثافة في الطبع يتولد عنها خلق يسمى الجفاء *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين التواضع والمهانة * ان التواضع * يتولد من بين العلم بالله سبحانه ومعرفة اسمائه وصفاته ونعوت جلاله وتعظيمه ومحبته واجلاله ومن معرفته بنفسه وتفاصيلها وعيوب عمله وآفاتها فيتولد من بين ذلك كله خلق هو التواضع وهو انكسار القلب لله وخفض جناح الذل والرحمة بعباده فلا يرى له على احد فضلا ولا يرى له عند احد حقا بل يرى الفضل للناس عليه والحقوق لهم قبله وهذا خلق انما يعطيه الله عز وجل من يحبه ويكرمه ويقربه * واما المهانة * فهي الدناءة والخسة وبذل النفس وابتذالها في نيل حظوظها وشهواتها كتواضع السفل في نيل شهواتهم وتواضع المفعول به للفاعل وتواضع طالب كل حظ لمن يرجو نيل حظه منه فهذا كله ضعة لا تواضع والله سبحانه يحب التواضع ويبغض الضعة والمهانة وفي الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم واوحي الي ان تواضعوا حتى لا يفخر احد على احد ولا يبغي احد على احد * والتواضع المحمود على نوعين * احدهما * تواضع العبد عند امر الله امتثالا وعند نهيه اجتنابا فان النفس لطلب الراحة تتلكأ في امره فيبد ومنها نوع اباء وشرا دهربا من العبودية وتثبت عند نهيه طلبا للظفر بما منع منه فاذا وضع العبد نفسه لامر الله ونهيه فقد تواضع للعبودية * والنوع الثاني * تواضعه لعظمة الرب وجلاله وخضوعه لعزته وكبريائه فكلما شمخت نفسه ذكر عظمة الرب تعالى وتفرده بذلك وغضبه الشديد على من نازعه

ذلك فتواضعت اليه نفسه وانكسر لعظمة الله قلبه وتطامن لهيبته واخبت لسلطانه فهذا غاية التواضع وهو يستلزم الاول من غير عكس والمتواضع حقيقة من رزق الامرين والله المستعان ٭

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين القوة في امر الله والعلو في الارض وبين الحمية لله والحمية للنفس ﴾

وكذلك القوة في امر الله هي من تعظيمه وتعظيم امره وحقوقه حتى يقيمها لله والعلو في الارض هو من تعظيم نفسه وطلب تفردها بالرياسة ونفاذ الكلمة سواء عز امر الله او هان بل اذا عارضه امر الله وحقوقه مرضاته في طلب علوه لم يلتفت الى ذلك واهدره واماته في تحصيل علوه وكذلك الحمية لله والحمية للنفس فالاولى يثيرها تعظيم الامر والآمر والثانية يثيرها تعظيم النفس والغضب لفوات حظوظها فالحمية لله ان يحمى قلبه له من تعظيم حقوقه وهي حال عبد قد اشرق على قلبه نور سلطان الله فامتلأ قلبه بذلك النور فاذا غضب فانما يغضب من اجل نور ذلك السلطان الذي القي على قلبه وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب احمرت وجنتاه وبدا بين عينيه عرق يدره الغضب ولم يقم لغضبه شيء حتى ينتقم لله وروى زيد بن اسلم عن ابيه ان موسى بن عمران صلى الله عليه وسلم كان اذا غضب اشتعلت قلنسوته نارا وهذا بخلاف الحمية للنفس فانها حرارة تهيج من نفسه لفوات حظها او طلبه فان الفتنة في النفس والفتنة في الحرين والنفس متلظية بنار الشهوة والغضب فانما هما حرارتان يظهران على الاركان حرارة من قبل النفس المطلشة آثارها

تعظيم حق الله وحرارة من قبل النفس والا مارة آثارها استشمار فوت الحظ *

﴿فصل﴾

والفرق بين الجود والسرف ان الجواد حكيم يضع العطاء مواضعه والمسرف مبذر فقد يصادف عطاؤه موضعه وكثيرا لا يصادفه وايضاح ذلك ان الله سبحانه بحكمته جعل في المال حقوقا وهي نوعان حقوق موظفة وحقوق ثابتة فالحقوق الموظفة كالزكوة والنفقات الواجبة على من تلزمه نفقته والثانية كحق الضيف ومكافاة المهدى وما وقى به عرضه ونحو ذلك فالجواد يتوخى بماله اداء هذه الحقوق على وجه الكمال طيبة بذلك نفسه راضية مؤملة للخلف في الدنيا والثواب في العقبى فهو يخرج ذلك بسماحة قلب وسخاوة نفس وانشراح صدر بخلاف المبذر فانه يبسط يده في ماله بحكم هواه وشهوته جزافا لا على تقدير ولا مراعاة مصلحة وان اتفقت له فالاول بمنزلة من بذر حبه في الارض تنبت وتوخى ببذره مواضع المغل والانبات فهذا لا يعد مبذرا ولا سفيها والثاني بمنزلة من بذر حبه في سباخ وغرازمن الارض وان اتفق بذره في محل النبات بذر بذرا متراكما بعضه على بعض فذلك المكان البذر فيه ضائع معطل وهذا المكان بذرا متراكما بعضه على بعض فذلك يحتاج ان يقلع بعض زرعه ليصلح الباقي ولئلا تضعف الارض عن تربيته والله سبحانه هو الجواد على الاطلاق بل كل جود في العالم العلوى والسفلى بالنسبة الى جوده اقل من قطرة في بحار

الدنيا وهي من جوده ومع هذا فانما ينزل بقدر ما يشاء وجوده لا يناقض حكمته ويضع عطاءه مواضعه وان خفي على اكثر الناس ان تلك مواضعه فالله اعلم حيث يضع فضله واي المحال اولى به •

فصل في الفرق بين المهابة والكبر

فصل

والفرق بين المهابة والكبر ان المهابة اثر من آثار امتلاء القلب بعظمة الله ومحبته واجلاله فاذا امتلأ القلب بذلك حل فيه النور ونزلت عليه السكينة والبس رداء الهيبة فاكتسى وجهه الحلاوة والمهابة فاخذ بمجامع القلوب محبة ومهابة فحنت اليه الافئدة وقرت به العيون وانست به القلوب فكلامه نور ومدخله نور ومخرجه نور وعمله نور وان سكت علاه الوقار وان تكلم اخذ بالقلوب والاسماع • واما الكبر فاثر من آثار العجب والبغي من قلب قد امتلأ بالجهل والظلم ترحلت منه العبودية ونزل عليه المقت فنظره الى الناس شزر ومشيه بينهم تبختر ومعاملته لهم معاملة الاستئثار لا الايثار ولا الانصاف ذاهب بنفسه تيها لا يبدأ من لقيه بالسلام وان رد عليه رأى انه قد بالغ في الانعام عليه لا ينطلق لهم وجهه ولا يسعهم خلقه ولا يرى لاحد عليه حقا ويرى حقوقه على الناس ولا يرى فضلهم عليه ويرى فضله عليهم لا يزداد من الله الا بعدا ومن الناس الا صغارا او بغضا •

فصل في الفرق بين الصيانة والتكبر

فصل

والفرق بين الصيانة والتكبر ان الصائن لنفسه بمنزلة رجل قد لبس

ثوبا جديدا نقي البياض ذا ثمن فهو يدخل به على الملوك فمن دونهم فهو يصونه عن الوسخ والغبار والطبوع وانواع الآثار ابقاء على بياضه ونقائه فتراه صاحب تعزز وهروب من المواضع التي يخشى منها عليه التلوث فلا يسمح باثر ولا طبع ولا لوث يعلو ثوبه وان اصابه شيء من ذلك على غرة بادر على قلعه وازالته ومحو اثره وهكذا الصائن لقلبه ودينه تراه يجتنب طبوع الذنوب وآثارها فان لها في القلب طبوعا وآثارا اعظم من الطبوع الفاحشة في الثوب النقي البياض ولكن على العيون غشا وة ان تدرك تلك الطبوع فتراه يهرب من مظان التلوث ويحترس من الخلق ويتباعد من تخالطهم مخافة ان يحصل لقلبه ما يحصل للثوب الذي يخالط الدباغين والذباحين والطباخين ونحوهم بخلاف صاحب العلو فانه وان شابه هذا في تحرزه وتجنبه فهو يقصد ان يعلو رقابهم ويجعلهم تحت قدمه فهذا لون وذاك لون *

*﴿فصل﴾

والفرق بين الشجاعة والجرأة * ان الشجاعة * من القلب وهي ثباته واستقراره عند المخاوف وهو خلق يتولد من الصبر وحسن الظن فانه متى ظن الظفر وساعده الصبر ثبت كما ان الجبن يتولد من سوء الظن وعدم الصبر فلا يظن الظفر ولا يساعده الصبر واصل الجبن من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء وهو ينشأ من الرية فاذا ساء الظن ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرية فزاحمت القلب في مكانه وضيقت عليه

* فصل في الفرق بين الشجاعة والجرأة *

حتى ازعجه عن مستقره فاصابه الزلزال والاضطراب لازعاج الرئة له وتضييقها عليه ولهذا جاء في حديث عمرو بن العاص الذي رواه احمد وغيره عن النبي صلى الله عليه وسلم شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع * سمي الجبن خالعا لانه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السحر وهو الرئة كما قال ابو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر انتفخ سحرك فاذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الامور على غير مواضعها * فالشجاعة * حرارة القلب وغضبه وقيامه وانتصابه وثباته فاذا راته الاعضاء كذلك اعانته فانها خدم له وجنود كما انه اذا ولى ولت سائر جنوده * واما الجراءة * فهي اقدام سببه قلة المبالاة وعدم النظر في العاقبة بل تقدم النفس في غير موضع الاقدام معرضة عن ملاحظة العارض فاما عليها واما لها *

﴿ فصل ﴾

واما الفرق بين الحزم والجبن * فالحازم * هو الذي قد جمع عليه همه وارادته وعقله ووزن الامور بعضها ببعض فاعد لكل منها قرنه ولفظة الحزم تدل على القوة والاجتماع ومنه حزمة الحطب فحازم الرأي هو الذى اجتمعت له شؤن رأيه وعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فاحجم في موضع الاحجام رأيا وعقلا لا جبنا وضعفا *

العاجز الرأي مضياع لفرصته * حتى اذا فات امر عاتب القدرا

فصل في الفرق بين الحزم والجبن

﴿ فصل ﴾

الفرق بين الاقتصاد والشح * ان الاقتصاد * خلق محمود يتولد من
لقبن عدل وحكمة فبالعدل يعتدل في المنع والبذل وبالحكمة يضع
واحد منهما موضعه الذي يليق به فيتولد من بينهما الاقتصاد وهو وسط
طرفين مذمومين كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا
سطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا * وقال والذين اذا انفقوا
سرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * وقال كلوا واشربوا
تسرفوا * واما الشح * فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس
بده وعد الشيطان حتى يصير هلعا والهلع شدة الحرص على الشئ
اشره به فيتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده كما قال تعالى ان الانسان
ق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا *

﴿ فصل ﴾

فرق بين الاحتراز وسوء الظن * ان المحترز * بمنزلة رجل قد خرج
له ومركوبه مسافرا فهو يحترز بجهده من كل قاطع للطريق وكل
كان يتوقع منه الشر وكذلك يكون مع التأهب والاستعداد واخذ
اسباب التي بها ينجو من المكروه * فالمحترز كالمتسلح المتدرع الذي
تأهب للقاء عدوه واعد له عدته فهمه في تهيئة اسباب النجاة ومحاربة
عدوه قد اشغلته عن سوء الظن به وكلما ساء به الظن اخذ في انواع العدة
التأهب * واما سوء الظن * فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى

* فصل في الفرق بين الاقتصاد والشح *

* فصل الفرق بين الاحتراز وسوء الظن *

حتى ازعجته عن مستقره فاصابه الزلزال والاضطراب لازعاج الرئة له وتضييقها عليه ولهذا جاء في حديث عمرو بن العاص الذي رواه احمد وغيره من النبي صلى الله عليه وسلم شر ما في المرء جبن خالع وشح هالع ﴿ فسمى الجبن خالعا لانه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السحر وهو الرئة كما قال ابو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر انتفخ سحرك فاذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل فظهر الفساد على الجوارح فوضعت الامور على غير مواضعها ﴿ فالشجاعة ﴿ حرارة القلب وغضبه وقيامه وانتصابه وثباته فاذا راءته الاعضاء كذلك اعانته فانها خدم له وجنود كما انه اذا ولى ولت سائر جنوده ﴿ واما الجرأة ﴿ فهي اقدام سببه قلة المبالاة وعدم النظر في العاقبة بل تقدم النفس في غير موضع الاقدام معرضة عن ملاحظة العارض فاما عليها واما لها ﴿

﴿ فصل ﴾

واما الفرق بين الحزم والجبن ﴿ فالحازم ﴿ هو الذي قد جمع عليه همه وارادته وعقله ووزن الامور بعضها ببعض فاعد لكل منها قرنه ولفظة الحزم تدل على القوة والاجتماع ومنه حزمة الحطب فحازم الرأي هو الذي اجتمعت له شؤن رأيه وعرف منها خير الخيرين وشر الشرين فاحجم في موضع الاحجام رأيا وعقلا لا جبنا وضعفا ﴿

العاجز الرأي مضياع لفرصته ﴿ حتى اذا فات امر عاتب القدرا

﴿ فصل في الفرق بين الحزم والجبن ﴾

﴿ فصل ﴾

وأما الفرق بين الاقتصاد والشح * ان الاقتصاد * خلق محمود يتولد من خلقين عدل وحكمة فبالعدل يعتدل في المنع والبذل وبالحكمة يضع كل واحد منهما موضعه الذي يليق به فيتولد من بينهما الاقتصاد وهو وسط بين طرفين مذمومين كما قال تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا * وقال والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما * وقال كلوا واشربوا ولا تسرفوا * واما الشح * فهو خلق ذميم يتولد من سوء الظن وضعف النفس ويمده وعد الشيطان حتى يصير هلعا والهلع شدة الحرص على الشئ والشره به فيتولد عنه المنع لبذله والجزع لفقده كما قال تعالى ان الانسان خلق هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الاحتراز وسوء الظن * ان المحترز * بمنزلة رجل قد خرج بماله ومركوبه مسافرا فهو يحترز بجهده من كل قاطع للطريق وكل مكان يتوقع منه الشر وكذلك يكون مع التأهب والاستعداد واخذ الاسباب التي بها ينجو من المكروه فالمحترز كالمتسلح المتدرع الذي قد تأهب للقاء عدوه واعد له عدته فهمه في تهيئة اسباب النجاة ومحاربة عدوه قد اشغلته عن سوء الظن به وكلما ساء به الظن اخذ في انواع العدة والتأهب * واما سوء الظن * فهو امتلاء قلبه بالظنون السيئة بالناس حتى

﴿ فصل في الفرق بين الاقتصاد والشح ﴾

﴿ فصل الفرق بين الاحتراز وسوء الظن ﴾

يطفح على لسانه وجوارحه فهم معه ابدا في الممز واللمز والطعن والعيب والبغض يبغضهم ويبغضونه ويلعنهم ويلعنونه ويحذرهم ويحذرون منه فالاول يخالطهم ويحترز منهم والثاني يتجنبهم ويلحقه اذاهم الاول داخل فيهم بالنصيحة والاحسان مع الاحتراز والثاني خارج منهم مع الغش والدغل والبغض *

﴿ فصل ﴾

فصل في الفرق بين الفراسة والظن

والفرق بين الفراسة والظن * ان الظن * يخطئ ويصيب ويكون مع ظلمة القلب ونوره وطهارته ونجاسته ولهذا امر تعالى باجتناب كثير منه واخبران بعضه اثم * واما الفراسة * فاثنى على اهلها ومدحهم في قوله ان في ذلك لايات للمتوسمين * قال ابن عباس وغيره اى للمتفرسين وقال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم * وقال تعالى ولونشاء لاريناكهم فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول * فالفراسة الصادقة لقلب قد تطهر وتصفى وتنزه من الادناس وقرب من الله فهو ينظر بنور الله الذى جعله في قلبه وفي الترمذى وغيره من حديث ابي سعيد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اتقوا فراسة المومن فانه ينظر بنور الله * وهذه الفراسة نشأت له من قربه من الله فان القلب اذا قرب من الله انقطعت عنه معارضات السوء المانعة من معرفة الحق وادراكه وكان تلقيه من مشكوة قريبة من الله بحسب قربه منه واضاء له النور بقدر قربه فرأى في ذلك النور مالم يره البعيد والمحجوب

كما ثبت في الصحيح من حديث ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروى عن ربه عز وجل انه قال ما تقرب الي عبدي بمثل ما افترضت عليه ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي * فاخبر سبحانه ان تقرب عبده منه يفيده محبته له فاذا احبه قرب من سمعه وبصره ويده ورجله فسمع به وابصر به وبطش به ومشى به فصار قلبه كالمرآة الصافية تبدو فيها صور الحقائق على ما هي عليه فلا تكاد تخطى له فراسة فان العبد اذا ابصر بالله ابصر الامر على ما هو عليه فاذا سمع بالله سمعه على ما هو عليه وليس هذا من علم الغيب بل علام الغيوب قذف الحق في قلب قريب مستبشر بنوره غير مشغول بنقوش الاباطيل والخيالات والوساوس التي تمنعه من حصول صور الحقائق فيه واذا غلب على القلب النور فاض على الاركان وبادر من القلب الى العين فكشف بعين بصره بحسب ذلك النور وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى اصحابه في الصلوة وهم خلفه كما يراهم امامه ورای بيت المقدس عيانا وهو بمكة ورأى قصور الشام وابواب صنعاء ومداين كسرى وهو بالمدينة يحفر الخندق ورأى امراءه بموتة وقد اصيبوا وهو بالمدينة ورأى النجاشي بالحبشة لما مات وهو بالمدينة فخرج الى المصلى فصلى عليه * ورأى عمر سارية بنهاوند من ارض فارس

هو وعساكر المسلمين وهم يقاتلون عدوهم فناداه ياسارية الجبل، ودخل عليه نفر من مذحج فيهم الاشتر النخعي فصعد فيه البصر وصوبه وقال ايهم هذا قالوا مالك بن الحارث فقال ماله قاتله الله اني لارى للمسلمين منه يوما عصيبا، ودخل عمرو بن عبيد على الحسن فقال هذا سيد الفتيان ان لم يحدث، وقيل ان الشافعي ومحمد بن الحسن جلسا في المسجد الحرام فدخل رجل فقال محمد اتفرس انه نجار فقال الشافعي اتفرس انه حداد فسألاه فقال كنت حدادا وانا اليوم انجر، ودخل ابو الحسن البوسنجي والحسن الحداد على ابي القاسم المناوى يعودانه فاشتريا في طريقهما بنصف درهم تفاحا نسية فلما دخلا عليه قال ماهذه الظلمة فخرجا وقالا ما علمنا لعل هذا من قبل ثمن التفاح فاعطيا الثمن ثم عادا اليه فوقع بصره عليهما فقال يمكن الانسان ان يخرج من الظلمة بهذه السرعة اخبراني عن شانكما فاخبراه بالقصة فقال نعم كان كل واحد منكما يعتمد على صاحبه في اعطاء الثمن والرجل مستح منكما في التقاضي، وكان بين ابي زكريا النخشبي وبين امرأة سبب قبل توبته فكان يوما واقفا على راس ابي عثمان الحيرى فتفكر في شانها فرفع ابو عثمان اليه رأسه وقال الا تستحيي، وكان شاه الكرماني جيد الفراسة لا تخطئ فراسته وكان يقول من غض بصره عن المحارم وامسك نفسه عن الشهوات وعمر باطنه بدوام المراقبة وظاهره باتباع السنة وتعود اكل الحلال لم تخط فراسته، وكان شاب يصحب الجنيد يتكلم على الخواطر فذكر للجنيد فقال ايش

هذا الذي ذكر لي عنك فقال له اعتقد شيئا فقال له الجنيد اعتقدت
فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا فقال فاعتقد ثانيا
قال اعتقدت فقال الشاب اعتقدت كذا وكذا فقال الجنيد لا قال فاعتقد
ثالثا قال اعتقدت قال الشاب هو كذا وكذا قال لا فقال الشاب
هذا اعجب وانت صدوق وانا اعرف قلبي فقال الجنيد صدقت في
الاولى والثانية والثالثة لكن اردت ان امتحنك هل يتغير قلبك * وقال
ابو سعيد الخراز دخلت المسجد الحرام فدخل فقير عليه خرقتان يسأل
شيئا فقلت في نفسي مثل هذا كل على الناس فنظر الي وقال اعلموا ان الله
يعلم ما في انفسكم فاحذروه قال فاستغفرت في سري فناداني وقال وهو
الذي يقبل التوبة عن عباده * وقال ابراهيم الخواص كنت في الجامع
فاقبل شاب طيب الرائحة حسن الوجه حسن الحرمة فقلت لاصحابنا يقع
لي انه يهودي فكلهم كره ذلك فخرجت وخرج الشاب ثم رجع اليهم
فقال ايش قال الشيخ فيّ فاحتشموه فالح عليهم فقالوا قال انك يهودي
فجاء فاكب على يدي فاسلم فقلت ما السبب فقال نجد في كتابنا ان
الصديق لا تخطئ فراسته فقلت امتحن المسلمين فتاملتهم فقلت ان كان
فيهم صديق ففي هذه الطائفة فلبست عليكم فلما اطلع هذا الشيخ
علي وتفرسني علمت انه صديق * وهذا عثمان بن عفان دخل عليه رجل
من الصحابة وقد رأى امرأة في الطريق فتأمل محاسنها فقال له عثمان
يدخل علي احدكم واثر الزنا ظاهر على عينيه فقلت اوحي بعد رسول الله

صلى الله عليه وسلم فقال لا ولكن تبصرة وبرهان وفراسة صادقة ، فهذا شان الفراسة وهي نور يقذفه الله في القلب فيخطر له الشيء فيكون كما خطر له وينفذ الى العين فترى مالا يراه غيرها *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين النصيحة والغيبة ان النصيحة يكون القصد فيها تحذير المسلم من مبتدع او فتان اوغاش او مفسد فتذكر مافيه اذا استشارك في صحبته ومعاملته والتعلق به كما قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة بنت قيس وقد استشارته في نكاح معاوية وابي جهم فقال اما معاوية فصعلوك واما ابوجهم فلا يضع عصاه عن عاتقه ، وقال عن بعض اصحابه لمن سافر معه اذا هبطت بلاد قومه فاحذره ، فاذا وقعت الغيبة على وجه النصيحة لله ورسوله وعباده المسلمين فهي قربة الى الله من جملة الحسنات واذا وقعت على وجه ذم اخيك وتمزيق عرضه والتفكه بلحمه والغض منه لتضع منزلته من قلوب الناس فهي الداء العضال ونار الحسنات التي تاكلها كما تاكل النار الحطب *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الهدية والرشوة وان اشتبها في الصورة القصد فان الراشي قصده بالرشوة التوصل الى ابطال حق او تحقيق باطل فهذا الراشي الملعون على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم فان رشا لدفع الظلم عن نفسه اختص المرتشي وحده باللعنة * واما المهدي ، فقصده

استجلاب المودة والمعرفة والاحسان فان قصد المكافاة فهو معاوض وان قصد الربح فهو مستكثر*

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الصبر والقسوة* ان الصبر* خلق كسبي يتخلق به العبد وهو حبس النفس عن الجزع والهلع والتشكي فيحبس النفس عن التسخط واللسان عن الشكوى والجوارح عما لا ينبغي فعله وهو ثبات القلب على الاحكام القدرية والشرعية* واما القسوة* فيبس في القلب يمنعه من الانفعال وغلظة تمنعه من التاثر بالنوازل فلا يتاثر لغلظته وقساوته لا لصبره واحتماله وتحقيق هذا ان القلوب ثلاثة* قلب قاس* غليظ بمنزلة اليد اليابسة* وقلب مائع* رقيق جدا فالاول لا ينفعل بمنزلة الحجر والثاني بمنزلة الماء وكلاهما ناقص واصح القلوب* القلب الرقيق* الصافي الصلب فهو يرى الحق من الباطل بصفائه ويقبله ويؤثره برقته ويحفظه ويحارب عدوه بصلابته وفي اثر القلوب آنية الله في ارضه فاحبها اليه ارقها واصلبها واصفاها وهذا القلب الزجاجي فان الزجاجة جمعت الاوصاف الثلاثة وابغض القلوب الى الله القلب القاسي قال تعالى فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله* وقال ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة او اشد قسوة* وقال ليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض والقاسية قلوبهم* فذكر القلبين المنحرفين عن الاعتدال هذا بمرضه وهذا بقسوته وجعل القاء

الشيطان فتنة لاصحاب هذين القلبين ورحمة لاصحاب القلب الثالث وهو القلب الصافى الذى ميز بين القاء الشيطان والقاء الملك بصفائه وقبل الحق باخباته ورقته وحارب النفوس المبطلة بصلابته وقوته فقال تعالى عقيب ذلك وليعلم الذين اوتوا العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم وان الله لهادى الذين امنوا الى صراط مستقيم ٭

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل فى الفرق بين العفو والذل ﴾

والفرق بين العفو والذل ٭ان العفو ٭اسقاط حقك جودا او كرما واحسانا مع قدرتك على الانتقام فتوثر الترك رغبة فى الاحسان ومكارم الاخلاق بخلاف الذل فان صاحبه يترك الانتقام عجزا وخوفا ومهانة نفس فهذا مذموم غير محمود ولعل المنتقم بالحق احسن حالا منه قال تعالى والذين اذا اصابهم البغى هم ينتصرون ٭ فدحهم بقوتهم على الانتصار لنفوسهم وتقاضيهم منها ذلك حتى اذا قدروا على من بغى عليهم وتمكنوا من استيفاء مالهم عليه ندبهم الى الخلق الشريف من العفو والصفح فقال وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح فاجره على الله انه لا يحب الظالمين ٭ فذكر المقامات الثلاثة العدل واباحه والفضل وندب اليه والظلم وحرمه ٭ فان قيل ٭فكيف مدحهم على الانتصار والعفو وهما متنافيان ٭ قيل ٭ لم يمدحهم على الاستيفاء والانتقام وانما مدحهم على الانتصار وهو القدرة والقوة على استيفاء حقهم فلما قدروا ندبهم الى العفو قال بعض السلف

في هذه الاية كانوا يكرهون ان يستذلوا فاذا اقدروا عفوا فمدحهم على عفو بعد قدرة لا على عفو ذل و عجز و مهانة و هذا هو الكمال الذي الذي مدح سبحانه به نفسه في قوله وكان الله عفوا قديرا * والله غفور رحيم * وفي اثر معروف حملة العرش اربعة اثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك واثنان يقولان سبحانك اللهم ربنا وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك * ولهذا قال المسيح صلوات الله وسلامه عليه ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم * اى ان غفرت لهم غفرت عن عزة وهي كمال القدرة وحكمة وهي كمال العلم فغفرت بعد ان علمت ما عملوا واحاطت بهم قدرتك اذ المخلوق قد يغفر بعجزه عن الانتقام وجهله بحقيقة ما صدر من المسيء والعفو من المخلوق ظاهره ضيم وذل وباطنه عز ومهابة والانتقام ظاهره عز وباطنه ذل فما زاد الله بعفو الا عزا ولا انتقم احد لنفسه الا ذل ولو لم يكن الا بفوات عز العفو ولهذا ما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه قط وتامل قوله سبحانه هم ينتصرون كيف يفهم منه ان فيهم من القوة ما يكونون هم المنتصرين لانفسهم لا ان غيرهم هو الذي ينصرهم ولما كان الانتصار لا تقف النفوس فيه على حد العدل غالبا بل لا بد من المجاوزة شرع فيه سبحانه المماثلة والمساواة وحرم الزيادة وندب الى العفو والمقصود ان العفو من اخلاق النفس المطمئنة والذل من اخلاق الامارة ونكتة المسئلة ان

الانتقام شئ والانتصار شئ فالانتصار ان ينتصر لحق الله ومن اجله ولايقوى على ذلك الامن تخلص من ذل حظه ورق هواه فانه حينئذ ينال حظا من العز الذى قسم الله للمؤمنين فاذا بغى عليه انتصر من الباغي من اجل عزالله الذى اعزه به غيرة على ذلك العز ان يستضام ويقهر وحمية للعبد المنسوب الى العزيز الحميد ان يستذل فهو يقول للباغي عليه انامملوك من لايذل مملوكه ولا يحب ان يذله احدواذا كانت نفسه الامارة قائمة على اصولها لم تحتث بعد طلبه الانتقام والانتصار لحظها وظفرها بالباغي تشفيا فيه واذ لالاله واما النفس المطمئنة التى خرجت من ذل حظها ورق هواها الى عز توحيدها وانابتها الى ربها فاذانالها البغى قامت بالانتصار حمية ونصرة للعز الذى اعزها الله به ونالته وهو فى الحقيقة حمية لربها ومولاها وقدضرب لذلك مثل بعبد ين من عبيد الملوك حرا ثين ضرب احدهما صاحبه فعفا المضروب عن الضارب نصحا منه لسيده وشفقة على الضارب ان يعاقبه السيد فلم يجشم سيده خلفه عقوبته وافساده بالضرب فشكر العافي على عفوه ووقع منه بموقع وعبد اخرقداقامه بين يديه وجمله والبسه ثيابا يقف بها بين يديه فعمد بعض سواس الدواب واضرابهم ولطخ تلك الثياب بالعذرة اومزقها فلوعفا عن من فعل به ذلك لم يوافق عفوه رأي سيده ولامحبته وكان الانتصار احب اليه واوفق لمرضاته كانه يقول انما فعل هذا بك جرأة علي واستخفافا بسلطاني فاذ امكنه من عقوبته فاذله وقهره

ولم يبق الا ان يبطش به فذل وانكسر قلبه فان سيده يجب منه ان لا يعاقبه
لحظه وان ياخذ منه حق السيد فيكون انتصاره حينئذ لمحض حق
سيده لا لنفسه كما روي عن علي انه مر برجل فاستغاث به وقال هذا
منعني حقي ولم يعطني اياه فقال اعطه حقه فلما جاوز هلج الظالم ولطم
صاحب الحق فاستغاث بعلي فرجع وقال اتاك الغوث فقال له استقد منه
فقال قد عفوت يا امير المؤمنين فضربه علي تسع درر وقال قد عفا
عنك من لطمته وهذا حق السلطان * فعاقبه علي لما اجترأ على سلطان الله
ولم يدعه ويشبه هذا قصة الرجل الذي جاء الى ابي بكر فقال احملني
فوالله لانا افرس منك ومن ابنك وعنده المغيرة بن شعبة فحسر عن
ذراعه وصك بها انف الرجل فسال الدم فجاء قومه الى ابي بكر رضي الله
عنه فقالوا اقدنا من المغيرة فقال انا اقيدكم من وزعة الله لا اقيدكم منه *
فرأى ابو بكر ان ذلك انتصار من المغيرة وحمية لله وللعز الذي اعزبه
خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ليتمكن بذلك العز من
حسن خلافته واقامة دينه فترك قوده لاجترائه على عز الله
وسلطانه الذي اعزبه رسوله ودينه وخليفته فهذا لون والضرب
حمية للنفس الامارة لون *

* فصل *

والفرق بين سلامة القلب والبله والتغفل * ان سلامة القلب * تكون من
عدم ارادة الشر بعد معرفته فيسلم قلبه من ارادته وقصده لا من معرفته

وتمنى على الله الاماني والغرور وثقتك بمن لا يوثق به وسكونك الى من لا يسكن اليه ورجاؤك النفع من المحل الذي لا يأتي بخير كالمغتر بالسراب قال تعالى والذين كفروا اعمالهم كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ووجد الله عنده فوفاه حسابه والله سريع الحساب * وقال تعالى في وصف المغترين قل هل ننبئكم بالاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وهؤلاء اذا انكشف الغطاء وثبتت حقائق الامور علموا انهم لم يكونوا على شيء وبدالهم من الله مالم يكونوا يحتسبون وفي اثر معروف اذا رأيت الله سبحانه يزيدك من نعمه وانت مقيم على معصيته فاحذره فانما هو استدراج يستدرجك به وشاهد هذا في القران في قوله تعالى فلما نسوا ما ذكروا به فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون * وهذا من اعظم الغرة ان تراه يتابع عليك نعمه وانت مقيم على ما يكره فالشيطان موكل بالغرور وطبع النفس الامارة الاغترار فاذا اجتمع الرأي والبغي والرأى المحتاج والشيطان الغرور والنفس المغترة لم يقع هناك خلاف فالشياطين غروا المغترين بالله واطمعوهم مع اقامتهم على ما يسخط الله ويغضبه في عفوه وتجاوزه وحدثوهم بالتوبة لتسكن قلوبهم ثم دافعوهم بالتسويف حتى هجم الاجل فاخذوا على اسوء احوالهم وقال تعالى وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم بالله الغرور * وقال تعالى يا ايها الناس ان وعد الله حق فلا تغرنكم الحيوة

ولا يغرنكم بالله الغرور وأعظم الناس غروراً بربه من اذا مسه الله برحمة منه وفضل قال هذا لي اي انا اهله وجدير به ومستحق له ثم قال وما اظن الساعة قائمة فظن انه اهل لما اولاه من النعم مع كفره بالله ثم زاد في غروره فقال ولئن رجعت الى ربي ان لي عنده للحسنى يعني الجنة والكرامة فهكذا تكون المرة بالله فالمغتر بالشيطان مغتر بوعوده وامانيه وقد ساعده اغتراره بدنياه ونفسه فلا يزال كذلك حتى يتردى في ابار الهلاك ه

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الرجاء والتمني ان الرجاء يكون مع بذل الجهد واستفراغ الطاقة في الاتيان باسباب الظفر والفوز والتمني حديث النفس بحصول ذلك مع تعطيل الاسباب الموصلة اليه قال تعالى ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولائك يرجون رحمة الله فطوى سبحانه بساط الرجاء الاعن هؤلاء وقال المغترون ان الذين ضيعوا اوامره وارتكبوا نواهيه واتبعوا ما اسخطه وتجنبوا ما يرضيه اولائك يرجون رحمته وليس هذا ابدع من غرور النفس والشيطان لهم فالرجاء لعبد قد امتلأ قلبه من الايمان بالله واليوم الاخر فمثل بين عينيه ما وعده الله تعالى من كرامته وجنته فامتد القلب مائلاً الى ذلك شوقاً اليه وحرصاً عليه فهو شبيه بالماد عنقه الى مطلوب قد صار نصب عينيه وعلامة الرجاء الصحيح ان الراجي يخاف فوت الجنة وذهاب حظه منها بترك ما يخاف ان يحول بينه وبين دخولها فمثله مثل رجل

﴿ فصل في الفرق بين الرجاء والتمني ﴾

خطب امرأة كريمة في منصب وشرف الى اهلها فلما آن وقت العقد واجتماع الاشراف والاكابر واتى الرجل الى الحضور واعلم عشية ذلك اليوم ليتاهب للحضور فتراه المرأة واكابر الناس فاخذ في التاهب والتزين والتجمل فاخذ من فضول شعره وتنظف وتطيب ولبس اجمل ثيابه واتى الى تلك الدار متقيا في طريقه كل وسخ ودنس واثر يصيبه اشد توقي حتى الغبار والدخان وماهو دون ذلك فلما وصل الى الباب رحب به ربها ومكن له في صدر الدار على الفرش والوسائد ورمقته العيون وقصد بالكرامة من كل ناحية فلو انه ذهب بعد اخذ هذه الزينة فجلس في المزابل وتمرغ عليها وتمعك بها وتلطخ في بدنه وثيابه بما عليها من عذرة وقذر ودخل ذلك في شعره وبشره وثيابه فجاء على تلك الحال الى تلك الدار وقصد دخولها للوعد الذي سبق له فقام اليه البواب بالضرب والطرد والصياح عليه والابعاد له من بابها وطريقها فرجع متحيرا خاسئا فالاول حال الراجي وهذا حال المتمني وان شئت مثلت حال الرجلين بملك هو من اغير الناس واعظمهم امانة واحسنهم معاملة لا يضيع لديه حق احد وهو يعامل الناس من وراء ستر لا يراه احد وبضائعه واموا له وتجاراته وعبيده واماؤه ظاهر بارز في داره للمعاملين فدخل عليه رجلان فكان احدهما يعامله بالصدق والامانة والنصيحة لم يجرب عليه غشا ولا خيانة ولا مكرا فباعه بضائعه كلها واعتمد مع مماليكه وجواريه ما يجب ان يعتمد معهم فكان اذا

دخل اليه ببضاعة تخير له احسن البضائع واحبها اليه وان صرفها بدء
بذل جهده في تحسينها وتتميمها وجعل ما خفى منها احسن مما ظهر ويعلم
المؤنة ممن امره ان يسلمها منه وامتثل ما امره به السفير بينه وبينه في
مقدار ما يعمله صفته وهيئته وشكله ورقته وسائر شؤنه وكان الاخر اذا
دخل دخل باخس بضاعة يجدها لم يخلصها من الغش ولا نصح فيها
ولا اعتمد في امرها ما قاله المترجم عن الملك والسفير بينه وبين الصناع
والتجار بل كان يعملها على ما يهواه هو ومع ذلك فكان يخون الملك في
داره اذ هو غائب عن عينه فلا يلوح له طمع الاخانه ولا حرمة للملك
الامد بصره اليها وحرص على افسادها ولا شيئا يسخط الملك الا ارتكبه
اذا اقدر عليه فمضيا على ذلك مدة ثم قيل ان الملك يبرز اليوم لمعامليه
حتى يحاسبهم ويعطيهم حقوقهم فوقف الرجلان بين يديه فعامل
كل واحد منهما بما يستحقه فتامل هذين المثلين فان الواقع مطابق لها
فالراجي على الحقيقة لما صارت الجنة نصب عينيه ورجاؤه واملة امتد اليها
قلبه وسعى لها سعيها فان الرجاء هو امتداد القلب وميله وحقق رجاءه
كال الناهب وخوف الفوت والاخذ بالحذر واصله من التنحي ورجاء
البير ناحيته وارجاء السماء نواحيها وامتداد القلب الى المحبوب منقطعا
عن ما يقطعه عنه هو تنحي عن النفس الامارة واسبابها وما تدعو اليه وهذا
الامتداد والميل والخوف من شان النفس المطمئنة فان القلب اذا
انفتحت بصيرته فرأى الاخرة وما اعد الله فيها لاهل طاعته واهل

معصيته خاف وخف مرتحلا الى الله والدار الآخرة وكان قبل ذلك
ملتفتا الى النفس والنفس الى الشهوات والدنيا فلما انكشف عنه غطاء
النفس خف وارتحل عن جوارها طالبا جوار العزيز الرحيم في
جنات النعيم ومن ههنا صار كل خائف راجيا وكل راج خائفا فاطلق
اسم احدهما على الآخر فان الراجي قلبه قريب الصفة من قلب الخائف
هذا الراجي قد نحى قلبه عن مجاورة النفس والشيطان مرتحلا الى الله
قد رفع له من الجنة علم فشمر اليه وامه ما دام اليه قلبه كله وهذا الخائف فار
من جوارهما ملتجئ الى الله من حبسه في سجنهما في الدنيا فيحبس معهما
بعد الموت ويوم القيامة فان المرأ مع قرينه في الدنيا والآخرة فلما سمع الوعيد
ارتحل من مجاورة جار السوء في الدارين فاعطي اسم الخائف ولما سمع
الوعد امتد واستطال شوقا اليه وفرحا بالظفر به فاعطي اسم الراجي وحالاه
متلازمان لا ينفك عنهما فكل راج خائف من فوات ما يرجوه كما ان
كل خائف راج امنه مما يخاف فلذلك تداول الاسمان عليه قال
تعالى ما لكم لا ترجون لله وقارا * قالوا في تفسيرها لا تخافون لله عظمة وقد
تقدم ان الله سبحانه طوى الرجاء الا عن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا
وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الايمان بانه ذو شعب واعمال
ظاهرة وباطنة وفسر الهجرة بانها هجر ما نهى الله عنه والجهاد بانه جهاد
النفس في ذات الله فقال المهاجر من هجر ما نهى الله عنه والمجاهد من
جاهد نفسه في ذات الله * والمقصود ان الله سبحانه جعل اهل الرجاء

من آمن وهاجر وجاهد واخرج من سواهم من هذه الامم * واما الاماني فانها رؤس اموال المفاليس اخرجوها في قالب الرجاء وتلك امانيهم وهي تصدر من قلب تزاحمت عليه وساوس النفس فاظلم من دخانها فهو يستعمل قلبه في شهواتها وكلما فعل ذلك منته حسن العاقبة والنجاة واحالته على العفو والمغفرة والفضل وان الكريم لا يستوفي حقه ولا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة ويسمى ذلك رجاء وانما هو وساوس واماني باطلة تقذف بها النفس الى القلب الجاهل فيستريح اليها قال تعالى ليس بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * فاذا ترك العبد ولاية الحق ونصرته ترك الله ولايته ونصرته ولم يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا واذا ترك ولايته ونصرته تولته نفسه والشيطان فصارا وليين له ووكل الى نفسه فصار انتصاره لها بدلا من نصرة الله ورسوله فاستبدل بولاية الله ولاية نفسه وشيطانه وبنصرته نصرة نفسه وهواه فلم يدع للرجاء موضعا فاذا قالت لك النفس انا في مقام الرجاء فطالبها بالبرهان وقل هذه امنية فهاتوا برهانكم ان كنتم صادقين فالكيس يعمل اعمال البر على الطمع والرجاء والاحمق العاجز يعطل اعمال البر ويتكل على الاماني التي يسميها رجاء والله الموفق *

* فصل *

* فصل في الفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها *

والفرق بين التحدث بنعم الله والفخر بها ان المتحدث بالنعمة مخبر عن صفات

و ليهام محض جوده و احسانه فهو مثن عليه باظهارها والتحدث بها شاكر له ناشر لجميع ما اولاه مقصوده بذلك اظهار صفات الله ومدحه والثناء وبعث النفس على الطلب منه دون غيره وعلى محبته ورجائه فيكون راغبا الى الله باظهار نعمه ونشرها والتحدث بها * واما الفخر بالنعم فهو ان يستطيل بها على الناس ويريهم انه اعز منهم واكبر فيركب اعناقهم ويستعبد قلوبهم ويستميلها اليه بالتعظيم والخدمة قال النعمان ابن بشير ان للشيطان مصالي وفخوخا وان من مصاليه وفخوخه البطر بنعم الله والكبر على عباد الله والفخر بعطية الله والهوى في غير ذات الله *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين فرح القلب وفرح النفس ﴾

والفرق بين فرح القلب وفرح النفس ظاهر فان الفرح بالله ومعرفته ومحبته وكلامه من القلب قال تعالى والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما انزل اليك * فاذا كان اهل الكتاب يفرحون بالوحي فاولياء الله واتباع رسوله احق بالفرح به وقال تعالى واذا ما انزلت سورة فمنهم من يقول ايكم زادته هذه ايمانا فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا وهم يستبشرون * وقال تعالى قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون * قال ابو سعيد الخدري فضل الله القران ورحمته ان جعلكم من اهله * وقال هلال بن يساف فضل الله ورحمته الاسلام الذي هداكم اليه والقران الذي علمكم هو خير من الذهب والفضة الذي تجمعون * وقال ابن عباس والحسن وقتادة وجمهور المفسرين فضل الله

الاســلام ورحمته القرآن فهذا فرح القلب وهو من الايمان ويثاب
عليه العبد فان فرحه به يدل على رضاه به بل هو فوق الرضاء فالفرح
بذلك على قدر محبته فان الفرح انما يكون بالظفر بالمحبوب وعلى قدر
محبته يفرح بحصوله له فالفرح بالله واسمائه وصفاته ورسوله وسنته
وكلامه محض الايمان وصفوته وليه وله عبودية عجيبة واثره في القلب
لا يعبر عنه فابتهاج القلب وسروره وفرحه بالله واسمائه وصفاته وكلامه
ورسوله ولقائه افضل ما يعطاه بل هو اجل عطاياه والفرح في الاخرة
بالله ولقائه بحسب الفرح به ومحبته في الدنيا فالفرح بالوصول الى
المحبوب يكون على حسب قوة المحبة وضعفها فهذا شان فرح القلب وله
فرح آخر وهو فرحه بما من الله به عليــه من معاملته والاخلاص له
والتوكل عليه والثقة به وخوفه ورجائه به وكلما تمكن في ذلك قوي فرحه
وابتهاجه وله فرحة اخرى عظيمة الوقع عجيبة الشان وهي الفرحة
التي تحصل له بالتوبة فان لها فرحة عجيبة لا نسبة لفرحة المعصية اليها
البتة فلو علم العاصي ان لذة التوبة وفرحتها تزيد على لذة المعصيــة
وفرحتها اضعافا مضاعفة لبادر اليها اعظم من مبادرته الى لذة المعصية
وسر هذا الفرح انما يعلمه من علم سر فرح الرب تعالى بتوبة عبده اشد
فرح يقدر ولقد ضرب له رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا ليس في
انواع الفرح في الدنيا اعظم منه وهو فرح رجل قد خرج براحلته
التي عليها طعامه وشرابه في سفر ففقدها في ارض دوية مهلكة فاجتهد

في طلبها فلم يجدها فيئس منها فجلس ينتظر الموت حتى اذا طلع البدر رأى في ضوئه راحلته وقد تعلق زمامها بالشجرة فقال من شدة فرحه اللهم انت عبدى وانا ربك اخطأ من شدة الفرح فالله افرح بتوبة عبده من هذا براحلته * فلا ينكر ان يحصل للتائب نصيب وافر من الفرح بالتوبة ولكن ههنا امر يجب التنبيه عليه وهو انه لا يصل الى ذلك الا بعد ترحات ومضض ومحن لا تثبت لها الجبال فان صبر لها ظفر بلذة الفرح ان ضعف عن حملها ولم يصبر لها لم يظفر بشيء وآخر امره فوات ما آثره من فرحة المعصية ولذتها فيفوته الامران ويحصل على ضد اللذة من الالم المركب من وجود المؤذى وفوت المحبوب فالحكم لله العلي الكبير *

﴿ فصل ﴾

وههنا فرحة اعظم من هذا كله وهي فرحته عند مفارقته الدنيا الى الله اذا ارسل اليه الملائكة فبشروه بلقائه وقال له ملك الموت اخرجي ايتها الروح الطيبة كانت في الجسد الطيب ابشرى بروح وريحان ورب غير غضبان اخرجي راضية مرضيا عنك يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادى وادخلي جنتي * فلو لم يكن بين يدي التائب الا هذه الفرحة وحدها لكان العقل يامر بايثارها فكيف ومن بعدها انواع من الفرح منها صلوة الملائكة الذين بين السماء والارض على روحه ومنها فتح ابواب السماء لها وصلوة ملائكة السماء عليها وتشييع مقربيها لها الى السماء الثانية فتفتح ويصلى عليها اهلها

ويشيعها مقربوهــا هكذا الى السماء السابعة فكيف يقدر فرحها وقد استوذن لها على ربها ولها وحبيبها فوقفت بين يديه واذن لها بالسجود فسجدت ثم سمعته سبحانه يقول اكتبوا كتابه في عليين ثم يذهب به فيرى الجنة ومقعده فيها وما اعد الله وبلقى اصحابه واهله فيستبشرون به ويفرحون به ويفرح بهم فرح الغائب يقدم على اهله فيجدهم على احسن حال ويقدم عليهم بخير ما قدم به مسافر هذا كله قبل الفرح الاكبر يوم حشر الاجساد بجلوسه في ظل العرش وشربه من الحوض واخذه كتابه بيمينه وثقل ميزانه وبياض وجهه واعطائه النور التام والناس في الظلمة وقطعه جسر جهنم بلا تعويق وانتهائه الى باب الجنة وقد ازلفت له في الموقف وتلقي خزنتها له بالترحيب والسلام والبشارة وقدومه على منازله وقصوره وازواجه وسراريه وبعد ذلك فرح آخر لا يقدر قدره ولا يعبر عنه تتلاشى هذه الافراح كلها عنده وانما يكون هذا لاهل السنة المصدقين برؤية وجه ربهم تبارك وتعالى من فوقهم وسلامه عليهم وتكليمه اياهم ومحاضرته لهم *

وليست هذه الفرحات الا * لذي الترحات في دار الرزايا

فشمر ما استطعت الساق واجهد * لعلك ان تفوز بذي العطايا

وصم عن لذة حشيت بلاء * للذات خلصن من البلايا

ودع امنية ان لم تنلها * تعذب او تنل كانت منايا

ولا تستبطء وعدا من رسول * اتى بالحق من رب البرايا

فهذا الوعد ادنى من نعيم ٭ مضى بالامس لو وفقت را يا

﴿ فصل ﴾

والفرق بين رقة القلب والجزع ان الجزع ضعف في النفس وخوف في القلب يمده شدة الطمع والحرص ويتولد من ضعف الايمان بالقدر والا فمتى علم ان المقدر كائن ولا بد كان الجزع عناء محضا ومصيبة ثانية قال تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب من قبل ان نبرأها ان ذلك على الله يسير لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم فمتى آمن العبد بالقدر وعلم ان المصيبة مقدرة في الحاضر والغائب لم يجزع ولم يفرح ولا ينافي هذا رقة القلب فانها ناشئة من صفة الرحمة التي هي كمال والله سبحانه انما يرحم من عباده الرحماء وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارق الناس قلبا وابعدهم من الجزع فرقة القلب رأفة ورحمة وجزعه مرض وضعف فالجزع حال قلب مريض بالدنيا قد غشيه دخان النفس الامارة فاخذ بانفاسه وضيق عليه مسالك الاخرة وصار في سجن الهوى والنفس وهو سجن ضيق الارجاء مظلم المسالك فانحصار القلب وضيقه بجزع من ادنى ما يصيبه ولا يحتمله فاذا اشرق فيه نور الايمان واليقين بالوعد وامتلأ من محبة الله واجلاله رق وصارت فيه الرأفة والرحمة فتراه رحيما رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم يرحم النملة في جحرها والطير في وكره فضلا عن بني جنسه فهذا اقرب القلوب من الله قال انس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ارحم

الناس بالبال والله سبحانه اذا اراد ان يرحم عبدا اسكن في قلبه الرأفة والرحمة واذا اراد ان يعذبه نزع من قلبه الرحمة والرأفة وابدله بها الغلظة والقسوة وفي الحديث الثابت لاتنزع الرحمة الا من شقي * وفيه من لايرحم لايرحم * وفيه ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء * وفيه اهل الجنة ثلاثة وسلطان مقسط متصدق ورجل رحيم رقيق القلب بكل ذي قربى ومسلم وعفيف متعفف ذو عيال * والصديق رضي الله عنه انما فضل الامة بما كان في قلبه من الرحمة العامة زيادة على الصديقية ولهذا اظهر اثرها في جميع مقاماته حتى في الاسارى يوم بدر واستقر الامر على ما اشار به وضرب له النبي صلى الله عليه وسلم مثلا بعيسى وابراهيم والرب سبحانه وتعالى هو الرؤوف الرحيم واقرب الخلق اليه اعظمهم رأفة ورحمة كما ان ابعدهم منه من اتصف بضد صفاته وهذا باب لايلجه الا الافراد في العالم *

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين الموجدة والحقد ﴾

والفرق بين الموجدة والحقد * ان الوجد * الاحساس بالمؤلم والعلم به وتحرك النفس في دفعه فهو كمال * واما الحقد * فهو اضمار الشر وتوقعه كل وقت فمن وجدت عليه فلا يزايل القلب اثره * وفرق آخر وهو ان الموجدة لماينالك منه والحقد لماينالهمنك فالموجدة وجود ماتالك من اذاه والحقد توقع وجود ما يناله من المقابلة فالموجدة سريعة الزوال والحقد بطئ الزوال والحقد يجيء مع ضيق القلب واستيلاء ظلمة النفس ودخانها

عليه بخلاف الموجدة فانها تكون مع قوته وصلابته وقوة نوره واحساسه *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين المنافسة والحسد ان المنافسة المبادرة الى الكمال الذى تشاهد من غيرك فتنافسه فيه حتى تلحقه او تجاوزه فهى من شرف النفس وعلو الهمة وكبر القدر قال تعالى وفى ذلك فليتنافس المتنافسون * واصلها من الشيء النفيس الذى تتعلق به النفوس طلبا ورغبة فينافس فيه كل من النفسين الاخرى وربما فرحت اذا شاركتها فيه كما كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنافسون فى الخير ويفرح بعضهم ببعض باشتراكهم فيه بل يحض بعضهم بعضا عليه مع تنافسهم فيه وهى نوع من المسابقة وقد قال تعالى فاستبقوا الخيرات * وقال تعالى سابقوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء * وكان عمر بن الخطاب يسابق ابا بكر رضى الله عنهما فلم يظفر بسبقه ابدا فلما علم انه قد استولى على الامامة قال والله لا اسابقك الى شىء ابدا وقال والله ما سابقته الى خير الا وجدته قد سبقنى اليه * والمتنافسان كعبدين بين يدى سيدهما يتباريان ويتنافسان فى مرضاته ويتسابقان الى محابه فسيدهما يعجبه ذلك منهما ويحثهما عليه وكل منهما يحب الاخر ويحرضه على مرضاة سيده والحسد خلق نفس ذميمة وضيعة ساقطة ليس فيها حرص على الخير فلعجزها ومهانتها تحسد من يكسب الخير والمحامد ويفوز بها دونها وتتمنى ان لو فاته كسبها حتى يساويها فى العدم كما قال تعالى ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواء * وقال تعالى ود كثير من اهل

الكتاب لو يردونكم من بعد ايمانكم كفارا حسدا من عند انفسهم من بعد ما تبين لهم الحق * فالحسود عدو النعمة متمن زوالها عن المحسود كما زالت عنه هو والمنافس مسابق النعمة متمن تمامها عليه وعلى من ينافسه فهو ينافس غيره ان يعلو عليه ويحب لحاقه به او مجاوزته له في الفضل والحسود يحب انحطاط غيره حتى يساويه في النقصان واكثر النفوس الفاضلة الخيرة تنتفع بالمنافسة فمن جعل نصب عينيه شخصا من اهل الفضل والسبق فنافسه انتفع به كثيرا فانه يتشبه به ويطلب اللحاق به والتقدم عليه وهذا لا نذمه وقد يطلق اسم الحسد على المنافسة المحمودة كما في الصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم لا حسد الا في اثنتين رجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به اناء الليل واطراف النهار ورجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الحق * فهذا حسد منافسة وغبطة يدل على علو همة صاحبه وكبر نفسه وطلبها التشبه باهل الفضل *

فصل في الفرق بين حب الرياسة وحب الامارة

فصل

والفرق بين حب الرياسة وحب الامارة للدعوة الى الله هو الفرق بين تعظيم امر الله والنصح له وتعظيم النفس والسعي في حظها فان الناصح لله المعظم له المحب له يحب ان يطاع ربه فلا يعصى وان تكون كلمته هي العليا وان يكون الدين كله لله وان يكون العباد ممتثلين اوامره مجتنبين نواهيه فقد ناصح الله في عبوديته وناصح خلقه في الدعوة الى الله فهو يحب الامامة في الدين بل يسأل ربه ان يجعله للمتقين اماما يقتدى

لمتقون كما اقتدى هو بالمتقين فاذا احب هذا العبد الداعي الى الله ان
ون في اعينهم جليلا وفي قلوبهم مهيبا واليهم حبيبا وان يكون فيهم
اعا الكي يأتموا به ويقتفوا اثر الرسول على يده لم يضره ذلك بل يحمد
ه لانه داع الى الله يحب ان يطاع ويعبد ويوحد فهو يحب ما يكون عونا
ذلك موصلا اليه ولهذا ذكر سبحانه عباده الذين اختصهم لنفسه
ثنى عليهم في تنزيله واحسن جزاءهم يوم لقائه فذكرهم باحسن اعمالهم
وصافهم ثم قال والذين يقولون ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا
ة اعين واجعلنا للمتقين اماما فسألوه ان يقر اعينهم بطاعة ازواجهم
رياتهم له سبحانه وان يسر قلوبهم باتباع المتقين لهم على طاعته وعبوديته
الامام والمؤتم متعاونان على الطاعة فانما سألوه ما يعاونون به المتقين
مرضاته وطاعته وهو دعوتهم الى الله بالامامة في الدين التي اساسها الصبر
ليقين كما قال تعالى وجعلناهم ائمة يهدون بامرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا
ون فسؤالهم ان يجعلهم ائمة للمتقين هو سؤال ان يهديهم ويوفقهم ويمن
هم بالعلوم النافعة والاعمال الصالحة ظاهرا وباطنا التي لا تتم الامامة
بها وتامل كيف نسبهم في هذه الايات الى اسمه الرحمن جل جلاله
لم خلقه ان هذا انما نالوه بفضل رحمته ومحض جوده ومنته وتامل كيف
ل جزاءهم في هذه السورة الغرف وهي المنازل العالية في الجنة لما كانت
امامة في الدين من الرتب العالية بل من اعلا مرتبة يعطاها العبد في الدين
ن جزاؤه عليها الغرفة العالية في الجنة وهذا بخلاف طلب الرياسة فان

طلابها يسعون في تحصيلها لينالوا بها اغراضهم من العلو في الارض وتعبد القلوب لهم وميلها اليهم ومساعدتهم لهم على جميع اغراضهم مع كونهم عالين عليهم قاهرين لهم فترتب على هذا المطلب من المفاسد مالا يعلمه الا الله من البغي والحسد والطغيان والحقد والظلم والفتنة والحمية للنفس دون حق الله وتعظيم من حقره الله واحتقار من اكرمه الله ولا تتم الرياسة الدنيوية الا بذلك ولا تنال الا به وباضعافه من المفاسد والرؤساء في عمى عن هذا فاذا اكشف الغطاء تبين لهم فساد ما كانوا عليه ولا سيما اذا حشروا في صور الذر يطأهم اهل الموقف بارجلهم اهانة لهم وتحقيرا وتصغيرا كما صغروا امر الله وحقروا عباده ٭٭

٭ فصل ٭

٭ فصل في الفرق بين الحب في الله والحب مع الله ٭

والفرق بين الحب في الله والحب مع الله وهذا من اهم الفروق وكل احد محتاج بل مضطر الى الفرق بين هذا وهذا فالحب في الله هو من كمال الايمان والحب مع الله هو عين الشرك والفرق بينهما ان المحب في الحب تابع لمحبة الله فاذا تمكنت محبته من قلب العبد اوجبت تلك المحبة ان يحب ما يحبه الله فاذا احب ما احبه ربه ووليه كان ذلك الحب له وفيه كما يحب رسله وانبياءه وملائكته واولياءه لكونه تعالى يحبهم ويبغض من يبغضهم لكونه تعالى يبغضهم وعلامة هذا الحب والبغض في الله انه لا ينقلب بغضه لبغيض الله حبا لاحسانه اليه وخدمته له وقضاء حوائجه ولا ينقلب حبه لحبيب الله بغضا اذا وصل اليه من جهته ما يكرهه ويؤلمه

اماخطأ واما عمدا مطيعا لله فيه او متأولا او مجتهدا او باغيا نازعا ابانا والدين كله يدور على اربع قواعد حب وبغض ويترتب عليهما فعل وترك فمن كان حبه وبغضه وفعله وتركه لله فقد استكمل الايمان بحيث اذا احب احب لله واذا ابغض ابغض لله واذا فعل فعل لله واذا ترك ترك لله وما نقص من اضافة هذه الاربعة نقص من ايمانه ودينه بحسبه وهذا بخلاف الحب مع الله فهو نوعان نوع يقدح في اصل التوحيد وهو شرك ونوع يقدح في كمال الاخلاص ومحبة الله ولا يخرج من الاسلام ٭ فالاول ٭ كمحبة المشركين لاوثانهم واندادهم قال تعالى ومن الناس من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله ٭ وهؤلاء المشركون يحبون اوثانهم واصنامهم والهتهم مع الله كما يحبون الله فهذه محبة تأله وموالاة يتبعها الخوف والرجاء والعبادة والدعاء وهذه المحبة هي محض الشرك الذي لا يغفره الله ولا يتم الايمان الا بمعاداة هذه الانداد وشدة بغضها وبغض اهلها ومعاداتهم ومحاربتهم وبذلك ارسل الله جميع رسله وانزل جميع كتبه وخلق النار لاهل هذه المحبة الشركية وخلق الجنة لمن حارب اهلها وعاداهم فيه وفي مرضاته فكل من عبد شيئا من لدن عرشه الى قرار ارضه فقد اتخذ من دون الله الها ووليا واشرك به كائنا ذلك المعبود ما كان ولابد ان يتبرأ منه احوج ما كان اليه ٭ والنوع الثاني ٭ محبة ما زينه الله للنفوس من النساء والبنين والذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث فيحبها محبة شهوة كمحبة الجائع للطعام والظمآن للماء

فهذه المحبة ثلاثة انواع فان احبها لله توصلا بها اليه واستعانة على مرضاته وطاعته اثيب عليها وكانت من قسم الحب لله توصلا بها اليه ويلتذ بالتمتع بها وهذا حال اكمل الخلق الذى حبب اليه من الدنيا النساء والطيب وكانت محبته لهما عونا له على محبة الله وتبليغ رسالته والقيام بامره وان احبها لموافقة طبعه وهواه وارادته ولم يؤثرها على مايحبه الله ويرضاه بل نالها بحكم الميل الطبيعى كانت من قسم المباحات ولم يعاقب على ذلك ولكن ينقص من كمال محبته لله والمحبة فيه وان كانت هي مقصوده ومراده وسعيه في تحصيلها والظفر بها وقدمها على مايحبه الله ويرضاه منه كان ظالما لنفسه متبعا لهواه * فالاولى * محبة السابقين * والثانيه * محبة المقتصدين * والثالثة * محبة الظالمين فتامل هذا الموضع ومافيه من الجمع والفرق فانه معترك النفس الامارة والمطمئنة والمهدي من هداه الله *

﴾ فصل ﴿

﴾ فصل في الفرق بين التوكل والعجز ﴿

والفرق بين التوكل والعجز ان التوكل عمل القلب وعبوديته اعتمادا على الله وثقة به والتجاء اليه وتفويضا اليه ورضا بما يقضيه له لعلمه بكفايته سبحانه وحسن اختياره لعبده اذا فوض اليه مع قيامه بالاسباب المامور بها واجتهاده في تحصيلها فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اعظم المتوكلين وكان يلبس لامته ودرعه بل ظاهر يوم احد بين درعين واختفى في الغار ثلاثا فكان متوكلا في السبب لا على السبب * واما العجز فهو تعطيل الامرين او احدهما فاما ان يعطل السبب عجزا منه ويزعم

ان ذلك توكل ولعمر الله انه لعجز وتفريط واما ان يقوم بالسبب ناظرا اليه معتمدا عليه غافلا عن المسبب معرضا عنه وان خطر بباله لم يثبت معه ذلك الخاطر ولم يعلق قلبه به تعلقا تاما بحيث يكون قلبه مع الله وبدنه مع السبب فهذا توكله عجز وعجزه توكل وهذا موضع انقسم فيه الناس طرفين ووسطا * فاحد الطرفين * عطل الاسباب محافظة على التوكل * والثاني * عطل التوكل محافظة على السبب * والوسط * علم ان حقيقة التوكل لا يتم الا بالقيام بالسبب فتوكل على الله في نفس السبب واما من عطل السبب وزعم انه متوكل فهو مغرور مخدوع متمن كمن عطل النكاح والتسرى وتوكل في حصول الولد وعطل الحرث والبذر وتوكل في حصول الزرع وعطل الاكل والشرب وتوكل في حصول الشبع والرى فالتوكل نظير الرجاء والعجز نظير التمنى فحقيقة التوكل ان يتخذ العبد ربه وكيلا له قد فوض اليه كما يفوض الموكل الى وكيله العالم بكفايته ونهضته ونصحه وامانته وخبرته وحسن اختياره والرب سبحانه قد امر عبده بالاحتيال وتوكل له ان يستخرج له من حيلته ما يصلحه فامره ان يحرث ويبذر ويسعى ويطلب رزقه في ضمان ذلك كما قدره سبحانه ودبره واقتضته حكمته وامره ان لا يعلق قلبه بغيره بل يجعل رجاءه له وخوفه منه وثقته به وتوكله عليه واخبره انه سبحانه الملى بالوكالة الوفي بالكفالة فالعاجز من رمى هذا كله وراء ظهره وقعد كسلان طالبا للراحة مؤثرا للدعة يقول الرزق يطلب صاحبه كما يطلبه اجله وسيأتيني ما قدر لي على

ضمنى ولن ينال مالم يقدر لى مع توقى ولو انى هربت من رزقى كما اهرب من الموت لمنى فيقال له نعم هذا كله حق وقد علمت ان الرزق مقدر فايدريك كيف قدر لك بسعيك ام بسعى غيرك واذا كان بسعيك فباى سبب ومن اى وجه واذا خفى عليك هذا كله فمن اين علمت انه يقدر لك اتيانه عفوا بلا سعى ولا كد فكم من شئ سعيت فيه فقدر لغيرك وكم من شئ سعى فيه غيرك فقدر لك رزقا فاذا رأيت هذا عيانا فكيف علمت ان رزقك كله بسعى غيرك وايضا فهذا الذى اوردته عليك النفس يجب عليك طرده فى جميع الاسباب مع مسبباتها حتى فى اسباب دخول الجنة والنجاة من النار فهل يعطلها عبد اعتمادا على التوكل ام يقوم بها مع التوكل الى لن تخلوا لارض من متوكل صبر نفسه قد وملأ قلبه من الثقة به ورجائه وحسن الظن به فضاق قلبه مع ذلك عن مباشرة بعض الاسباب فسكن قلبه الى الله واطمأن اليه ووثق به وكان هذا من اقوى اسباب حصول رزقه فلم يعطل السبب وانما رغب عن سبب الى سبب اقوى منه فكان توكله اوثق الاسباب عنده فكان اشتغال قلبه بالله وسكونه اليه وتضرعه اليه احب اليه من اشتغال بسبب يمنعه من ذلك او من كماله فلم يتسع قلبه للامرين فاعرض عن احدهما الى الآخر ولا ريب ان هذا اكمل حالا ممن امتلأ قلبه بالسبب واشتغل به عن ربه واكمل منهما من جمع الامرين وهي حال الرسل والصحابة فقد كان زكريا نجارا وقد امر الله نوحا ان يصنع السفينة ولم يكن

في الصحابة من يعطل السبب اعتماداً على التوكل بل كانوا القوم الناس بالامرين الاترى انهم بذلوا جهدهم في محاربة اعداء الدين بايديهم والسنتهم وفاموا في ذلك بحقيقة التوكل وعمروا اموالهم واصلحوها واعدوا لاهليهم كفايتهم من القوت اقتداء بسيد المتوكلين صلوات الله وسلامه عليه*

فصل في الفرق بين الاحتياط والوسوسة

فصل

والفرق بين الاحتياط والوسوسة*ان الاحتياط*الاستقصاء والمبالغة في اتباع السنة وماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم واصحابه من غير غلو ومجاوزة ولاتقصير ولاتفريط فهذا هو الاحتياط الذي يرضاه الله ورسوله* واما الوسوسة* فهي ابتداع مالم تات به السنة ولم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا احد من الصحابة زاعماً انه يصل بذلك الى تحصيل المشروع وضبطه كمن يحتاط بزعمه ويغسل اعضاءه في الوضوء فوق الثلاثة فيسرف في صب الماء في وضوئه وغسله ويصرح بالتلفظ بنية الصلوة مراراً اومرة واحدة ويغسل ثيابه مما لايتيقن نجاسته احتياطاً ويرغب عن الصلوة في نعله احتياطاً الى اضعاف اضعاف هذا مما اتخذه الموسوسون ديناً وزعموا انه احتياط وقد كان الاحتياط باتباع هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وماكان عليه اولى بهم فانه الاحتياط الذي من خرج عنه فقد فارق الاحتياط وعدل عن سواء الصراط والاحتياط كل الاحتياط الخروج عن خلاف السنة ولو خالفت

اكثر اهل الارض بل كلهم *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان من وجوه * منها ان ما كان لله موافقا لمرضاته وما جاء به رسوله فهو من الملك وما كان لغيره غير موافق لمرضاته فهو من القاء الشيطان * ومنها ان ما اثمر اقبالا على الله وانابة اليه وذكرا له وهمة صاعدة اليه فهو من القاء الملك وما اثمر ضد ذلك فهو من الشيطان * ومنها ان ما اورث انسا ونورا في القلب وانشراحا في الصدر فهو من الملك وما اورث ضد ذلك فهو من الشيطان * ومنها ان ما اورث سكينة وطمانينة فهو من الملك وما اورث قلقا وانزعاجا واضطرابا فهو من الشيطان * فالالهام الملكي يكثر في القلوب الطاهرة النقية التي قد استنارت بنور الله فللملك بها اتصال وبينه وبينها مناسبة فانه طيب طاهر لا يجاور الا ما يناسبه فتكون لمة الملك بهذا القلب اكثر من لمة الشيطان واما القلب المظلم الذي قد اسود بدخان الشهوات والشبهات فالقاء الشيطان ولمته به اكثر من لمة الملك *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الاقتصاد والتقصير ان الاقتصاد هو التوسط بين طرفي الافراط والتفريط وله طرفان هما ضدان له تقصير ومجاوزة فالمقتصد قد اخذ بالوسط وعدل عن الطرفين قال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما وقال تعالى ولا تجعل

فصل في الفرق بين الهام الملك والقاء الشيطان * فصل في الفرق بين الاقتصاد والتقصير

يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ، وقال تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ، والدين كله بين هذين الطرفين بل الاسلام قصد بين الملل والسنة قصد بين البدع ودين الله بين الغالي فيه والجافي عنه وكذلك الاجتهاد هو بذل الجهد في موافقة الامر والغلو مجاوزة وتعدية وما امر الله بامر الا وللشيطان فيه نزغتان فاما الى غلو ومجاوزة واما الى تفريط وتقصير وهما آفتان لا يخلص منهما في الاعتقاد والقصد والعمل الا من مشى خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك اقوال الناس وآراءهم لما جاء به لا من ترك ما جاء به لاقوالهم وآرائهم وهذان المرضان الخطران قد استوليا على اكثر بني آدم ولهذا حذر السلف منهما اشد التحذير وخوفوا من بلي باحدهما الهلاك وقد يجتمعان في الشخص الواحد كما هو حال اكثر الخلق يكون مقصرا مفرطا في بعض دينه غاليا متجاوزا في بعضه والمهدي من هداه الله ،

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين النصيحة والتأنيب ﴾

والفرق بين النصيحة والتأنيب ان النصيحة احسان الى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه والغيرة له وعليه فهو احسان محض يصدر عن رحمة ورقة ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والاحسان الى خلقه فيتلطف في بذلها غاية التلطف ويحتمل اذى المنصوح ولائمته ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق والمريض المبغض مرضاه ويحتمل سوء خلقه وشراسته ونفرته ويتلطف في وصول الدواء اليه بكل ممكن

فهذا شان الناصح. واما المؤنب. فهو رجل قصده التعيير والاهانة وذم من انبه وشتمه في صورة النصح فهو يقول له يافاعل كذا وكذا يامستحقا للذم والاهانة في صورة ناصح مشفق وعلامة هذا انه لو رأى من يحبه ويحسن اليه على مثل عمل هذا او شر منه لم يعرض له ولم يقل له شيئا ويطلب له وجوه المعاذير فان غلب قال واني ضمنت له العصمة والانسان عرضة للخطأ ومحاسنه اكثر من مساويه والله غفور رحيم ونحو ذلك فيا عجبا كيف كان هذا لمن يحبه دون من يبغضه وكيف كان حظ ذلك منك التانيب في صورة النصح وحظ هذا منك رجاء العفو والمغفرة وطلب وجوه المعاذير ومن الفروق بين الناصح والمؤنب ان الناصح لا يعاديك اذا لم تقبل نصيحته وقال قد وقع اجري على الله قبلت او لم تقبل ويدعو لك بظهر الغيب ولا يذكر عيوبك ولا يبينها في الناس والمؤنب بضد ذلك.

﴿ فصل ﴾

والفرق بين المبادرة والعجلة. ان المبادرة. انتهاز الفرصة في وقتها ولا يتركها حتى اذا فاتت طلبها فهو لا يطلب الامور في ادبارها ولا قبل وقتها بل اذا حضر وقتها بادر اليها ووثب عليها وثوب الاسد على فريسته فهو بمنزلة من يبادر الى اخذ الثمرة وقت كمال نضجها وادراكها والعجلة طلب اخذ الشيء قبل وقته فهو لشدة حرصه عليه بمنزلة من يأخذ الثمرة قبل اوان ادراكها فالمبادرة وسط بين خلقين مذمومين احدهما التفريط والاضاعة

والثاني الاستعجال قبل الوقت ولهذا كانت العجلة من الشيطان فانها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم وتوجب له وضع الاشياء في غير مواضعها وتجلب عليه انواعا من الشرور وتمنعه انواعا من الخير وهي قرين الندامة فقل من استعجل الا ندم كما ان الكسل قرين الفوت والاضاعة *

﴿ فصل في الفرق بين الاخبار بالحال وبين الشكوى ﴾

﴿ فصل ﴾

والفرق بين الاخبار بالحال وبين الشكوى وان اشتبهت صورتهما ان الاخبار بالحال يقصد المخبر به قصدا صحيحا من علم سبب ازالته او الاعتذار لاخيه من امر طلبه منه او يحذره من الوقوع في مثل ما وقع فيه فيكون ناصحا باخباره له او حمله على الصبر بالتاسي به كما يذكر عن الاحنف انه شكا اليه رجل شكوى فقال يا ابن اخي لقد ذهب ضوء عيني من كذا وكذا سنة فما اعلمت به احدا ففي ضمن هذا الاخبار من حمل الشاكي على التاسي والصبر ما يثاب عليه المخبر وصورته صورة الشكوى ولكن القصد ميز بينهما ولعل من هذا قول النبي صلى الله عليه وسلم لما قالت عائشة وارأساه فقال بل انا وارأساه اي الوجع القوي بي انا دونك فتاسي بي فلا تشتكي ويلوح لي فيه معنى آخر وهو انها كانت حبيبة رسول الله صلى الله عليه وسلم بل كانت احب النساء اليه على الاطلاق فلما شكت اليه رأسها اخبرها ان بمحبها من الالم مثل الذي بها وهذا غاية الموافقة من المحب ومحبوبه يتالم بتالمه ويسر بسروره حتى اذا الم عضو من اعضائه الم

المحب ذلك المضروب بعينه وهذا من صدق المحبة وصفاء المودة فالمعنى الاول يفهم انك لاتشتكي واصبري في من الوجع مثل مابك فتأسي بي في الصبر وعدم الشكوى والمعنى الثاني يفهم اعلامها بصدق محبته لها اى انظري قوة محبتي لك كيف واسيتك في الملك ووجع رأسك فلم تكوني متوجعة وانا سليم من الوجع بل يولمني مايولمك كما يسر في مايسرك كما قيل *
* وان اولى البرايا ان تواسيه * عند السرور الذي واساك في الحزن *
* واما الشكوى فالاخبار العاري عن القصد الصحيح بل يكون مصدره السخط وشكاية المبتلى الى غيره فان شكا اليه سبحانه وتعالى لم يكن ذلك شكوى بل استعطاف وتملق واسترحام له كقول ايوب رب انى مسنى الضر وانت ارحم الراحمين * وقول يعقوب انما اشكو بثي وحزني الى الله *
وقول موسى اللهم لك الحمد واليك المشتكى وانت المستعان وبك المستغاث وعليك التكلان ولاحول ولاقوة الا بك وقول سيد ولد ادم اللهم اليك اشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس انت رب المستضعفين وانت ربي الى من تكلني الى بعيد يتجهمني او الى عدو ملكته امرى ان لم يكن بك غضب علي فلا ابالي غير ان عافيتك اوسع لي اعوذ بنور وجهك الذى اشرقت له الظلمات وصلح عليه امر الدنيا والاخرة ان يحل علي غضبك او ينزل بي سخطك لك العتبى حتى ترضى ولاحول ولاقوة الا بك * فالشكوى الى الله سبحانه لا تنافي الصبر بوجه فان الله تعالى قال عن ايوب انا وجدناه صابرا نعم العبد انه اواب * مع اخباره عنه

بالشكوى

بالشكوى اليه في قوله مسني الضر واخبر عن نبيه يعقوب انه وعد من نفسه بالصبر الجميل والنبي اذا قال وفى مع قوله انما اشكو بثي وحزني الى الله ولم يجعل ذلك نقصا لصبره ولا يلتفت الى غير هذا من ترهات القوم كما قال بعضهم لما قال مسني الضر قال تعالى انا وجدناه صابرا ولم يقل صبورا حيث قال مسني الضر وقال بعضهم لم يقل ارحمني وانما قال انت ارحم الراحمين فلم يزد على الاخبار بحاله ووصف ربه وقال بعضهم انما شكا مس الضر حين ضعف لسانه عن الذكر فشكا مس ضر ضعف الذكر لا ضر المرض والالم وقال بعضهم استخرج منه هذا القول ليكون قدوة للضعفاء من هذه الامة وكان هذا القائل رأى ان الشكوى الى الله تنافي الصبر وغلط اقبح الغلط فالمنافي للصبر شكواه لا الشكوى اليه فالله يبتلي عبده ليسمع تضرعه ودعاءه والشكوى اليه ولا يحب التجلد عليه واحب ما اليه انكسار قلب عبده بين يديه وتذلله له واظهار ضعفه وفاقته وعجزه وقلة صبره فاحذر كل الحذر من اظهار التجلد عليه وعليك بالتضرع والتمسكن وابداء العجز والفاقة والذل والضعف فرحمته اقرب الى هذا القلب من اليد للفم ٭

﴿ فصل ﴾

وهذا باب من الفروق مطول ولعل ان ساعد القدر ان نفرد فيه كتابا كبيرا وانما نبهنا باذكرنا على اصوله واللبيب يكتفي ببعض ذلك والدين كله فرق وكتاب الله فرقان ومحمد صلى الله عليه وسلم فرق بين الناس ومن

تعني الله يجعل له فرقانا يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا وسمي يوم بدر يوم الفرقان لانه فرق بين اولياء الله واعدائه فالهدى كله فرقان والضلال اصله الجمع كما جمع المشركون بين عبادة الله وعبادة الاوثان ومحبته ومحبة الاوثان وبين ما يحبه ويرضاه وبين ماقدره وقضاه فجعلوا الامر واحدا واستدلوا بقضائه وقدره على محبته ورضاه وجمعوا بين الربا والبيع فقالوا انما البيع مثل الربا وجمعوا بين المذكى والميتة وقالوا كيف ناكل ماقتلنا ولا ناكل ماقتل الله وجمع المسلمون عن الشرائع بين الحلال والحرام فقالوا هذه المرأة خلقها الله وهذه خلقها وهذا الحيوان خلقه وهذا خلقه فكيف يحل هذا ويحرم هذا وجمعوا بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان وجاءت طائفة الاتحادية فطردوا الوادي على القرى وجمعوا الكل في ذات واحدة وقالوا هي الله الذي لا اله الا هو وقال صاحب نصوصهم وواضع نصوصهم واعلم ان الامر قرآنا لا فرقانا

ما الامر الا نسق واحد * ما فيه من مدح ولا ذم

وانما العادة قد خصصت * والطبع والشارع بالحكم

والمقصود ان ارباب البصائر هم اصحاب الفرقان فاعظم الناس فرقانا بين المشتبهات اعظم الناس بصيرة والتشابه يقع في الاقوال والاعمال والاحوال والاموال والرجال وانما اتي اكثر اهل العلم من المتشابهات في ذلك كله ولا يحصل الفرقان الا بنور يقذفه الله في قلب من يشاء من عباده يرى في ضوئه حقائق الامور ويميز بين حقها وباطلها وصحيحها وسقيمها

﴿ الرد على الطائفة الاتحادية في قولها الاتحاد ... صاحب نصوصهم وواضع نصوصهم ﴾

و من لم يجعل الله له نوراً فما له من نور * ولا تستطل هذا الفصل فلعله من انفع فصول الكتاب و الحاجة اليه شديد ة فان رزقك الله فيه بصيرة خرجت منه الى فرقان اعظم منه وهو الفرق بين توحيد المرسلين وتوحيد المعطلين والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه اهل التعطيل والفرق بين اثبات الصفات والعلو والتكلم والتكليم حقيقة و بين التشبيه والتمثيل والفرق بين تجريد التوحيد العلمي الارادي وبين هضم ارباب المراتب مراتبهم التي انزلهم الله اياها والفرق بين تجريد متابعة المعصوم و بين اهدار اقوال العلماء والغائها وعدم الالتفات اليها والفرق بين تقليد العالم و بين الاستضاءة بنور علمه و الاستعانة بفهمه و الفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان والفرق بين الحال الايماني الرحماني والحال الشيطاني الكفري والحال النفساني والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع على كل احد والحكم المأول الذي نهايته ان يكون جائز الاتباع عند الضرورة ولا درك على مخالفه *

﴿ فصل ﴾

و نحن نختم الكتاب باشارة لطيفة الى الفروق بين هذه الامور اذ كل فرق منها يستدعي بسطه كتاباً كبيراً * فالفرق بين توحيد المرسلين و توحيد المعطلين * ان توحيد الرسل اثبات صفات الكمال لله على وجه التفصيل وعبادته وحده لا شريك له فلا يجعل له نداً في قصد ولا حب ولا خوف ولا رجاء ولا لفظ ولا حلف ولا نذر بل يرفع العبد الانداد

له من قلبه وقصده ولسانه وعبادته كأنها معدومة في نفس الامر لا وجود لها البتة فلا يجعل لها وجودا في قلبه ولا لسانه * واما توحيد المعطلين * فنفي حقائق اسمائه وصفاته وتعطيلها ومن امكنه منهم تعطيلها من لسانه عطلها فلا يذكرها ولا يذكر آية تتضمنها ولا حديثا يصرح بشيء منها ومن لم يمكنه تعطيل ذكرها سطا عليها بالتحريف ونفي حقيقتها وجعلها اسما فارغا لا معنى له او معناه من جنس الالغاز والاحاجي على ان من طرد تعطيله منهم علم انه يلزمه في ما حرف اليه النص من المعنى نظير ما فر منه سواء فان لزم تمثيل او تشبيه او حدوث في الحقيقة لزم في المعنى الذي حمل عليه النص وان لا يلزم في هذا فهو اولى ان لا يلزم في الحقيقة فلما علم هذا لم يمكنه الا تعطيل الجميع فهو اطرد لاصل التعطيل والفرق اقرب منه ولكنه متناقض يتحكم بالباطل حيث اثبت بعض ما اثبته لنفسه ونفى عنه البعض الآخر واللازم الباطل فيهما واحد واللازم الحق لا يفرق بينهما والمقصود انهم سموا هذا التعطيل توحيدا وانما هو الحاد في اسماء الرب تعالى وصفاته وتعطيل لحقائقها *

﴿ فصل ﴾

والفرق بين تنزيه الرسل وتنزيه المعطلة * ان الرسل نزهوه سبحانه عن النقائص والعيوب التي نزه نفسه عنها وهي المنافية لكماله وكمال ربوبيته وعظمته كالسنة والنوم والغفلة والموت واللغوب والظلم وارادته والتسمي به والشريك والصاحبة والظهير والولد والشفيع بدون اذنه

وان يترك عباده سدى هملا وان يكون خلقهم عبثا وان يكون خلق السموات والارض وما بينهما باطلا لا ثواب ولا عقاب ولا امر ولا نهي وان يسوي بين اوليائه واعدائه وبين الابرار والفجار وبين الكفار والمؤمنين وان يكون في ملكه ما لا يشاء وان يحتاج الى غيره بوجه من الوجوه وان يكون لغيره معه من الامر شيء وان يعرض له غفلة او سهو او نسيان وان يخلف وعده او تبدل كلماته او يضاف اليه الشر اسما او وصفا او فعلا بل اسماؤه كلها حسنى وصفاته كلها كمال وافعاله كلها خير وحكمة ومصلحة فهذا تنزيه الرسل لربهم * واما المعطلون * فنزهوه عما وصف به نفسه من الكمال فنزهوه عن ان يتكلم او يكلم احدا ونزهوه عن استوائه على عرشه وان ترفع اليه الايدي وان يصعد اليه الكلم الطيب وان ينزل من عنده شيء او تعرج اليه الملائكة والروح وان يكون فوق عباده وفوق جميع مخلوقاته عاليا عليها ونزهوه ان يقبض السموات بيده والارض باليد الاخرى وان يمسك السموات على اصبع والارض على اصبع والجبال على اصبع والشجر على اصبع ونزهوه ان يكون له وجه وان يراه المؤمنون بابصارهم في الجنة وان يكلمهم ويسلم عليهم ويتجلى لهم ضاحكا وان ينزل كل ليلة الى السماء الدنيا فيقول من يستغفرني فاغفر له من يسألني فاعطيه فلا نزول عندهم ولا قول ونزهوه ان يفعل شيئا لشيء بل افعاله لا لحكمة ولا لغرض مقصود ونزهوه ان يكون تام المشيئة نافذ الارادة بل يشاء الشيء ويشاء عباده خلافه فيكون ما شاء

العبد دون ماشاء الرب و لايشاء الشيء فيكون مالايشاء و يشاء مالايكون و سموا هذا عدلا كما سموا ذلك التنزيه توحيد او نزهوه عن ان يحب اويحب و نزهوه عن الرافة والرحمة و النضب و الرضا ونزهه آخرون عن السمع و البصر وآخرون عن العلم و نزهه اخرون عن الوجود فقالوا الذي فراليه هولاء المنزهون من التشبيه والتمثيل يلزمنا في الوجود فيجب علينا ان ننزهه عنه فهذا تنزيه الملحدين والاول تنزيه المرسلين *

فصل

والفرق بين اثبات حقائق الاسماء و الصفات و بين التشبيه والتمثيل ماقاله الامام احمد و من وافقه من ائمة الهدى ان التشبيه والتمثيل ان تقول يد كيدى او سمع كسمعي او بصر كبصري و نحو ذلك واما اذا قلت سمع وبصر ويدووجه واستواء لايماثل شيئا من صفات المخلوقين بل بين الصفة و الصفة من الفرق كما بين الموصوف و الموصوف فاي تمثيل ههنا و اي تشبيه لولا تلبيس الملحدين فمدار الحق الذى اتفقت عليه الرسل على انه يوصف الله بما وصف به نفسه و بما وصفه به رسوله من غير تحريف ولاتعطيل ومن غير تشبيه ولاتمثيل اثبات الصفات و نفى مشابهة المخلوقات فمن شبه الله بخلقه فقد كفرومن جحد حقائق ماوصف الله به نفسه فقد كفر ومن اثبت له حقائق الاسماء والصفات و نفى عنه مشابهة المخلوقات فقد هدي الى صراط مستقيم *

﴿ فصل في الفرق بين حقائق الاسماء و الصفات وبين التشبيه و التمثيل ﴾

فصل في الفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم ارباب المراتب

فصل

والفرق بين تجريد التوحيد وبين هضم ارباب المراتب * ان تجريد التوحيد * ان لا يعطي المخلوق شيئا من حق الخالق وخصائصه فلا يعبد ولا يصلي له ولا يسجد ولا يحلف باسمه ولا ينذر له ولا يتوكل عليه ولا يؤله ولا يقسم به على الله ولا يعبد ليقرب الى الله زلفى ولا يساوي برب العالمين في قول القائل ما شاء الله وشئت وهذا منك ومن الله وانا بالله وبك وانا متوكل على الله وعليك والله لي في السماء وانت في الارض وهذا من صدقاتك وصدقات الله وانا تائب الى الله واليك وانا في حسب الله وحسبك فيعبد المخلوق كما يعبد المشركون شيوخهم ويحلق رأسه له ويحلف باسمه وينذر له ويسجد لقبره بعد موته ويستغيث به في حوائجه ومهماته ويرضيه بسخط الله ولا يسخطه في رضاء الله ويتقرب اليه اعظم مما يتقرب الى الله ويحبه ويخافه ويرجوه اكثر مما يحب الله ويخافه ويرجوه او يساويه فاذا هضم المخلوق خصائص الربوبية وانزله منزلة العبد المحض الذي لا يملك لنفسه فضلا عن غيره ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا لم يكن هذا تنقصا له ولا حطا من مرتبته ولو رغم المشركون وقد صح عن سيد ولد آدم صلوات الله وسلامه عليه انه قال لا تطروني كما اطرت النصارى ابن مريم فانما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله * وقال ايها الناس ما احب ان ترفعوني فوق منزلتي * وقال لا تتخذوا قبري عيدا * وقال اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد * وقال لا تقولوا

ماشاء الله وشاء محمد وقال له رجل ماشاء الله وشئت فقال اجعلتني لله ندا وقال له رجل قد اذنبت اللهم اني اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال عرف الحق لاهله وقد قال الله له ليس لك من الامر شيء وقال قل ان الامر كله لله وقال قل لا املك لنفسي ضرا ولا نفعا الا ماشاء الله وقال قل اني لا املك لنفسي ضرا ولا رشدا قل اني لن يجيرني من الله احد ولن اجد من دونه ملتحدا اي لن اجد من دونه من التجئ اليه واعتمد عليه وقال لابنته فاطمة وعمه العباس وعمته صفية لا املك لكم من الله شيئا وفي لفظ في الصحيح لا اغني عنكم من الله شيئا فعظم ذلك على المشركين بشيوخهم والهتهم وابو ذلك كلهم ان شيوخهم ومعبودهم خلاف هذا كله وزعموا ان من سلبهم ذلك فقد هضمهم مراتبهم وتنقصهم وقد هضموا جانب الالهية غاية الهضم وتنقصوه فلهم نصيب وافر من قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالاخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون ❊

﴿ فصل ﴾

والفرق بين تجريد متابعة المعصوم صلى الله عليه وسلم واهدار اقوال العلماء والغائها ان تجريد المتابعة ان لا تقدم على ماجاء به قول احد ولا رأيه كائنا من كان بل تنظر في صحة الحديث اولا فاذا صح لك نظرت في معناه ثانيا فاذا تبين لك لم تعدل عنه ولو خالفك من بين المشرق والمغرب ومعاذ الله ان تتفق الامة على مخالفة ماجاء به نبيها بل لابد ان يكون في الامة

من قال به ولو لم تعلمه فلا تجعل جهلك بالقائل به حجة على الله ورسوله بل اذهب الى النص ولا تضعف واعلم انه قد قال به قائل قطعا ولكن لم يصل اليك هذا مع حفظ مراتب العلماء وموالاتهم واعتقاد حرمتهم وامانتهم واجتهادهم في حفظ الدين وضبطه فهم دائرون بين الاجر والاجرين والمغفرة ولكن لا يوجب هذا اهدار النصوص وتقديم قول الواحد منهم عليها بشبهة انه اعلم بها منك فان كان كذلك فمن ذهب الى النص اعلم به منك فهلا وافقته ان كنت صادقا فمن عرض اقوال العلماء على النصوص ووزنها بها وخالف منها ما خالف النص لم يهدر اقوالهم ولم يهضم جانبهم بل اقتدى بهم فانهم كلهم امروا بذلك فمتبعهم حقا من امتثل ما اوصوا به لا من خالفهم فخلافهم في القول الذي جاء النص بخلافه اسهل من مخالفتهم في القاعدة الكلية التي امروا ودعوا اليها من تقديم النص على اقوالهم ومن هنا يتبين الفرق بين تقليد العالم في كل ما قال وبين الاستعانة بفهمه والاستضاءة بنور علمه فالاول يأخذ قوله من غير نظر فيه ولا طلب لدليله من الكتاب والسنة بل يجعل ذلك كالحبل الذي يلقيه في عنقه يقلده به ولذلك سمي تقليدا بخلاف من استعان بفهمه واستضاء بنور علمه في الوصول الى الرسول صلوات الله وسلامه عليه فانه يجعلهم بمنزلة الدليل الى الدليل الاول فاذا وصل اليه استغنى بدلالته عن الاستدلال بغيره فمن استدل بالنجم على القبلة فانه اذا شاهدها لم يبق لاستدلاله بالنجم معنى قال الشافعي

اجمع الناس على ان من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له ان يدعها لقول احد .

﴿ فصل ﴾

﴿ فصل في الفرق بين اولياء الرحمن و اولياء الشيطان ﴾

والفرق بين اولياء الرحمن واولياء الشيطان ان اولياء الرحمن لاخوف عليهم ولاهم يحزنون هم الذين امنوا وكانوا يتقون وهم المذكورون في اول سورة البقرة الى قوله هم المفلحون وفي وسطها في قوله ولكن البر من آمن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون . وفي اول الانفال الى قوله لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم . وفي اول سورة المؤمنين الى قوله هم فيها خالدون وفي آخر سورة الفرقان وفي قوله ان المسلمين والمسلمات الى آخر الاية وفي قوله الا ان اولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون الذين امنوا وكانوا يتقون . وفي قوله ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاولئك هم الفائزون . وفي قوله الا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون الى قوله في جنات مكرمون . وفي قوله التائبون العابدون الحامدون الى اخر الاية فاولياء الرحمن هم المتقون لربهم المتكون لرسوله في الحرم والحل الذين يخالفون غيره لسنته ولا يخالفون سنته لغيرها ولايبتدعون ولا يدعون الى بدعة ولايتحيزون الى فئة غير الله ورسوله واصحابه ولايتخذون دينهم لهوا ولعبا ولا يستحبون سماع الشيطان على سماع القران ولا يؤثرون صحبة الانتان(١) على مرضاة الرحمن

(١) جمع ارلعله الانتان

ولا المعارف والمثاني على السبع المثاني*

برئنا الى الله من معشر * بهم مرض مورد للضنا
وكم قلت يا قوم انتم على * شفا جرف من سماع الغنا
فلما استهانوا بتنبيهنا * تركناغويا وما قد جنا
وهل يستجيب لداعي الهدى * غوى اصار الفساد ديدنا
فعشنا على ملة المصطفى * وماتوا على تاتنا تتنا

ولا يشتبه اولياء الرحمن باولياء الشيطان الاعلى فاقد البصيرة والايمان وانى يكون المعرضون عن كتابه وهدي رسوله وسنته المخالفون له الى غيره اولياءه وقد ضربوا المخالفة جانبا وعدلوا عن هدى نبيه وطريقته وما كانوا اولياءه ان اولياؤه الا المتقون ولكن اكثرهم لا يعلمون فاولياء الرحمن المتلبسون بما يحب وليهم الداعون اليه المحاربون لمن خرج عنه واولياء الشيطان المتلبسون بما يحبه وليهم قولا وعملا يدعون اليه ويحاربون من نهاهم عنه فاذا رايت الرجل يحب السماع الشيطاني ومؤذن الشيطان واخوان الشياطين ويدعو الى ما يحب الشيطان من الشرك والبدع والفجور علمت انه من اوليائه فان اشتبه عليك فاكشفه في ثلاثة مواطن في صلاته ومحبته السنة واهلها ونفرته عنهم ودعوته الى الله ورسوله وتجريد التوحيد والمتابعة وتحكيم السنة فزنه بذلك لا تزنه بحال ولا كشف ولا خارق ولو مشى على الماء وطار في الهواء *

﴿ فصل في الفرق بين الحال الايماني والحال الشيطاني ﴾

﴿ فصل ﴾

وبهذا يعلم الفرق بين الحال الايماني والحال الشيطاني *فان الحال الايماني* ثمرة المتابعة للرسول والاخلاص في العمل وتجريد التوحيد ونتيجته منفعة المسلمين في دينهم ودنياهم وهو انما يصح بالاستقامة على السنة والوقوف مع الامر والنهي *و الحال الشيطاني* نسبته اما شرك او فجور وهو ينشأ من قرب الشياطين والاتصال بهم ومشابهتهم وهذا الحال يكون لعباد الاصنام والصلبان والنيران والشيطان فان صاحبه لما عبد الشيطان خلع عليه حالا يصطاد به ضعفاء العقول والايمان ولا اله الا الله كم هلك بهؤلاء من الخلق ليردوهم وليلبسوا عليهم دينهم ولو شاء الله ما فعلوه فكل حال خرج صاحبه عن حكم الكتاب وماجاء به الرسول فهو شيطاني كائنا ما كان وقد سمعت باحوال السحرة وعباد النار وعباد الصليب وكثير ممن ينتسب الى الاسلام ظاهرا وهو بريء منه في الباطن له نصيب من هذا الحال بحسبه والاته للشيطان ومعاداته للرحمن وقد يكون الرجل صادقا ولكن يكون ملبوسا عليه بجهله فيكون حاله شيطانيا مع زهد وعبادة واخلاص لكن لبس عليه الامر لقلة علمه بامور الشياطين والملائكة وجهله بحقائق الايمان وقد حكى هؤلاء وهؤلاء من ليس منهم بل هو متشبه صاحب مخاييل ومخاريق ووقع الناس في البلاء بسبب عدم التمييز بين هؤلاء وهؤلاء فحسبوا كل سوداء تمرة وكل بيضاء شحمة والفرقان اعز ما في هذا العالم وهو نور يقذفه الله

في القلب يفرق به بين الحق والباطل ويزن به حقائق الامور خيرها وشرها وصالحها وفاسدها فمن عدم الفرقان وقع ولابد في اشراك الشيطان فالله المستعان وعليه التكلان *

* فصل *

والفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المأول الذى غايته ان يكون جائز الاتباع * ان الحكم المنزل * هو الذى انزله الله على رسوله وحكم به بين عباده وهو حكمه الذى لا حكم له سواه * واما الحكم المأول * فهو اقوال المجتهدين المختلفة التى لا يجب اتباعها ولا يكفر ولا يفسق من خالفها فان اصحابها لم يقولوا هذا حكم الله ورسوله بل قالوا اجتهدنا برأينا فمن شاء قبله ومن شاء لم يقبله ولم يلزموا به الامة بل قال ابو حنيفة هذا رأيي فمن جاءنا بخير منه قبلناه * ولو كان هو عين حكم الله لما ساغ لابي يوسف ومحمد وغيرهما مخالفته فيه وكذلك مالك استشاره الرشيد ان يحمل الناس على ما في الموطأ فمنعه من ذلك وقال قد تفرق اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في البلاد وصار عند كل قوم علم غير ما عند الآخرين * وهذا الشافعي ينهى اصحابه عن تقليده ويوصيهم بترك قوله اذا جاء الحديث بخلافه * وهذا الامام احمد ينكر على من كتب فتاواه ودونها ويقول لا تقلدني ولا تقلد فلانا ولا فلانا وخذ من حيث اخذوا * ولو علموا رضي الله عنهم ان اقوالهم يجب اتباعها لحرموا على اصحابهم مخالفتهم ولما ساغ لاصحابهم ان يفتوا بخلافهم في شيء ولما كان احدهم

* فصل في الفرق بين الحكم المنزل الواجب الاتباع والحكم المأول الذى غايته ان يكون جائز الاتباع *

يقول القول ثم يفتى بخلافه نير وى عنه في المسئلة القولان والثلاثة واكثر من ذلك فالرأي والاجتهاد احسن احواله ان يسوغ اتباعه والحكم المنزل لا يحل لمسلم ان يخالفه ولا يخرج عنه * واما الحكم المبدل وهو الحكم بغير ما انزل الله فلا يحل تنفيذه ولا العمل به ولا يسوغ اتباعه وصاحبه بين الكفر والفسوق والظلم والمقصود التنبيه على بعض احوال النفس المطمئنة واللوامة والامارة وما تشترك فيه النفوس الثلاثة وما يتميز به بعضها من بعض وافعال كل واحدة منها واختلافها ومقاصدها ونياتها وفي ذلك تنبيه على ما وراءه وهي نفس واحدة تكون امارة تارة ولوامة اخرى ومطمئنة اخرى واكثر الناس الغالب عليهم الامارة واما المطمئنة فهي اقل النفوس البشرية عددا واعظمها عند الله قدرا وهي التي يقال لها ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي والله سبحانه وتعالى المسئول المرجو الاجابة ان يجعل نفوسنا مطمئنة اليه * عاكفة بهمتها عليه * راهبة منه راغبة فيما لديه وان يعيذنا من شرور انفسنا وسيات اعمالنا وان لا يجعلنا ممن اغفل قلبه عن ذكره واتبع هواه وكان امره فرطا ولا يجعلنا من الاخسرين اعمالا الذين ضل سعيهم في الحيوة الدنيا وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا انه سميع الدعاء واهل الرجاء وهو حسبنا ونعم الوكيل *

تم طبع هذا الكتاب بعون الله الملك الوهاب في ثالث شهر رمضان سنة ١٣١٨ هجريه على صاحبها الف الف صلوة وتحية زكيه *

﴿ خاتمة الطبع ﴾

قد تم بحمد الله واعانته طبع ﴿ كتاب الروح ﴾ للحافظ شمس الدين ابي عبد الله محمد الشهير بابن قيم الجوزية الحنبلي الدمشقي قدس الله روحه ونور ضريحه ولعمري انه لكتاب جليل القدر والشان وسفر واضح الحجة والبرهان * فطوبى ثم طوبى لمؤلفه وجامعه * وبخ بخ لناسخه ومطالعه * وكان ذلك الطبع الفائق والوضع الرائق ﴿ بمطبعة دائرة المعارف النظامية الزاهرة ﴾ الكائنة ببلدة حيدر اباد الدكن العامرة * قاعدة السلطنة الاسلامية الاصفية * في الاقطار الجنوبية الهندية * ابدها الله بالتائيدات الابدية السرمدية * ووسع نطاقها الى ما كان في زمان الدول الاولى الاسلامية * في ايام مالكها العامر ربوع الفضل والمكارم * المشيد من دعائم المجد الاثيل اسنى المعالم * ﴿ مظفر الممالك فتح جنك نظام الدوله نظام الملك اصفجاه مير محبوب علي خان بهادر ﴾ لا زالت اعلام سلطنته خافقة على اعالي القنن * وايامه مقرونة بالاقبال على مر الزمن * ولا برحت بعنايته العلوم في ترق واقبال * والمعارف ساحبة على متن المجرة الاذيال * بحرمة النبي الامين سيدنا محمد والصحب والال * صلى الله عليهم وسلم بعدد مياه البحار والرمال * واخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين * كتبه الراجي لطف ربه القوي العبد الضعيف الحسن بن احمد الحنفي مدير المطبعة عامله الله باحسانه * وافاض عليه هوامل امتنانه *

* آمين *

فهرس مضامين كتاب الروح

المسئلة

صفحہ	مضمون
٣٢٦	فصل هل يشترط في يصال الثواب الاهداء بالا لفاظ ام يكفى مجرد النية
ايضا	هل يتعين في اهداء الثواب تعليق العمل بالقبول ام لا
٢٢٧	اي الاعمال افضل في اهداء الثواب الى الميت
ايضا	بيان وصول ثواب قراءة القرآن وما يتعلق به
٢٢٩	اهداء ثواب الاعمال الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
ايضا	المسئلة السابعة عشر وهي هل الروح قديمة او محدثة مخلوقة
٢٣١	هل تموت الارواح ام لا
٢٣٣	فصل في بيان الدلائل على خلق الارواح
٢٣١	ذكر الاختلاف في معنى الروح في الآية الكريمة بين السلف والخلف
٢٣٣	بيان اختلاف الروايات عن ابن عباس في تفسير اية ويسئلونك عن الروح
٢٣٦	فصل في بيان معنى اضافة الروح الى الله سبحانه تعالى
٢٣٩	المسئلة الثامنة عشر هي تقدم خلق الارواح على الاجساد او تاخر خلقها عنها
٢٥٠	دلائل من يقول بتقدم خلق الارواح على خلق الابدان
٢٥٦	ذكر الدليل على ان الارواح خلقت بعد خلق الابدان والجواب عما استدل به القائلون بتقدم خلق الارواح
٢٦٢	فصل في المنازعة في معنى قوله تعالى واذ اخذ ربك من بني ادم الخ
٢٧٣	فصل في ان هذه الآية على كل تقدير لاتدل على خلق الارواح قبل الاجساد
٢٧٥	فصل في الدليل على ان خلق الارواح متاخر عن خلق ابدانها
٢٨٠	المسئلة التاسعة عشر وهي ما حقيقة النفس
٢٨٥	القول الصواب في حقيقة الروح الذي دل عليه الكتاب والسنة و اجماع الصحابة و ادلة العقل و ذكر دلائله وافرد لذكر بعضها فصولا على حدة
٢٩٠	فصل
ايضا	فصل

